المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مكة المكرمة



من التراث الإسلامي
الكتاب الثالث والخمسون

تفسير ابن عباس

ومروياته في التفسير
من كتب السنة

تأليف
الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي أوجد البشر في هذه الدنيا ولم يتركهم سدى، بل بين لهم سبيله الهادي إلى الصراط المستقيم، فأرسل لهم رسلاً مبشرين ومنذرين يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، وأنزل معهم الكتب التي تنير لهم الطريق لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

وصلى الله تعالى على سيد الخلق محمد الذي بلغ الأمانة التي كلفه الله بها ونصح لأمته حتى تركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، وجاهد في سبيل الله حق الجهاد حتى كانت كلمة الله هي العليا، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

وبعد فإن أجل العلوم وأشرفها علوم القرآن كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» أخرجه الإمام البخاري[1].

* * *

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن باب رقم ٢١ حديث رقم ٥٠٢٧.

ومن علوم القرآن علم التفسير، والتفسير في اللغة، هو البيان والكشف، يقال فَسَرَ الشيء يَفْسِرِه ويفسُره فَسْراً، وفَسَّره تفسيراً بمعنى أبانه، والفسر كشف المغطى(١).

والمقصود منه في اصطلاح العلماء الكشف عن معاني القرآن الكريم وبيان المراد منه، وما يتطلبه ذلك من بيان قراءاته وأسباب نزوله ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه، وخاصه وعامه ومطلقه ومقيده ومجمله ومفسره، إلى غير ذلك مما يبين المقصود منه(٢).

والقرآن نزل بلغة العرب، فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يفهمون منه المعنى الظاهر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبين لهم ما خفي عليهم مما أراد الله تعالى بكلامه لأن الله جل وعلا أمره بذلك كما في قوله تعالى ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ (النحل/٤٤) فمن ذلك ما أخرجه الشيخان من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾ شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يارسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴿ **يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ (لقمان/١٣)(٣).

فالصحابة رضي الله عنهم فهموا المعنى العام للظلم حيث إنه يشمل المعاصي كلها فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن المراد به في

---

(١) لسان العرب (مادة فسر).

(٢) البرهان للزركشي ٢/١٤٨ - ١٤٩ الإتقان للسيوطي ٢/١٧٤.

(٣) صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب رقم ٤١ حديث رقم ٣٤٢٩ وصحيح مسلم كتاب الإيمان باب رقم ٥٦ حديث رقم ١٢٤.

الآية الشرك بالله. وسيأتي في هذه الرسالة أمثلة أخرى لما بينه النبي صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه من كتاب الله تعالى.

وقد عكف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعلم كتاب الله تعالى ودراسته دراسة دقيقة مترتبة على الرغبة الصادقة في العمل بما جاء في القرآن من التكاليف الإلهية، كما أخرج الإمام ابن جرير قال: حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق المروزي قال: سمعت أبي يقول: حدثنا الحسين بن واقد قال حدثنا الأعمش عن شقيق عن ابن مسعود قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن[1].

ورجال هذا الأثر ثقات قد سمع بعضهم من بعض[2] فإسناده على هذا صحيح.

وكان الصحابة إلى جانب ذلك يستفيدون من نزول بعض آيات القرآن إجابة على أسئلة توجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو وقائع ينزل فيها قرآن يبين حكم الله فيها، فكان ذلك معيناً للصحابة على فهم مراد الله جل وعلا من تلك الآيات، وأصبح نقل أسباب النزول بعد ذلك مصدراً هاماً من المصادر التي يستمد منها المفسرون في فهم معاني كتاب الله تعالى.

---

(١) تفسير الطبري ١/٣٥

(٢) شقيق الذي يروي عن ابن مسعود هو أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي، وهو ثقة عالم، أدرك سبع سنين من الجاهلية فهو من المخضرمين، وقد أخرج له الجماعة (أنظر تقريب التهذيب ١/٣٥٤ رقم ٩٦ والكاشف ٢/١٥ رقم ٢٣٢٢) وانظر في بقية رجال هذا الإسناد في الحديث رقم (٨٠) و(١٣) و(٥٥) من هذه الرسالة.
وانظر أيضاً في سماع بعضهم من بعض (تهذيب التهذيب ٤/٣٦١ رقم ٦٠٩).

وقد اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة وهم الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبدالله بن الزبير، ذكر ذلك السيوطي وقال: وأما الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم علي بن أبي طالب والرواية عن الثلاثة نزرة جداً وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم(١).

والمكثرون في التفسير من هؤلاء العشرة أربعة هم علي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وأبي بن كعب وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم أجمعين.

* * *

ولما كانت هذه الرسالة في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما رأيت أن من المناسب أن أذكر في هذه المقدمة ترجمة موجزة أذكر فيها نبذة يسيرة عن حياته وعلمه وكلام الناس فيه وانتشار تفسيره بين علماء التابعين.

ترجمة ابن عباس

هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مولده:

ولد في مكة المكرمة قبل الهجرة النبوية بثلاث سنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم محصور مع بني هاشم في الشعب على الصحيح،

---

(١) الإتقان ٢/١٨٧.

قال الحافظ ابن حجر : وبذلك قطع أهل السير وصححه ابن عبد البر، وأورد بسند صحيح عن ابن عباس أنه قال : « ولدت وبنو هاشم في الشعب »(١) .

وقال الحافظ ابن كثير: قال مسلم بن خالد الزنجي المكي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب جاء أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد أرى أم الفضل قد اشتملت على حمل، فقال: لعل الله أن يقر أعينكم، قال : فلما ولدتني أتى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في خرقة فحنكني بريقه، قال مجاهد : فلا نعلم أحداً حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بريقه غيره(٢) .

حياته :

نشأ في مكة المكرمة على الإسلام حيث كان الإسلام قد دخل بيت أبيه فأسلم أبوه وأسلمت أمه كما قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبدالله بن عبيدالله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاماً

---

(١) فتح الباري ١١/٩٠ في شرح الباب الحادي والخمسين من كتاب الاستئذان، وانظر وفيات الأعيان ٣/٦٢ رقم ٣٣٨، وأسد الغابة ٣/١٩٣ الاستيعاب ٢/٣٤٣ .

(٢) البداية والنهاية ٨/٢٩٥

ومسلم بن خالد الزنجي قال فيه الحافظ ابن حجر: فقيه صدوق كثير الأوهام (التقريب ٢/٢٤٥ رقم ١٠٧٩)

وابن أبي نجيح هو عبدالله بن أبي نجيح المكي راوي التفسير عن مجاهد قال فيه الحافظ ابن حجر: ثقة رمي بالقدر وربما دلس (التقريب ١/٤٥٦ رقم ٦٩٠)

ومجاهد هو ابن جبر تلميذ ابن عباس وهو ثقة ثبت (انظر ترجمته في الحديث رقم (٢٤) من هذه الرسالة.

للعباس بن عبدالمطلب وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه . . . ثم ذكر الخبر عن غزوة بدر وإظهاره الاستبشار بانتصار المسلمين أمام أبي لهب وما عمله معه(١)

ثم هاجر مع أبيه قبيل فتح مكة فالتقيا برسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وهو قادم لفتح مكة فشهد الفتح وغزوة حنين والطائف وصحب النبي صلى الله عليه وسلم ولازمه.

حرصه على طلب العلم:

حرص ابن عباس على طلب العلم منذ صغره وبذل فيه اهتماماً كبيراً وجهداً عظيماً فلازم النبي صلى الله عليه وسلم بعدما هاجر وأخذ عنه، وكان لقرابته من النبي صلى الله عليه وسلم أثر في إقدامه على ملازمته كما شجعه على ذلك كون أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث خالته، فأمه هي أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية، وكان يدخل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ويبيت أحياناً فيه ويقوم بخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلم منه كثيراً.

ومن أمثلة ذلك ما أخرجه الإمام البخاري من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بت في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم عندها في ليلتها، فصلى النبي صلى الله عليه وسلم العشاء ثم جاء إلى منزله فصلى أربع ركعات، ثم نام ثم قام، ثم قال: نام

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٣٣٨ ـ والحسين بن عبدالله بن عبيدالله بن عباس ضعفه العلماء (انظر التقريب ١/١٧٦ والكاشف ١/٢٣١).

الغُلَيِّم ـ أو كلمة تشبهها ـ ثم قام فقمت عن يساره فجعلني عن يمينه فصلى خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى سمعت غطيطه ـ أو خطيطه ـ ثم خرج إلى الصلاة»(١).

فهذا المثل يدل دلالة واضحة على حرص ابن عباس وهو لا يزال غلاماً على معرفة أحوال النبي صلى الله عليه وسلم في بيته مما لا يطلع غليه سائر الناس حيث حرم عينه النوم تلك الليلة ليكتسب علماً قد لا يستطيع أن يسأل عنه الناس فيما بعد.

ثم لازم علماء الصحابة رضي الله عنهم يسألهم عن كتاب الله تعالى وما حفظوه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى حمل أكثر علمهم.

وكان يذهب إليهم في دورهم ليسألهم عن العلم ولا يبالي بما يعترضه في سبيل ذلك من تعب أو مشقة، ومن أمثلة ذلك ما أخرجه الإمام الدارمي قال: أخبرنا يزيد بن هارون حدثنا جرير بن حازم عن يعلى بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار: يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم اليوم كثير فقال: واعجباً لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من ترى، فترك ذلك وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب فيخرج فيراني فيقول: يابن عم

(١) صحيح البخاري كتاب العلم باب رقم ٥١ حديث رقم ١١٧، وقوله «فصلى خمس ركعات» يعني بقية صلاة الليل والوتر وقوله «ثم صلى ركعتين» يعني سنة الفجر كما ذكر الحافظ ابن حجر ـ فتح الباري ١/٢١٢.

رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلي فآتيك! فأقول: أنا أحق أن آتيك فأسأله عن الحديث قال فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس علي فقال: كان هذا الفتى أعقل مني[1].

وكان متواضعاً في طلبه العلم حتى أنه أخذ مرة بركاب دابة زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال له: تنح يابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنّا هكذا نفعل بكبرائنا وعلمائنا.

أخرجه البيهقي[2].

وكان لا يأخذ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما تثبت من صحته، ومن أمثلة تثبته ما أخرجه الإمام مسلم من حديث طاوس قال: جاء هذا إلى ابن عباس - يعني بشير بن كعب - فجعل يحدثه فقال له ابن عباس: عد لحديث كذا وكذا فعادله، ثم حدثه، فقال له: عد لحديث كذا وكذا فعادله، فقال له: ما أدري أعرفت حديثي كله وأنكرت هذا؟ أم أنكرت حديثي كله وعرفت هذا؟ فقال

---

(١) سنن الدارمي المقدمة ١٤١/١

ويزيد بن هارون ثقة متقن عابد (أنظر ص ٢٠٦ رقم ٤ - وجرير بن حازم بن زيد بن عبدالله الأزدي ثقة، في حديثه عن قتادة ضعف وله أوهام إذا حدث من حفظه وهو من الطبقة السادسة، مات سنة سبعين ومائة بعدما اختلط لكن لم يحدث بعد اختلاطه (التقريب ١٢٧/١ رقم ٥١)

ويعلى بن حكيم المكي الثقفي بالولاء ثقة -

وعكرمة مولى ابن عباس ثقة ثبت - أنظر الحديث رقم (٥).

وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض (أنظر تهذيب ٤٠١/١١ رقم ٧٧٤، تهذيب الكمال ترجمة جرير بن حازم)

فإسناده متصل ورجاله ثقات ولم يظهر من جرير بن حازم وهم في هذا الحديث فعلى هذا يكون صحيحاً.

(٢) السنن الكبرى ٢١١/٦ كتاب الفرائض باب ترجيح قول زيد بن ثابت.

له ابن عباس: إنا كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن يكذب عليه فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه[1].

وقد أكثر من الأخذ عن ثلاثة من علماء الصحابة هم عمر وعلي وأبي بن كعب رضي الله عنهم قال معمر: عامة علم ابن عباس من ثلاثة: من عمر وعلي وأبي بن كعب[2].

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له:

وكان من أسباب قوة فهمه وإدراكه وغوصه على المعاني الدقيقة وسرعة حله للمشكلات التي يحار فيها ذوو الألباب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بالفقه في الدين والعلم بالتأويل، وقد رويت في هذا المعنى روايات كثيرة، منها ما أخرجه الإمام أحمد قال حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا عبدالله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بيت ميمونة فوضعت له وضوءاً من الليل، قال فقالت ميمونة: يارسول الله وضع لك هذا عبدالله بن عباس فقال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل[3].

---

(١) صحيح مسلم المقدمة باب النهي عن الرواية عن الضعفاء رقم ٧

(٢) البداية والنهاية ٢٩٨/٨.

(٣) مسند أحمد ٣٢٨/١، ٣١٤، ٣٣٥
ورجال الإسناد ثقات ما عدا عبدالله بن عثمان بن خثيم فهو صدوق، وعفان هو ابن مسلم الباهلي، أنظر الحديث رقم (١٣٧) و(١٠١) و(١٠٧) و(١١).

وأخرجه الطبراني من طريق داود بن أبي هند عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وذكر مثله(١).

وأخرجه الإمام البخاري ومسلم والترمذي مختصراً، ولفظه في بعض الروايات «اللهم فقهه في الدين» وفي بعضها «الله علمه الكتاب» وفي بعضها «اللهم علمه الحكمة»(٢).

وقد أخرج الإمام الترمذي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا له مرتين(٣). فلعل هذا هو السبب في اختلاف الألفاظ في روايات هذا الحديث.

وقال الحافظ ابن حجر: وأخرج البغوي في معجم الصحابة من طريق زيد بن أسلم عن ابن عمر: كان عمر يدعو ابن عباس ويقربه ويقول: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاك يوماً فمسح على رأسك وقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»(٤).

فهذا يدل على تكرر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث إن الدعاء الذي ورد في الحديث السابق كان حينما وضع ابن عباس الماء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليتوضأ به ليلاً في بيت

---

(١) معجم الطبراني الصغير ١/١٩٧

(٢) صحيح البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب ذكر ابن عباس رقم ٣٧٥٦، وفي كتاب العلم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم علمه الكتاب رقم ٧٥، وفي كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء ١٤٣، وفي الاعتصام في أوله رقم ٧٢٧٠.
صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبدالله بن عباس رقم ٢٤٧٧
سنن الترمذي كتاب المناقب باب مناقب عبدالله بن عباس رقم ٣٨٢٤.

(٣) سنن الترمذي كتاب المناقب رقم ٣٨٢٢

(٤) فتح الباري ١/١٧٠.

خالته ميمونة وكان ذلك بحضورها رضي الله عنها. أما الحديث الذي أخرجه البغوي ففيه أن عمر رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يمسح على رأس ابن عباس ويدعو له، فهذا دليل على تكرر الدعاء.

أمثلة من علم ابن عباس :

سيأتي في هذه الرسالة الكثير من الأمثلة الدالة على نبوغ ابن عباس وتفوقه في الفهم وسعة الاطلاع، وسأذكر هنا بعض الأمثلة على ذلك مما لم يرد له ذكر في الرسالة :

١ ـ قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن علي بن بَذِيمة عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس قال : قدم على عمر رجل فجعل عمر يسأله عن الناس فقال : يا أمير المؤمنين قد قرأ منهم القرآن كذا وكذا، فقال ابن عباس : والله ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة قال : فزبرني عمر[١] ثم قال : مه! قال : فانطلقت إلى أهلي مكتئباً حزيناً فقلت : قد كنت نزلت من هذا الرجل منزلة فلا أراني إلا قد سقطت من نفسه، قال فرجعت إلى منزلي فاضطجعت على فراشي حتى عادني نسوة أهلي وما بي وجع وما هو إلا الذي تقبَّلني به عمر، قال : فبينما أنا على ذلك أتاني رجل فقال : أجب أمير المؤمنين، قال : فخرجت فإذا هو قائم ينتظرني، قال : فأخذ بيدي ثم خلا بي، فقال : ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفاً؟ قال : فقلت : ياأمير المؤمنين إن كنت أسأت فإني أستغفر الله وأتوب إليه وأنزل حيث أحببت، قال : لتحدثني بالذي كرهت مما قال الرجل، فقلت : ياأمير المؤمنين متى ما تسارعوا هذه المسارعة يحيفوا ومتى ما يحيفوا يختصموا

---

(١) بمعنى انتهرني من زبر الرجل بمعنى انتهره ـ لسان العرب مادة زبر ـ

ومتى ما يختصموا يختلفوا ومتى ما يختلفوا يقتتلوا، فقال عمر : لله أبوك لقد كنت أكاتمها الناس حتى جئت بها.[1].

٢ ـ قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن عكرمة أن علياً حرق أناساً ارتدوا عن الإسلام فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لم أكن لأحرقهم بالنار، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تعذبوا بعذاب الله » وكنت قاتلهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من بدل دينه فاقتلوه » فبلغ ذلك علياً رضي الله عنه فقال : ويح ابن أم ابن عباس.[2].

---

(١) المصنف ١١ رقم ٢٠٣٦٨ كتاب الجامع باب الخصومة في القرآن.
ومعمر هو ابن راشد الأزدي وهو ثقة ثبت (انظر ص ٢٠ رقم ١ من هذه الرسالة)
وعلي بن بذيمة الجزري ثقة رمي بالتشيع من الطبقة السادسة ـ التقريب ٢/ ٣٢ رقم ٢٩٧
ويزيد بن الأصم هو هو يزيد بن الأصم بن عبيد معاوية البكائى أبو عوف وهو ابن أخت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها يقال : له رؤية ولم يثبت هو ثقة من الطبقة الثالثة التقريب ٢/٣٦٢/ رقم ٢٢٢)
فهؤلاء رجال ثقات وقد سمع بعضهم من بعض (انظر الكاشف ٢/ ٢٧٩ رقم ٣٩٣٧، تهذيب التهذيب ١١/ ٣١٣ رقم ٦٠٠، تهذيب الكمال ترجمة علي بن بذيمة).
وبناء على هذا يكون الإسناد صحيحاً.

(٢) مسند أحمد / ١/ ٢١٧
وإسماعيل هو الإمام إسماعيل بن إبراهيم الأسدي المعروف بابن عليه وهو ثقة حافظ
وأيوب هو ابن أبي تميمة السختياني وهو ثقة حافظ
وعكرمة هو مولى ابن عباس وهو ثقة ثبت
وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض (أنظر تهذيب التهذيب ١/ ٢٧٥ و ٣٩٧)
فإسناده على هذا صحيح.

٣ ـ أخرج الإمام عبد الرزاق عن عكرمة بن عمار قال حـدثنا أبـو زميل الحنفي قال حـدثنا عبـد الله بن عباس رضي الله عنهـما قال : لمـا اعتزلت الحرورية فكانوا في دار على حِدَتهم قلت لعلي : يا أمير المؤمنين أبـرد عن الصلاة لعـلي آتي هؤلاء القوم فـأكلمهم قـال : إني أتخـوفهم عليك، قلت كلا إن شاء الله، قال : فلبست أحسن ما أقدر عليـه من هذه اليمانيـة، قال : ثم دخلت عليهم وهم قـائلون في نحر الـظهيرة، قال : فدخلت على قوم لم أر قط أشد اجتهاداً منهم، أيـديهم كأنها ثفن الإبل[١] ووجوههم معلمة من آثار السجود، قال : فدخلت فقالـوا : مرحباً بك يابن عباس، ماجاء بك؟، قلت جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم نزل الوحي وهم أعلم بتأويله، فقال بعضهم : لا تحدثوه وقال بعضهم : والله لنحدثنه، قـال : قلت أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله صلى الله عليـه وسلم وختنه وأول من آمن به، وأصحاب رسـول الله صلى الله عليـه وسلم مـعه ؟ قالوا : ننقم عليه ثلاثاً، قال : قلت وما هن ؟ قالوا : أولهن أنه حكَّم الرجال في دين الله وقـد قال الله ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾[٢] قـال قلت : وماذا ؟ قالوا : وقاتل ولم يسب ولم يغنم، لئن كانوا كفاراً لقد حلت له أموالهم ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم، قال قلت وماذا ؟ قالوا : محـا نفسه من أمـير المؤمنين فـإن لم يكن أمير المؤمنـين فهو أمـير الكـافـرين، قـــال : قلت : أرأيتم إن قـرأت عليكم من كتـــاب الله المحكم وحـدثتكم من سنة نبيـه صلى الله عليـه وسلم مـا لا تنكـرون

---

(١) ثفن الإبل هو ما يقع على الأرض من أعضائه كالركبتين وغيرهما ـ لسـان العرب / مـادة ثفن ـ

(٢) الأنعام/٥٧، يوسف/ ٤٠، ٦٧

أترجعون ؟ قالوا : نعم، قال قلت : أما قولكم حكَّم الرجال في دين الله فإن الله تعالى يقول ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم - إلى قوله - يحكم به ذوا عدل منكم** ﴾(١) وقد قال في المرأة وزوجها ﴿ **وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها** ﴾(٢) أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وإصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم ؟ قالوا : اللهم بل في حقن دمائهم وإصلاح ذات بينهم، قال : أخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم، قال : وإما قولكم إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم أتسبون أمكم عائشة ؟ أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها فقد كفرتم ؟ وإن زعمتم أنها ليست أم المؤمنين فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام، إن الله يقول ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم** ﴾(٣) فأنتم مترددون بين ضلالتين فاختاروا أيتهما شئتم، أخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم، قال : وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قريشاً يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتاباً فقال : « اكتب هذا ما قاضي عليه محمد رسول الله، فقالوا : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال : والله إني لرسول الله حقاً وإن كذبتموني، اكتب يا علي محمد بن عبد الله » فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفضل من علي رضي الله عنه، اخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم، فرجع منهم عشرون

---

(١) المائدة/٩٥

(٢) النساء/٣٥

(٣) الأحزاب/٦

ألفاً وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا[١].

وأخرجه البيهقي[٢] وقال الحافظ الهيثمي : رواه الطبراني وأحمد ببعضه ورجالهما رجال الصحيح [٣].

موقفه من الأخذ عن أهل الكتاب :

أخرج الإمام البخاري من حديث الزهري قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عباس قال : يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله مَحْضاً لم يُشَب وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا ما كتب الله وغيروا فكتبوا بأيديهم قالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، أولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم[٤].

---

(١) المصنف ١٠/١٥٧ رقم ١٨٦٧٨

(٢) السنن الكبرى ٨/١٧٩ كتاب قتال أهل البغي باب لا يبدأ الخوارج بالقتال ـ.

(٣) مجمع الزوائد ٦/٢٣٩

وعكرمة بن عمار هو الحنفي اليمامي وقد وثقه الإمام الذهبي إلا في روايته عن يحيى بن أبي كثير فمضطرب (الكاشف ٢/٢٧٦ رقم ٣٩٢٠).

وأبو زميل هو سماك بن الوليد الحنفي، قال الحافظ ابن حجر : لا بأس به (التقريب ١/٣٣٢ رقم ٥٢٣).

(٤) صحيح البخاري

١ ـ كتاب الشهادات باب رقم ٣٩ حديث رقم ٢٦٨٥

٢ ـ وكتاب الاعتصام باب رقم ٢٥ حديث رقم ٧٣٦٣

٣ ـ وكتاب التوحيد باب رقم ٤٢ حديث رقم ٧٥٢٣

وأخرجه عبد الرزاق والبيهقي[1].

وفي هذا الأثر دليل على أن ابن عباس لم يكن يأخذ من أهل الكتاب حيث حذر المسلمين من سؤال أهل الكتاب، ولا يتصور أن يحذر من شيء ثم يعمله.

وإذا ثبت أنه كان يسأل كعب الأحبار وأمثاله فهذا محمول على أنه كان يحب الاطلاع على ماعندهم لا على أنه كان يعتمد عليه في تفسير كتاب الله تعالى.

إرشاداته في التعليم والوعظ :-

كان يهتم بتلاميذه ويرشدهم إلى الطرق التي بها يحفظون العلم حفظاً جيداً حتى يبلغوه من بعدهم.

ومن أمثلة وصاياه لتلاميذه في هذا الشأن ما أخرجه الإمام الدارمي قال : أخبرنا إسماعيل بن أبان حدثنا يعقوب بن عبد الله القمي حدثنا جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : تذاكروا هذا الحديث لا ينفلت منكم فإنه ليس مثل القرآن مجموع محفوظ وإنكم إن لم تذاكروا هذا الحديث ينفلت منكم، ولا يقولن أحدكم حدثت أمس فلا أحدث اليوم، بل حدثت أمس ولتحدث اليوم وغداً[2].

---

(١) مصنف عبد الرزاق ٥/ رقم ١٠١٥٩، ١١/ رقم ٢٠٠٦٠
السنن الكبرى ٨/٢٤٩ كتاب الحدود باب الحكم بينهم إذا حكم بما أنزل الله ١٠/١٦٢ كتاب الشهادات باب شهادة أهل الذمة.

(٢) سنن الدارمي، المقدمة ١/١٤٧.
وإسماعيل بن أبان هو الوراق الأزدي وهو ثقة، من الطبقة التاسعة، مات سنة ست =

ومن وصاياه النافعة في الوعظ ما أخرجه الإمام البخاري من حديث عكرمة أن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدِّث الناس مرة في الجمعة فإن أبيت فمرتين فإن أكثرت فثلاثاً ولا تمل الناس هذا القرآن، لا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم ولكن انصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهون وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك(1).

وقوله : « لا يفعلون إلا ذلك » يعني ترك السجع في الدعاء، وجاء في رواية الإسماعيلي بإسناد الإمام البخاري « لا يفعلون ذلك » يعني السجع في الدعاء.

ولا يتنافى هذا مع ماثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من السجع في الدعاء كقوله « اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، هازم الأحزاب » وقوله « أعوذ بك من عين لا تدمع، ونفس لا تشبع،

= عشرة ومائتين (التقريب ١/٦٥ رقم ٤٧٠، التهذيب ١/٢٦٩ رقم ٥٠٦).
ويعقوب بن عبدالله القمي صدوق يهم (أنظر الحديث رقم (٢٣) من هذه الرسالة)
وجعفر بن أبي المغيرة هو القمي الخزاعي وهو صدوق يهم (أنظر الحديث رقم ٢٣)
وسعيد بن جبير ثقة ثبت (أنظر الحديث رقم ١١)
فهذا الإسناد فيه يعقوب القمي وجعفر بن أبي المغيرة وهما متهمان بالوهم ولكن لم يثبت وهمها في هذا الحديث لعدم ورود ما يخالفه.
وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض (انظر تهذيب التهذيب ١/٢٦٩، ١١/٣٩٠، ٢/١٠٨، تهذيب الكمال ترجمة يعقوب القمي) فيكون الإسناد على هذا حسنا.

(١) صحيح البخارى كتاب الدعوات باب ما يكره من السجع في الدعاء رقم ٢٠ حديث رقم ٦٣٣٧.

وقلب لا يخشع » لأن هذا وأمثاله مما لم يقصد فيه السجع فليس فيه تكلف.[1].

ثناء الصحابة عليه :-

ثناء الصحابة على ابن عباس كثير وسأكتفى بقول الأكابر منهم لأن في ثنائهم عليه بياناً لفضله وتقدمه ، فقد كان عمر رضي الله عنه يقربه ويدخله مع أشياخ بدر ويرجع إليه في المعضلات، وقال عنه لما عوتب في إدخاله معهم وهو غلام : « ذلكم فتى الكهول فإن له لساناً سئولاً وقلباً عقولاً »[2].

وقال عبد الله بن مسعود رضى لله عنه : نعم ترجمان القرآن ابن عباس وقال : لو أن هذا الغلام أدرك ما أدركنا ما تعلقنا معه بشيء[3].

وقال أبي بن كعب رضي الله عنه ـ وكان ابن عباس عنده فقام ـ : هذا يكون حبر هذه الأمة ، أرى عقلاً وفهماً، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفقهه في الدين[4].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ابن عباس : كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق لعقله وفطنته[5].

---

(١) فتح الباري ١١/١٣٩

(٢) انظر ص ٦٥٧ من هذه الرسالة

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ٣/٢٢٣ البداية والنهاية ٨/٣٠٠

(٤) الإصابة ٢/٣٢٣

(٥) الإصابة ٢/٣٢٤

مصادر تفسير ابن عباس :-

أولاً : ما أخذه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث لازمه ملازمة تامة منذ أن هاجر إلى أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً : ما أخذه عن علماء الصحابة وهو كثير حيث كان طلب العلم هو همه الكبير الذي يشغل باله فاستوعب علم كبار علماء الصحابة إلى جانب ماكان يأخذ من سائر الصحابة حين يبلغه عن أحدهم أنه يحفظ شيئاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً : رجوعه إلى اللغة العربية وخصوصاً الشعر الجاهلي حيث كان يستشهد به كثيراً، ومن ذلك مسائل نافع بن الأزرق التي سأل عنها ابن عباس فكان يجيبه ويستشهد على ذلك بالشعر وهي مسائل كثيرة أخرجها الطبراني كما ذكر الحافظ ـ الهيثمي وذكرها السيوطي في الإتقان(١)، وقد ساعد ابن عباس على ذلك سعة اطلاعه على شعر العرب وأيامهم وسرعة حفظه وقوة ذاكرته.

رابعاً : الفهم الثاقب والإدراك السريع الذي منحه الله إياه فكان يدرك من المعاني ومقاصد الكلام ما لا يدركه غيره من العلماء، وهذا هو الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » وقد تحققت هذه الدعوة بما خلفه ابن عباس من هذه الثروة العظيمة من

---

(١) مجمع الزوائد ٦/٣٠٣، الإتقان ١/١٢٠

نوادر التفسير التي انفرد بها ومن الفتاوى الكثيرة التي حل بها مشكلات الناس.

قيمة تفسير ابن عباس :-

تتبين لنا قيمة تفسير ابن عباس من معرفة قيمة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له أولاً ومن الثناء العظيم الذي حاز عليه من أكابر الصحابة رضي الله عنهم ومن أكابر العلماء بعد ذلك ثانياً، ومن رجوع الصحابة ومن بعدهم إليه في مشكلات التفسير ومعاني القرآن الخفية ثالثاً، كما سيأتي من أمثلة ذلك في هذه الرسالة.

انتشار علم ابن عباس :-

بعد أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام ابن عباس في المدينة المنورة يأخذ العلم عن كبار الصحابة، واستمر على ذلك حتى انتقل علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى العراق فانتقل معه وكان إلى جانبه في السلم والحرب، وولاه على البصرة فلم يزل والياً عليها حتى قتل علي رضي الله عنه فاستخلف على البصرة عبد الله بن الحارث ومضى إلى الحجاز، قال الحافظ ابن حجر : وأخرج الزبير - يعني ابن بكار - بسند له أن ابن عباس كان يغشى الناس في رمضان وهو أمير البصرة فما ينقضي الشهر حتى يفقههم[1].

وفي مكة المكرمة جلس ابن عباس للتدريس ورحل إليه الناس وازدحم على بابه طلاب العلم، قال الحافظ ابن كثير : وقال يونس بن بكير حدثنا أبو حمزة الثمالي عن أبي صالح قال : لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها به الفخر، لقد

---

(١) الإصابة ٢/٣٢٥

رأيت الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطريق فما أحد يقدر ان يجيء ولا أن يذهب، قال : فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال لي : ضع لي وضوءاً، قال : فتوضأ وجلس وقال : أخرج فقل لهم : من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل، قال : فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم عنه وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر، ثم قال : إخوانكم، فخرجوا، ثم قال : أخرج فقل من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل، قال : فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر، ثم قال : إخوانكم، فخرجوا ثم قال : أخرج فقل : من كان يريد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل، فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم وزادهم مثله أو أكثر، ثم قال : إخوانكم، فخرجوا، ثم قال : أخرج فقل : من كان يريد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل، فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال : إخوانكم فخرجوا. قال أبو صالح : فلو أن قريشاً كلها فخرت بذلك لكان فخراً، فما رأيت مثل هذا لأحدٍ من الناس(١).

وفاته رضي الله عنه :-

بقي ابن عباس في مكة يعلم الناس ويفتيهم حتى عام ستة وستين، وفي هذه السنة طلب منه عبد الله بن الزبير أن يبايع بالخلافة

---

(١) البداية والنهاية ٨/٣٠٢

فتوقف في ذلك هو ومحمد بن الحنفية حتى يجتمع أمر الناس وكان عبد الملك بن مروان في قتال مع ولاة ابن الزبير وكل واحد منهما يريد الخلافة، وقد حاول ابن الزبير إجبار ابن عباس ومحمد بن الحنفية على البيعة وحاصرهما، وكان المختار بن أبي عبيد يظهر التشيع لآل البيت فبعث من العراق جيشاً وفكوا الحصار عن ابن الحنفية وابن عباس ومن معهما وحملوهما إلى الطائف وقد بقي ابن عباس في الطائف إلى أن توفي سنة ثمان وستين رضي الله عنه وصلى عليه محمد بن الحنفية، وقال: اليوم مات رباني هذه الأمة(١).

وبموته رضي الله عنه أفل نجم طالما اهتدى به السائرون إلى الله ونزعوا إليه في حل مشكلاتهم الدينية والدنيوية، ولكن علمه بقي يتناقله الناس عبر الأجيال ويحيون به ذكره رضي الله عنه وأرضاه.

أشهر تلاميذه:

وقد أشتهر برواية التفسير عن ابن عباس ثلاثة من تلاميذه الكبار هم مولاه عكرمة ومجاهد بن جبر وسعيد بن جبير وهؤلاء من الحفاظ الثقات وقد أكثروا من الرواية عن ابن عباس(٢).

وروى عنه أيضاً طاوس اليماني وهو ثقة حافظ لكنه لم يكثر من رواية التفسير عن ابن عباس(٣).

وروى عنه عطية العوفي وقد أكثر من رواية التفسير عنه لكنه ضعيف(٤).

---

(١) البداية والنهاية ٨/٢٧٧، ٣٠٥.
(٢) انظر تراجمهم في الحديث رقم (٥) و(٢٤) و(١١).
(٣) انظر ترجمته في الحديث رقم (١٧) من هذه الرسالة.
(٤) انظر ترجمته في الحديث رقم (٣٥) من هذه الرسالة.

وقد أخرج الإمام ابن جرير من تفسير العوفي في مواضع كثيرة، وذكرت بعضاً منه في هذه الرسالة على سبيل الاستشهاد.

وروى عنه علي بن أبي طلحة وهو صدوق ولكنه لم يلق ابن عباس وإنما أخذ تفسيره من مجاهد[1] وله صحيفة في هذا التفسير أخرج منها الإمام البخاري كثيراً في صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس كما سيأتي في مواضع كثيرة من هذه الرسالة، وأكثر منها ابن جرير في تفسيره كما سيأتي أيضاً في الشواهد، وقال الإمام أحمد: بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة لو رحل فيها رجل إلى مصر قاصداً ما كان كثيراً[2].

وقد طعن بعض العلماء في تفسير علي بن أبي طلحة بأنه منقطع حيث لم يسمع من ابن عباس، وقال الحافظ ابن حجر في رد ذلك: بعد أن عرفت الواسطة وهو ثقة فلا ضير في ذلك[2].

وممن روى عنه الضحاك بن مزاحم الهلالي ولكن روايته عنه ضعيفة حيث لم يسمع الضحاك منه ولم يلقه، فإذا انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة عن أبي روق عنه فضعيفة لضعف بشر، وقد أخرج من هذه النسخة ابن جرير وابن أبي حاتم، وإن كان من رواية جويبر عن الضحاك فأشد ضعفاً لأن جويبراً شديد الضعف، ولم يخرج ابن جرير ولا ابن أبي حاتم من هذا الطريق شيئاً إنما أخرجها ابن مردويه وأبو الشيخ ابن حبان. ذكر ذلك السيوطي[3].

---

(١) تهذيب التهذيب ٧/ ٣٣٩ رقم ٥٦٧ وانظر ترجمته في الحديث رقم (٢) من هذه الرسالة.

(٢) الإتقان ٢/ ١٨٨.

(٣) الإتقان ٢/ ١٨٩ وانظر ترجمة الضحاك بن مزاحم وبشر بن عمارة في رقم (٤) وترجمة جويبر في رقم (١٣٥) من هذه الرسالة.

ومن روى التفسير عن ابن عباس أبو مالك غزوان الغفاري قال عنه يحيى بن معين: كوفي ثقة، ذكر ذلك ابن أبي حاتم(١).

وروى عنه أيضاً أبو صالح باذام مولى أم هانىء وهو ضعيف من الطبقة الثالثة(٢).

وقد أخرج التفسير عن هذين الراويين السُّدّى الكبير إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة وهو صدوق يهم ورمي بالتشيع، من الطبقة الرابعة(٣).

وقد أخرج محمد بن السائب الكلبي - أبو النضر - تفسيراً كثيراً عن أبي صالح هذا عن ابن عباس، والكلبي متهم بالكذب قال سفيان الثوري قال لي الكلبي: كل ما حدثتك عن أبي صالح فهو كذب، وقال الإمام البخاري: أبو النضر الكلبي تركه يحيى وابن مهدي وقال أبو حاتم: الناس مجمعون على ترك حديثه هو ذاهب الحديث لايشتغل به(٤).

وقال السيوطي: وأوهى طرقه - يعني تفسير ابن عباس - طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدى الصغير فهي سلسلة الكذب وكثيراً ما يخرج منها الثعلبي والواحدي(٥).

---

(١) الجرح والتعديل ٧/٥٥ رقم ٣١٨.
(٢) تقريب التهذيب ١/٩٣ رقم ١، ميزان الاعتدال ١/٢٩٦ رقم ١١٢١
(٣) تقريب التهذيب ١/٧١ رقم ٥٣١، ميزان الاعتدال ١/٢٣٦ رقم ٩٠٧
(٤) ميزان الاعتدال ٣/٥٥٦ رقم ٧٥٧٤، تهذيب التهذيب ٩/١٧٨ رقم ٢١٦.
(٥) الإتقان ٢/١٨٩، وانظر ترجمته في ميزان الاعتدال ٤/٣٢.

ويوجد تفسير منسوب إلى ابن عباس يسمى «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» وهو من طريق محمد بن مروان السدى الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس كما ذكر إسناده في أول الكتاب وفي مواضع منه، وقد جمعه الفيروز أبادي صاحب القاموس من كتب التفسير التي أدخل أصحابها هذا الطريق في تفاسيرهم كالثعلبي والواحدي[1].

فهذا التفسير لا يعتمد عليه ولا تصح نسبته إلى ابن عباس.

موقف المفسرين من تفسير ابن عباس:

من هذا العرض تبين لنا أن تفسير ابن عباس فيه ما هو صحيح النسبة إليه وفيه ما هو ضعيف وفيه ما هو مكذوب عليه.

وكان من نتائج ذلك أن افترق المفسرون تجاه تفسير ابن عباس وغيره من التفسير بالمأثور ثلاث فرق:

فرقة أخذوا بكل ما روي من هذا التفسير فوقعوا في كثير من الآثار الموضوعة ومن هؤلاء الثعلبي والواحدي كما سبق، وقد تبعهم في ذلك بعض المفسرين، وفرقة اقتصروا على رواية ما صح عن ابن عباس ولكن لم يرووا إلا القليل من تفسيره ومن أبرز هؤلاء الإمام البخاري ومسلم.

وفرقة تجنبوا الأحاديث الموضوعة لشهرة رواتها من الكذابين ولكنهم خلطوا بين الروايات الصحيحة والضعيفة وهؤلاء هم أكثر المفسرين الذين اهتموا بنقل تفسير الصحابة والتابعين كالإمام ابن

---

(١) انظر الضوء اللامع ١٠/٨١، البدر الطالع ٢/٢٨١، شذرات الذهب ٧/١٢٧.

جـرير وابن أبي حـاتم والذين رووا بعض تفسـير ابن عبـاس من علماء السنـة كـالإمـام أحمـد وعبـدالـرزاق الصنعـاني والـترمــذي والحـاكم والبيهقي .

وقد نقل كثير من المفسرين المتأخرين هذه الـروايات من غـير تمييز بينها وأحيانـاً ينقلونها بغير إسنـاد إلا أن بعضهم يبين ضعف الـروايات أحياناً إذا كان الموضوع مهماً كـآيات العقـائد والأحكـام كالحـافظ ابن كثير.

ونظراً لاختلاط الصحيح بغيره من التفسـير بالمـأثور كان على من يريد معرفة تفسير القرآن أن يسلك أحد أمور ثلاثة : إما أن يأخذ بهذه الـروايات التي لم يميـز العلماء صحيحهـا من ضعيفهـا من غـير نـظر في إسنادها وهـذا أمر فيـه خطورة لمـا يترتب عليـه أحيانـاً من كون بعض الآثار تشتمل على أمور لا يمكن التسليم بهـا كالـطعن في بعض الأنبياء عليهم السـلام أو الصحـابـة رضي الله عنهم أو مخـالفـة بعض أصـول الشريعـة أو بعد مدلول الأثـر عن سياق الآيـات . وإما أن يـترك هـذه الروايات كلها نظراً لاختلاط صحيحها بضعيفهـا وعدم مقـدرته عـلى التمييـز بينها أو عـدم توفـر الوقت الكـافي لمثل هـذا البحث ، ويـأخـذ بالترجيـح بين كـلام المفسرين من غير نـظر إلى الروايـات المرويـة عن الصحابة رضي الله عنهم .

وهذا فيه خسارة كبيرة لأنه يؤدي إلى تعطيل ثروة عظيمة من تراثنا الإسلامي ، كما أن فيـه تقديم آراء المتـأخرين من المفسرين عـلى أقوال الصحابة رضي الله عنهم ، والصحابة أقرب الناس عهداً بالتنزيل وقـد سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإما أن يبحث في أسانيد هذه الروايات ليميز بينها، وهذا أمر شاق لا يتصدى له إلا من تفرغ لمثل هذا البحث.

ولما كان عبدالله بن عباس رضي الله عنهما هو إمام المفسرين وترجمان القرآن اعتنى بتفسيره العلماء وكثرت النقول عنه، واستغل بعض المشتغلين بجمع التفسير شهرته فنسبوا إليه ما لم يقله، وأصبح يروي تفسيره أيضاً بعض الضعفاء الذين وهموا في بعض ما رووا عنه.

وبهذا اختلط صحيح تفسيره بضعيفه واختلط ذلك أيضاً بما وضع عليه مما لم يقله، كما اختلط تفسير غيره من الصحابة والتابعين.

وقد أخرج تفسير ابن عباس علماء التفسير الذين صرفوا هممهم لنقل تفسير السلف من الصحابة والتابعين وعلى رأسهم الإمام ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم وعبدالرزاق الصنعاني..

كما أخرج بعض علماء السنة أجزاءً من تفسير ابن عباس.

الباعث على اختيار هذا الموضوع:

حدث ما تقدم ذكره من اختلاط التفسير بالمأثور بعضه ببعض، ما هو مقبول منه لثبوت نسبته إلى قائله، وما هو مردود لعدم ثبوت ذلك، ووقوف الباحث أمام كثير من هذا التراث العظيم وقفة المتحير الذي يريد الاستفادة منه لما يرى من قيمته العلمية.. قيمته الذاتية، وقيمة نسبته إلى الصحابة رضي الله عنهم باعتبارهم المبلغين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه يخشى من الإثم في نسبة ذلك إليهم وهو لا يدري هل ثبت ذلك عنهم أم لا؟ وإذا لم يثبت عنهم فإن العامل الأهم في وزن هذا الكلام قد فقد وهو كونه من قول الصحابة المبلغين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونظراً لما وقع من ذلك وما جرى من بعض المفسرين من الأخذ بكل ما روي عن الصحابة من غير تمييز بين ما ثبت منه وما لم يثبت، واطراح بعضهم لكثير من ذلك والتعويل في تفسير القرآن على الفهم والاستنباط ودلالات اللغة العربية. رأيت أن أقدم في هذا الموضوع دراسة تعتبر مشاركة في تذليل الصعوبات التي تحول دون الاستفادة من التفسير بالمأثور.

ونظراً لأن ابن عباس هو إمام المفسرين كما سبق في ترجمته ولأن الوضع كثر في تفسيره استغلالاً لشهرته رأيت أن أجعل هذه الدراسة في تفسيره حتى تتيسر الاستفادة منه لمن يطلب ذلك.

عملي في هذه الرسالة:

لما كان الحصول على تفسير ابن عباس الذي أخرجه المفسرون سهلاً ميسوراً لدى الباحثين لكونه مرتباً على ترتيب آيات القرآن الكريم فقد رأيت أن أبدأ العمل في تفسير ابن عباس بما أخرجه المحدثون لكونه مبثوثاً في كتب السنة ولا يتيسر للباحث الوصول إليه إلا بمشقة في الغالب.

وقد استخرجت تفسير ابن عباس من أكثر كتب السنة، ثم اخترت بعض هذا التفسير لبحثه في هذه الرسالة، وأملي إن شاء الله أن أكمل فيما بعد دراسة تفسير ابن عباس من بقية كتب السنة ثم من كتب التفسير.

وقد اقتصرت في هذه الرسالة على الكتب التالية:

«صحيح البخاري، صحيح مسلم، موطأ مالك، سنن أبي داود السجستاني، سنن النسائي، سنن الترمذي، سنن ابن ماجه، مسند

أحمد، مسند أبي داود الطيالسي، مصنف عبدالرزاق، المنتقي لابن الجارود، مسند الشافعي، سنن الدارقطني، سنن الدارمي، مسند الحميدي».

والطريقة التي سرت عليها في دراسة تفسير ابن عباس هي:

أولاً: ضبط الأثر المروي عن ابن عباس في تفسير الآية بعد مقارنته بالروايات الأخرى للتأكد من سلامته من الأخطاء.

وإذا أخرج النص عدد من علماء الحديث فإني أقدم أصح الروايات غالباً وقد أقدم الأدنى صحة لكونه يشتمل على تفسير أكثر وأشير إلى القدر الصحيح منه.

ثانياً: دراسة إسناد هذا الأثر إذا كان مما لم يخرجه الشيخان وذلك بترجمة رجال الإسناد.

وهذه الدراسة تشتمل على المراحل التالية:

الأولى: تمييز الرواة والتعريف بهم.

ونظراً إلى أن علماء الحديث لا يذكرون الراوي كاملاً في الغالب فإن على الباحث أن يدرس تلاميذ الراوي وشيوخه ليستطيع بعد ذلك تكميل اسمه وتمييزه من غيره، فإذا عرف اسم الراوي كاملاً نظر بعد ذلك في حكم العلماء عليه.

الثانية: النظر في كلام علماء الجرح والتعديل المعتد بهم في الحكم على الرواة من الذين عاصروا عهد الرواية قبل أن تدون كتب السنة التدوين الكامل، ثم الأخذ بخلاصة ما توصلوا إليه في الحكم على الراوي.

ولما كان كلام هؤلاء العلماء في الرواة ليس متفقاً في بعض الأحيان إذ أن بعضهم يتشدد في الحكم وبعضهم يتساهل وبعضهم يتوسط، وبعضهم ممن لا يعتد بكلامه، والبعض الآخر ممن لا يعتد بكلامه إذا انفرد برأي، وأحياناً يتقارب رأيهم وأحياناً يتباعد. . لما كان هذا هو الواقع في كلام هؤلاء العلماء رأيت أن أنقل في الحكم على الراوي خلاصة ما توصل إليه العلماء المتأخرون من الموازنة بين كلام العلماء المتقدمين وإعطاء الحكم المناسب على الراوي.

وقد اعتمدت في ذلك أولاً على ما أودعه الحافظ ابن حجر في كتابه «تقريب التهذيب» من تلخيص كلام علماء الجرح والتعديل المعتد بحكمهم لدى علماء هذا الشأن، وقد بين في مقدمة «التقريب» أنه ذكر في الحكم على الراوي أصح ما قيل فيه وأعدل ما وصف به[1]. وإذا انفرد واحد من هؤلاء العلماء بحكم على بعض الرواة وهو ممن يعتد بحكمه فإن الحافظ ابن حجر يبين ذلك في ترجمة الراوي، مثل قوله في ترجمة محمد بن حميد الرازي «حافظ ضعيف وكان ابن معين حسن الرأي فيه».

ثم انظر ثانياً في كلام العلماء الذين حكموا على بعض الرواة وأودعوا ذلك في كتب التراجم أو في تعليقاتهم على بعض كتب السنة كالحافظ الذهبي وابن كثير والهيثمي والخزرجي.

وهؤلاء العلماء لهم اطلاع واسع على الروايات، إلى جانب اطلاعهم على كلام علماء الجرح والتعديل.

---

(١) تقريب التهذيب ١/٣.

ومجرد الاطلاع على كلام علماء الجرح والتعديل من غير نظر إلى مرويات الرواة لا يكفي في الحكم على الراوي، إذ أن بعض النقاد يطلع مثلاً على روايات الراوي التي لم يخطىء فيها فيحكم عليه بأنه ثقة أو صدوق وبعضهم يطلع على الأحاديث التي غلط فيها فيضعفه، فالعلماء الكبار المتبحرون في هذا العلم يدرسون روايات الرواة ويعرفون مواطن الغلط فيجمعون في حكمهم على الراوي بين الجرح والتعديل فيقولون مثلاً «صدوق يخطىء أوسيء الحفظ» أو يقولون «ضعف في فلان» حتى لا ينخدع الباحث بالثناء على الراوي فيقبل جميع أحاديثه ولا بالقدح فيه فيرد جميع أحاديثه، وإنما يقارن بين مروياته ومرويات غيره حتى يتأكد من سلامة الحديث الذي يريد البحث عنه.

المرحلة الثالثة: إثبات اتصال الإسناد باعتباره شرطاً من شروط الحديث الصحيح والحسن وذلك في سماع الرواة بعضهم من بعض وإثبات ذلك، وقد رجعت في هذا إلى كتب التراجم كتهذيب الكمال للمزي وتهذيبه لابن حجر وتذكرة الحفاظ والكاشف للذهبي وتاريخ بغداد للخطيب.

المرحلة الرابعة: الحكم على الحديث بناء على معرفة درجة رواته واتصال إسناده أو انقطاعه، واعتماداً على المنهج الذي رسمه العلماء لمعرفة درجة الحديث.

والحديث ينقسم من حيث الاحتجاج به أو عدمه إلى ثلاثة أقسام: صحيح وحسن وضعيف.

فالحديث الصحيح هو ما اتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى نهاية الإسناد من غير شذوذ ولا علة[1].

أما الحديث الحسن فقال الحافظ ابن حجر في تعريفه بعدما ذكر التعريف السابق للحديث الصحيح: فإن خف الضبط فهو الحسن لذاته[2].

ومعنى هذا أنه يشترط له ما يشترط للحديث الصحيح من اتصال الإسناد وعدالة الرواة والسلامة من الشذوذ والعلة وأن يكون الراوي متصفاً بالضبط لكن لا يشترط أن يكون تام الضبط.

وقال الإمام النووي في تعريف الحديث الحسن لذاته: أن يكون راويه مشهوراً بالصدق والأمانة ولم يبلغ درجة الصحيح لقصوره في الحفظ والإتقان وهو مرتفع عن حال من يعد تفرده منكراً[3].

ومن هذا التعريف تبين لنا أن الحديث الحسن هو ما اتصف راويه بالصدق والأمانة ولم يصل في الإتقان والحفظ إلى درجة الثقات ولم ينزل في ذلك إلى درجة الضعفاء، وهذا الدرجة هي ما يعبر عنه في مراتب الجرح والتعديل بصدوق أولا بأس به كما ذكر الحافظ ابن حجر[4] حيث إن ما قبلها مراتب الثقة التي هي مراتب الحديث الصحيح وما بعدها مرات الحديث الضعيف.

---

(١) انظر التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح/ ٢٠، ونزهة النظر شرح نخبة الفكر لابن حجر/ ٣٠، وتدريب الراوي في شرح تقريب النووي/ ٢٢، والباعث الحثيث لابن كثير/ ٢١، فتح المغيث ١/ ١٧.

(٢) نخبة الفكر مع شرحه نزهة النظر/ ٤٠.

(٣) تدريب الراوي/ ٨٩.

(٤) تقريب التهذيب ١/ ٤.

فـإذا اختـل شرط من شروط الحـديث الحسن فهـو الحـديث الضعيف وهو أنواع كثيرة[1].

وقـد ذكر الحـافظ ابن حجـر مـراتب الجـرح والتعـديـل بعـد أن استخلصها من كلام العلماء في الحكم على الرجـال، وقسمها إلى اثنتي عشرة مرتبة.

قال: فأما المراتب:

فأولها: الصحابة فاصرح بذلك لشرفهم.

الثانية: من أكد مدحه إما بأفعل كأوثق الناس أو بتكـرير الصفـة لفظاً كثقة ثقة أو معنى كثقة حافظ.

الثالثة: من أفرد بصفة كثقة أو متقن أو ثبت أو عدل.

الـرابعة: من قصر عن درجـة الثالثـة قليلاً وإليـه الإشـارة بلفظ «صدوق أو لا بأس به أو ليس به بأس».

الخامسة: من قصر عن درجة الرابعـة قليلاً، وإليـه الإشارة بلفظ «صـدوق سيء الحفظ أو صـدوق يهم أولـه أوهـام أو يخـطىء أو تغـير بـأخرة»، ويلتحق بـذلك من رمي بنـوع من البدعـة كالتشيـع والقدر والنصب والإرجاء والتجهم مع بيان الداعية من غيره.

السـادسة: مـن ليس لـه من الحديث إلا القليـل ولم يثبت فيه مـا يترك حديثـه من أجله، وإليه الإشارة بلفظ «مقبول» حيث يتـابع **والا** **فلين** الحديث.

---

(١) تدريب الراوي/١٠٥.

السابعة: من روى عنه أكثر من واحد ولم يوثق وإليه الإشارة بلفظ «مستور» أو «مجهول الحال».

الثامنة: من لم يوجد فيه توثيق لمعتبر ووجد فيه إطلاق الضعف ولو لم يفسر، وإليه الإشارة بلفظ «ضعيف».

التاسعة: من لم يرو عنه غير واحد ولم يوثق، وإليه الإشارة بلفظ «مجهول».

العاشرة: من لم يوثق البتة وضعف مع ذلك بقادح وإليه الإشارة بلفظ «متروك» أو «متروك الحديث» أو «واهي الحديث» أو «ساقط».

الحادية عشرة: من اتهم بالكذب.

الثانية عشرة: من أطلق عليه اسم الكذب والوضع[1].

فالمراتب الأربع الأولى مراتب التعديل، والخامسة بين الجرح والتعديل أما السبع الأخيرة فهي مراتب الجرح.

والمراتب الثلاث الأولى من مراتب التعديل هي للحديث الصحيح لذاته، أما الرابعة فهي للحديث الحسن لذاته، لأنها هي التي ينطبق عليها تعريف الحسن لذاته، حيث إن من قيل عنه «صدوق أو لا بأس به» لم يجرح في عدالته ولم يصل إلى حد الثقات في إتقانه ولكنه مرتفع عن حال من يعد تفرده منكراً. وهذه هي الصفات التي بها يكون حديث الراوي حسناً كما تقدم.

أما المرتبة الخامسة فقد جمع أصحابها بين الجرح والتعديل حيث وصفوا بالصدق، وهذا من التعديل ثم أضيف إلى ذلك اتهامهم

---

(١) تقريب التهذيب ١/٤.

بالوهم أو سوء الحفظ أو الخطأ أو التغيير، فهؤلاء لا يقبل حديثهم كله ولا يرد كله بل يبحث فيه فيقبل منه ما لم يتهموا فيه ويكون حسن الإسناد ويرد منه ما اتهموا فيه حتى يوجد له شاهد آخر يقويه فيرتفع إلى الحسْن ويكون حسناً لغيره. وهذه الطريقة هي التي سار عليها الإمام مسلم في صحيحه حيث أدخل حديث بعض من اتهموا بشيء من ذلك، ولكنه لم يدخل في صحيحه إلا ما تأكد من سلامته مما اتهم به راويه.

قال الإمام ابن القيم بعدما ذكر ما عيب على الإمام مسلم في إخراجه حديث مطر الوراق: «ولا عيب على مسلم في إخرج حديثه لأنه ينتقي من أحاديث هذا الضرب ما يعلم أنه حفظه كما يطرح من أحاديث الثقة ما يعلم أنه غلط فيه «ثم خطًّأ من أخرج جميع حديث الثقة وإن كان فيه غلط وذكر أن هذه طريقة الحاكم وأمثاله وخطّأ من ضعف جميع حديث سيىء الحفظ، وذكر أن هذه طريقة ابن حزم وأمثاله، وصوب طريقة الإمام مسلم وذكر أنها طريقة أئمة هذا الشأن[1].

وأما المراتب الأربع الأولى من مراتب الجرح فهي للحديث الضعيف الصالح للاعتبار، ولكنها تتفاوت من حيث قلة الضعف أو شدته على حسب ترتيبها في النزول كما تتفاوت مراتب الحديث الصحيح أيضاً.

وتظهر فائدة هذا التفاوت في الترجيح عند وجود التعارض بين الأحاديث.

---

(١) زاد المعاد، فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في سجود القرآن (١/ ٣٦٤).

أمـا الثلاث الأخـيرة من مراتب الجـرح فهي للحـديث الضعيف الذي لا يصلح للاعتبار.

فرواية أصحاب المراتب الثـلاث الأولى مقبولـة لأنها صحيحة من حيث الإسنـاد إلا من اتهم منهم بجرح كالوهم والتـدليس فـلا تقبـل روايته إلا إذا تأكدنا من سلامتها من ذلك.

وكذلك رواية أصحاب المرتبة الـرابعة لأن حـديث هؤلاء حسن، والحسن مشارك للصحيح في الاحتجاج به وإن كان دونه في القـوة[1]، فيقدم عليه الحديث الصحيح عند التعارض.

وإذا اعتضـد الحديث الحسن بحـديث آخر حسن الإسنـاد فـإنـه يرتفع إلى الصحة فيكون صحيحاً لغيره.

أمـا الحديث الضعيف الصـالح لـلاعتبار فـإنه لا يحتـج به إلا إذا اعتضد بحديث آخر صالح للاعتبار فيرتفـع إلى الحسْن ويكون حسنـاً لغيره.

وأما الحديث الذي لا يصلح للاعتبار فإنـه مردود ولا يـرتفع عنـه الضعف بوجود الشواهد له.

ثالثاً: ثم بعد دراسة الإسنـاد أبين معنى الآيـات والاحاديث التي أوردها.

وإذا كان هناك تعارض بين الروايات المروية عن ابن عبـاس فإني أحاول الجمع بينها وإذا لم يمكن الجمع فإن أرجح بـالإسناد أو بمنـاسبة الأثر لسياق الايات.

---

(١) نزهة النظر شرح نخبة الفكر/٤١، تدريب الراوي شرح تقريب النواوي/٩١.

وإذا خالف تفسيره قول الجمهور فإني أبين ذلك وأذكر قول الجمهور مع بيان أدلتهم.

وماذكرته في هذه الرسالة من تفسير ابن عباس قد يكون شاملاً لتفسير الآيات التي أوردها، وقد يكون تفسيراً لجزء أو أجزاء منها.

وأنا أذكر الآية كاملة في الغالب وإن كان تفسير ابن عباس الذي أذكره إنما هو لجزء منها لأن معنى الآية لا يظهر غالباً إلا بذكر الآية كاملة.

ولما كان من المطلوب في كتابة الرسائل وغيرها أن لا يذكر الكاتب كلاماً يحتاج القارىء إلى البحث عن معناه في كتب أخرى فقد بينت معنى الآيات التي ذكرتها في هذه الرسالة وإن كان تفسير ابن عباس لجزء منها فقط.

هذا وقد رتبت ما ذكرته من تفسير ابن عباس في هذه الرسالة على ترتيب آيات القرآن الكريم ليسهل الرجوع إليها، والله أسأل أن يعينني على إكمال دراسة تفسير ابن عباس وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به إخواني المسلمين إنه سميع مجيب.

« ســـورة البقـــرة »[٢]

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصـابعهم في آذانهم من الصـواعق حذر المـوت والله محيط بالكـافرين يكـاد الـبرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيـه وإذا أظلم عليهم قامـوا ولو شـاء الله لـذهـب بـسـمـعـهـم وأبصارهم ان الله عـلى كـل شيء قدير ﴾(البقرة/ ١٩-٢٠).

* * *

قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : (كصيب) المطر[١]. (١)

بيان الإسناد :-

هذا الأثر أخرجه الإمام البخاري مـوقوفـاً على ابن عبـاس وعلقه بصيغة الجزم وهي «قال».

وقد ذكر الحـافظ ابن حجر في مقـدمة فتـح الباري أن من طـريقة الإمام البخاري في صحيحه أنه يجزم في الموقوفات بما صـح منها عنـده

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب ما يقال إذا أمطرت رقم (٢٣).

وإن لم يكن على شرطه ولا يجزم بما كان في إسناده ضعف أو انقطاع إلا حيث يكون منجبراً إما بمجيئه من وجه آخر وإما بشهرته عمن قاله[1].

وأغلب ما نقله الإمام البخاري من تفسير ابن عباس أورده بصيغة الجزم وهي «قال» ولم يورد بصيغة التمريض وهي «يذكر» أو «يروى» إلا قليلاً جداً، وسأبين ما جاء على صيغة التمريض في موضعه إن شاء الله.

(٢) وأخرجه الإمام ابن جرير قال: حدثني المثنى قال حدثنا عبد الله ابن صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ **أو كصيب من السماء** ﴾: وهو المطر ضرب مثله في القرآن ﴿ **يكاد البرق يخطف أبصارهم** ﴾ يقول: يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين ﴿ **كلما أضاء لهم مشوا فيه** ﴾ كلما أصاب المنافقون من الإسلام عزّاً أطمأنوا وإن أصاب الإسلام نكبة قالوا: ارجعوا إلى الكفر، يقول ﴿ **وإذا أظلم عليهم قاموا** ﴾ كقوله ﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه** ﴾(الحج/١١)[2].

وإسناده حسن[3].

---

(١) هدي الساري ص ١٩.
(٢) تفسير الطبري ١/١٥٤.
(٣) بيان إسناد هذا الحديث :ـ
١ ـ المثنى هو ابن إبراهيم الآملي شيخ الطبري يروى عنه الطبري كثيراً، وقد ذكر اسمه كاملاً في مواضع من تفسيره ولم أجد له ذكراً فيما رأيته من كتب الرجال، غير أني وجدت الحافظ ابن كثير حسّن إسناداً كان من طريقه ـ تفسير ابن كثير ١/٥٥٥. =

بيان المعنى :

« وقوله تعالى »قوله تعالى ﴿ أو كصيب من السماء ﴾ قال ابن عباس في هذا الأثر : « الصيب المطر » وهو من قولهم : صاب المـطر يصوب إذا انحدر ونزل، قال علقمة بن عبدة :ـ

---

٢ ـ أبـو صالـح هو عبـد الله بن صالـح بن محمـد بن مسلم الجهني كـاتب الليث بن سعد، وهو صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة، وهو من الطبقة العاشرة مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين وله خمس وثـمانون سنـة أخرج لـهالبخاري تعليقـاً وأبو داود والترمذي وابن ماجة ـ تقريب التهذيب ـ ١ /٤٢٣ .

هكذا ذكر الحـافظ ابن حجر في التقـريب وذكر في تهـذيب التهذيب بيـان سبب هذا الغلط ونوعه فنقل عن عبد الله بن أحمد أنه قال : سمعت أبي ذكره يوماً فذمه وكـرهه، وقال إنه روى عن ابن أبي ذئب، وأنكر أن يكون الليث سمع من ابن أبي ذئب.

وكذلك ذكر ابن حجر أنه روى حديثاً موضوعاً في تفضيل الصحابة على العالمين وذكر عن أبي زرعة أن علة هذا الحديث من خالد بن نجيح كـان يضع عـلى الشيوخ مـا ليس من روايتهم فـابتلى بـه أبو صـالح في هـذا الحديث، وقـد رواه عن نافـع بن يـزيـد عن زهـرة بن معبـد عن سعيـد بن المسيب عن جـابـر رضي الله عنـه ـ تهـذيب التهـذيب ٥/ ٢٥٧ ـ ومن هذا الكلام الذي ذكره الحافظ ابن حجر تبين لنا أن الاتهـام الذي وجّـه إلى أبي صالح كـان في روايته عن الليث عن ابن أبي ذئب حيث لم يسمـع الليث من ابن أبي ذئب، ومن روايته حديث زهرة بن معيد الموضوع .

وبهذا ظهر لنا أن هذا الحـديث الذي معنـا وغيره من تفسـير ابن عباس ممـا سيأتي في مواضع كثيرة ليس مما اتهم فيه أبو صالح حيث إنـه من روايته عن معـاوية بن صـالح ولم يذكر أنه وهم في الرواية عنه .

٣ ـ ومعـاوية بن صـالح هـو ابن حديـر الحضرمي الحمصي قـاضي الأنـدلس، وهـو صـدوق له أوهـام، من الطبقـة السابعـة، أخرج لـه الإمام مسلم والأربعـة ـ التقـريب ٢/ ٢٥٩، الكاشف ٣/ ١٥٧ .

وقـد سمع من عـلي بن أبي طلحة وسمـع منه أبـو صالـح كاتب الليث . ـ التهـذيب ١٠/ ٢٠٩ .

٤ ـ علي بن أبي طلحة هـو مولى بني العبـاس واسم أبيه سـالم بن المخارق وأصله من الجزيرة وانتقـل إلى حمص، وقد روى عن ابن عبـاس في التفسير وأكـثر من الروايـة عنه ولكنه لم يلقه وإنما روى التفسير عن مجـاهد عنـه، ونظراً لمعـرفة الـواسطة وهـو ثقة فـإن العلماء لم يعتـبروا عدم سماع على بـن أبي طلحـة من ابن عباس قـادحاً في روايتـه عنه، =

كـأنهم صـابت عليهم سـحـابـة صـواعـقـهـا لـطيرهـن دبيـب
فـلا تـعـدلي بيـني وبـين مـغـمّـر سقيت روايـا المزن حـين تصـوب

يعني حين تنحدر[١]. والمغمر : هو من لم يجرب الأمور[٢].

وهذه الآية معطوفة على قوله تعالى ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون** ﴾ والضمير في قوله (مثلهم) يعود على المنافقين المذكورين في قوله تعالى ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين** ﴾(البقرة/٨).

وتقدم في حديث ابن عباس الذي أخرجه الطبري من طريق علي بن طلحة أن هذه الآيات نزلت في المنافقين.

= ولذلك أخرج منه الإمام البخاري في صحيحه كثيراً تعليقاً من غير أن يذكر الإسناد بل يقول : قال ابن عباس كما في حديث الباب، وهو صدوق قد يخطىء، من الطبقة السادسة، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة ـ التهذيب ٧/٣٣٩، الميزان ٣/١٣٤، التقريب ٢/٣٩.

فإسناد هذا الحديث حسن كما تبين من تراجم رجاله، وصحح الحافظ ابن حجر حديثاً روي عن هذا الطريق ـ فتح الباري ١٣/٢٧١، ولكن لعل تصحيحه ذلك الحديث لشواهد رفعته من الحسن إلى الصحة.

(١) تفسير الطبري ١/١٤٨.
(٢) القاموس المحيط (مادة غمر).

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين . من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ، وقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ، ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ﴾ (البقرة/٩٧ ـ ١٠١) .

* * *

(٣) قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد حدثنا / شهر قال قال ابن عباس : حضرت عصابة من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقالوا : ياأبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي قال : سلوني عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب عليه السلام على بنيه لئن حدثتكم شيئاً

فعرفتموه لتتابعني على الإسلام قالوا : فذلك لك، قال : فسلونى عما شئتم قالوا : أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن . . أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل . . . كيف يكون الذكر منه ؟ وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الملائكة ؟ قال : فعليكم عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم لتتابعني قال : فأعطوه ماشاء من عهد وميثاق، قال : فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى صلى الله عليه وسلم هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام مرض مرضاً شديداً وطال سقمه فنذر لله نذراً لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها، قالوا : اللهم نعم، قال : اللهم اشهد عليهم، فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ وأن ماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله، إن علا ماء الرجل على ماء المرأة كان ذكراً بإذن الله وإن علا ماء المرأة على ماء الرجل كان أنثى بإذن الله، قالوا اللهم نعم، قال : اللهم اشهد عليهم، فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه قالوا : اللهم نعم، قال : اللهم اشهد، قالوا : وأنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك ؟ قال : فإن وليي جبريل عليه السلام، ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه، قالوا : فعندها نفارقك لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدقناك، قال : فما يمنعكم من أن تصدقوه ؟ قالوا إنه عدونا قال : فعند ذلك قال الله عز وجل ﴿ **قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله** ﴾ إلى قوله ﴿ **كتاب الله وراء**

ظهورهم كأنهم لا يعلمون ﴾ فعند ذلك ﴿ فباءو بغضبٍ على غضب ﴾ الآية[1]. (٩٠/البقرة).

بيان الإسناد :-

١ - هاشم بن القاسم هو أبو النضر هاشم بن القاسم بن مسلم الليثي بالولاء، مشهور بكنيته ولقبه قيصر، وهو ثقة ثبت، من الطبقة التاسعة مات سنة سبع ومائتين وله ثلاث وسبعون سنة، أخرج له الجماعة[2].

٢ - عبد الحميد هو ابن بهرام الفزاري المدائني صاحب شهر بن حوشب وهو صدوق، من الطبقة السادسة، أخرج له الإمام البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه[3].

٣ - شهر هو بن حوشب الأشعري الشامي مولى أسماء بنت يزيد بن السكن، هو صدوق كثير الإرسال والأوهام، من الطبقة الثالثة، مات سنة اثنتي عشرة ومائة، أخرج له الإمام البخاري في الأدب المفرد ومسلم والأربعة[4].

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[5] إلا أن فيه شهر بن حوشب وهو كثير الأوهام.

---

(١) مسند أحمد ١/٢٧٨.

(٢) تقريب التهذيب ٢/٣١٤ رقم ٣٩، الكاشف ٣/٢١٧ رقم ٦٠٣٠

(٣) التقريب ١/٤٦٧ رقم ٨٠٤، الخلاصة/٣٣١.

(٤) التقريب ١/٣٥٥ رقم ١١٢، الخلاصة/١٦٩.

(٥) تهذيب التهذيب ١١/١٨ رقم ٣٩، ٦/١٠٩ رقم ٢٢٠
تهذيب الكمال (ترجمة عبد الحميد بن بهرام وترجمة شهر بن حوشب)

وأخرجه أبو داود الطيالسي عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس وذكر مثله[1].

(٤) لكن أخرجه الإمام ابن جرير من طريق آخر، قال حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله ﴿ **قل من كان عدواً لجبريل** ﴾ قال : وذلك أن اليهود قالت حين سألت محمداً صلى الله عليه وسلم عن أشياء كثيرة فأخبرهم بها على ما هي عندهم إلا جبريل فإن جبريل كان عند اليهود صاحب عذاب وسطوة ولم يكن عندهم صاحب وحي - يعني تنزيل من الله على رسله - ولا صاحب رحمة فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سألوه عنه أن جبريل صاحب وحي الله وصاحب نقمته وصاحب رحمته، فقالوا، ليس بصاحب وحي ولا رحمة، وهو لنا عدو، فأنزل الله عز وجل إكذاباً لهم قل ﴾ يا محمد ﴿ **من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك** ﴾ يقول : فإن جبريل نزله، يقول : نزل القرآن بأمر الله يشد به فؤادك ويربط به على قلبك، يعني بوحينا الذي نزل به جبريل عليك من عند الله وكذلك يفعل بالمرسلين والأنبياء من قبلك[2].

وهذا الإسناد فيه انقطاع حيث لم يسمع الضحاك من ابن عباس كما أن في إسناد هذه الرواية بشر بن عمارة الخثعمي وهو ضعيف،

---

(١) منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود ٢/١١ رقم ١٩٢٣.
(٢) تفسير الطبري ١/٤٣٥.

بيان هذا الإسناد :

١ - أبو كريب هو محمد بن العلاء بن كريب الهمداني وهو ثقة حافظ من الطبقة العاشرة.

- التقريب ٢/١٩٥ رقم ٦٠١، تذكرة الحفاظ ١/٤٩٧ رقم ٥١٢.

=

فتكون هذه الرواية ضعيفة لكنها صالحة للاعتبار فتتقوى بها رواية الإمام أحمد السابقة، ويتبين منها أن هذا الحديث ليس مما وهم فيه شهر بن حوشب فيكون حسن الإسناد، وباعتضاده برواية الإمام الطبري يصبح صحيحاً لغيره.

٣ ـ ما جاء في قوله تعالى :ـ

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب عن عقبيه وإن كانت لكبيرةً إلا على الذين هدى الله وماكان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾(البقرة/١٤٣).

* * *

(٥) قال الإمام أحمد حدثنا شاذان أخبرنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما حرمت الخمر قال أناس : يا رسول

= ٢ ـ عثمان بن سعيد هو الأزدي الزيات، الطبيب الكوفي، لا بأس به من كبار الطبقة العاشرة.
ـ التقريب ٢/٩ رقم ٦٣، الخلاصة ٢٥٩.

٣ ـ بشر بن عمارة هوالخثعمي الكوفي، قال عنه الإمام البخاري : " تعرف وتنكر " وذكره النسائي في الضعفاء.
ـ التاريخ الكبير للبخاري ٢/٨٠ رقم ١٧٥٩، الضعفاء للنسائي/٦.

٤ ـ وأبو روق هو عطية بن الحارث الهمداني صاحب التفسير، وهو صدوق، من الطبقة الخامسة.
ـ التقريب ٢/٢٤ رقم ٢١٥، الجرح والتعديل ٣٨٢/٦ رقم ٢١٢٢.

٥ ـ والضحاك هو ابن مزاحم الهلالي، وهو صدوق كثير الإرسال، من الطبقة الخامسة.
ـ التقريب ٢٧٣/١ رقم ١٧، الكشاف ٣٦/٣.

الله أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها فأنزلت ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا** ﴾ قال : ولما حولت القبلة قال أناس يا رسول الله أصحابنا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزلت ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾(١).

بيان الإسناد :ـ

١ ـ شاذان شيخ الإمام أحمد هو أبو عبد الرحمن الأسود بن عامر الشامي نزيل بغداد، وهو ثقة، من الطبقة التاسعة، مات في أول سنة ثمان ومائتين، أخرج له الجماعة(٢).

٢ ـ إسرائيل هو ابن يونس بن أبي اسحاق السبيعي أبو يوسف الكوفي تكلم فيه يحيى القطان ويعقوب بن شيبة وعلي بن المديني لكن وثقه أكثر علماء الجرح والتعديل (٣) وقال فيه الحافظ ابن حجر : وهو ثقة تكلم فيه بلا حجة، من الطبقة السابعة، مات سنة ستين ومائة وقيل بعدها، أخرج له الجماعة(٤).

٣ ـ سماك هو ابن حرب بن أوس الذهلي البكري الكوفي أبو المغيرة، وهو صدوق، وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وقد تغير بأخرة فكان ربما يلقن، وهو من الطبقة الرابعة، مات سنة ثلاث وعشرين ومائة، أخرج له البخاري تعليقاً ومسلم والأربعة(٥).

---

(١) مسند الإمام أحمد ١/٢٩٥

(٢) التقريب ١/٧٦ رقم ٥٧٣، الخلاصة/٣١.

(٣) تهذيب التهذيب ١/٢١١.

(٤) التقريب ١/٦٤ رقم ٤٦٠، تذكرة الحفاظ ص ١/٢١٤ رقم ٢٠١.

(٥) التقريب ١/٣٣٢ رقم ٥١٩، الكاشف ١/٤٠٣،

وقول الحافظ ابن حجر : « فكان ربما يلقن » يعني يلقنه بعض تلامذته بأن يحدث بما ليس من حديثه كرفع الموقوف ووصل المقطوع.

٤ ـ وعكرمة هو البربري أبو عبد الله المدني مولى ابن عباس رضي الله عنهما، كان مملوكاً لحصين بن أبي الحر العنبري فوهبه لابن عباس لما ولي البصرة لعلي رضي الله عنه، وهو ثقة ثبت عالم بالتفسير، وقد تكلم فيه بعضهم، ومدار كلامهم على ثلاثة أشياء . . أنه يكذب في الحديث، وأنه يرى رأي الخوارج، وأنه يقبل جوائز السلطان، وقد ذكر الحافظ ابن حجر هذه التهم والأقوال فيها ثم فندها كلها، وخلاصة ذلك أن اتهامه بالكذب لم يثبت عن ابن عمر وإنما ثبت عن بعض التابعين وهو محمول على الكذب بمعنى الخطأ وهو كثير في لغة أهل الحجاز، بدليل أن الذين اتهموه بالكذب قد أثنوا عليه في مقام آخر.

وأما اتهامه بالبدعة فإنه لم يثبت، ولو ثبت لم يضر ذلك في روايته لأنه لم يكن من الدعاة إلى مذهب الخوارج.

وأما قبول جوائز السلطان فإنه لا يؤثر في قبول الرواية عند الجمهور.

وقد أخرج له الإمام البخاري في صحيحه ولم يلتفت إلى هذه الاتهامات فدل ذلك على أنه ثقة عنده[1].

---

(١) أنظر مقدمة فتح الباري (هدي الساري/ ٤٢٥).
وتهذيب التهذيب ٧/٢٦٣ رقم ٤٧٥، وتقريب التهذيب ٢/ ٣٠ رقم ٢٧٧ تذكرة الحفاظ ١/ ٩٥ رقم ٨٧.

فهؤلاء الرواة قد سمع بعضهم من بعض[1] فإسناده متصل ورجاله ثقات ماعدا سماك بن حرب فهو صدوق وروايته عن عكرمة فيها اضطراب وقد روى هنا عن عكرمة.

وأخرجه أبو داود الطيالسي عن سماك بن حرب به وذكر مثله[2].

وأخرجه الإمام أحمد من طريق وكيع عن إسرائيل بهذا الإسناد وذكر سبب نزول قوله تعالى ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾ فقط[3].

وأخرج هذه الرواية الإمام النسائي والترمذي والحاكم وابن حبان كلهم من طريق سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس، وقال الإمام الترمذي : هذا حديث حسن صحيح.

وصححه الحاكم ووافقه الإمام الذهبي[4].

وأخرج هذا الحديث الإمام البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم** ﴾[5].

---

(١) تهذيب التهذيب ١/٢٦١ رقم ٤٩٦، ٤/٢٣٢ رقم ٣٩٥، ٧/٢٦٣ رقم ٤٧٥ تهذيب الكمال (ترجمة إسرائيل بن يونس).

(٢) منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود كتاب فضائل القرآن ٢/١٢ رقم ١٩٢٤.

(٣) مسند أحمد ١/٣٤٧.

(٤) سنن النسائي، كتاب السنة، باب رقم ١٦ حديث رقم ٤٦٨٠
سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة البقرة رقم ٢٩٦٤
المستدرك ٢/٢٦٩ كتاب التفسير، سورة البقرة، موارد الظمآن، كتاب التفسير، سورة البقرة، رقم ١٧١٨.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة باب (سيقول السفهاء) رقم ٤٤٨٦.

وتصحيح الحاكم رواية سماك بن حرب مع موافقة الذهبي إياه على هذا التصحيح مبني على أن هذه الرواية ليست مما أخطأ فيه سماك بن حرب، وهو صدوق وقد تأيدت روايته هذه بحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه الإمام البخاري فيكون إسناده صحيحاً لغيره.

بيان المعنى :

قوله تعالى ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً** ﴾ الإشارة في الآية تعود إلى الهدى المذكور في قوله تعالى قبل هذه الآية ﴿ **يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ والمعنى : وكهدايتنا إياكم إلى الصرط المستقيم في شأن القبلة جعلناكم أمة هي خير الأمم وأعدلها ﴿ **لتكونوا شهداء على الناس** ﴾ يعني يوم القيامة بأن الرسل قد بلغوهم، كما أخرج الإمام البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يدعى نوح يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يارب، فيقول : هل بلغت ؟ فيقول : نعم، فيقال لأمته : هل بلغكم؟ فيقولون : ما أتانا من نذير، فيقول : من يشهد لك؟ فيقول محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليهم شهيداً فذلك قوله جل ذكره ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾ والوسط العدل »[1].

وقوله ﴿ **ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾ يعني يشهد لكم بالعدالة والصدق، وإنما عبر بعلى بدلاً من اللام لكون الشهيد

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة حديث رقم ٤٤٨٧.

كالرقيب والمهيمن على المشهود له، ومنه قوله تعالى ﴿ **إن الله على كل شيء شهيد** ﴾(الحج/١٧)(١).

وقوله ﴿ **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه** ﴾ المراد بالقبلة هنا بيت المقدس حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يستقبلها قبل أن يحوله الله تعالى إلى الكعبة، ومما يدل على ذلك ما أخرجه الحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة، قال الله ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق فقال تعالى ﴿ **سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها** ﴾ يعنون بيت المقدس فنسختها، وصرفه إلى البيت فقال تعالى ﴿ **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره** ﴾ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة(٢).

المعنى: وما شرعنا توجهك نحو القبلة التي كنت ثابتاً على استقبالها وهي بيت المقدس ثم أمرناك بالتحول عنها إلى الكعبة إلا امتحاناً للناس ليتميز المؤمنون الخلَّص الصادقون في إيمانهم الذين يأتمرون بأوامر الله عز وجل ولا ينازعون في شيء منها.. ليتميزوا من ضعفاء الإيمان الذين يتزعزع إيمانهم أمام بعض التشريعات التي لا تدركها عقولهم فيرتدوا بسبب ذلك عن الإسلام.

---

(١) تفسير الزمخشري ١/٣١٧ تفسير أبي السعود ١/٢٧٧.

(٢) المستدرك، كتاب التفسير، سورة البقرة (٢/٢٦٨).

فالمراد بالعلم في قوله تعالى ﴿ **إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه** ﴾ علم الظهور، يعني ليظهر الثابتون على دينهم ويتميز أهل الشك والحيرة، وليس المعنى حدوث العلم لله تعالى بعد أن لم يكن تعالى الله عن ذلك، وقد أخرج ابن جرير في ذلك من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : لنميز أهل اليقين من أهل الشك والريبة[١].

وإسناد هذا الأثر حسن كما تقدم[٢].

قوله ﴿ **وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله** ﴾ يعني التولية عن بيت المقدس إلى الكعبة، كما أخرج ذلك ابن جرير من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس[٣] وإسناده حسن كما تقدم[٤].

المعنى : ولقد كان تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة أمراً عظيماً شاقاً على المتشككين الحائرين وأصحاب الإيمان المزعزع لأنه يفتح لهم أبواباً واسعة من الشك والحيرة، ويهيىء الفرصة للشياطين لتؤثر عليهم بأنواع الوساوس والأهام فيقفون من أمر النسخ في التشريع موقف الحائر الذي امتلأ قلبه بالشبهات ولا يتصورون ما وراء ذلك من الحكمة الإلهية، أما الذين عمر الله قلوبهم بالإيمان الراسخ واليقين الصادق فإنهم يؤمنون بجميع ما جاء هم به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله جلا وعلا، وينفذون جميع ما كلفهم الله به سواء فهموا الحكمة أو جهلوها.

---

(١) تفسير الطبري ٢/١٣.
(٢) أنظر الحديث رقم (٢).
(٣) تفسير الطبري ٢/١٥.
(٤) أنظر الحديث رقم (٢).

قوله تعالى ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾ يعني: وما صح ولا استقام في شرع الله تعالى أن يضيع إيمانكم المترتب على طاعتكم وامتثالكم لأمره تعالى بالتوجه إلى بيت المقدس فإنكم متصفون بالإيمان بهذه الطاعة كاتصافكم به بعد تحويل القبلة لأنكم امتثلتم أمر الله تعالى في كلتا الحالتين.

﴿ **ان الله بالناس لرءوف** ﴾ حيث حمى أولياءه المؤمنين من الوقوع في الضرر وجنبهم المكاره ﴿ **رحيم** ﴾ بهم حيث لم يحرمهم من ثواب أعمالهم بل كافأهم عليها بالثواب الجزيل.

٤ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ (البقرة/١٧٨)

* * *

قال الإمام البخاري: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو (٦)
قال: سمعت مجاهداً قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «كان في بني اسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية فقال الله لهذه الأمة **﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شيء ﴾** فالعفو أن يقبل الدية في العمد **﴿ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾** يتبع بالمعروف ويؤدي بإحسان **﴿ ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ﴾** مما كتب على من كان قبلكم **﴿ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾** قتل بعد قبول الدية[1].

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة حديث رقم ٤٤٩٨ وكتاب الديات باب رقم ٨ حديث رقم ٦٨٨١.

وأخرجه الإمام النسائي وعبدالرزاق وابن الجارود والدار قطني والبيهقي[1].

بيان المعنى:

قوله تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى** ﴾ يعني فرض عليكم القصاص في القتلى وذلك بأن يقتل القاتل بالمقتول، والقصاص قيل إنه مأخوذ من قص الأثر وهو اتباعه، ومنه القاص لأنه يتبع الآثار والأخبار، فكأن القاتل سلك طريقاً من القتل فقص أثره فيها ومشى على سبيله في ذلك، وقيل من القص وهو القطع وذلك لأن القصاص بالقتل أو الجراح يشتمل على ذلك[2].

قوله ﴿ **الحر بالحر والعبد بالعبدوالأنثى بالأنثى** ﴾ قال الإمام القرطبي: قالت طائفة: جاءت هذه الآية مبينة لحكم النوع إذا قتل نوعه، فبينت حكم الحر إذا قتل حراً، والعبد إذا قتل عبداً والأنثى إذا قتلت أنثى، ولم تتعرض لأحد النوعين إذا قتل الآخر، فالآية محكمة فيها إجمال بينه قوله تعالى ﴿ **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس** ﴾[3].

---

(١) سنن النسائي، كتاب القسامة، باب تأويل قوله تعالى ﴿فمن عفى له من أخيه شيء﴾ (٨/٣٦). مصنف عبدالرزاق ١٠/٨٥ رقم ١٨٤٥٠ و ١٨٤٥١ باب أهل القتيل يقبلون الدية.
المنتقى لابن الجارود، باب الديات حديث رقم (٧٧٥).
سنن الدارقطني، كتاب الحدود والديات ٣/١٩٩ رقم ٣٤٧.
سنن البيهقي كتاب الجنايات، باب الخيار في القصاص ٨/٥١، ٥٢.

(٢) تفسير القرطبي ٢/٢٤٥، لسان العرب (مادة قص).

(٣) تفسير القرطبي ٢/٢٤٥.

وقـد روى عن ابن عباس في حـديث آخر بيـان سبب نزول هـذه الآية ونزول آية المائـدة بيانـاً لهذه الآيـة وذلك فيـما أخرجـه الإمام ابن جـرير من طـريق عـلي بن أبي طلحـة عن ابن عبـاس في قـولـه تعـالى ﴿ **والأنثى بالأنثى** ﴾ قال : وذلك أنهم كانوا لا يقتلون الرجـل بالمـرأة ولكن يقتلون الـرجل بـالرجـل والمرأة بـالمرأة، فـأنزل الله تعـالى ﴿ **أن النفس بـالنفس** ﴾ فجعـل الأحـرار في القصـاص سـواء فيـما بينهم في العمـد، رجالهم ونسـاءهم في النفس ومادون النفس، وجعـل العبيـد مستـوين فيـما بينهم في العمـد، في النفس ومـا دون النفس، رجـالهم ونساءهم(١).

وإسناد هذا الحديث حسن كما تقدم(٢).

قوله ﴿ **فمن عفى لـه من أخيه شيء فـاتباع بـالمعروف وأداء إليـه بإحسان** ﴾ قال ابن عباس في هـذا الحديث: «يتبـع بالمعـروف ويؤدي بإحسان» والضمير في قوله ﴿ **يتبع** ﴾ يعـود على طـالب الديـة وهو ولي المقتول، والضمير في قوله ﴿ **يؤدي** ﴾ يعود على المطلوب منه الدية،ومما يدل على هذا ما أخرجه الإمام ابن جرير من عدة طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قولـه ﴿ **فمن عفى له من أخيـه شيء فاتبـاع بالمعروف وأداء إليه بإحسان** ﴾: وهي الدية أن يحسن الطالب الطلب ﴿ **وأداء إليه بإحسان** ﴾ وهو أن يحسن المطلوب الأداء(٣).

قوله ﴿ **فمن اعتدى بعد ذلـك فله عذاب أليم** ﴾ بـين ابن عباس في هذا الحديث أن المراد بالاعتداء هنا القتل بعد قبول الدية، والظاهر

---

(١) تفسير الطبري ٢/ ١٠٥.
(٢) انظر الحديث رقم (٢).
(٣) تفسير الطبري ٢/ ١٠٧.

أن المراد بالعذاب الأليم في الآية عذاب الآخرة لأنه هو الظاهر عند الإطلاق، ومما يدل على ذلك ما أخرجه الإمام الدارمي قال: أخبرنا يزيد بن هارون أنبأنا محمد بن إسحاق عن الحارث بن فضيل عن سفيان بن أبي العوجاء السلمي عن أبي شريح الخزاعي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أصيب بدم أو خَبْل - والخبل الجرح - فهو بالخيار بين إحدى ثلاث، فإن أراد الرابعة فخذوا على يديه. . بين أن يقتص أو يعفو أو يأخذ العقل، فإن أخذ من ذلك من شيء ثم عدا بعد ذلك فله النار خالداً فيها مخلداً[1]. (٧)

والعقل هو الدية، والخلود في الحديث هو المكث الطويل كما سيأتي في تفسير قوله تعالى ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها** ﴾[2].

وأخرجه الإمام أحمد بهذا الإسناد وذكر مثله[3].

وإسناد هذا الحديث ضعيف لضعف سفيان بن أبي العوجاء[4].

---

(١) سنن الدارمي، كتاب الديات، باب الدية في قتل العمد (٢/١٨٨).

(٢) أنظر ص ١٧٨.

(٣) مسند الإمام أحمد ٤/٣١.

(٤) بيان إسناد هذا الحديث:

١ - يزيد بن هارون بن زاذان المسلمي بالولاء أبو خالد الواسطي، ثقة متقن عابد، من الطبقة التاسعة، مات سنة ست ومائتين، وقد قارب التسعين، أخرج له الجماعة (التقريب /٢/٣٧٢ رقم ٣٤٠)

٢ - محمد بن إسحاق هو إمام المغازي محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المطلبي بالولاء، المدني نزيل العراق، وهو صدوق يدلس، من صغار الطبقة الخامسة، مات سنة خمسين ومائة، ويقال بعدها، أخرج له البخاري تعليقاً ومسلم والأربعة (التقريب ٢/١٤٤ رقم ٤٠) =

٥ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ يـأيها الـذين آمنـوا كتب عليهم الصيـام كـما كتب عـلى الـذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياماً معدودات فمن كـان منكم مريضـاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونـه فديـة طعام مسكـين فمن تـطوع خـيراً فهـو خـير لـه وأن تصـومـوا خـير لكم إن كنتـم تعلمون ﴾(البقرة/ ١٨٤).

* * *

(٨) ١ ـ قال الإمام عبد الرزاق الصنعاني، أخبرنـا معمر عن الـزهري عن عبيـد الله بن عبـد الله بن عتبـة عن ابن عبـاس قـال : صم كيف شئت، قال الله تعالى : ﴿ **فعدة من أيام أخر** ﴾[١].

= ٣ ـ الحـارث بن فضيل الأنصـاري الخـطمي، أبـو عبـدالله المـدني، ثقـة، من الـطبقـة السادسة (التقريب ١٤٣/١ رقم ٥٨).

٤ ـ سفيـان بن أبي العوجـاء السلمي، أبو ليـلى الحجازي، ضعيف من الـطبقة الثـالثة (التقريب ٣١٢/١ رقم ٣١٧)

٥ ـ أبو شريح الخزاعي الكعبي رضي الله عنه أسلم قبل فتح مكة وكان معه لواء خزاعة يوم الفتح، واسمه على القول المشهور خويلد بن عمرو وقـد توفي عـام ثمان وستـين (الإصابة ١٢١/٤ التقريب ٤٣٤/٢ رقم ٣).

(١) مصنف عبد الرزاق ٢٤٣/٤، كتاب الصيام حديث رقم ٧٦٦٥

بيان الإسناد :ـ

١ ـ معمر هو ابن راشد الأزدي بالولاء، أبو عروة البصرى نزيل اليمن، وهو ثقة ثبت فاضل إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئاً وكذا فيما حدث به بالبصرة، وهو من كبار الطبقة السابعة، مات سنة أربع وخمسين ومائة وهو ابن ثمان وخمسين سنة، أخرج له الجماعة[١].

٢ ـ والزهري هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري وهو فقيه حافظ متفق على جلالته وإتقانه، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة، مات سنة خمس وعشرين ومائة وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين، وقد أخرج له الجماعة[٢].

٣ ـ عبيد الله بن عبد الله بن عتبةبن مسعود الهذلي أبو عبد الله المدنى ثقة ثبت فقيه من الطبقة الثالثة، مات سنة أربع وتسعين وقد أخرج له الجماعة[٣].

فهؤلاء الرجال كلهم ثقات، وقد سمع بعضهم من بعض[٤]، فالإسناد على هذا صحيح.

(٩) ٢ ـ قال الإمام البخاري : حدثني إسحاق أخبرنا روح حدثنا زكريا بن إسحاق حدثنا عمرو بن دينار عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ ﴿ **وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين** ﴾ قال ابن عباس : ليست

---

(١) التقريب ٢/٢٦٦ رقم ١٢٨٤، تذكرة الحفاظ ١/١٩٠.
(٢) التقريب ٢/٢٠٧ رقم ٧٠٢، تذكرة الحفاظ ١/١٠٨ رقم ٩٧.
(٣) التقريب ١/٥٣٥ رقم ١٤٦٩، الكاشف ٣/٣٣٨.
(٤) تهذيب التهذيب ٩/٤٤٥ رقم ٧٣٢، ٧/٢٣ رقم ٥٠.

بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعات أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً[1].

وأخرجه الدار قطني عن ابن عباس بهذا اللفظ إلا أنه لم يذكر قراءة (يطوقونه)[2].

وأخرجه عبد الرزاق الصنعاني من أربع طرق عن ابن عباس وزاد بعد قوله «مسكيناً» «نصف صاع من حنطة»[3].

وأخرجه البيهقي بلفظ البخاري وأخرجه أيضاً عن عطاء عن ابن عباس أنه قال في قوله ﴿ **يطوقونه** ﴾ يعني يتكلفونه ولا يستطيعونه ﴿ **طعام مسكين** ﴾.

فمن تطوع خيراً، فأطعم مسكيناً آخر ﴿ **فهو خير له** ﴾ وليست منسوخة قال ابن عباس : ولم يرخص في هذا إلا للشيخ الكبير الذي لا يطيق الصيام والمريض الذي علم أنه لا يشفى.

وأخرج البيهقي أيضاً عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرؤها ﴿ **وعلى الذين يطوقونه** ﴾ قال هو الشيخ الكبير الذي لا يستطيع الصيام فيفطر ويطعم نصف صاع من حنطة مكان يوم - كذا في هذه الرواية نصف صاع من حنطة وروى عنه أنه قال مداً لطعامه ومداً لأدامه[4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ أياماً معدودات ﴾ حديث رقم ٤٥٠٥.

(٢) سنن الدار قطني ٢ / ٢٠٥ كتاب الصيام، باب طلوع الشمس بعد الإفطار.

(٣) مصنف عبد الرزاق ٤ /رقم ٧٥٧٢، ٧٥٧٣، ٧٥٧٤، ٧٥٧٧. كتاب الصيام، باب الشيخ الكبير.

(٤) سنن البيهقي،كتاب الصيام، باب الشيخ الكبير لا يطيق الصوم (٤ / ٢٧٠ - ٢٧١).

وأخـرجه الحـاكم في المستدرك من طـريق عكرمـة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : رخص للشيـخ الكبير أن يفـطر ويطعم عن كـل يوم مسكيناً ولا قضاء عليه .

قـال الحـاكم : « صحيـح عـلى شرط البخـاري » ووافقـه الذهبي[1] .

(١٠) ٣ ـ قال الإمام النسائي : أخبرنـا محمد بن إسماعيل بن إبـراهيم قال حدثنا يزيد قال أنبأنا ورقاء عن عمرو بن دينـار عن عطاء عن ابن عباس في قوله عز وجل ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فديـة طعام مسكـين** ﴾ (يـطيقونـه) يكلفونـه ﴿ **فديـة طعام مسكـين** ﴾ واحـد ﴿ **فمن تـطوع خيراً** ﴾ طعام مسكـين آخر، ليست بمنسـوخـة ﴿ **فهـو خـير لـه وأن تصوموا خـير لكم** ﴾ لا يرخص في هـذا إلا للذي لا يطيق الصيـام أو مريض لا يشفى[2] .

بيان الإسناد :ـ

١ ـ محمـد بن إسماعيـل بن إبراهيم بن مقسم الأسـدي المعـروف أبـوه بابن عليـة، نزيـل دمشق وقاضيهـا، ثقة، من الـطبقـة الحـادية عشرة، مات سنة أربع وستين ومائتين، أخرج له النسائي[3] .

٢ ـ ويزيد هو ابن هارون بن زاذان السلمي بـالولاء، أبـو خالـد الواسطي وهـو ثقة متقن عـابد، من الـطبقة التـاسعة مـات سنة ست ومائتين وقد قارب التسعين أخرج له الجماعة[4] .

---

(١) المستدرك ١/٤٤٠ كتاب الصوم

(٢) سنن النسائي، كتاب الصيام باب قوله عز وجل ﴿ وعلى الذين يطيقونه ﴾ ٤/١٩٠ .

(٣) التقريب ٢/١٤٤ رقم ٤٤، الكاشف ٣/٣١ .

(٤) التقريب ٢/٣٧٢ رقم ٣٤٠، تذكرة الحفاظ ١/٣١٧ رقم ٢٩٨ .

٣ ـ وورقاء هو أبو بشر ورقاء بن عمر اليشكري، وهو صدوق، من الطبقة السابعة أخرج له الجماعة[(١)].

٤ ـ وعمرو بن دينار المكي أبو محمد الأثرم الجمحي بالولاء، ثقة ثبت، من الطبقة الرابعة، مات سنة ست وعشرين ومائة، أخرج له الجماعة[(٢)].

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[(٣)].

ورجاله ثقات ماعدا ورقاء بن عمر اليشكري فهو صدوق، وبناء على هذا يكون إسناده حسناً لكن يقويه حديث الإمام البخاري السابق فيرتقي إلى درجة الصحة فيكون صحيحاً لغيره.

ولذلك أخرجه الإمام الدار قطني من طريق يزيد بن هارون بهذا الإسناد، وقال : وهذا إسناد صحيح[(٤)].

وأخرجه أيضاً من طريق عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس ثم قال : إسناد صحيح ثابت[(٤)].

وأخرجه الحاكم وقال : « صحيح على شرط الشيخين » ووافقه الذهبي[(٥)].

(١١) ٤ ـ قال أبو داود السجشتانى : حدثنا ابن المثنى حدثنا ابن أبي عدى عن سعيد عن قتادة عن عزرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

---

(١) التقريب ٢/٣٣٠ رقم ٢٩، الكاشف ٣/٢٣٥ رقم ٦١٤٩.
(٢) التقريب ٢/٦٩ رقم ٥٧٥، تذكرة الحفاظ ١/١١٣ رقم ٩٨.
(٣) تهذيب التهذيب ٩/٥٥ رقم ٥٤، ١١/٣٦٦ رقم ٧١١، ٨/٢٨ رقم ٤٥.
(٤) سنن الدار قطني، كتاب الصيام، باب طلوع الشمس بعد الإفطار رقم ٣ و ٤.
(٥) المستدرك، كتاب الصوم ١/٤٤٠

﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ قال : كانت رخصة للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة وهما يطيقان الصيام أن يفطرا ويطعما مكان كل يوم مسكيناً والحبلى والمرضع إذا خافتا، قال أبو داود : يعني على أولادهما أفطرتا وأطعمتا[(١)].

بيان الإسناد :-

١ - ابن المثنى هو محمد بن المثنى بن عبيد العنزي، أبو موسى البصري المعروف بالزمن، مشهور بكنيته واسمه، وهو ثقة ثبت، من الطبقة العاشرة، أخرج له الجماعة[(٢)].

٢ - ابن أبي عدى هو محمد بن إبراهيم بن أبي عدى، أبو عمرو البصري وهو ثقة، من الطبقة التاسعة، مات سنة أربع وتسعين ومائة على الصحيح، أخرج له الجماعة[(٣)].

٣ - وسعيد بن أبي عروبة - بفتح العين - اليشكري بالولاء أبو النضر البصري، ثقة له تصانيف لكنه كثير التدليس واختلط، وكان من أثبت الناس في قتادة، من الطبقة السادسة، أخرج له الجماعة[(٤)].

٤ - وقتادة هو ابن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري، وهو ثقة ثبت، وهو رأس الطبقة الرابعة، أخرج له الجماعة[(٥)].

٥ - وعزرة هو ابن عبد الرحمن بن زرارة الخزاعي الكوفي الأعور

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الصوم، باب رقم ٣ حديث رقم ٢٣١٨.
(٢) التقريب ٢/٢٠٤ رقم ٦٦٦، تذكرة الحفاظ ١/٥١٢ رقم ٥٢٧.
(٣) التقريب ٢/١٤١ رقم ١١، تذكرة الحفاظ ١/٣٢٤ رقم ٣٠٥.
(٤) التقريب ١/٣٠٢ رقم ٢٢٦، تذكرة الحفاظ ١/١٧٧ رقم ١٧٦.
(٥) التقريب ٢/١٢٣ رقم ٨١، الخلاصة للخزرجي/٣١٥.

وهـو ثقة من الـطبقـة السـادسـة، أخـرج لـه الإمـام مسلم وأبـو داود والترمذي والنسائي[1].

٦ ـ وسعيد بن جبير ثقة ثبت فقيه، من الطبقة الثالثة وقد قتل بين يدي الحجاج بن يوسف سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسـين، وهو من كبار تلامذة ابن عباس، وقد أخرج له الجماعة.

فهؤلاء الرجال كلهم ثقـات، وإسناده متصـل حيث سمع رواتـه بعضهم من بعض[2].

فإسناده بناء على هذا صحيح.

(١٢) ٥ ـ قـال الامام ابن الجـارود: أخبرنـا ابـراهيم بن مـرزوق قـال حدثنا روح قـال حدثنـا سعيد بن أبي غَروبة عن قتـادة عن عزرة عن سعيـد بن جبير عن ابن عبـاس رضي الله عنهما قـال: رخص للشيـخ الكبير والعجوز الكبيرة في ذلك وهما يطيقان الصوم أن يفـطرا إن شاءا ويطعما كل يوم مسكينـاً ولا قضاء عليهـما ثم نسخ ذلـك في هذه الآيـة ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ وثبت للشيخ الكبير والعجوز إذا كان لا يطيقان الصوم والحبلى والمرضع إذا خافتـا أفطرتـا وأطعمتا كـل يوم مسكيناً.[3].

---

(١) التقريب ٢/ ٢٠ رقم ١٧٣، الكاشف ٣/ ٣٦٤.
وقد كتب اسمه في بعض طبعـات سنن أبي داود «عروة» وهـو خطأ لأنـه ليس في تلاميـذ سعيد بن جبير ولا شيوخ قتادة من يسمى بهذا الاسم، وقد جاء اسمه عـلى الصواب في النسخة المطبوعة مـع شرح سنن أبي داود للسهار نفـورى المسمى «بذل المجهـود في حل سنن أبي داود» (١١/ ١٠١).

(٢) انـظر تهـذيب التهـذيب ٩/ ٤٢٥ رقم ٦٩٦، ٩/ ١٢ رقم ١٧، ٤/ ٦٣ رقـم ١١٠، ٨/ ٣٥١ ورقم ٦٣٥، ٧/ ١٩٢ رقم ٣٦٨.

(٣) المنتقى لابن الجارود باب الصيام رقم ٣٨١

وأخرجه البيهقي من طريقين عن سعيد بن أبي عروبة بهذا الإسناد وذكر مثله[1].

بيان الإسناد :ـ

١ ـ إبراهيم بن مرزوق بن دينار الأموي البصري، نزيل مصر، ثقة عمي قبل موته فكان يخطىء ولا يرجع، من الطبقة الحادية عشرة، مات سنة خمس وسبعين ومائتين[2]

٢ ـ وروح هو ابن عبادة بن العلاء بن حسان القيسي أبو محمد البصري، وهو ثقة فاضل له تصانيف من الطبقة التاسعة، روى له الجماعة[3].

٣ ـ وسعيد بن أبي عروبة ثقة حافظ وهو من أثبت الناس في قتادة كما تقدم.

٤ ـ وقتادة بن دعامة السدوسى ثقة ثبت.

٥ ـ وعزرة هو ابن عبد الرحمن الخزاعي وهو ثقة.

٦ ـ وسعيد بن جبير ثقة ثبت[4].

فهؤلاء الرجال كلهم ثقات وقد سمع بعضهم من بعض[5] إلا أن إبراهيم بن مرزوق كان يخطىء بعدما عمي، ولكن ليس هذا

---

(١) السنن الكبرى ٤/ ٢٣٠ كتاب الصيام باب الحامل والمرضع.

(٢) التقريب ١/ ٤٣ رقم ٢٧٦، الخلاصة / ٣٣

(٣) التقريب ١/ ٢٥٣ رقم ١١٤، الكاشف ١/ ٣١٣.

(٤) انظر ترجمة هؤلاء الأربعة في الحديث السابق.

(٥) تهذيب التهذيب ١/ ١٦٣ رقم ٢٩٠، ٤/ ٦٣ رقم ١١٠
٨/ ٣٥١ رقم ٦٣٥، ٧/ ١٩٢ رقم ٣٦٨، ٤/ ١١ رقم ١٤
تهذيب الكمال (ترجمة إبراهيم بن مرزوق وروح بن عبادة وسعيد بن أبي عروبة).

الحديث مما أخطأ فيه لأنه يشهد لـه الحديث الـرابع الـذي أخرجـه أبو داود كما يشهد له الحديث السادس الذي أخرجه أبو داود أيضاً فيكـون إسناده صحيحاً.

(١٣) ٦ ـ قال الإمام أبو داود السجستاني : حدثنا أحمد بن محمد حدثني علـي بن حسين عن أبيـه يزيـد النحـوي عن عكـرمـة عن ابن عبـاس ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكـين** ﴾ فكان من شـاء منهم أن يفتدي بطعام مسكين افتدى وتم له صومه، فقال تعالى ﴿ **فمن تـطوع خيراً فهو خير له وأن تصـوموا خـير لكم** ﴾ وقال ﴿ **فمن شهـد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر** ﴾[١].

بيان الإسناد :ـ

١ ـ أحمـد بن محمد هـو أبو الحسن ابن شبـوية أحمـد بن محمد بن ثـابت الخزاعي المـروزي، وهو ثقـة من الطبقـة العاشرة، مـات سنـة ثلاثين ومائتين[٢].

٢ ـ وعلي بن الحسين بن واقد المروزي صـدوق يهم، من الطبقـة العاشرة مات سنة إحدى عشرة ومائتين[٣].

٣ ـ وأبوه هو الحسين بن واقد المروزي أبو عبد الله القاضي، وهـو ثقة له أوهام، من الطبقة السابعة[٤].

٤ ـ ويـزيد النحـوي هو أبـو الحسن يزيـد بن أبي سعيد النحـوي

(١) سنن أبي داود، كتاب الصوم باب رقم ٢ حديث رقم ٢٣١٦.
(٢) التقريب ١/٢٤/رقم ١٠٨، الكاشف ١/٦٨.
(٣) التقريب ٢/٣٥ رقم ٣٢٣، الخلاصة ٣٧٣.
(٤) التقريب ١/١٨٠ رقم ٣٩٨، الكاشف ١/٢٣٥ رقم ١١٢٣.

المروزي القرشي بالولاء، وهو ثقة عابد، من الطبقة السادسة[1].

و« النحوي » ليس من النسبة إلى علم النحو وإنما إلى بطن من الأزد يقال لهم بنو نحو[2].

٥ ـ وعكرمة ثقة ثبت[3].

وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض[4] فإسناده متصل، لكن فيه علي بن الحسين بن واقد وأبوه قد اتهما بالوهم إلا أنهما لم يهما في هذا الحديث لأن الحديثين السابقين الرابع والخامس يؤيدانه، وبخلو هذا الإسناد من الوهم يكون حسناً لأن أحد رواته وهو علي بن الحسين بن واقد صدوق لم يصل إلى درجة الثقات، ولكن باعتضاده بالحديثين السابقين يصبح إسناده صحيحاً لغيره.

(١٤) ٧ ـ قال الإمام أبو داود السجستاني : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبان حدثنا قتادة أن عكرمة حدثه أن ابن عباس قال : أثبتت للحبلى والمرضع[5].

بيان الإسناد :ـ

١ ـ موسى بن إسماعيل المنقري أبو سلمة التبوذكي، ثقة ثبت،

---

(١) التقريب ٣٦٥/٢ رقم ٢٥٧، الكاشف ٢٧٨/٣ رقم ٦٤١٤.
(٢) تهذيب التهذيب ٣٣٢/١١.
(٣) أنظر الحديث رقم (٥).
(٤) أنظر تهذيب التهذيب ٧١/١ رقم ١٢٤، ٨٠٣/٧ رقم ٥٥٢، ٣٢٢/١١ رقم ٦٣٣، ٢٦٣/٧ رقم ٤٧٥، تهذيب الكمال (ترجمة أحمد بن محمد بن ثابت).
(٥) سنن أبي داود، كتاب الصوم باب رقم ٣ حديث رقم ٢٣١٧.

من صغار الطبقة التاسعة، مات سنة ثلاث وعشرين ومائتين. أخرج له الجماعة (١).

٢ ـ وأبان هو ابن يزيد العطار وهو ثقة، من الطبقة السابعة، مات في حدود الستين ومائة، أخرج له الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي (٢).

٣ ـ وقتادة ثقة ثبت تقدمت ترجمته (٣).

٤ ـ وعكرمة ثقة ثبت تقدمت ترجمته (٤).

فهؤلاء رجال ثقات قد سمع بعضهم من بعض (٥).

وبناء على هذا فإسناد هذا الحديث صحيح.

وأخرجه مسدد في مسنده.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الحامل والمرضع إذا خافتا أفطرتا ولا قضاء عليهما.

ذكره الحافظ ابن حجر وقال: إسناده حسن (٦).

بيان المعنى:

هذه الآثار اشتملت على مايلي :ـ

١ ـ قول ابن عباس في قوله تعالى ﴿ فعدة من أيام أخر ﴾ صم

---

(١) التقريب ٢/ ٢٨٠ رقم ١٤٣١، الكاشف ٣/ ١٨٠ رقم ٥٧٧١.
(٢) التقريب ١/ ٣١ رقم ١٦٥، الخلاصة/ ١٥.
(٣) انظر الحديث رقم (١١).
(٤) انظر الحديث رقم (٥).
(٥) تهذيب التهذيب ٨/ ٣٥١ رقم ٦٣٥.
١٠/ ٣٣٣ رقم ٥٨٤، ١/ ١٠١ رقم ١٧٥.
(٦) المطالب العالية ١/ ٢٨٣ رقم ٩٦٥.

كيف شئت، يعني أن قضاء رمضان لم يحدد بوقت معين ولم يشترط فيه الموالاة بين أيام القضاء.

٢ ـ بيان قراءة ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **يطيقونه** ﴾ حيث روى عنه أنه كان يقرؤها (يطوَّقونه) بالواو المشددة كما جاء في رواية الإمام البخاري وغيره وهذه القراءة ليست من القراءات المعتبرة حيث خالفت الرسم العثماني، وليست من القراءات العشر[١].

والتطويق معناه التكليف، ومنه حديث « من ظلم شبراً من أرض طوقه الله من سبع أرضين » ذكره ابن الأثير في النهاية[٢].

وقال الراغب الأصفهاني: والطاقة اسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقة ثم قال: ﴿ **وعلى الذين يطيقونه** ﴾ أي يحمّلون أن يتطوقوا[٣].

وجاء في الروايات السابقة التي أخرجها الإمام النسائي وأبو داود والدار قطني بأسانيد صحيحة أن ابن عباس كان يقرأها (يطيقونه) وقد فسرها في هذه الروايات بقوله «يكلفونه» وهو معنى «يطوقونه» في اللغة كما تقدم وعلى هذا فالظاهر أن قراءة ابن عباس «يطوقونه» جاء بها تفسيراً منه للآية فحملت عنه على أنها قراءة له.

٣ ـ في رواية الإمام البخاري أن هذه الآية ليست بمنسوخة وأنها في الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان الصيام فيطعمان عن كل

---

(١) انظر النشر في القراءات العشر للجزري ٢/٢٢٦ وانظر «الكشف عن وجوه القراءات السبع» للقيسي ١/٢٨٢.
(٢) النهاية في غريب الحديث مادة (طوق).
(٣) مفردات الراغب مادة (طوق).

يوم مسكيناً، وفي الروايات الأخيرة التي أخرجها ابن الجارود وأبو داود أن هذه الآية كانت رخصة للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة وهما يطيقان الصوم أن يفطرا إن شاءا ويطعما كل يوم مسكيناً ولا قضاء عليهما ثم نسخ ذلك بقوله تعالى ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ وثبت حكم الآية الأولى للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة إذا كانا يطيقان الصيام والحبلى والمرضع إذا خافتا على أولادهما.

فظاهر هذه الروايات التعارض حيث أثبت بعضها أن قوله تعالى ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** ﴾ ليست بمنسوخة بل هي محكمة في حق من شق عليه الصيام كالكبير والمريض الذي امتد به المرض. وأثبت بعضها الآخر أنها منسوخة بقوله تعالى ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ ولكنها في الحقيقة غير متعارضة لأنه النسخ المنفي هو إزالة الحكم بالكلية والنسخ المثبت هو تخصيص بعض أفراد العام لأن المتقدمين يطلقون النسخ على التخصيص أحياناً.

فقوله تعالى ﴿ **وعلى الذين يطيقونه** ﴾ ليست منسوخة الحكم بالكلية بل نسخ حكمها في حق من يطيق الصوم حيث كان يباح له الفطر والإطعام بدلاً من الصوم وبقى حكمها فيمن لا يطيق الصوم إلا بمشقة.

ومما يؤيد ذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « لما نزلت هذه الآية ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية** ﴾ فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مسكيناً ثم نزلت هذه الآية ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ فنسخت الأولى إلا الفاني إن شاء أطعم عن كل يوم

مسكيناً وأفطر »[1].

فقوله « فنسخت الأولى إلا الفاني إن شاء أطعم عن كل يوم مسكيناً وأفطر » دليل على أن المراد بالنسخ التخصيص لا إزالة الحكم بالكلية.

هذا وقد ذهب بعض الصحابة إلى أن قوله تعالى ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية** ﴾ عام في جميع الناس وأن الصيام أول ما شرع كان على التخيير من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكيناً حتى نزل قوله تعالى ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ فأوجبت هذه الآية الصيام ونسخت التخيير المذكور في الآية التي قبلها، ومما يدل على ذلك ما أخرجه الإمام البخاري عن حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : « نزل رمضان فشق عليهم فكان من أطعم كل يوم مسكيناً ترك الصوم ممن يطيقه ورخص لهم في ذلك فنسختها ﴿ **وأن تصوموا خير لكم** ﴾ فأمروا بالصوم[2]، وما أخرجه الإمام البخاري من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : « لما نزلت ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** ﴾ كان من أراد أن يفطر ويفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها[3]. يعني قوله تعالى في الآية التي بعدها ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾.

---

(١) الدر المنثور ١/١٧٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب ﴿**وعلى الذين يطيقونه** ﴾

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة، باب ﴿**فمن شهد منكم الشهر** ﴾ حديث رقم ٤٥٠٧.

وكون الناسخ هو قوله تعالى ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ أظهر لأن في هذه الآية إيجاب الصوم من غير تخيير، أما قوله تعالى ﴿ **وأن تصوموا خير لكم** ﴾ ففيها بيان أفضلية الصيام على الإطعام وليس فيها إيجاب الصيام.

وقد روى القول بالنسخ عن ابن عمر رضي الله عنهما كما أخرج الإمام البخاري عنه أنه قرأ قوله تعالى ﴿ **فدية طعام** ﴾ فقال: هي منسوخة [1].

وقد روى هذا الأثر على قراءة (مساكين) بالجمع وهي قراءة نافع وأبي جعفر وابن عامر، وقرأ بقية العشرة (مسكين) على الإفراد [2].

ومما يوضح ذلك ما أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم من حديث عبدالرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال وأحيل الصيام ثلاثة أحوال. . . وذكر أحوال الصلاة ثم قال: وأما أحوال الصيام فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وصام يوم عاشوراء، ثم إن الله عز وجل فرض عليه الصيام فأنزل الله عز وجل ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** ﴾ إلى هذه الآية ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** ﴾ قال: فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً فأجزأ ذلك عنه، قال: ثم إن الله عز وجل أنزل الآية الأخرى ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ إلى قوله ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة حديث رقم ٤٥٠٦.
(٢) أنظر إلى النشر في القراءات العشر ٢/٢٢٦.

قـال: فأثبت الله صيـامه عـلى المقيم الصحيح ورخص فيـه للمـريض والمسـافر وثبت الإطعـام للكبـير الـذي لا يسـتـطيـع الصيـام، فهـذان حولان، قال: وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النسـاء مالم ينـاموا فـإذا ناموا امتنعوا، قال: ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له صرمة ظل يعمل صـائماً حتى أمسى فجـاء إلى أهله فصلى العشـاء ثم نام فلم يـأكـل ولم يشرب حتى أصبح، فأصبح صائماً، قال: فرآه رسول الله ى الله عليـه وسلم وقـد جهد جهـداً شديـداً، قال: مـالي أراك قد جهـدت جهداً شـديـداً؟! قـال: يـارسـول الله إني عملت أمس فجئت حـين جئت فألقيت نفسي فنمت وأصبحت حين أصبحت صائماً، قال: وكان عمر قد أصاب من النساء من جارية أو من حرة بعدما نام وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فأنزل الله عز وجل ﴿ **أحل لكم ليلة الصيـام الرفث إلى نسائكم** ﴾ إلى قوله ﴿ **ثم أتموا الصيام إلى الليل** ﴾[1].

وقـال أبو عبـدالله الحـاكم: «هـذا حـديث صحيـح الإسنـاد ولم يخرجاه» ووافقه الإمام الذهبي[2].

أقـول: ولكن في إسنـاده انقطاع لأن عبـدالـرحمن بن أبي ليـلى لم يسمع من معاذ قاله ابن المديني والترمـذي وابن خزيمـة، ذكره الحـافظ ابن حجر، وذكر أنه ولد لست بقين من خلافة عمر رضي الله عنه[3].

ومعاذ بن جبل رضي الله عنـه قد تـوفي في السنة الثـامنة عشرة[4]

---

(١) مسند الإمام أحمد ٥/٢٤٦ سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب كيف الأذان حديث رقم ٥٠٧.
(٢) المستدرك، كتاب التفسير، سورة البقرة ٢/٢٧٤.
(٣) تهذيب التهذيب ٦/٢٦٠ رقم ٥١٥.
(٤) التقريب ٢/٢٥٥، البداية والنهاية ٨/٩٤.

فيكون ابن أبي ليلى قد ولد في العام الذي توفي فيه معاذ أو قبله بأشهر قليلة.

وهذا أمر لا يخفى على الإمامين الحاكم والذهبي فلعل تصحيحهما هذا الحديث لوروده من طريق آخر موصول.

فتبين لنا من هذا أن في تفسير الآية قولين:

الأول: أن قوله تعالى﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** ﴾ عام في جميع الناس وأن تشريع الصيام قد نزل أولاً بالتخيير بين الصيام والإطعام ثم نسخ هذا التخيير بقوله تعالى ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ وبقي الصيام واجباً على التعيين. وقد روي هذا القول عن سلمة بن الأكوع ومعاذ بن جبل وعبدالله بن عمر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم كما سبق.

الثاني: أن قوله تعالى ﴿ **وعلى الذين يطيقونه** ﴾ خاص فيمن يشق عليه الصيام كالكبير والمريض والحبلى والمرضع سواء كان يطيق الصوم أولا يطيقه ثم خص هذا العموم بقوله تعالى ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ فوجب الصيام على من يطيقه وبقي حكم الآية الأولى سارياً فيمن لا يطيق الصيام، وهذا هو قول ابن عباس كما سبق في الروايات عنه، وأوضح رواية عنه في هذا المعنى هي الرواية الخامسة التي أخرجها ابن الجارود.

أما الرواية السادسة التي أخرجها أبو داود فليس فيها تحديد من نزلت فيهم الآية حيث جاء فيها «فكان من شاء منهم أن يفتدي بطعام مسكين افتدى وتم له صومه» ولكن ينبغي أن تحمل على أن المراد بها من نزلت فيهم الآية على تفسير ابن عباس وهم من يشق عليهم

الصيام حتى تتفق مع بقية الروايات المروية عن ابن عباس.

وأوضح ما روي في تفسير الآية هو ما روي عن معاذ رضي الله عنه الذي تقدم ذكره حيث بين الأحوال التي نزل عليها تشريع الصيام، ولعل ابن عباس قد اطلع على هذه الأحوال التي نزل عليها تشريع الصيام ولكنه فهم أن التخيير في الآية خاص فيمن يشق عليه الصيام.

وممن ذهب إلى أن حكم الآية باق في الكبير ونحوه ممن يشق عليهم الصيام أنس بن مالك رضي الله عنه فقد روي عنه أنه لما كبر أفطر عاماً أو عامين وأطعم عن كل يوم مسكيناً خبزاً ولحماً. ذكر ذلك الإمام البخاري تعليقاً[1].

قال الإمام ابن كثير: وهذا الذي علقه البخاري قد أسنده الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده فقال: حدثنا عبدالله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا عمران عن أيوب ابن أبي تميمة قال: ضعف أنس عن الصوم فصنع جفنة من ثريد فدعا ثلاثين مسكيناً فأطعمهم.

ورواه عبد بن حميد عن روح بن عبادة عن عمران وهو ابن جرير عن أيوب به، ورواه عنه أيضاً من حديث ستة من أصحاب أنس عن أنس بمعناه[2].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب رقم ٢٥

(٢) تفسير ابن كثير ١/٣٢٢.

٦ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴾ (البقرة/١٨٧).

* * *

قال الإمام أبو داود السجستاني: حدثنا أحمد بن محمد بن شبويه (١٥)
حدثني علي بن حسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى **﴿ ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ﴾**: فكان الناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلوا العتمة حرم عليهم الطعام والشراب والنساء وصاموا إلى القابلة فاختان رجل نفسه فجامع امرأته وقد صلى العشاء ولم يفطر، فأراد الله عز وجل أن يجعل ذلك يسراً لمن بقي ورخصة ومنفعة، فقال سبحانه **﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون**

أنفسكم ﴾ وكان هذا مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر[1].

وأخرجه الإمام البيهقي من طريق أبي داود بهذا الإسناد وذكر مثله[2].

بيان الإسناد:

هذا الإسناد تقدم الكلام عليه وتبين أن فيه علي بن حسين بن واقد المروزي وهو صدوق يهم[3] فالحديث على هذا محتمل للضعف، ولكن يقويه ما أخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: وذلك أن المسلمين كانوا في شهر رمضان إذا صلوا العشاء حرم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة ثم أن أناساً من المسلمين أصابوا الطعام والنساء في رمضان بعد العشاء منهم عمر بن الخطاب فشكوا ذلك إلى رسول الله ى الله عليه وسلم فأنزل الله ﴿ **علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن** ﴾ يعني انكحوهن ﴿ **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر** ﴾[4].

فتبين من هذا أن رواية علي بن الحسين بن واقد خالية من الوهم فيكون إسنادها حسناً وباعتضاده برواية علي بن أبي طلحة يكون الحديث صحيحاً لغيره.

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الصوم، باب مبدأ فرض الصيام وحديث رقم ٢٣١٣.
(٢) سنن البيهقي، كتاب الصيام، باب ما كان عليه حال الصيام، (٤/٢٠١).
(٣) انظر الحديث رقم (١٣).
(٤) تفسير الطبري ٢/١٦٤.

وأخرج الإمام البخاري نحوه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلمإذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن انطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل فغلبته عيناه، فجاءته امرأته فلما رأته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غُشِيَ عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم** ﴾ ففرحوا بها فرحاً شديداً ونزلت ﴿ **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود** ﴾[1].

بيان المعنى:

قوله ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم** ﴾ الرفث هو الجماع ومقدماته، كما سيأتي في تفسير ابن عباس لقوله تعالى ﴿ **فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج** ﴾[2].

وقوله ﴿ **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** ﴾ أي من شدة قربهن منكم وقربكم منهن أصبحن منكم كاللباس الملاصق لأجسادكم وأصبحتم كاللباس لهن. وهذا تعبير عن كمال العلاقة الزوجية التي يحصل بها الإحصان التام للزوجين.

وما دامت العلاقة قائمة بين الزوجين بهذه الصورة فإن من الصعب تجنب نتائج هذه العلاقة ولذلك قال تعالى ﴿ **علم الله أنكم**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب رقم ١٥ حديث رقم ١٩١٥

(٢) انظر الباب رقم (٧).

كنتم تختانون أنفسكم ﴾ يعني تخونونها بارتكاب هذا المحظور لمشقة الامتناع عنه عليكم.

﴿ فالآن باشروهن ﴾ المباشرة هنا الجماع كما أخرج ابن جرير من طريق بكر بن عبدالله المزني عن ابن عباس قال: المباشرة الجماع ولكن الله كريم يكني.

وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق ابن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس[(١)].

﴿ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ يعني من الولد كما أخرج ابن جرير عن مجاهد وعكرمة والحسن البصري وغيرهم[(٢)].

وأخرج ابن جرير من طريق عمرو بن مالك ـ وهو النكرى ـ عن أبي الجوزاء عن ابن عباس في قوله تعالى **﴿ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾** قال: ليلة القدر[(٣)].

وهذا الأثر إسناده ضعيف لأن فيه عمرو بن مالك النكري وهو متهم بالوهم[(٤)].

فهذا القول مرجوح لضعف إسناده أولاً حيث لم يثبت عن ابن عباس ولبعده عن سياق الآية ثانياً.

وقال قتادة في معنى الآية: ابتغوا الرخصة التي كتبت لكم. ذكره ابن جرير[(٥)].

---

(١) تفسير الطبري ٢/ ١٦٨.
(٢) تفسير الطبري ٢/ ١٦٩.
(٣) تفسير الطبري ٢/ ١٧٠.
(٤) التقريب ٢/ ٧٧ رقم ٦٦٧.
(٥) تفسير الطبري ٢/ ١٧٠.

وهـذا المعنى مناسب لسيـاق الآية ولكنـه مذكـور في قـولـه تعـالى ﴿ فالآن باشروهن ﴾.

وقد اختار ابن جرير القول الأول وقال في ترجيحه: «غير أن أشبه المعاني بظاهر الآية قـول من قال: معنـاه وابتغوا مـا كتب الله لكم من الـولد لأنـه عقيب قولـه ﴿ فالآن بـاشروهن ﴾ بمعنى جامعـوهن فلأن يكون قوله ﴿ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ بمعنى: وابتغوا ما كتب الله في مباشرتكم إياهن من الولد والنسل أشبه بالآية من غيره من التأويـلات التي ليس عـلى صحتهـا دلالـة من ظـاهـر التنـزيـل ولا خـبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم»[1].

وقوله ﴿ وكلوا واشربـوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسـود من الفجر ﴾ بيـان للأمـر الثـاني الـذي كـان محظوراً في أول الإسلام وهو الأكل والشرب بعد النوم من الليل، فأباح الله سبحـانه في هذه الآية الأكل والشرب حتى يتبين نور الفجر من سواد الليل.

وممـا يبين معنى الآيـة مـا أخـرجـه الإمـام البخـاري من حـديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أنزلت ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسـود ﴾ ولم ينزل (من الفجـر) وكـان رجـال إذا أرادوا الصوم ربط أحـدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود ولا يزال يـأكل حتى يتبـين له رؤيتهـما، فأنـزل الله بعده ﴿ من الفجر ﴾ فعلموا أنما يعني الليل من النهار[2].

وقوله في حديث هذا الباب «كان الناس على عهـد النبي صلى الله

---

(١) تفسير الطبري ٢ / ١٧٠.
(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة حديث رقم ٤٥١١.

عليه وسلم إذا صلوا العتمة حرم عليهم الطعام والشراب والنساء وصاموا إلى القابلة »في هذا الحديث تقييد المنع من الطعام والشراب والنساء بكونه بعد صلاة العشاء وجاء في رواية الإمام البخاري السابقة عن البراء بن عازب رضي الله عنه تقييد ذلك بالنوم.

وقد جمع بينهما الحافظ ابن حجر باحتمال أن يكون ذكر صلاة العشاء لكون ما بعدها مظنة النوم غالباً، قال: والتقييد في الحقيقة إنما هو بالنوم كما في سائر الأحاديث[1].

وقد ذكر ابن عباس هذا التشريع الذي كان في أول الإسلام تفسيراً لقوله تعالى ﴿ **ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** ﴾ فتبين من هذا أن الله جل وعلا قد كتب على الذين من قبلنا الإمساك عن الطعام والشراب والنساء بعد النوم من الليل.

وقوله في رواية الطبري «ثم ان ناساً من المسلمين أصابوا الطعام والنساء في رمضان بعد العشاء منهم «عمر بن الخطاب» يبينه في شأن عمر رضي الله عنه ما جاء في روايات أخرى أخرجها الطبري وفيها أن زوجة عمر رضي الله عنه زعمت له أنها قد نامت فلم يصدقها وظن أنها قالت ذلك تعللاً حتى لاتمكنه من نفسها فواقعها[2].

وهذا هو الأشبه بورع عمر وتقواه إذ لا يليق به أن يخالف أمر الله تعمداً من غير تأويل.

---

(١) فتح الباري ٤/ ١٣٠.
(٢) تفسير الطبري ٢/ ١٦٤ ـ ١٦٥

٧ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضاً أو به أذىً من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب. الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وماتفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون ياأولي الألباب ﴾ (البقرة/١٩٦ـ١٩٧).

(١٦) ١ ـ قال الإمام البخاري: وقال أبو كامل فضيل بن حسين البصري حدثنا أبو معشر حدثنا عثمان بن غياث عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن متعة الحج فقال: أهلَّ المهاجرون والأنصار وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وأهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اجعلوا إهلا لكم بالحج عمرة إلا من قلَّد الهدى، فطفنا بالبيت والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب وقال: من قلد الهدي فإنه لا يحل حتى يبلغ الهدي محله ثم أمرنا عشية التروية أن نهلَّ بالحج. فإذا فرغنا من المناسك جئنا

فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقد تم حجنا وعلينا الهدي كما قال الله تعالى ﴿ **فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم** ﴾ إلى امصاركم، الشاة تجزيء، فجمعوا نسكين في عام بين الحج والعمرة، فإن الله تعالى أنزله في كتابه وسنّه نبيُّه صلى الله عليه وسلم وأباحه للناس غير أهل مكة ﴿ **ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام** ﴾ وأشهر الحج التي ذكر الله تعالى: شوال وذو القعدة وذو الحجة فمن تمتع في هذه الأشهر فعليه دم أو صوم، والرفث الجماع والفسوق المعاصي والجدال المراء.[1]

وأخرجه البيهقي من طريق البخاري.[2]

وأخرج آخره الطبراني من حديث طاووس عن ابن عباس قال: «الرفث الأعرابة والتعرض للنساء بالجماع، والفسوق المعاصي كلها، والجدال جدال الرجل صاحبه»[3].

وأخرجه البيهقي كذلك من طريق طاووس.[4]

وأخرجه أبو يعلى، كما ذكر الحافظ الهيثمي.[5]

(١٧) **٢ ـ قال الإمام الشافعي: أخبرنا سفيان عن هشام بن حجير عن طاوس عن ابن عباس أنه قيل له تأمر بالعمرة قبل الحج والله يقول**

---

(١) البخاري، كتاب الحج، باب قوله تعالى ﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام﴾ حديث رقم ١٥٧٢.
(٢) سنن البيهقي، كتاب الحج، باب هدى التمتع بالعمرة (٥/٢٣).
(٣) المعجم الكبير للطبراني ١١/٢٢ رقم (١٠٩١٤).
(٤) سنن البيهقي، كتاب الحج، باب ﴿لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ ـ ٥/٦٧.
(٥) مجمع الزوائد، كتاب التفسير، سورة البقرة (٦/٣١٨).

﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾؟ فقال: كيف تقرؤون أن الدين قبل الوصية أو الوصية قبل الدين؟ قالوا: الوصية قبل الدين، قال: فبأيهما تبدأون؟ قالوا بالدين قال: فهو كذلك، قال الشافعي يعني أن التقديم جائز[1].

بيان الإسناد:

١ ـ سفيان هو ابن عيينة بن أبي عمران، ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكي وهو ثقة حافظ فقيه إمام حجة إلا أنه تغير حفظه بآخرة، وكان ربما دلس لكن عن الثقات، وهو من رءوس الطبقة الثامنة وكان من أثبت الناس في عمرو بن دينار، مات في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة وله إحدى وتسعون سنة، أخرج له الجماعة[2].

٢ ـ هشام بن حجير المكي، صدوق له أوهام، من الطبقة السادسة، أخرج له الشيخان والنسائي. ووثقه الإمام الذهبي[3].

وهكذا ذكر الحافظ ابن حجر في التقريب أن الإمام البخاري أخرج له، وقال في مقدمة فتح الباري: ليس له في البخاري سوى حديثه عن طاوس عن أبي هريرة قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام: «لأطوفن الليلة على تسعين امرأة» الحديث أورده في كفارة الإيمان من طريقه، وفي النكاح بمتابعة عبدالله بن طاوس له عن أبيه[4].

---

(١) بدائع المتن في ترتيب مسند الشافعي والسنن ص ٢٩١ ـ ٢٩٢.
(٢) التقريب ١/٣١٢ رقم ٣١٨، تذكرة الحفاظ ١/٢٦٢ رقم ٢٤٩.
(٣) التقريب ٢/٣١٧ رقم ٧٥، الكاشف ٣/٢٢١.
(٤) هدي الساري/٤٤٨، الكاشف ٣/٢٢١

٣ ـ طاوس هو ابن كيسان اليماني وهو ثقة فقيه فاضل، من الطبقة الثالثة، مات سنة ست ومائة وقيل بعد ذلك، أخرج له الجماعة[١].

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[٢]. لكن فيه هشام بن حجير المكي وهو متهم بالوهم أحياناً لكن لم يثبت أنه وهم في هذا الحديث فيكون إسناده على هذا حسناً.

وأخرجه البيهقي من طريق الإمام الشافعي بهذا الإسناد وذكر مثله[٣].

(١٨) ٣ ـ قال الإمام البخاري : حدثنا يحيى بن بشر حدثنا شَبَابَة عن ورقاء عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فلما قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالى ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾[٤].

وأخرجه أبو داود والبيهقي[٥].

بيان المعنى :

قوله تعالى ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾ أي أكملوا فرائضهما قبل أن تحلوا إحرامكم كما أخرج الإمام ابن جرير من طريق علي بن أبي

---

(١) التقريب ١/٣٧٧ رقم ١٤، تذكرة الحفاظ ١/٩٠ رقم ٧٩.
(٢) تهذيب التهذيب ٥/٨ رقم ١٤، ١١/٣٣ رقم ٧٤، ٤/١١٧ رقم ٢٠٥.
(٣) سنن البيهقي ٦/٢٦٨، كتاب الوصايا، باب تبدية الدين على الوصية.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب رقم ٦ حديث رقم ١٥٢٣ (الفتح ٣/٣٨٤)
(٥) سنن أبي داود، كتاب الحج، باب التزود في الحج حديث رقم ١٧٣٠.
سنن البيهقي، كتاب الحج، باب من اختار الركوب (٤/٣٣٢).

طلحة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : « يقول : من أحرم بحج أو بعمرة فليس له أن يحل حتى يتمها، تمام الحج إلى يوم النحر إذا رمى جمرة العقبة وزار البيت فقد حل من إحرامه كله، وتمام العمرة إذا طاف بالبيت وبالصفا والمروة فقد حل »(١).

وإسناد هذا الأثر حسن كما تقدم(٢).

قوله ﴿ **فإن أحصرتم** ﴾ يعني منعكم من الوصول إلى مكة مانع من خوف عدو أو مرض أو نحو ذلك(٣).

﴿ **فما استيسر من الهدي** ﴾ أي فقدموا ما استيسر لكم من الهدي إذا أردتم أن تتحللوا من إحرامكم وأقله ذبح شاة، كما أخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : ما استيسر من الهدي شاة فما فوقها(٤).

وإسناده حسن كما تقدم(٥).

﴿ **ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله** ﴾ أي لا تتحللوا من إحرامكم بالحلق أو التقصير حتى يبلغ الهدى الذي قدمتموه للاحلال من حجكم **محله** وذلك بإيصاله إلى الحرم إن أمكن أو ذبحه في مكان الإحصار إن لم يمكن. فهذا الهدي الذي يقدمه الحاج ليتحلل به من حجه إذا منع من الوصول إلى مكة وكذلك من ساق الهدي معه فإنه

---

(١) تفسير الطبري ٢/٢٠٧.
(٢) انظر الحديث رقم (٢).
(٣) تفسير الطبري ٢/٢١٥ معاني القرآن للفراء ١/١١٧.
(٤) تفسير الطبري ٢/١١٦.
(٥) أنظر الحديث رقم (٢).

لا يحل من إحرامه حتى يبلغ الهدي محله كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، وقال ابن عباس في الحديث الأول من أحاديث هذا الباب «من قلد الهدى فإنه لا يحلل حتى يبلغ الهدي محله».

قوله ﴿ **فمن كان منكم مريضاً أوبه أذى من رأسه** ﴾ يعني واضطر بسبب ذلك إلى حلق رأسه ﴿ **ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** ﴾ وقد ابتدأها الله سبحانه بالأسهل ، أما الافضل فهو النسك ثم الصيام أو الإطعام ومما يدل على ذلك حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه الذي أخرجه الإمام البخاري من طريق عبدالله بن مغفل قال: قعدت إلى كعب بن عجرة في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - فسألته عن فدية من صيام، فقد: حملت إلى النبي صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي، فقال: «ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا، أما تجد شاة؟ قلت: لا، قال: صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك» فنزلت في خاصة وهي لكم عامة(١).

قوله ﴿ **فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى** ﴾ يعني فإذا تمكنتم من الوصول إلى مكة فمن أحرم بالعمرة في أشهر الحج متمتعاً بها إلى الحج فليقدم ما تيسر له من الهدي شكراً لله تعالى حيث جمع بين نسكين في سفر واحد، وكذلك من قرن بين الحج والعمرة في إحرام واحد كفعل النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة، حديث رقم ٤٥١٧.

والتمتع أفضل الانساك لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر من لم يسق الهدي معه في حجة الوداع بأن يجعل إهلاله بالحج عمرة ثم يحل منها ويحرم بعد ذلك بالحج كما بين ذلك ابن عباس في الحديث الأول من أحاديث هذا الباب، وذكر ابن عباس في هذا الحديث أن الشاة تجزىء في الهدي.

وقوله ﴿ **فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم** ﴾ قال ابن عباس في هذا الحديث «إلى أمصاركم»، وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: وهذا على المتمتع بالعمرة إذا لم يجد هدياً فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج قبل يوم عرفة، فإن كان يوم عرفة الثالث فقد تم صومه، وسبعة إذا رجع إلى أهله[1].

وأخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه قال: الصيام للمتمتع ما بين إحرامه إلى يوم عرفه[2].

قوله: ﴿ **ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام** ﴾ قال ابن عباس في الحديث الأول في بيان حج الصحابة رضي الله عنهم مع النبي صلى الله عليه وسلم متمتعين «فجمعوا بين نسكين في عام بين الحج والعمرة فإن الله تعالى أنزله في كتابه وسنّه نبيُّه صلى الله عليه وسلم وأباحه للناس غير أهل مكة ﴿ **ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام** ﴾ فعلى هذا فالإشارة في قوله ﴿ **ذلك** ﴾ تعود على التمتع.

(١) تفسير الطبري ٢ / ٢٤٨.
(٢) تفسير الطبري ٢ / ٢٤٧.

قال الحافظ ابن حجر: وهذا مبني على مذهبه - يعني ابن عباس - بأن أهل مكة لا متعة لهم وهو قول الحنفية، قال: وعند غيرهم أن الإشارة إلى حكم التمتع وهو الفدية فلا يجب على أهل مكة بالتمتع دم إذا أحرموا من الحل بالعمرة(١).

وقوله «وأشهر الحج التي ذكر الله تعالى شوال وذو القعدة وذو الحجة» يعني قول الله تعالى في هذه الآيات ﴿ **الحج أشهر معلومات** ﴾ وقوله ﴿ **فمن تمتع في هذه الأشهر فعليه دم أو صوم** ﴾ يعني ولو اعتمر في أول هذه الأشهر، ولم يذكر الإطعام للعلم به. وقال الحافظ ابن حجر: ليس لهذا القيد مفهوم لأن الذي يعتمر في غير أشهر الحج لا يسمى متمتعاً ولا دم عليه(٢).

قوله ﴿ **فلا رفث** ﴾ قال ابن عباس في الحديث الأول: ﴿ **والرفث الجماع** ﴾ كذا في رواية الإمام البخاري وفي رواية الطبراني الرفث الاعرابة والتعرض للنساء بالجماع ﴾ وأصل الرفث في اللغة قول الفحش، ويطلق على الجماع ومقدماته، والأعرابة في اللغة: التعرض لأسباب الجماع ومقدماته وأصله التبيين والإيضاح(٣).

وقوله ﴿ **والفسوق المعاصي** ﴾ هكذا أخرجه ابن جرير أيضاً من طريق العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس(٤).

---

(١) فتح الباري ٣/ ٤٣٥.
(٢) فتح الباري ٣/٤٣٥
(٣) أنظر لسان العرب والنهاية في غريب الحديث مادة (رفث وعرب)
(٤) تفسير الطبري ٢/ ٢٦٩

وروي عن ابن عباس تفسير آخر وهو ما أخرجه ابن جرير من طريق الثوري عن خصيف عن مقسم عن ابن عباس قال : الفسوق السباب[1].

والتفسير الأول أصح من حيث الإسناد لأنه من رواية الإمام البخاري، وفي إسناد القول الثاني خصيف بن عبد الرحمن الجزري وهو صدوق سيء الحفظ[2].

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم مايناسب القول الثاني وذلك ما أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : سباب المؤمن من فسوق وقتاله كفر »[3].

وتفسير الفسوق بالمعاصي شامل لسباب المؤمن وغيره.

والمعاصي محرمة في كل وقت ولكن تحريمها في الحج آكد لحرمة المكان ولأن الحاج متلبس بالعبادة منذ أن يحرم إلى أن ينتهي من أعمال الحج، فارتكاب المعصية في حال التلبس بالعبادة دليل على قسوة القلب وغفلته عن ذكر الله تعالى، فكيف إذا كان ذلك في أقدس مكان.

وقوله ﴿ **ولا جدال** ﴾ فسره ابن عباس هنا بالمراء والمقصود به المراء الذي يؤدي إلى الخصام والتنافر كما أخرج ابن جرير من عدة

---

(١) تفسير الطبري ٢ / ٢٧٠

(٢) التقريب ١ / ٢٢٤ رقم ١٢٦، الكاشف ١ / ٢٨٠ رقم ٤٠٠

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، حديث رقم ٤٨
صحيح مسلم، كتاب الإيمان حديث رقم ٦٤

طرق عن ابن عباس أنه قال في هـذه الآية : أن تمـارى صاحبـك حتى تغضبه[١].

قـوله ﴿ وتـزودوا فإن خـير الزاد التقـوى ﴾ قـال ابن عبـاس في الحديث الثالث في سبب نزول هذه الآيـة : « كان أهـل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون » قال الحافظ ابن حجر : زاد ابن أبي حـاتم من وجه آخـر عن ابن عباس « يقـولون نحـج بيت الله أفلا يطعمنا » ؟[٢].

وقد ظن هؤلاء الذين نزلت فيهم الآية أن ترك التزود بالطعـام في السفـر للحج من التـوكل عـلى الله وهذا جهـل منهم لأن هذا العمـل يوقعهم في أمر محرم وهو التعـرض للناس بـالمسألـة وقد أمـرهم الله في هذه الآية بأن يتزودوا في سفرهم بما يكفيهم ويمنعهم من مسألة النـاس فقال تعالى ﴿ وتـزودوا ﴾ ثم بين تعـالى أن خير زاد يحمله الانسـان في حياته هو تقوى الله عز وجل بفعل أوامره واجتناب نواهيـه فقال تعـالى ﴿ فان خير الـزاد التقوى ﴾ وفي هـذا يقول ابن كثـير : لما أمـرهم الله بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهـم إلى زاد الآخرة وهو استصحاب التقوى إليها كما قـال ﴿ وريشا ولبـاس التقوى ذلـك خير ﴾ لمـا ذكر اللبـاس الحسي نبه مرشداً إلى اللباس المعنـوي وهو الخشـوع والطاعـة والتقوى وذكر أنه خير من هذا وأنفع[٣].

---

(١) تفسير الطبري ٢/٢٧١

(٢) فتح الباري ٣/٣٨٤

(٣) تفسير ابن كثير ١/٢٤٨

٨ ـ باب ماجاء في قوله تعالى

﴿ ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ﴾(البقرة/١٩٨).

(١٩) قال الإمام البخاري : حدثني عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عمرو عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فلما كان الاسلام تأثموا من التجارة فيها فأنزل الله ﴿ **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم** ﴾ في مواسم الحج ـ قرأها ابن عباس.

وفي رواية أخرى للإمام البخاري : « فأنزل الله ﴿ **ليس عليكم جناح** ﴾ في مواسم الحج، قرأ ابن عباس هكذا[١].

وأخرجه أبو داود والبيهقي[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، الباب الأول حديث رقم ٢٠٥٠ وباب رقم ٣٥ حديث رقم ٢٠٩٨

(٢) سنن أبي داود، كتاب الحج باب رقم ٥ و٧ حديث رقم ١٧٣١ و ١٧٣٤ سنن البيهقي، كتاب الحج وباب التجارة في الحج ٤/٣٣٣

بيان المعنى :-

قوله « كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية » هذه الأسواق هي أشهر أسواق العرب قبل الإسلام وتقع سوق عكاظ بين وادي نخلة والطائف إلى بلد يقال له الفُتق - بضم الفاء - كما رُوي عن ابن إسحاق، وعن هشام بن الكلبي أنها كانت وراء قرن المنازل بمرحلة على طريق صنعاء وكانت لقيس وثقيف، أما مجنة فروى عن ابن إسحاق أنها كانت بمر الظهران إلى جبل يقال له الأصغر، وعن ابن الكلبي كانت بأسفل مكة على بريد منها غربي البيضاء وكانت لكنانة، أما ذو المجاز فروى عن ابن اسحاق أنها كانت بناحية عرفة إلى جانبها، وعن ابن الكلبي أنها لهذيل على فرسخ من عرفة(١).

وقوله « في مواسم الحج قرأها ابن عباس كذلك » هذه من القراءة الشاذة وحكمها عند الأئمة حكم التفسير كما ذكر الحافظ ابن حجر(٢).

وإنما كانت هذه القراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف العثماني.

وقد جاءت هذه الجملة في رواية الإمام البخاري الأولى بعد قوله تعالى ﴿ **فضلا من ربكم** ﴾ وجاءت في الرواية الثانية بعد ذلك، وهذا دليل على أن هذه الجملة تفسير من ابن عباس للآية، وليست من القرآن.

وقوله تعالى ﴿ **فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام** ﴾ المشعر الحرام هو مزدلفة كلها كما أخرج ابن جرير من طريق

---

(١) فتح الباري ٣/٥٩٤

(٢) فتح الباري ٣/٥٩٥

حكيم بن جبير عن ابن عباس قال: ما بين الجبلين اللذين بجمع مشعر، ومن طريق إبراهيم النخعي، قال: رأى ابن عمر الناس يزدحمون على الجبيل بجمع فقال: أيها الناس إن جمعاً كلها مشعر. ونقل ابن جرير القول بذلك عن جمع من التابعين[1]، وجمع هي مزدلفة.

(١) تفسير الطبري ٢/٢٨٧ ـ ٢٨٩

٩ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما ﴾(البقرة/ ٢١٩).

* * *

(٢٠) قال الإمام أبو داود السجستاني : حدثنا أحمد بن محمد المروزي حدثنا علي بن حسين عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال : يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ﴾ الآية، و**﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس ﴾** الآية، نسختهما التي في المائدة **﴿ انما الخمر والميسر والأنصاب ﴾** الآية[1].

وأخرجه البيهقي من طريق أبي داود بهذا الإسناد. وذكر مثله[2].

بيان الإسناد :ـ

هذا الإسناد تقدم الكلام على رجاله وتبين لنا أن فيه علي بن

(١) سنن أبي داود، كتاب الأشربة الباب الأول حديث رقم ٣٦٧٢

(٢) سنن البيهقي، كتاب الأشربة، باب ماجاء في الخمر ٨/ ٢٨٥.

الحسين بن واقد المروزي وهو صدوق يهم[1]. فالإسناد على هذا محتمل للضعف لاحتمال أن يكون مما وهم فيه علي بن الحسين بن واقد.

وأخرجه الإمام ابن جرير الطبري من طريق يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن قالا . . وذكر مثله وليس فيه ابن عباس[2].

ويحيى بن واضح أبو تُمَيله ثقة[3] فروايته أصح من رواية علي بن الحسين بن واقد، فلعل نسبة هذا الأثر إلى ابن عباس من أوهام علي بن الحسين.

بيان المعنى:

قوله ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر** ﴾ يعني يسألك المسلمون عن حكمهما كما سيأتي من قول عمر رضي الله عنه «اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً»، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم.

والخمر كل شراب مسكر، من خمر بمعنى ستر، وكل شيء غطى شيئاً فقد خمره ومنه خمار المرأة، والشجر الملتف يقال له الخمر لأنه يغطي ما تحته ويستره[4]. كما قال عمر رضي الله عنه «والخمر ما خامر العقل» أخرجه الشيخان. [5]

---

(١) انظر الحديث رقم (١٣).
(٢) تفسير الطبري ٢/ ٣٦١
(٣) التقريب ٢/ ٣٥٩ رقم ١٩٣، الخلاصة/ ٤٣٩
(٤) تفسير القرطبي ٣/ ٥١
تفسير الطبري ٢/ ٣٥٧
(٥) صحيح البخاري كتاب التفسير، سورة المائدة رقم ٤٦١٩
صحيح مسلم التفسير رقم ٣٠٣٢

ومما يدل على أن الخمر تشمل كل ما يسكر ما أخرجه الإمام مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنه ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل مسكر خمر»(١) وأخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة.(٢)

أما الميسر فهو القمار كما أخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الميسر القمار، كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله فأيهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله.(٣)

وإسناد هذا الأثر حسن كما تقدم.(٤)

وقال الأزهري: الميسر الجزور الذي كانوا يتقامرون عليه سمى ميسرا لأنه يجزأ أجزاء فكأنه موضع التجزئة وكل شيء جزأته فقد يسرته، والياسر: الجازر لأنه يجزىء لحم الجزور، قال: وهذا هو الأصل في الجازر ثم يقال للضاربين بالقداح والمتقامرين على الجزور باسرون لأنهم جازرون إذا كانوا سبباً لذلك.(٥)

وأخرج ابن جرير عن مجاهد أنه قال في الميسر: هو القمار وإنما سمي الميسر لقولهم: أيسروا واجزروا كقولك ضع كذا وكذا.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الأشربة رقم ٢٠٠٣ الباب السابع

(٢) مسند أحمد ٢/١٦،
سند أبي داود، كتاب الأشربة، حديث رقم ٣٦٧٩ الباب الخامس
سنن الترمذي، كتاب الأشربة، الباب الأول رقم ١٨٦١
سنن ابن ماجة، كتاب الأشربة، باب ٩ حديث ٣٣٩٠

(٣) تفسير الطبري ٢/٣٥٨

(٤) انظر الحديث رقم (٢).

(٥) تفسير القرطبي ٣/٥٣ لسان العرب مادة (يسر)

كما أخرج عن ابن سيرين أنه قال: **كل لعب فيه قمار فهو من الميسر.**[1]

وقوله تعالى ﴿ **قل فيهما إثم كبير** ﴾ هذا الإثم المترتب على شرب الخمر ولعب الميسر بينه الله سبحانه بقوله في سورة المائدة ﴿ **إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** ﴾ (المائدة/٩١)[2].

وليس قوله تعالى ﴿ **قل فيهما إثم كبير** ﴾ دليلاً على تحريمها إذ أن بعض من كان يشرب الخمر من الصحابة قبل تحريمها استمروا على شربها بعد نزول هذه الآية ولم يفهموا منها التحريم وإنما فهموا منها أن شربها خلاف الأولى لأنه يوقع في الإثم من الصد عن ذكر الله والصلاة وإيجاد العداوة والبغضاء، ولم يرد في الآية نهي عن شربها كما هو الحال في الآيتين اللتين نزلتا بعد ذلك.

ومما يدل على أن الصحابة رضي الله عنهم لم يفهموا منها تحريم
الخمر ما أخرجه الإمام النسائي قال: أنبأنا أبو داود قال حدثنا عبيد (٢١)
الله بن موسى قال أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة عن عمر رضي الله عنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في البقرة فدعى عمر فقرئت عليه فقال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في النساء ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى** ﴾،

(١) تفسير الطبري ٢/٣٥٧ ـ ٣٥٨

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١/١٢٣

فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أثام الصلاة نادى: لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى، فدعى عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في المائدة، فدعى عمر فقرئت عليه، فلما بلغ ﴿ **فهل انتم منتهون** ﴾ قال عمر رضي الله عنه: انتهينا ربنا(١).

وإسناده صحيح(٢).

وقال الحافظ ابن كثير: قال علي بن المديني: هذا إسناد صالح صحيح(٣).

---

(١) سنن النسائي، كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر (٨/٢٨٦).

(٢) بيان هذا الإسناد:

١ ـ أبو داود شيخ النسائي هو سليمان بن سيف بن يحيى بن درهم الطائي بالولاء الحراني، وهو ثقة حافظ من الطبقة الحادية عشرة مات اثنتين وسبعين ومائتين، أخرج له النسائي فقط من الأئمة الستة (التقريب ٢/٣٢٦ رقم ٤٥٠ ـ التهذيب ٤/١٩٩ ورقم ٣٣٧).

٢ ـ وعبيد الله بن موسى بن أبي المختار العبسي، ثقة بتشيع، وهو من الطبقة التاسعة (التقريب ١/٥٣٩ رقم ١٥١٢)

٣ ـ وإسرائيل هو ابن يونس السبيعي، وهو ثقة تقدم في الحديث رقم (٥).

٤ ـ وأبو إسحاق هو السبيعي، عمرو بن عبدالله الهمداني، وهو ثقة عابد مكثر من الحديث، وقد اختلط في آخر عمره، وهو من الطبقة الثالثة (التقريب ٢/٧٣ رقم ٦٢٣)

٥ ـ وأبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل الهمدان الكوفي، وهو ثقة عابد، مات سنة ثلاث وستين، أخرج له الشيخان وأبو داود والنسائي والترمذي، (التقريب ٢/٧٢ رقم ٦٠٥ ـ التقريب ٨/٤٧ رقم ٧٨).

فهؤلاء الرجال كلهم ثقات قد سمع بعضهم من بعض (انظر تهذيب التهذيب ٤/١٩٩ رقم ٣٣٧، ٦/٥٠ رقم ٩٧، ١/٢٦١ رقم ٤٩٦، ٨/٦٣ رقم ١٠٠، ٨/٤٧ رقم ٧٨).

(٣) تفسير ابن كثير ١/٢٦٤

وأخرجه الإمام أبو داود السجستاني من طريق إسرائيل بن يونس بهذا الإسناد وذكر مثله[١].

وأخرجه الإمام الترمذي من طريقين عن إسرائيل بهذا الإسناد وذكر مثله[٢].

وقوله ﴿ ومنافع للناس ﴾ أما بالنسبة للخمر فبها يحصل لشاربيها من اللذة والنشوة كما أخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: فيما يصيبون من لذاتها وفرحها إذا شربوها[٣].

وهذا إسناد حسن كما تقدم[٤].

ومن منافعها بالنسبة لبعض الناس كونها وسيلة للرزق والكسب.

أما منافع الميسر فهي في كون بعض المتقامرين يحصل له الربح بغير جهد منه، وفيها يحصل للفقراء من الذبائح التي يتقامرون عليها بالنسبة لما كان عليه القمار عند العرب في الجاهلية.

وقوله ﴿ واثمهما أكبر من نفعهما ﴾ يعني ما يترتب عليهما من الإثم أكبر مضرة على متعاطيهما مما يحصل له من المنفعة لأن مضرتها في الدين ومنفعتها في الدنيا بحسب ما يظهر لمتعاطيها في بعض الاحيان وإلا فإنهما يشتملان على مضرة الدنيا أيضاً في الجسم والمال وذلك في عاقبتهما.

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأشربة باب تحريم الخمر، حديث رقم ٣٦٧٠

(٢) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة المائدة، حديث رقم ٣٠٤٩

(٣) تفسير الطبري ٢/ ٣٦٠

(٤) انظر الحديث رقم (٢).

١٠ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وأن تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم ان الله عزيز حكيم ﴾(البقرة/ ٢٢٠).

* * *

(٢٢) قال الإمام أبو داود السجستاني : حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أنزل الله عز وجل **﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾** و**﴿ ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ﴾** الآية انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، فجعل يفضل من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عز وجل **﴿ ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم ﴾**، فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابهم بشرابه[١].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الوصايا، باب مخالطة اليتيم، حديث رقم ٢٨٧١.

بيان الإسناد :ـ

١ ـ عثمان بن أبي شيبة هو عثمان بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي أبو الحسن ابن أبي شيبة الكوفي وهو ثقة حافظ شهير وله أوهام، من الطبقة العاشرة، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين، وله ثمان وثمانون سنة، أخرج له الشيخان وأبو داود والنسائي وابن ماجه(١).

٢ ـ وجرير هو ابن عبد الحميد بن قرط ـ بضم القاف وسكون الراء ـ الضبي الكوفي، نزيل الري وقاضيها وهو ثقة صحيح الكتاب، وقيل كان في آخر عمره يهم من حفظه، مات سنة ثمان وثمانين ومائة وله إحدى وسبعون سنة، أخرج له الجماعة(٢).

٣ ـ وعطاء هو ابن السائب الثقفي، وهو صدوق اختلط في اخر عمره، من الطبقة الخامسة، مات سنة ست وثلاثين ومائة. أخرج له الإمام البخاري والأربعة(٣).

وليس له في صحيح البخاري غير حديث واحد في ذكر الحوض مقروناً بأبي بشر جعفر بن أبي وحشية أحد الاثبات وهو في تفسير الكوثر ذكره الحافظ ابن حجر(٤).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن الذين رووا عنه قبل الاختلاط هم سفيان الثوري وشعبة وزائدة وحماد بن زيد وأيوب السختياني وسمع

---

(١) التقريب ٢/١٣ رقم ١٠٧، تذكرة الحفاظ ١/٤٤٤ رقم ٤٥٠

(٢) التقريب ١/١٢٧ رقم ٥٦، الخلاصة/٦١

(٣) التقريب ٢/٢٢ رقم ١٩١، الخلاصة/٣٦٩

(٤) هدى الساري/٤٢٥

منه حماد بن سلمة مرتين مرة قبل اختلاطه ومرة بعده، أما ماعدا هؤلاء فقد سمعوا منه بعد اختلاطه، وقد ذكر أن هذا هو ما تحصل له من كلام أئمة الجرح والتعديل[1].

وسعيد بن جبير ثقة ثبت[2].

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[3] غير أن فيه عطاء ابن السائب قد اختلط، وقد سمع منه جرير بن عبد الحميد بعد اختلاطه، كما أن فيه عثمان بن أبي شيبة وجرير عبد الحميد لهما أوهام قليلة ولكن ليس هذا الحديث مما وهما فيه ولا مما اختلط فيه عطاء لأن الإمام ابن جرير الطبري أخرجه من طريق علي بن أبي طلحة ومن طريق العوفي عن ابن عباس وذكر نحوه[4].

وإسناد علي بن أبي طلحة حسن وإسناد العوفي ضعيف كما تقدم[5].

فتبين لنا خلو رواية الإمام أبي داود من الوهم والخطأ فيصبح إسنادها حسناً لأن عطاء بن السائب صدوق، ولكن باعتضادها بروايتي الإمام الطبري يصبح الحديث صحيحاً لغيره.

وقد أخرج هذا الحديث الإمام النسائي والحاكم والبيهقي من

(١) تهذيب التهذيب ٧/٢٠٧، هدى الساري/٤٢٥
(٢) انظر الحديث رقم (١١).
(٣) انظر تهذيب التهذيب ٧/١٤٩ رقم ٢٩٨، ٢/٧٥ رقم ١١٦، ٧/٢٠٣ رقم ٣٨٥، ٤/١١ رقم ١٤
(٤) تفسير الطبري ٢/٣٧١ - ٣٧٢
(٥) انظر الحديث رقم (٢) والحديث رقم (٣٥).

طريق عطاء بن السائب، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي[1].

بيان المعنى :-

تبين لنا من سبب نزول هذه الآية أن الصحابة رضي الله عنهم قد تحرج بعضهم من خلط أموالهم بأموال من تحت أيديهم من اليتامى والإنفاق منها عليهم جميعاً خوفاً من أن ينفقوا من أموال اليتامى أكثر من حاجتهم فيظلموهم بذلك.

ولما كان عزل أموال اليتامى فيه شيء من المشقة والحرج أنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية لرفع الحرج عن أوليائهم في خلط أموالهم مع أموالهم.

وقوله ﴿ **قل اصلاح لهم خير** ﴾ أي أن العمل على إصلاح أموالهم بتنميتها بالتجارة ونحوها خير من إهمالها ﴿ **وان تخالطوهم** ﴾ يعني في الماكل والمشرب والملبس وما اشبه ذلك ﴿ **فاخوانكم** ﴾ يعني في الدين ولا حرج عليكم في ذلك ما دمتم تريدون الإصلاح ﴿ **والله يعلم المفسد من المصلح** ﴾ فالمعول عليه هو أن تكون نية الولي خالصة في إرادة الإصلاح من خلط ماله مع مال اليتيم ﴿ **ولو شاء الله لأعنتكم** ﴾ أي لشق عليكم فيما لو ألزمكم بعزل أموالكم عن أموال اليتامى في المأكل والمشرب ونحو ذلك ولو قعتم بسبب ذلك في الإثم، أخرج ابن جرير من طريق مقسم عن ابن عباس قال : ولو شاء الله لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقاً[2].

---

(١) سنن النسائي، كتاب الوصايا، باب مخالطة اليتيم (٢٥٦/٦) المستدرك ١٠٣/٢، ٢٧٨، كتاب الجهاد وكتاب التفسير سنن البيهقي ٢٥٨/٥ كتاب الحج باب المناهدة، و ٢٨٤/٦، كتاب الوصايا، باب مخالطة اليتيم.

(٢) تفسير الطبري ٣٧٥/٢

١١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين ﴾ (البقرة/٢٢٣)

* * *

(٢٣) ١ ـ قال الإمام أحمد : حدثنـا يعقوب ـ يعني القُمِّي ـ عن جعفـر عن سعيـد بن جبير عن ابن عبـاس قال: جـاء عمـر بن الخـطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هلكت، قال: وما الذي أهلكك؟ قال: حولت رحلي البارحة، قـال: فلم يرد عليـه شيئا، قـال: فأوحى الله إلى رسـوله هـذه الآية ﴿ نسـاؤكم حرث لكم فـأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ أقبل وأدبر، واتقوا الدبر والحيضة[١].

وأخرجه الإمام الترمذي وابن حبان من طريق يعقوب القمي بهذا الإسناد وذكرا مثله[٢].

---

(١) مسند أحمد ١/٢٩٧

(٢) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة البقرة حديث رقم ٢٩٨٠ موارد الـظمآن، كتـاب التفسير، سورة البقرة حديث رقم ١٧٢١.

بيان الإسناد :

١ ـ الحسن هو ابن موسى الأشيب أبو علي البغدادي قاضي الموصل وغيرها، وهو ثقة من الطبقة التاسعة مات سنة تسع أو عشر ومائتين، أخرج له الجماعة[(١)].

٢ ـ ويعقوب هو ابن عبد الله بن سعد الأشعري أبو الحسن القمي، هو صدوق يهم، من الطبقة الثامنة، مات سنة أربع وسبعين ومائة[(٢)].

٣ ـ وجعفر هو ابن أبي المغيرة الخزاعي القمي وهو صدوق يهم، من الطبقة الخامسة[(٣)].

٤ ـ وسعيد بن جبير ثقة ثبت تقدمت ترجمته[(٤)].

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[(٥)] لكن فيه يعقوب القمي وجعفر بن أبي المغيرة قد اتهما بالوهم، ولكن لم يظهر منهما وهم في هذه الرواية فيكون إسنادها حسناً.

وقد ذكر الحافظ الهيثمي هذا الحديث من رواية الإمام أحمد ووثق رجاله[(٦)] وهذا محمول على أنه لم يقع في هذه الرواية شي من الوهم، وبناء على حكمه على رجال الإسناد يكون الإسناد صحيحاً، وقد

---

(١) التقريب ١٧١/١ رقم ٣٢٣، الكاشف ٢٢٧/١رقم ١٠٧٦

(٢) التقريب ٣٧٦/٢ رقم ٣٨٢، الكاشف ٢٩٢/٣ رقم ٦٥٠٢.

(٣) التقريب ١٣٣/١ رقم ١٠٢، الخلاصة/٦٤

(٤) انظر الحديث رقم (١١).

(٥) تهذيب التهذيب ١٠٨/١ رقم ١٦٥ ٣٢٣/٢ رقم ٥٦٠، ٣٩٠/١١ رقم ٧٥٢

(٦) مجمع الزوائد ٣١٩/٦

صححه الحافظ ابن حجر[1] ولعل تصحيحه لاعتضاده بالحديثين الاتيين فيكون صحيحاً لغيره.

(٢٤) ٢ ـ قال الإمام أبو داود السجتستاني: حدثنا عبد العزيز بن يحيى أبو الأصبغ حدثني محمد ـ يعني ابن سلمة ـ عن محمد بن إسحاق عن أبان ابن صالح عن مجاهد عن ابن عباس قال: إن ابن عمر ـ والله يغفر له ـ وهم إنما كان هذا الحي من الأنصار ـ وهم أهل وثن ـ مع هذا الحي من اليهود ـ وهم أهل كتاب ـ وكانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، وكان من أمر أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف وذلك أستر ما تكون المرأة فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحاً منكراً ويتلذذون منهم مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع فيها ذلك فأنكرت عليه وقالت إنما كنا نؤتي على حرف فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني حتى شرى أمرهما. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم** ﴾ أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد[2].

بيان الإسناد :ـ

١ ـ عبد العزيز بن يحيى بن يوسف البكائى، أبو الاصبغ الحراني، صدوق ربما وهم، من الطبقة العاشرة مات سنة خمس

---

(١) فتح الباري ١٩١/٨

(٢) سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب في جامع النكاح، حديث رقم ٢١٦٤.

وثلاثين ومائتين، ووثقه الإمام الذهبي[1].

٢ ـ محمد بن سلمة بن عبد الله الباهلي بالولاء الحراني، ثقة من الطبقة الحادية عشرة، مات سنة إحدى وتسعين ومائتين على الصحيح[2].

٣ ـ ومحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي ولاء المدني، نزيل العراق صاحب السيرة، إمام في المغازي، وهو صدوق يدلس، من صغار الطبقة الخامسة مات سنة خمسين ومائة ويقال بعدها، اخرج له الإمام البخارى تعليقاً ومسلم والأربعة[3].

٤ ـ أبان بن صالح بن عمير بن عبيد القرشي ولاء، وثقة الأئمة، ووهم ابن حزم فجهله وابن عبد البر فضعفه، من الخامسة، مات سنة بضع عشرة ومائة وهو ابن خمس وخمسين، أخرج له الإمام البخارى تعليقاً والأربعة[4].

٥ ـ ومجاهد هو ابن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي بالولاء، وهو ثقة إمام في التفسير والعلم، من الطبقة الثالثة مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة على اختلاف بين العلماء في ذلك وله ثلاث وثمانون سنة، وقد أخرج له الجماعة[5].

---

(١) التقريب ١/٥١٣ رقم ١٢٥٩، الكاشف ٢/٢٠٣ رقم ٣٤٥١

(٢) التقريب ٢/١٦٦ رقم ٢٦٥ . الخلاصة/٣٣٨

(٣) التقريب ٢/١٤٤ رقم ٤٠، الكاشف ٣/١٩ رقم ٤٧٨٥

(٤) التقريب ١/٣٠ رقم ١٥٩، الخلاصة/١٥، وقد ذكر الحافظ ابن حجر كلام ابن حزم وابن عبد البر فيه في التهذيب ١/٩٤

(٥) التقريب ٢/٣٢٩ رقم ٩٢٢، تذكرة الحفاظ ١/٩٢ رقم ٨٣

وهـذا اسناد متصـل قد سمـع رواته يعضهم من بعض[1]. لكن فيه محمد بن إسحاق وهو متهم بالتدليس ولم يصرح هنا بالسماع.

وأخرجه أبو عبدالله الحاكم بهذا الإسناد وذكر مثله وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الإمام الذهبي[2].

ولكن أخرجه الحـاكم من طريق آخـر عن محمد بن إسحـاق وقد صرح فيه بسماعه من أبان بن صالح وذكـر نحو حـديث أبي داود، وقد سكت عنه الحاكم وحكم عليه الذهبي بأنه على شرط مسلم[3].

وأخرجه البيهقي عن شيخه الحاكم بهذا الإسناد وذكر مثله[4].

وبناء على هـذا يكون إسنـاد هذا الحـديث حسناً لأن فيـه راويين صدوقين ولكن أخرجه الإمام البخاري مختصراً من حديث جـابر رضي الله عنه[5] كما يشهد له الحديث الآتي فيتقوى بذلك حديث ابن عباس ويصبح إسناده صحيحاً لغيره. ولذلك صححـه الحاكم والذهبي.

(٢٥) ٣ ـ قـال الإمام أحمـد: حدثنـا يحيى بن غيلان حـدثنـا رشـدين حدثنا حسن بن ثوبان عن عـامر بن يحيى المعـافري حـدثني حنش عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآيـة ﴿ **نساؤكم حـرث لكم** ﴾ في أناس من الأنصـار أتوا النبي صـلى الله عليـه وسلم فسـألـوه، فقـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: ائتها على كل حال إذا كان في الفرج[6].

---

(١) تهذيب التهذيب ١/٢٤ رقم ١٦٨، ٦/٣٦٢ رقم ٦٩٠

(٢) المستدرك، كتاب النكاح، ٢/١٩٥

(٣) المستدرك، كتاب التفسير، ٢/٢٧٩

(٤) سنن البيهقي، كتاب النكاح، باب إتيان النساء من أدبارهن ٧/١٩٥

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة باب رقم ٣٩ حديث رقم ٤٥٢٨

(٦) مسند أحمد ١/٢٦٨

بيان الإسناد:

١ - يحيى بن غيلان بن عبدالله بن أسماء الخزاعي ثم الأسلمي أبو الفضل البغدادي، ثقة، من الطبقة العاشرة مات سنة عشرين ومائتين على الصحيح(١).

٢ - ورشدين هو ابن سعد بن مفلح المهري أبو الحجاج المصري وهو ضعيف، لغفلته وتخليطه، من الطبقة السابعة، مات سنة ثمان وثمانين ومائة وله ثمان وسبعون سنة(٢).

٣ - والحسن بن ثوبان بن عامر الهوزني، صدوق فاضل، من الطبقة السادسة، مات سنة خمس وأربعين ومائة(٣).

٤ - عامر بن يحيى المعافرى بن خنيس، ثقة، من الطبقة السادسة مات سنة عشرين ومائة، أخرج له مسلم والترمذي وابن ماجه(٤).

٥ - وحنش هو أبو رشدين حنش بن عبدالله ويقال ابن علي بن عمرو السبائي نزيل إفريقية، وهو ثقة من الطبقة الثالثة، مات سنة مائة، أخرج له مسلم والأربعة(٥).

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض(٦).

---

(١) التقريب ٢/٣٥٥ رقم ١٤٦، الكاشف ٣/٢٦٥ رقم ٦٢٣٢.

(٢) التقريب ١/٢٥١ رقم ٩٢، المغني في الضعفاء ١/٢٣٢ رقم ٢١٢٣، التهذيب ٣/٢٧٧.

(٣) التقريب ١/١١٤ رقم ٢٥٤، الكاشف ١/٢١٨ رقم ١٠٢٢

(٤) التقريب ١/٢٩٠ رقم ٧٠، الخلاصة/ ١٨٥

(٥) التقريب ١/٢٠٥ رقم ٦٣٠، الكشف ١/٢٦٠ رقم ١٢٨٢

(٦) تهذيب التهذيب ٣/٥٧ رقم ١٠٢، ١١/٢٦٣ رقم ٥٢٨، ٥/٨٤ رقم ١٣٦ تهذيب الكمال (ترجمة الحسن بن ثوبان).

لكن فيه رشدين بن سعد وهو ضعيف إلا أنه يتقوى بالحديث السابق فيكون حسناً لغيره.

بيان المعنى:

قوله في الحديث الأول «حولت رحلى البارحة» الرحل هو الكور الذي يركب عليه فوق الإبل ويطلق على المنزل والمأوى وقد كنى به هنا عن زوجته، والمقصود من تحويل رحله أنه قد أتى امرأته في قبلها من جهة ظيرها[1].

وقوله «واتق الدبر والحيضة» يعنى اجتنب إتيان المرأة في دبرها أو في قبلها ما دامت حائضاً.

وقوله في الحديث الثاني «ان ابن عمر - والله يغفر له - وهم - جاء في سنن أبي داود أن ابن عمر - والله يغفر له - أوهم» وقال الخطابي: هكذا وقع في الرواية والصواب «وهم» بغير ألف، يقال وهم الرجل إذا غلط في الشيء ووهم - مفتوحة الهاء إذا ذهب وهمه إلى الشيء وأوهم - بالألف إذا أسقط من قراءته شيئاً، ويشبه أن يكون قد بلغ ابن عباس عن ابن عمر في تأويل الآية شيء خلاف ما كان يذهب إليه ابن عباس[2].

أقول: وقد جاءت كلمة «وهم» على الصواب في رواية الحاكم. وقد يفهم من نسبة الوهم في هذا الحديث إلى ابن عمر من ابن عباس أنه يقصد ما اشتهر عن ابن عمر من أنه يفسر قوله تعالى ﴿ أني شئتم ﴾ بإتيان النساء في ادبارهن[3].

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٢/٢٠٩.

(٢) سنن أبي داود بشرحه معالم السنن ٢/٦١٩

(٣) انظر تفسير الطبري ٢/٣٦٤ والدر المنثور ١/٢٦٥

ولكن الوهم في ذلك ليس من ابن عمر ولكن ممن رووا عن نافع عنه ومما يدل على ذلك ما أخرجه الإمام النسائي من طريق كعب بن علقمة عن أبي النضر أنه أخبره أنه قال لناقع مولى ابن عمر: انه قد أكثر عليك القول: إنك تقول عن ابن عمر انه أفتى أن تؤتى النساء في أدبارهن، قال: كذبوا علي، ولكن سأحدثك كيف كان الأمر، ان ابن عمر عرض المصحف يوماً وأنا عنده حتى بلغ ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم اني شئتم** ﴾ فقال: يا نافع هل تعلم من أمر هذه الآية؟ قلت: لا، قال: إنا كنا معشر قريش نُجَبِّى النساء، فلما دخلنا المدينة ونكحنا نساء الأنصار أردنا منهن مثل ما كنا نريد فآذاهن فكرهن ذلك وأعظمنه، وكانت نساء الأنصار قد أخذن بحال اليهود، انما يؤتين على جنوبهن فأنزل الله ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم** ﴾.

ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره وقال: وهذا إسناد صحيح[(١)].

ولم أجده في سنن النسائي فلعله في كتاب آخر من كتب الإمام النسائي.

وقوله «نجبّى النساء» من التجبية وهي انكباب الإنسان على وجهه باركاً على ركبتيه كهيئة السجود[(٢)].

ومما يدل على أن ابن عمر رضي الله عنهما يرى تحريم إتيان النساء في أدبارهن ما أخرجه الإمام الدارمي قال: أخبرنا عبدالله بن صالح حدثني الليث حدثني الحارث بن يعقوب عن سعيد بن يسار أبي الحباب قال: قلت لابن عمر: ما تقول في الجواري حين يحمض لهن؟

---

(١) تفسير ابن كثير ١ / ٢٧١

(٢) انظر جامع الأصول لابن الاثير ٢ / ٤٠ ولسان العرب (مادة جبى).

قال؛ وما التحميض؟ قال: فذكـرت الدبـر، فقال: هـل يفعل ذلـك أحد من المسلمين؟![1]

وإسناده صحيح لغيره[2].

والتحميض مأخوذ من الحمض وهو النبات الحامض الذي تـرعاه الإبل وذلك أنها إذا مَلَّت الخلّة، وهو النبات الحلو تحولت إلى الحمض ترعاه، فسمى إتيان الرجل المرأة في غير مأتـاها تحميضـاً لأن فيه تحـولاً من الخير إلى الشر[3].

وقوله في حديث ابن عباس الثاني «وكان من أمر أهل الكتـاب أن لا يـأتوا النسـاء إلا عـلى حـرف «يعني عـلى جنب، وحـرف كـل شيء جانبه[4].

---

(١) سنن الدارمى، كتاب الطهارة، باب من أتى امرأة من دبرها (١/ ٢٦٠)

(٢) بيان هذا الإسناد:

١ - عبدالله بن صالح الجهني، صدوق كثير الغلط، وقد تقدمت ترجمته في ص ٣

٢ - الليث هو أبو الحارث الإمام الليث بن سعد الفهمي وهو ثقة ثبت فقيه مشهور، من الطبقة السابعة (التقريب ٢/ ١٣٨ رقم ٨).

٣ - الحـارث بن يعقوب هـو الأنصاري بـالولاء المصري، وهـو ثقة عـابد، من الـطبقة الخامسة (التقريب ١/ ١٤٥ رقم ٧٨).

٤ - سعيـد بن يسار أبـو الحباب، ثقـة متقن من الطبقـة الثالثـة (التقريب ١/ ٣٠٩ رقم ٢٨٧)

وقد سمع هؤلاء الرجال بعضهم من بعض (انظر تهذيب التهـذيب ٥/ ٢٥٦ رقم ٤٤٨، ٨/ ٤٥٩ رقم ٨٣٢، ٢/ ١٦٤ رقم ٢٨٨، ٤/ ١٠٢ رقم ١٧٢) فرجاله ثقات كما تبين في تراجمهم ما عدا عبدالله بن صالح فهو صدوق كثير العلط ولكن لم يظهر منه غلط في هـذا الحديث لأن حديث الإمام النسائي السابق يشهدله، وباعتضاده بحديث النسائي يصبح إسناده صحيحاً لغيره.

(٣) اللسان، والنهاية في غريب الحديث مادة (حمض).

(٤) جامع الأصول لابن الاثير ٢/ ٤٣ معالم السنن للخطابي ٢/ ٦١٩

وقوله «يشرحون» قال الهروي : يقال شرح فلان جاريته إذا وطئها من قفاها، وأصل الشرح البسط ومنه انشراح الصدر بالأمر وهو انفتاحه وانبساطه[1].

وقوله «شرى أمرهما» أي ارتفع وعظم وتفاقم وأصله من شرى البرق إذا لج في اللمعان، واستشرى الرجل إذا ألح في الأمر[2].

---

(١)، (٢) جامع الأصول لابن الاثير ٢/ ٤٣ معالم السنن للخطابي ٢/ ٦١٩

١٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم . الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فان خفتم أن ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون . فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ﴾(البقرة/٢٢٨ ـ ٢٣٠) .

* * *

(٢٦) ١ ـ قال الإمام النسائي : أخبرنا زكريا بن يحيى قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال أنبأنا علي بن الحسين بن واقد قال حدثني أبي قال أنبأنا يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾(البقرة/١٠٦) وقال

﴿ **وإذا بدلنا آية مكان آيـة والله أعلم بما ينـزل** ﴾(الآية ـ النحـل/ ١٠١) وقال ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾(الرعد/ ٣٩) فأول مـا نسخ من القـرآن القبلة، وقال : ﴿ **والمـطلقات يـتربصن بأنفسهن ثـلاثـة قـروء ولا يحـل لهن أن يكتمن مـاخلق الله في أرحـامهن** ﴾ إلى قوله﴿ **إن أرادوا إصلاحاً** ﴾(البقـرة/٢٢٨) وذلك بـأن الرجـل كان إذا طلق امـرأته فهـو أحق برجعتهـا وإن طلقها ثـلاثاً فنسـخ ذلـك وقـال ﴿ **الـطلاق مـرتـان فـإمسـاك بمعـروف أو تسريـح بإحسان** ﴾(البقرة/ ٢٢٩)[1].

وأخـرجه الإمـام النسائي أيضـاً بهذا الإسنـاد وذكر مثله إلى قـوله تعالى ﴿ **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء** ﴾ ثم ذكر قولـه تعالى ﴿ **والـلائي يئسن من المحيض من نسـائكم إن ارتبتم فعـدتهن ثـلاثـة أشهر** ﴾(الطلاق/ ٤) ثم قال فنسخ من ذلك، قال تعالى ﴿ **ياأيهـا الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسـوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها** ﴾(الأحزاب/ ٤٩)[2].

بيان الإسناد :ـ

١ ـ زكـريـا بن يحيى هـو أبـو عبـد الـرحمن زكـريـا بن يحيى بن إياس بن مسلمة السجزى نزيل دمشق، يعرف بخياط السنة[3]، وهو ثقة حافظ، من الطبقة الثانية عشرة، مات سنة تسـع وثمانـين ومائتـين وله أربع وتسعون[4].

(١) سنن النسـائي ٦/ ١٨٧، ٢١٢ كتاب الـطلاق، باب مـا استثنى من عدة الـطلاق وباب نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث.

(٢) سنن النسائى ٦/ ١٨٧، كتاب الطلاق باب ما استثنى من عدة المطلقات.

(٣) لقب بذلك لأنه كان يخيط أكفان أهل السنة (التهذيب ٣/ ٣٣٤).

(٤) التقريب ١/ ٢٦٢ رقم ٥٨، تذكرة الحفاظ ١/ ٦٥٠ رقم ٦٧٣.

٢ ـ وإسحاق بن إبراهيم هو الإمام أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، ابن راهوية المروزي، وهو ثقة حافظ مجتهد، قرين الإمام أحمد بن حنبل، ذكر أبو داود أنه تغير قبل موته بيسير، مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وله اثنتان وسبعون سنة، أخرج له الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي[١].

٣ ـ وعلي بن الحسين بن واقد المروزي تقدمت ترجمته وتبين لنا أنه صدوق يهم[٢].

٤ ـ وأبوه الحسين بن واقد تقدمت ترجمته وتبين لنا أنه ثقة له أوهام[٢].

٥ ـ ويزيد النحوي ثقة عابد، تقدمت ترجمته[٢].

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[٣] غير أنه فيه علي بن الحسين بن واقد المروزي وأباه وهما متهمان بالوهم، ولكن لم يظهر في هذه الرواية شيء من الوهم فيكون الإسناد على هذا حسناً.

وأخرج الإمام أبو داود السجستاني والبيهقي آخر الرواية الأولى من طريق على بن الحسين بن واقد المروزي[٤].

---

(١) التقريب ١/٥٤/ رقم ٣٧٤ والحنظلي نسبة إلى حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وراهويه ليس اسما لأبيه وإنما لقب به لما ولد في طريق مكة قالوا له: راهويه يعني أنه ولد في الطريق وكان أبوه يكره هذا اللقب ـ تهذيب التهذيب ١/٢١٦. وانظر في ترجمته (تذكرة الحفاظ ١/٤٣٣ رقم ٤٤٠).

(٢) انظر هؤلاء الثلاثة في الحديث رقم (١٣).

(٣) تهذيب التهذيب ٣/٣٣٤ رقم ٦٢٢، ٧/٣٠٨ رقم ٥٢٢، ١/٢١٦ رقم ٤٠٨، ٧/٣٠٨ رقم ٥٢٢، ٢/٣٦٥ رقم ٢٥٧، ٧/٢٦٣، رقم ٤٧٥.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب رقم ١٠ حديث رقم ٢١٩٥
سنن البيهقي ٧/٣٣٧ كتاب الخلع والطلاق باب من جعل الثلاث واحدة.

ولم أجد لهذا الحديث طريقاً آخر غير هذا الطريق.

(٢٧) ٢ ـ أخرج الإمام عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن طاوس أنه قال لولا أنه علم لا يحل لي كتمانه ـ يعني الفداء ـ ما حدثته أحداً قال: كان ابن عباس لا يرى الفداء طلاقاً حتى يطلق ثم يقول: ألا ترى أنه ذكر الطلاق من قبله ثم ذكر الفداء فلم يجعله طلاقاً ثم قال في الثانية ﴿ **فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره** ﴾ ولم يجعل الفداء بينهما طلاقاً[1].

باب الإسناد :ـ

معمر هو ابن راشد الأزدي وهو ثقة ثبت تقدمت ترجمته[2] وأيوب هو ابن أبي تميمة كيسان السختياني أبو بكر البصري وهو ثقة ثبت حجة، من كبار الفقهاء العباد، من الطبقة الخامسة، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة، وله خمس وستون سنة أخرج له الجماعة[3].

وطاوس بن كيسان اليماني ثقة فقيه تقدمت ترجمته[4]

وبهذا يتبين لنا أن رجال هذا الإسناد ثقات أئمة وقد سمع بعضهم من بعض[5] فالإسناد على هذا صحيح.

(٢٨) ٣ ـ أخرج الإمام عبد الرزاق عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس قال: سأل إبراهيم بن سعد ابن عباس عن رجل طلق امرأته طلقتين ثم اختلعت منه أينكحها؟ قال: نعم ذكر الله الطلاق

---

(١) مصنف عبد الرزاق، كتاب الطلاق، باب الفداء (٦/٤٨٦ رقم ١١٧٦٧).
(٢) انظر الحديث رقم (٨).
(٣) التقريب ١/٨٩ رقم ٦٨٨، تذكرة الحفاظ ١/١٣٠.
(٤) انظر الحديث رقم (١٧).
(٥) تهذيب التهذيب ١٠/٢٤٣ رقم ٤٣٩.

في أول الآية وآخرها والخلع بين ذلك فلا بأس به[1].

بيان الإسناد :ـ

سفيان بن عيينة ثقة تقدمت ترجمته[2].

وعمرو بن دينار ثقة ثبت تقدمت ترجمته[3].

وطاوس بن كيسان ثقة فقيه تقدمت ترجمته[4].

وبهذا تبين لنا أن رجال هـذا الإسناد ثقـات. وقد سمـع بعضهم من بعض[5] فعلى هذا يكون الإسناد صحيحاً.

(٢٩) ٤ ـ أخرج الإمام عبد الرزاق عن ابن جريج عن حسن بن مسلم عن طاوس قال : كنت عنـد ابن عباس إذ سـأله إبـراهيم بن سعد بن أبي وقاص فقال : إني أستعمـل ههنا ـ وكـان ابن الزبـير يستعمله على اليمن عـلى السعايـات ـ فعلمني الطلاق فـإن عامـة تطليقهم الفـداء، فقال ابن عباس : ليست بواحدة ـ وكان يجيزه يُفَرَّق به ـ قـال : وكان يقول : إنما هو الفداء ولكن النـاس أخطئـوا اسمه فقـال لي حسن بن مسلم قال طاوس : فرادت ابن عباس بعد ذلك فقـال : ليس الفداء بتـطليق قـال وكنت أسمـع ابن عبـاس يتلو ﴿ **والمـطلقـات يــتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء** ﴾ ثم يقول ﴿ **فلا جناح عليهما فيـما افتدت بـه** ﴾ ثـم ذكر الطلاق بعد الفداء، قال : وكان يقول : ذكر الله الـطلاق قبل

---

(١) مصنف عبد الرزاق، كتاب الطلاق باب الفداء (٦/٤٨٧ رقم ١١٧٧١).

(٢) انظر الحديث رقم (١٧).

(٣) انظر الحديث رقم (١٠).

(٤) انظر الحديث رقم (١٧).

(٥) تهذيب التهذيب ٤/٢١٧، ٨/٢٨.

الفداء وبعده، وذكر الله الفداء بين ذلك فلا أسمعه ذكر في الفداء، قال : وكان لا يراه تطليقة[1].

بيان الإسناد :-

١ - ابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي ولاء المكي، وهو ثقة فقيه فاضل وكان يدلس ويرسل، من الطبقة السادسة، مات سنة خمسين ومائة أو بعدها وقد جاوز السبعين، أخرج له الجماعة[2].

٢ - حسن بن مسلم بن يناق - بفتح الباء وتشديد النون - المكي، ثقة من الطبقة الخامسة، مات قديماً بعد المائة بقليل[3].

٣ - وطاوس اليماني ثقة فقيه فاضل تقدمت ترجمته[4].

وبهذا تبين لنا أن رجال هذا الإسناد ثقات قد سمع بعضهم من بعض[5] إلا أن ابن جريج لم يصرح بالسماع من حسن بن مسلم وابن جريج يدلس وهو من الطبقة الثالثة من المدلسين وهم الذين أكثروا من التدليس فلا يحتج من حديثهم إلا بما صرحوا بسماعه من شيوخهم ذكره الحافظ ابن حجر ونقل عن الدارقطني أنه قال فيه : شر التدليس تدليس ابن جريج فإنه قبيح التدليس لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح[6].

---

(١) مصنف عبد الرزاق، كتاب الطلاق، باب الفداء (٦/ ٤٨٥ رقم ١١٧٦٥).
(٢) التقريب ١/ ٥٢٠ رقم ١٣٢٤، تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٩ رقم ١٦٤.
(٣) التقريب ١/ ١٧١ رقم ٣٢١، الكاشف ١/ ٢٢٧ رقم ١٠٧٤.
(٤) انظر الحديث رقم (١٧).
(٥) تهذيب التهذيب ٦/ ٤٠٢ رقم ٨٥٥، ٢/ ٣٢٢ رقم ٥٥٨
(٦) طبقات المدلسين ص ١٣ مخطوط.

وعلى هذا يكون هذا الحديث محتملاً للضعف، ولكنه يتقوى بالحديثين السابقين وهما صحيحان فيرتفع عنه احتمال التدليس من ابن جريج ويكون إسناده صحيحاً.

بيان المعنى:

قوله ﴿ **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء** ﴾ يعني والمطلقات ينتظرن بأنفسهن بعد الطلاق ثلاثة قروء، ثم يجوز لهن بعد ذلك أن يتزوجن، والقروء جمع قرء، وهو من الأسماء المشتركة حيث يطلق على الطهر والحيض، وأصله من دنو وقت الشيء، ولما كان الحيض يجيء لوقت والطهر يجيء لوقت جاز أن يكون الأقراء حيضاً وأطهاراً(١).

وقد اختلف العلماء بناء على هذا في تعيين المراد من القروء في الآية فذهب جمهور الصحابة ومنهم الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب رضي الله عنهم إلى أن المراد بالقروء الحيض وبهذا أخذ الإمام أبو حنيفة وأحمد في الصحيح عنه، ومما استدل به لهذا القول قوله تعالى ﴿ **واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن** ﴾ فنقلهن عند عدم الحيض إلى الاعتداد بالأشهر دليل على أن الأصل هو الحيض.

ومن ذلك أن المعهود في اللسان الشرعي استعمال القرء بمعنى الحيض وذلك كقوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت أبي حبيش «إنما ذلك عرق فانظري إذا أتى قرؤك فلا تصلي فإذا مر قرؤك فتطهري ثم

---

(١) انظر لسان العرب والنهاية في غريب الحديث (مادة قرأ) وانظر معاني القرآن للزجاج ٢٩٦/١

صلي ما بين القرء إلى القـرء» أخرجـه الإمام أحمـد وأبو داود والنسـائي وابن ماجه[١].

وذهب بعض الصحـابة ومنهم زيـد بن ثابت وعـائشة وابن عمـر رضي الله عنهم إلى أن المراد بالقروء الأطهار، وبهذا أخذ الإمام مالـك والشافعي واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ﴿ **فطلقوهن لعدتهن** ﴾ يعني في عدتهن كقوله تعالى ﴿ **ونضع الموازين القسط ليـوم القيامـة** ﴾ يعني في يوم القيامة، وإنما أمر بالطلاق في الطهر لا في الحيض بدليل حديث ابن عمـر لما طلق امـرأته وهي حـائض فقـال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم لعمـر: «مره فليراجعهـا ثم ليمسكها حتى تـطهـر ثم تحيض ثم تـطهر ثم إن شـاء أمسـك بعـد، وإن شـاء طلق قبـل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء » أخرجه الشيخان[٢].

وأدلة القول الأول أكـثر، وبه قـال كبار الصحـابة رضي الله عنهم ولذلك رجع إليه الإمـام أحمد كـما جاء في روايـة الاثرم عنـه أنه قـال: كنت أقول: الأطهار ثم وقفت لقول الأكابر[٣].

والفـرق بين هـذين القولـين من حيث الزمن أن العـدة بـالنسبـة للقـول الأول تنتهي بالغسـل من الحيضة الثـالثة، أمـا بالنسبـة للقول الثاني فتنتهي بابتداء الحيضة الثالثة لأن الـطهر الـذي وقع الـطلاق فيه

---

(١) مسند أحمد ٦/٤٢٠.
سنن أبي داود، كتاب الطهارة باب رقم ١٠٨ حديث رقم ٢٨٠.
سنن النسائي، كتاب الطهارة باب ذكر الاقراء.
سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة باب رقم ١١٥ حديث رقم ٦٢٠.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، الحديث الأول رقم ٥٢٥١
صحيح مسلم، كتاب الطلاق، الحديث الأول رقم ١٤٧١.
(٣) المغني لابن قدامة ٧/٤٥٣ أول كتاب العدد.

يحتسب من العدة على قول القائلين بأن العدة هي الأطهار، فالعدة على القول الأول تكون أطول، فالأخذ به يكون أحوط للمرأة فيما إذا أرادت أن تتزوج بزوج آخر، كما أنه يعطي الزوج المطلق وقتاً أطول للمراجعة[1].

وقوله تعالى ﴿ **ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمنَّ بالله واليوم الآخر** ﴾ روى عن ابن عباس أن المراد ماخلق الله في أرحامهن من الحمل، وذلك فيما أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: إذا طلق الرجل امرأته تطليقة أو تطليقتين وهي حامل فهو أحق برجعتها مالم تضع حملها، وهو قوله ﴿ **ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر** ﴾[2].

وإسناده حسن كما تقدم[3]، والمقصود من الآية على هذا نهي النساء المطلقات من كتمان ما خلق الله في أرحامهن من الحمل من أجل إسقاط حق أزواجهن في مراجعتهن في مدة الحمل حتى يضعن.

وقد رُوي عن مجاهد أن المراد بالذي نهي الله سبحانه عن كتمانه هو الحمل والحيض، وذلك فيما أخرجه ابن جرير من عدة طرق عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: الحيض والحبَل، قال: تفسيره أن

---

(١) يراجع في هذا الموضوع كتاب المغني لابن قدامة، أول كتاب العدد ٧/٤٥١ والمجموع شرح المهذب، كتاب العدد (١٦/٤٢٠)، وتفسير الطبري (٢/٤٣٨) وتفسير القرطبي ٣/١١٢، وتفسير الشنقيطي (أضواء البيان ١/١٢٩)، وأحكام القرآن للجصاص ١/٣٦٤.

(٢) تفسير الطبري ٢/٤٤٨.

(٣) انظر الحديث رقم (٢).

لا تقـول: إني حـائض وليست بحـائض، ولا لست بحـائض وهي حـائض، ولا إني حبلى وليست بحبلى، ولست بحبلى وهي حبلى، وذلك كله في بغض المرأة زوجها وحبه[1].

وقد اختار ابن جرير هذا القول لشموله لكل ما خلق الله في أرحام النساء[2].

قوله ﴿ وبعولتهن احق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً ﴾ البعولة جمع بعل مثل ذكر وذكورة وعم وعمومة فهذه الهاء زائدة، لتأكيد معنى تأنيث الجماعة وهي سماعية لا قياسية، قاله الزجاج[3].

وقوله ﴿ في ذلك ﴾ يعني في زمن العدة التي ذكرها الله سبحانه في هذه الآية.

المعنى: وأزواج النساء المطلقات أحق بردهن إلى عصمتهم ما لم تنقض عدتهن فإذا انقضت عدتهن فهم كغيرهم لا يرجعون إليهن إلا بنكاح جديد، وإذا كن بائنات فلاحق لهم في نكاحهن إلا بعد أن يتزوجن من غيرهم كما سيأتي في الآية التالية.

وهذه الآية لم تفرق بين المطلقة البائن والرجعية وذلك كان في أول الإسلام حيث كان الزوج له أن يطلق ثم يراجع كيف شاء من غير تقييد بعدد، ثم نزلت الآية التي بعدها فنسختها كما قال ابن عباس في الحديث الأول من أحاديث هذا الباب بعدما تلا هذه الآية: «وذلك بأن الرجل كان إذا طلق امرأته فهو أحق برجعتها وإن طلقها ثلاثاً

---

(١) تفسير الطبري ٢/٤٤٧ ـ ٤٤٨.
(٢) تفسير الطبري ٢/٤٥٠.
(٣) معاني القرآن للزجاج ١/٣٠٠ وانظر تفسير الطبري ٢/٤٥١، والقرطبي ٣/١١٩.

فنسخ ذلك» وقال: ﴿ **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾.

وبهذا تبين لنا أن حكم الآية ينطبق على المطلقة الرجعية، أما البائن فلا حق لمطلقها في مراجعتها.

وقوله تعالى ﴿ **ان ارادوا اصلاحا** ﴾ يعني انما يحق للأزواج مراجعة مطلقاتهم في عدتهن إذا كانوا يريدون الاصطلاح معهن وعشرتهن بالمعروف، أما إذا كانوا يريدون الإضرار بهن فلا يجوز لهم ذلك وإن كانت تعتبر رجعتهم صحيحة من حيث بقاء العصمة الزوجية، لكنهم يأثمون بذلك كما في قوله تعالى بعد هذه الآيات ﴿ **ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزواً** ﴾ (البقرة/ ٢٣١).

وقوله تعالى ﴿ **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف** ﴾ يعني ولهن من الحقوق على أزواجهن مثل ما لأزواجهن عليهن من الواجبات، وقوله ﴿ **بالمعروف** ﴾ يعني أن هذه الحقوق تؤدى بالإحسان والتواضع والإيثار لا بالتعالي والكبرياء.

وهذه الحقوق جاءت مجملة في هذه الآية ومنها ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في حجة الوداع «ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف» أخرجه الإمام مسلم من حديث جابر رضي الله عنه»[1].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج باب رقم (١٩) حديث رقم ١٢١٨.

ومما يدخل في معنى الآية التجمل للمرأة كما تتجمل هي للرجل وقد أخرج ابن جرير في هذا المعنى من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه قال: إنى أحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي، لأن الله تعالى ذكره يقول ﴿ **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف** ﴾[١].

وقوله ﴿ **وللرجال عليهن درجة** ﴾ أخرج ابن جرير عن زيد بن أسلم وابنه عبدالرحمن بن زيد أن المراد بالدرجة الإمارة والطاعة[٢].

فالمعنى : وللرجال على نسائهم زيادة في الفضل ومزية يختص بها الرجال، وهي إمارة الرجل على المرأة ولزوم طاعته كما في قوله تعالى ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾(النساء/ ٣٤).

قوله تعالى ﴿ **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾ تقدم في حديث ابن عباس أن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى في الآية السابقة ﴿ **وبعولتهن أحق بردهن في ذلك** ﴾ وذلك أن الأزواج كانوا يطلقون ويراجعون كيفما شاءوا من غير أن يتقيدوا بعدد معين فنسخ الله سبحانه ذلك وجعل للزوج أن يراجع زوجته مرتين فقط.

وأخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : إذا طلق الرجل امرأته تطليقتين فليتق الله في التطليقة الثالثة، فإما أن يمسكها بمعروف أو يسرحها بإحسان فلا يظلمها من حقها شيئاً[٣].

---

(١) تفسير الطبري ٢/ ٤٥٣.
(٢) تفسير الطبري ٢/ ٤٥٤.
(٣) تفسير الطبرى ٢/ ٤٥٧.

وإسناد هذا الأثر حسن كما تقدم[1].

وقوله تعالى ﴿ **ولا يحل لكم أن تأخذوا مما اتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به** ﴾ يعني لا يحل للأزواج المطلقين أن يأخذوا من مهور نسائهم اللاتي طلقوهن شيئاً إلا إذا بلغ الشقاق بين الزوجين حداً يخشيان معه أن يقعا في معصية الله وذلك بأن لا يقيما حدوده التي فرضها بينهما، فعند ذلك يجوز للزوج أن يأخذ من زوجته ما أعطاها من المهر أو بعضه ليفارقها.

وقد رُوي عن ابن عباس ما يدل على أن أخذ العوض جائز فيما إذا كان النشوز والعصيان من قبل الزوجة، وذلك فيما أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: هو تركها إقامة حدود الله واستخفافها بحق زوجها وسوء خلقها، فتقول له: والله لا أبر لك قسماً، ولا أطأ لك مضجعاً ولا أطيع لك أمراً، فإن فعلت ذلك فقد حل له منها الفدية[2].

قوله ﴿ **فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره** ﴾ يعني فإن طلقها طلقة ثالثة بعد الطلقتين السابقتين فقد حرمت عليه ولا يحل له أن يتزوجها حتى يتزوجها رجل غيره بنكاح صحيح، فإن تزوجها هذا الرجل ليحللها لزوجها الأول فهو آثم، ولا تحل لزوجها الأول إذا طلقها هذا المحلل.

وقد ورد في وعيد المحلل والمحلل له أحاديث منها ما أخرجه

---

(١) انظر الحديث رقم (٢).

(٢) تفسير الطبري ٢/٤٦٦.

الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله المحلل والمحلل له » .

وأخرجه الإمام أبو داود والترمذي وابن ماجه[1].

وقوله تعالى ﴿ **فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله** ﴾ معناه : فإن طلقها الزوج الثاني فلا جناح على الزوج الأول أن يرجع إلى زوجته بنكاح جديد، كما أخرج الإمام ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : « إذا تزوجت بعد الأول فدخل الآخر بها فلا حرج على الأول أن يتزوجها إذا طلق الآخر أو مات عنها فقد حلت له »[2].

وإسناده حسن كما تقدم[3].

وقوله ﴿ **إن ظنا أن يقيما حدود الله** ﴾ يعني إن كانا يرجوان ويغلب على ظنهما أن يقيما حدود الله التي فرضها بين الزوجين بأن يؤدي كل واحد منهما حقوق الآخر.

وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما في الأثر الأول أن الرجل كان في أول الإسلام إذا طلق امرأته فهو أحق بارتجاعها وإن طلقها ثلاثاً فنسخ الله سبحانه ذلك بقوله ﴿ **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾ فأصبح بعد نزول هذه الآية بإمكان الرجل أن

---

(١) مسند الإمام أحمد ١/٤٤٨، سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب التحليل حديث رقم ٢٠٧٦، سنن الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء في المحلل والمحلل له حديث رقم ١١٢٠، سنن ابن ماجه، كتاب النكاح باب المحلل والمحلل له، حديث رقم ١٩٣٤.

(٢) تفسير الطبري ٢/٤٧٨.

(٣) انظر الحديث رقم (٢).

يراجع زوجته بعد الطلقة الأولى والثانية وليس له حق في ارتجاعها بعد الثالثة.

وقد مهد ابن عباس لبيان هذا الحكم ببيان حكمة النسخ في القرآن وفائدته للعباد حيث ذكر قوله تعالى ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها** ﴾ ثم بين أن الاعتراض على وقوع النسخ في القرآن واستنكاره ليس مما يتصف به المؤمنون وإنما هو من أخلاق الكفار حيث ذكر قوله تعالى ﴿ **وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾، ثم بين أن قضية نسخ بعض الأحكام وإثبات بعضها ليس من شئون العباد وإنما هو مما يختص به الله عز وجل فهو أعلم بمصالح عباده حيث ذكر قوله تعالى ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾.

وقد ذكر ابن عباس أيضاً في هذا الأثر أن أول ما نسخ من القرآن القبلة، والمراد بالقبلة المنسوخة بيت المقدس وذلك بقوله تعالى ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** ﴾(الآيات ـ البقرة/١٤٤).

وبين ابن عباس في الرواية الثانية أن قوله تعالى ﴿ **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن** ﴾ مخصص بقوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها** ﴾.

فالمطلقة قبل الدخول بها لا عدة عليها.

وقد عبر ابن عباس عن التخصيص بالنسخ لأن النسخ يطلق على التخصيص في عرف المتقدمين كما تقدم.

وقوله في الحديث الثاني « سأل إبراهيم بن سعد ابن عباس » جاء في مصنف عبد الرزاق المطبوع، « سألت إبراهيم بن سعد بن عباس » وعليه يكون إبراهيم هو المسئول ويكون حفيد ابن عباس، وهو خطأ واضح، وقد أخرجه البيهقي من طريق ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس قال: « سأل إبراهيم بن سعد ابن عباس » وذكر مثله (١).

وإبراهيم المذكور هو ابن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كما جاء مصرحاً باسمه في الرواية السابقة.

وقوله في الحديث الثالث « فإن عامة تطليقهم الفداء » يعني أن تفتدي المرأة نفسها بشيء من المال تدفعه لزوجها ليطلقها.

قوله « فقال ابن عباس : ليست بواحدة » أي لا يعتبر الفداء طلقة واحدة وذلك لأن ابن عباس لا يرى الفداء طلاقاً حتى يطلق كما سيأتي.

قوله « وكان يجيزه يفرِّق به » هذا من كلام الراوي، والمعنى أن ابن عباس كان يجوز أن يكون الفداء وسيلة للتفريق بين الرجل وامرأته وإن كان لا يعتبره طلاقاً.

قوله « وكان يقول إنما هو الفداء ولكن الناس أخطئوا اسمه » يعنى حينما سموه طلاقاً.

---

(١) السنن الكبرى٣١٦/٧ كتاب الطلاق، باب الخلع هل هو فسخ أو طلاق.

ومن هذه الآثار تبين لنا أن ابن عباس لا يرى الفـداء طلاقـاً وإنما يراه فسخاً وقد استدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ **الطلاق مرتان فـإمساك بمعروف أو تسريح بـإحسان** ﴾ ثم ذكـر الفداء فقـال ﴿ **فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به** ﴾ ثم ذكـر الطلاق بعـد ذلـك بقولـه ﴿ **فـإن طلقهـا فـلا تحـل لـه من بعـد حتى تنكـح زوجـاً غيره** ﴾، ووجه الاستدلال أنه لو كان الفداء طلاقـاً لكان هـو الطلاق الثالث بعد الـطلقتين ولكـان الطلاق الـذي يحرم عـلى الزوج المـطلق نكاح زوجته إلا بعد زوج آخر هو الطلاق الرابع وهـذا خلاف مـا هو ثـابت في الطلاق البـائن وبهذا القـول قال طـاوس وعكرمـة وأحمد بن حنبل في رواية عنه وإسحاق بن راهويه وأبو ثور وداود الـظاهري وهـو مذهب الشافعي في القديم.

وقيـل إنه يعتـبر طلاقـاً وبهذا قـال مالـك وأبـو حنيفـة والأوزاعي والشافعي في الجديد وأحمد بن حنبل في رواية أخرى

وقـد رُوي عن عثمان وعـلي وابن مسعود رضي الله عنهم أن الخلع طـلاق لكن ضعف الإمام أحمـد الحديث عنهم وقـال : ليس في الباب شيء أصح من حديث ابن عباس أنه فسخ(1).

(1) تفسير ابن كثير ١/٢٨٧، تفسير القرطبي ٣/١٤٣.
المغني لابن قدامة ٧/٥٦.

١٣ ـ ماجاء في قوله تعالى

في قـوله تعـالى ﴿ **وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فـأمسكـوهن بمعـروف أو سرحـوهن بمعـروف ولا تمسكـوهن ضراراً لتعتـدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه** ﴾(الآية ـ البقرة/٢٣١).

* * *

أخرج الإمام عبد الرزاق عن ابن جريج عن ابن طـاوس عن أبيه **(٣٠)**
عن ابن عباس قال : إن المـرأة إذا طلقت حامـلاً فوضعت، قـال ابن عبـاس : فذلـك حين بلغت أجلهـا، قال : وتـلا ابن عبـاس ﴿ **وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن** ﴾ ـ قال ابن طاوس : وإن كان سقط بين ذلـك فكذلـك ـ قال : وإن طلقهـا غير حـامل فـإذا طهرت من آخـر الحيض فـذلك حـين بلغت أجلهـا وتـلا ابن عبـاس ﴿ **فبلغن أجلهن فـامسكـوهن بمعـروف أو سرحـوهن بمعـروف** ﴾قـال ابن عبــاس : فليراجعها حينئذ أو يسرحها ويشهد.

قال ابن جريج : قصصته على ابن طاوس عن أبيه فأقرَّبه[١].

(١) مصنف عبد الرزاق، كتاب الطلاق، باب طلاق الحامل (٦/٣٠٤ رقم ١٠٩٣٦).

بيان الإسناد :ـ

١ ـ ابن جريج ثقة فقيه تقدمت ترجمته وتبين أنه يدلس وأن حديثه لا يحتج به إلا إذا صرح بالسماع[١].

٢ ـ وابن طاوس هو عبد الله بن طاوس بن كيسان اليماني، وهو ثقة فاضل عابد، من الطبقة السادسة، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، أخرج له الجماعة[٢].

٣ ـ وطاوس اليماني ثقة فقيه فاضل تقدمت ترجمته[٣].

وبهذا تبين لنا أن رجال هذا الإسناد ثقات وقد سمع بعضهم من بعض[٤] إلا أن ابن جريج يدلس ولكنه في هذا الحديث صرح بالسماع من ابن طاوس حيث قال في آخر الحديث : قصصته على ابن طاوس عن أبيه فأقرَّبه.

بيان المعنى :ـ

قوله تعالى ﴿ **وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن** ﴾ بين ابن عباس في هذا الحديث أن انقضاء أجل العدة بالنسبة للمطلقة وضع الحمل إن كانت حاملاً، والطهر من آخر الحيض إن كانت غير حامل، يعني الطهر من الحيضة الثالثة كما في قوله تعالى ﴿ **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء** ﴾.

وقول ابن طاوس « وإن كان سقط بين ذلك فكذلك » يعني إن سقط الحمل بين بداية الحمل ونهايته تنتهي به عدة الحامل.

---

(١) انظر الحديث رقم (٢٩).

(٢) التقريب : ١/٤٢٤ رقم ٣٩١، الخلاصة/٣٠٣.

(٣) انظر الحديث رقم (١٧).

(٤) تهذيب التهذيب ٥/٢٦٧ رقم ٤٥٨.

وقـولـه تعـالى ﴿ **ولا تمسكـوهن ضراراً لتعتـدوا** ﴾ يعـني لا تـراجعوهن وأنتم تـريدون طـلاقهن مـرة أخـرى تضـارونهن في ذلـك لتعتدوا على حقوقهن، كما أخـرج الإمام ابن جـرير من طـريق العوفي عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : « كان الـرجل يـطلق امرأتـه ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها ثم يطلقها، يفعل ذلك يضـارها ويعضلهـا فأنزل الله هذه الآية »[1].

(١) تفسير الطبري ٢ / ٤٨٠ .

١٤ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ والـذين يتوفـون منكم ويذرون أزواجـاً يتربصن بـأنفسهن أربعـة أشهر وعشراً فإذا بلغن أجلهن فلا جنـاح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ﴾(البقرة/ ٢٣٤).

وقـوله تعـالى ﴿ والذين يتـوفون منكم ويـذرون أزواجـاً وصيـة لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج فإن خـرجن فلا جنـاح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم ﴾(ـ / ٢٤٠).

* * *

(٣١) قال الإمام البخاري : حدثنا إسحاق حدثنا روح حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ثم ذكر أثـراً عن مجاهـد ـ ثم قال : وعن ابن أبي نجيـح عن عطاء عن ابن عبـاس قال : نسخت هـذه الآية عـدتها عند أهلها فتعتد حيث شاءت لقول الله ﴿ غير إخراج ﴾[١].

وأخرجه الإمام النسائي وأبو داود والحاكم.

---

(١) صحيـح البخاري، كتـاب التفسـير، سـورة البقـرة بـاب رقم ٤١ حـديث رقم ٤٥٣١ وكتاب الطلاق باب رقم ٥٠ حديث رقم ٥٣٤٤.

وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط البخاري » ووافقه الذهبي[1].

بيان المعنى :-

في هذا الأثر ساق ابن أبي نجيح تفسير ابن عباس للآيتين والذي يفهم من تفسير ابن عباس المذكور هو أن قوله تعالى ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً** ﴾ قد أوجب على المرأة المتوفى عنها زوجها أن تعتد في بيت زوجها فنسخ هذا الوجوب بقوله تعالى ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف** ﴾ حيث جعل سبحانه وتعالى بقاءهن في بيوت أزواجهن وصية من أزواجهن لا واجباً عليهن فإن خرجن فلا إثم في ذلك.

ويفهم من كلام ابن عباس أن هذه الآية وهي قوله تعالى ﴿ **وصية لازواجهم متاعاً إلى الحول** ﴾ محكمة غير منسوخة. والذي عليه الجمهور أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى ﴿ **يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً** ﴾، ومما يدل على هذا ما أخرجه الإمام البخاري من حديث ابن أبي مليكة قال قال ابن الزبير : قلت لعثمان : هذه الآية التي في البقرة ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً - إلى قوله - غير إخراج** ﴾ قد نسختها الأخرى فلم تكتبها ؟ قال : تدعها

---

(١) سنن النسائي، كتاب الطلاق، باب الرخصة للمتوفى عنها زوجها أن تعتد حيث شاءت (٦/ ٢٠٠) سنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب نسخ متاع المتوفى عنها رقم ٢٢٩٨ و ٣٣٠١، المستدرك ٢/ ٢١١، كتاب العتق.

يا ابن أخي لا أغير شيئاً من مكانه[1].

وقد رُوي القول بالنسخ عن ابن عباس رضي الله عنهما كما أخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج** ﴾ قال: فكان الرجل إذا مات وترك امرأته اعتدت سنة في بيته ينفق عليها من ماله، ثم أنزل الله تعالى ذكره بعد ﴿ **والذين يتوفون منك ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة اشهر وعشراً** ﴾ فهذه عدة المتوفى عنها زوجها إلا أن تكون حاملاً فعدتها أن تضع ما في بطنها، وقال في ميراثها ﴿ **ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن** ﴾ فبين الله ميراث المرأة وترك الوصية والنفقة[2].

وإسناده حسن كما تقدم[3].

وقد روى ابن جرير القول بهذا عن قتادة والربيع والضحاك وعطاء وابن زيد، واختاره بناء على ما جاء في السنة مما يؤيد ذلك وهو ما رُوي عن الفريعة بنت مالك بن سنان أخت أبي سعيد الخدري: انها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدرة فإن زوجها خرج في طلب أعبدٍ له أبقوا، حتى إذا كان بطرف القَدُوم[4] لحقهم فقتلوه، قالت: فسألت رسول الله صلى الله

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة، باب رقم ٤٥ حديث رقم ٤٥٣٦.
(٢) تفسير الطبري ٥/ ٥٨٠.
(٣) انظر الحديث رقم (٢).
(٤) القدوم بفتح القاف وضم الدال من غير تشديد ـ اسم جبل قرب المدينة ـ معجم البلدان مادة (قدم).

عليـه وسلم أن أرجع إلى أهـلي في بني خـدرة فـإن زوجي لم يـتركني في مسكن يملكه ولا نفقة، قـالت : فقال رسـول الله ى الله عليه وسلم : نعم، قـالت : فانصرفت حتى إذا كنت بـالحجرة نـاداني رسول الله ى الله عليـه وسلم ـ أو أمر بي فنـوديت له ـ فقـال : كيف قلت ؟ فرددت عليـه القصة التي ذكـرت له من شـأن زوجي فقال : امكثي في بيتـك حتى يبلغ الكتاب أجله، قالت : فاعتددت فيـه أربعة أشهـر وعشراً، قالت : فلما كان عثمان بن عفان أرسـل إلي فسألني عن ذلـك فأخـبرته فاتبعه وقضى به[1].

وأخـرجه الإمـام مالـك وأحمد وأبـو داود والترمـذي وابن مـاجـه والنسائي والدارمي[2].

ومما سبق تبين لنـا أنه قـد روي عن ابن عباس القـول بأن المتـوفى عنهـا زوجها يلزمهـا البقاء في بيت زوجهـا وأن الآية الأولى وهي قـوله تعالى ﴿ **يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً** ﴾ ناسخة للآية الثـانية وهو قوله تعالى ﴿ **وصيـة لأزواجهم متاعـاً إلى الحول غـير إخراج** ﴾، كما رُوي عنه القول بأنها تعتـد حيث شاءت وأن الآيـة الثانيـة ناسخـة للآية الأولى، والقول الأول أولى لأن ماجاء في السنة يؤيـده كما سبق، وهو قول الجمهور.

---

(١) تفسير الطبري ٥/٢٥٤ ـ ٢٥٦ ـ ٢٥٩.

(٢) الموطأ كتاب الطلاق، باب مقام المتوفي عنها زوجها ص ٥٩١، المسند ٦/٣٧٠.
سنن الترمذي، كتاب الطلاق، باب ماجاء أين تعتد المتوفي عنها زوجها
سنن النسائى، كتاب الطلاق، باب مقام المتوفي عنها زوجها في بيتها.
سنن ابن ماجة، كتاب الطلاق، باب أين تعتد المتوفى عنها زوجها حديث رقم ٢٠٣١.
سنن أبي داود/ كتاب الطلاق، باب المتوفى عنها زوجها تنتقل حديث رقم ٢٣٠٠.
سنن الدارمي، كتاب الطلاق، باب خروج المتوفى عنها زوجها ٢/١٦٨.

١٥ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سراً إلا أن تقولوا قولاً معروفاً ولاتعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم ﴾(البقرة/ ٢٣٥).

(٣٢) ١ ـ قال الإمام البخاري : وقال لي طلق : حدثنا زائدة عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما : **﴿ فيما عرضتم به من خطبة النساء ﴾** يقول : « إني أريد التزويج ولوددت أن ييسر لي امرأة صالحة »[١]

وأخرجه الإمام البيهقي من طريق الإمام البخاري وذكر مثله[٢].

(٣٣) ٢ ـ أخرج الإمام عبد الرزاق الصنعاني عن ابن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى **﴿ إلا أن تقولوا قولاً معروفاً ﴾** قال :

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب رقم ٣٤ حديث رقم ٥١٢٤.
(٢) سنن البيهقي، كتاب النكاح، باب التعرض بالخطبة (١٧٨/٧).

يقول إنك لجميلة، وإنك لا لي خير، وإن النساء لمن حاجتي[1].

بيان الإسناد :-

١ - ابن مجاهد هو عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر المكي، وهو متروك، وقد كذبه الثوري، وهو من الطبقة السابعة[2] وقد سمع من أبيه، وسمع منه عبد الرزاق إلا أنه لا يسميه باسمه[3].

٢ - ومجاهد بن جبر المكي، ثقة إمام في التفسير والعلم كما تقدم[4].

وبهذا تبين أن هذا الحديث مردود لأن في إسناده عبد الوهاب بن مجاهد وهو متروك، والصحيح عن مجاهد عن ابن عباس الحديث السابق الذي أخرجه الإمام البخاري.

(٣٤) ٣ - قال الإمام البخاري : ويذكر عن ابن عباس « ﴿ **حتى يبلغ الكتاب أجله** ﴾ : انقضاء العدة »[5].

هكذا أخرجه الإمام البخاري بصيغة التمريض « يذكر » وهي تدل على عدم بلوغه درجة الصحة عنده كما سبق بيان ذلك[6].

(٣٥) وقد أخرجه الإمام ابن جرير الطبري قال : حدثني محمد بن سعد قال : حدثني أبي قال : حدثني عمي قال : حدثني أبي عن أبيه عن

(١) مصنف عبد الرزاق، كتاب الطلاق ٥٣/٧ رقم ١٢١٥٣.
(٢) التقريب ٥٢٨/١ رقم ١٤٠٧، المغني في الضعفاء للذهبي ٤١٣/٢ ورقم ٣٨٩٧، ديوان الضعفاء والمتروكين ٢٠٤ رقم ٢٦٧٩.
(٣) تهذيب التهذيب ٤٥٣/٦ رقم ٩٢٦.
(٤) انظر الحديث رقم (٢٤).
(٥) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب رقم ٢٤ حديث رقم ٥١٢٤.
(٦) انظر ص (٤١).

ابن عباس ﴿ حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ قال : « تنقضي العدة »(1).

وإسناده ضعيف(2).

بيان المعنى :-

قوله تعالى ﴿ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء ﴾

---

(1) تفسير الطبري ٢ /٥٢٧.

(2) بيان هذا الإسناد.

١ - محمد بن سعد شيخ الإمام الطبري هو محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي، قال عنه الإمام الدار قطني : « لا بأس به » وقال الخطيب البغدادي : « كان ليّناً في الحديث » توفي سنة ست وسبعين ومائتين - لسان الميزان ٥/ ١٧٤، تاريخ بغداد ٥/ ٣٢٢.

٢ - وأبوه هو سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي، قال عنه الإمام أحمد : ذاك جهمي امتحن أول شيء قبل أن يخوّفوا وقبل أن يكون ترهيب فأجابهم، ثم قال : لو لم يكن هذا أيضاً لم يكن ممن يستأهل أن يكتب عنه ولا كان موضعاً لذلك. تاريخ بغداد ٩/ ١٢٦، لسان الميزان ٣/ ١٨.

٣ - وعم سعد هذا هو الحسين بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي، قاضي بغداد، قال ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه فقال : ضعيف الحديث. الجرح والتعديل ٣/ ٤٨، المغني في الضعفاء ١/ ١٧٠.

٤ - (وأبو الحسين هذا هو الحسن بن عطية بن سعد العوفي وهو ضعيف من الطبقة السادسة. التقريب ١/ ١٦٨، الجرح والتعديل ٣/ ٢٦.

٥ - وأبو الحسن هذا هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي وهو صدوق يخطىء كثيراً وكان شيعياً مدلساً وقد روى التفسير عن ابن عباس وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وابن عمر وغيرهم.

وقال الإمام أحمد : بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير، وكان يكنيه بأبي سعيد فيقول : قال أبو سعيد :

قال الإمام الذهبي : يعني يوهم أنه الخدري. وهو من الطبقة الثالثة مات سنة عشرة ومائة. التقريب ٢/ ٢٤، الميزان ٣/ ٧٩، التهذيب ٧/ ٢٢٤.

وهؤلاء الرواة قد سمع بعضهم من بعض لكن أكثرهم ضعفاء فيكون هذا الإسناد ضعيفاً. لسان الميزان ٥/ ١٧٤ رقم ٦٠٣، ٣/ ١٨ رقم ٦٧، تاريخ بغداد ٥/ ٣٣٢ رقم ٢٨٤٥، ٩/ ١٢٦ رقم ٤٧٤٣، الجرح والتعديل ٣/ ٤٨ رقم ٢١٥، تهذيب التهذيب ٢/ ٢٩٤ رقم ٥٢٤، ٧/ ٢٢٤ رقم ٤١٣.

المراد بالنساء في الآية المعتدات لوفاة أزواجهن وقد ذكرهن الله سبحانه في قوله قبل هذه الآية ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا** ﴾(البقرة/٢٣٤) وكذلك المطلقات البائنات يجوز التعريض بخطبتهن في العدة لأنه ليس لأزواجهن السابقين الحق في مراجعتهن، أما المطلقات الرجعيات فلا يجوز التعريض بخطبتهن بإجماع العلماء لأن الرجعية كالزوجة[١].

والتعريض هو أن ينبه إلى رغبته فيها من غير أن يقصد إلى خطبتها كما جاء في حديث الباب الذي أخرجه الإمام البخاري وكما أخرج الإمام ابن جرير من عدة طرق عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال: التعريض أن يقول للمرأة في عدتها: إني أريد أن أتزوج غيرك إن شاء الله ولوددت أني وجدت امرأة صالحة، ولا ينصب لها ما دامت في عدتها[٢] يعني لا يقصد إلى خطبتها قصداً.

فالمعنى على هذا: ولا إثم عليكم فيما أبديتموه من الرغبة في نكاح النساء المتوفى أزواجهن أو المطلقات طلاقاً بائناً في عدتهن من غير أن تقصدوا إلى خطبتهن.

وقوله ﴿ **أو أكننتم في أنفسكم** ﴾ يعني أو أضمرتم في قلوبكم الرغبة في نكاحهن وأخفيتم ذلك فلا إثم عليكم.

﴿ **علم الله أنكم ستذكرونهن** ﴾ يعني في أنفسكم فرفع الحرج عنكم في ذلك[٣].

---

(١) انظر تفسير القرطبي ٣/١٨٨ تفسير ابن كثير ١/٢٩٧.

(٢) تفسير الطبري ٢/٥١٧.

(٣) تفسير ابن كثير ١/٢٩٧.

﴿ **ولكن لا تواعدوهن سراً** ﴾ أخرج ابن جرير من طـريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: يقول لا تقـل لها إني عـاشق وعاهـديني أن لا تـتزوجي غيري ونحـو هذا، كـما أخرج ابن جـرير أيضـاً من طريق سعيـد بن جبير عن ابن عبـاس قال: لا يقـاصهـا عـلى كـذا وكـذا أن لا تتزوج غيره.[1]

والآيـة تشمل أيضـاً ما إذا عقـد بينه وبينهـا وعداً بـالسر عـلى أن يتزوجها إذا انتهت عدتها تصريحاً من غير تعريض.

وقوله ﴿ **إلا أن تقولوا قولاً معروفاً** ﴾ يعني أن تعرضـوا تعريضـاً بـرغبتكم فيهن من غـير تصريـح بخـطبـة أو وعـد بـذلـك. وقــولـه ﴿ **ولا تعزموا عقدة النكاح** ﴾ يعني: ولا تعزموا على عقد النكـاح على المعتدة ﴿ **حتى يبلغ الكتاب أجله** ﴾ يعني: حتى تنقضي عدتها كـما قال ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه عنه ابن جرير من طريق العوفي ومن طريق عطاء الخراساني.[2]

والكتاب هنا بمعنى الحد والفرض كقوله تعالى ﴿ **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً** ﴾[3] (النساء/١٠٣).

---

(١) تفسير الطبري ٢/٥٢٣.
(٢) تفسير الطبري ٢/٥٢٧.
(٣) تفسير القرطبي ٣/١٩٢.

١٦ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ (البقرة/٢٥٦).

* * *

(٣٦) قال الإمام أبو داود السجستاني: حدثنا محمد بن عمر بن علي المقدمي قال حدثنا أشعث بن عبدالله - يعني السجستاني - ح - وحدثنا ابن بشار قال حدثنا ابن أبي عدي وهذا لفظه، - ح - وحدثنا الحسن بن علي قال حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلاتاً، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله عز وجل **﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾**.

قال أبو داود: المقلات التي لا يعيش لها ولد.[1]

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الأسير يكره على الإسلام، حديث رقم ٢٦٨٢.

بيان الإسناد:

روى الإمام أبو داود هذا الحديث بثلاثة أسانيد تجتمع في النهاية بإسناد واحد.

فرواه عن محمد بن عمر بن علي المقدمي البصري وهو صدوق من صغار الطبقة العاشرة.[(١)] عن أشعث بن عبدالله الخراساني السجستاني وهو ثقة، من الطبقة التاسعة.[(٢)]

ورواه عن ابن بشار وهو أبو بكر محمد بن بشار العبدي البصري، ولقبه بندار، وهو ثقة من الطبقة العاشرة، مات سنة اثنتين وخمسين ومائتين وله بضع وثمانون سنة، أخرج له الجماعة.[(٣)]

عن ابن أبي عدي وهو أبو عمرو محمد بن إبراهيم بن أبي عدي البصري، وهو ثقة، من الطبقة التاسعة، مات سنة أربع وتسعين ومائة على الصحيح، أخرج له الجماعة.[(٤)]

ورواه عن الحسن بن علي بن محمد الهذلي، أبو علي الخلال الحلواني نزيل مكة، وهو ثقة حافظ له تصانيف، من الطبقة الحادية عشرة مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين، أخرج له الشيخان وأبو داود والترمذي وابن ماجه.[(٥)]

---

(١) التقريب ٢/١٩٤ رقم ٥٦٣، الخلاصة/٣٥٣.
(٢) التقريب ١/٨٠ رقم ٦٠٤، الكاشف ١/١٣٥ رقم ٤٥١.
(٣) التقريب ٢/١٤٧ رقم ٧١، تذكرة الحفاظ ١/٥١١ رقم ٥٢٦.
(٤) التقريب ٢/١٤١ رقم ١١، تذكرة الحفاظ ١/٣٢٤ رقم ٣٠٥.
(٥) التقريب ١/١٦٨ رقم ٢٩٦، تذكرة الحفاظ ١/٥٢٢ رقم ٥٣٩.

عن وهب بن جرير بن حازم بن زيد أبو عبدالله الأزدي البصري، وهو ثقة، من الطبقة التاسعة مات سنة ست ومائتين، أخرج له الجماعة.(١)

وهؤلاء الشيوخ الثلاثة وهم أشعث بن عبدالله وابن أبي عدى ووهب بن جرير رووا هذا الحديث عن شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي بالولاء أبو بسطام الواسطي ثم البصري، وهو ثقة حافظ متقن كان الثوري يقول هو أمير المؤمنين في الحديث وهو أول من فتش في العراق عن الرجال وذب عن السنة وكان عابداً، من الطبقة السابعة، مات سنة ستين ومائة وأخرج له الجماعة.(٢)

ورواه شعبة عن أبي بشر جعفر بن إياس - ابن أبي وحشية - وهو ثقة من أثبت الناس في سعيد بن جبير، وضعفه شعبة في حبيب بن سالم وفي مجاهد، من الطبقة الخامسة مات سنة خمس وقيل سنة ست وعشرين ومائة، أخرج له الجماعة.(٣)

وسعيد بن جبير ثقة ثبت فقيه تقدمت ترجمته.(٤)

فتبين لنا من هذا أن الإسناد الذي تجتمع فيه الأسانيد الثلاثة رجاله ثقات وهم شعبة وأبو بشر جعفر بن إياس وسعيد بن جبير.

أما الأسانيد الثلاثة فالإسناد الأول يتكون من محمد بن عمر المقدمي وهو صدوق، وأشعث بن عبدالله السجستاني وهو ثقة.

---

(١) التقريب ٢/٣٣٨/رقم ١٠٩، الكاشف ٣/٤٤ رقم ٦٢٠٧.
(٢) التقريب ١/٣٥١ رقم ٦٧، تذكرة الحفاظ ١/١٩٣ رقم ١٨٧.
(٣) التقريب ١/١٢٩ رقم ٧٠، الجرح والتعديل ٢/٤٧٣ رقم ١٩٢٧.
(٤) انظر الحديث رقم (١١).

والإسناد الثاني يتكون من محمد بن بشار وابن أبي عدي وهما ثقتان.

والإسناد الثالث يتكون من أبي علي الخلال ووهب بن جرير وهما ثقتان.

وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض. (١)

فعلى هذا يكون الإسناد الأول حسناً وبنجبر بالطريقين الأخيرين فيكون صحيحاً لغيره، أما الطريق الثاني والثالث فهما صحيحان لذاتهما.

وأخرجه ابن جرير بإسناد أبي داود الثاني وذكر مثله. (٢)

بيان المعنى:

تبين لنا من حديث أبي داود الذي رواه عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في الأنصار حينما أرادوا أن يكرهوا أبناءهم الذين تهودوا على الدخول في الإسلام.

(٣٧) وقد روي عن ابن عباس في سبب نزول الآية قول آخر وهو ما أخرجه الإمام ابن جرير قال: حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي** ﴾ قال: نزلت في رجل من الأنصار من بني

---

(١) تهذيب التهذيب ٣٦١/٩ رقم ٦٠٠، ٧٠/٩ رقم ٨٧، ١٦١/١١ رقم ٢٧٣، ٣٣٨/٤ رقم ٥٨٠، ٣٥٦/١ رقم ٦٤٩، ٨٣/٣ رقم ١٢٩.
(٢) تفسير الطبري ١٤/٣.

سالم بن عوف يقال له الحصين، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلاً مسلماً فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : ألا استكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية، فأنزل الله فيه ذلك.(١)

وإسناده فيه ضعف لأن فيه راوياً مجهولاً وهو محمد بن أبي محمد كما أن ابن حميد الرازي متهم بالضعف.(٢)

فالحديث الأول الذي أخرجه أبو داود هو المعتمد في سبب نزول هذه الآية.

وقال الحافظ ابن كثير في بيان قول تعالى ﴿ **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي** ﴾: «أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح جلي، دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره

---

(١) تفسير الطبري ٣/١٤.

(٢) بيان هذا الإسناد:

١ - ابن حميد هو محمد بن حميد بن حيان الرازي، وهو حافظ ضعيف وكان ابن معين حسن الرأي فيه، وهو من الطبقة العاشرة (التقريب ٢/١٥٦ رقم ١٥٩).

٢ - سلمة هو ابن الفضل الأبرش مولى الأنصار، قاضي الري، وهو صدوق كثير الخطأ، من الطبقة التاسعة (التقريب ١/٣١٨ رقم ٣٧٧).

٣ - وابن إسحاق هو محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة وهو صدوق يدلس كما تقدم
وقد جاء في تفسير ابن جرير - طبعة الحلبي - «عن أبي إسحاق وهو خطأ من أحد النساخ لأن محمد بن إسحاق هو الراوي الوحيد عن محمد بن أبي محمد وهو الذي يروي عنه سلمة بن الفضل.

٤ - ومحمد بن أبي محمد الحرشي مولى زيد بن ثابت، مدني مجهول تفرد عنه ابن إسحاق. وهو من الطبقة السادسة (التقريب ٢/٢٠٥ رقم ٦٧٩، ميزان الاعتدال ٤/٢٦ رقم ٨١٢٩).

٥ - وعكرمة وسعيد بن جبير إماما ثقتان تقدمت ترجمتهما

أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً» اهـ. (١)

فالحق في هذا الدين واضح جلي من تمسك به رشد ومن ضل عنه غوى، وإنما يجب على المؤمنين به حقاً أن يعرضوه على الناس كما أنزله الله، ثم هم بعد ذلك أحرار في اعتقادهم إن شاؤا دخلوا في هذا الدين عن طواعية واختيار، وإن شاؤا بقوا على ديانتهم بعد أن يذعنوا لحكم الإسلام، ولا تعارض بين هذه الآية وبين الآيات والأحاديث التي أمر المسلمون فيها بجهاد الكفار لأن الجهاد لم يشرع لإجبار الناس على اعتناق الإسلام وإنما شرع لإزالة القوى التي تحكم الناس وتحول دون بلوغ الدعوة إليهم وتصدهم عن الدخول في دين الله، فالجهاد حماية للدعوة إلى هذا الدين حتى ينتشر في الأرض وتكون كلمة الله هي العليا.

قوله ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم** ﴾ الطاغوت من الطغيان وهو مجاوزة الحد، وقال الإمام ابن جرير في معناه: والصواب من القول عندي في الطاغوت أنه كل ذي طغيان على الله فعبد من دونه إما بقهر لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، إنساناً كان ذلك المعبود أو شيطاناً، أو وثناً أو صنماً أو كائناً ما كان. (٣)

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٣٢٢.
(٢) تفسير الطبري ٣/١٩.

وهـذا المعنى الذي ذكـره واضح من مقـارنة الكفـر به بـالإيمان في الآية فلا يتم الإيمان بالله إلا بالكفر بالطاغوت.

فمعنى الآية على هذا: فمن يكفر بعبادة جميع المعبودات التي تعبد من دون الله ويؤمن بالله وحده فقد استمسك بأوثق العرى التي تـوصل من استمسك بها إلى النجاة من الشقاوة، والفوز بالسعادة، ولا تنقطع به أبداً، بل تنجيه من أهوال الدنيا والآخرة.

وقوله في حديث أبي داود «كانت المرأة تكون مقلاتاً» المقـلات هي التي لا يعيش لها ولد كما ذكر أبـو داود، وأصله من القلت وهو الهـلاك ومنه حديث «إن المسافر ومـاله لعـلى قَلَتٍ: إلا ما وقى الله» يعني لعـلى هلاك ذكره ابن الأثير في النهاية.

ومنه قول الشاعر:

بـغـاث الـطير أكـثرهـا فـراخـاً　　وأم الـصـقـر مِـقْـلاتٌ نـزور[1]

---

(١) النهاية في غريب الحديث ولسان العرب (مادة قلت).

١٧ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ (البقرة/ ٢٦٤).

(٣٨) ١ ـ قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: الصفوان الحجر. [١]

(٣٩) ٢ ـ قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: (صلدا) ليس عليه شيء. [٢]

وأخرج هذين الأثرين ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. [٣]

والحجر الصلد هو الصلب الأملس الناعم. [٤]

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة باب رقم ٢١.
(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة باب رقم ٤٤.
(٣) تفسير الطبري ٣/٦٨.
(٤) لسان العرب (مادة صلد).

بيـــان المعنـى:

يرشدنا الله سبحانه في هذه الآية إلى أحد الأمـراض الفتاكـة التي تفتـك ببناء الأعـمال الصالحـة فتحيله إلى هيكـل خـرب وهبـاء منثـور لا يغني صاحبه ولا ينفعه يوم يرجو نفعه في الآخرة. ذلـك هو المنُّ من المنِفق على المنفَق عليه سواء بالتحدث بذلك أمام النـاس أو باستعـلائه على من أنفق عليه وشعوره بوجوب احترامه وتقديـره منه، أو بـإيذائـه بأي نوع من أنواع الأذى، وذلك باستغلال ضعفه أمامه لمالـه عليه من التفضل.

ثم يشبه الله سبحانه هذا المبطل أجر صدقته بالمنِّ على من تصدق عليه وإيذائه بالذي ينفق ماله مراءاة للناس وطلباً لمـرضاتهم والتقـرب منهم ولا يريد بذلك وجه الله تعالى والدار الآخرة.

ثم يضرب الله سبحـانـه مثـلاً لهـذا المـرائي بعمله للنـاس وهـــو لا يؤمن بالله واليوم الآخر، فيقول تعـالى ذكره ﴿ **فمثله كمثـل صفوان عليه تراب فـأصابـه وابل فـتركه صلداً** ﴾ يعني فمثله كمثـل من يبذر زرعه في تراب على حجر أملس حتى إذا بدأ ينمو ورجا نفعه جـاء المطر فجرى بهذا التراب وما فيه وبقي الحجر صافياً لا تراب عليه، فكذلك هذا المرائي يظن أنه قد عمل خيراً، حتى إذا بعث ووقف بين يدي الله جل وعلا للحساب ورجا ثـواب عمله لم يجد شيئـاً ﴿ **لا يقدرون عـلى شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين** ﴾.

١٨ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ (البقرة/٢٦٦).

* * *

(٤٠) قال الإمام البخاري: حدثنا إبراهيم أخبرنا هشام عن ابن جريج سمعت عبدالله بن أبي مليكة يحدث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «قال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: فيم ترون هذه الآية نزلت **﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة ﴾**؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر وقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين قال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس: ضربت مثلاً لعمل قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله عز

وجل ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله»[1].

وأخرجه الطبري من طريق ابن أبي مليكة وذكر مثله، وفي رواية أخرى للطبري عن عطاء قال: سأل عمر الناس عن هذه الآية فما وجد أحداً يشفيه حتى قال ابن عباس وهو خلفه، ياأمير المؤمنين إني أجد في نفسي منها شيئاً قال: فتلفت إليه فقال: تحول ههنا لم تحقر نفسك؟ قال هذا مثل ضربه الله عز وجل فقال: أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه بخير حين فنى عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فأفسده كله فحرقه أحوج ما كان إليه[2].

وهذا الجواب من ابن عباس يدل على عمق فهمه لكتاب الله وإدراكه لمعانيه الخفية.

وقوله ﴿ **فأصابها إعصار فيه نار** ﴾ يعني ريح فيها سموم شديدة كما قال ابن عباس، أخرجه عنه ابن جرير من عدة طرق[3].

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة حديث رقم ٤٥٣٨.

(٢) تفسير الطبري ٣/ ٧٥.

(٣) تفسير الطبري ٣/ ٧٨.

١٩ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا مادعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ﴾البقرة/٢٨٢).

(٤١) قال الإمام عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن قتادة عن أبي حسان عن ابن عباس قال : أشهد أن السلف المضمون إلى أجل قد أحله الله

وأذن فيه، وقرأ هـذه الآية ﴿ يـاأيها الـذين آمنوا إذا تـداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ﴾[١].

بيان الإسناد :ـ

١ ـ معمر هو ابن راشد الأزدي وهو ثقة ثبت تقدمت ترجمته وبيان سماع عبد الرزاق منه وسماعه من قتادة[٢].

٢ ـ وقتادة هو ابن دعامة السدوسي وهو ثقة تقدمت ترجمته[٣].

٣ ـ وأبـو حسان الأعـرج هو مسلم بن عبـد الله الأجرد البصري مشهـور بكنيته وهـو صدوق رمى بـرأي الخوارج، قتـل سنـة ثـلاثـين ومـائـة، من الـطبقـة الـرابعـة، أخـرج لـه البخـاري تعليقـاً ومسلم والأربعة[٤].

وقد سمع منه قتادة وسمع هو من ابن عباس[٥].

وبهذا تبين لنـا أن هذا الإسنـاد حسن لأن فيه أبـا حسان الأعـرج وهو صدوق، وكونه رمى برأي الخوارج لا يؤثر على روايته هذه لأنـه لم يرو ما يؤيد بدعته.

وأخرجه الحاكم والبيهقي من طريق أبي حسان الأعرج[٦].

---

(١) مصنف عبـد الرزاق، كتـاب البيوع، بـاب لا سلف إلا إلى أجـل معلوم، حـديث رقم ١٤٠٦٤.

(٢) انظر الحديث رقم (٨).

(٣) انظر الحديث رقم (١١).

(٤) التقريب ٢/٤١١ رقم ٣٥، الخلاصة/٤٤٧.

(٥) تهذيب التهذيب ١٢/٧٢ رقم ٢٨٧.

(٦) المستدرك ٢/٢٨٦، كتاب التفسير، سنن البيهقي ٦/١٨، ١٩ كتاب البيوع باب جواز السلف، وباب جواز الرهن.

وأخرج ابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن ابن عباس أنه قال : نزلت في السلم في كيل معلوم إلى أجل معلوم[1] .

(٤٢) ٢ ـ قال الإمام أبو داود الطيالسي : حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل ﴿ **إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه** ﴾ إلى آخر الآية : إن أول من جحد آدم إن الله أراه ذريته فرأى رجلاً أزهر ساطعاً نوره قال : يارب من هذا ؟ قال هذا ابنك داود قال : يارب فما عمره ؟ قال : ستون سنة، قال : يارب زد في عمره، قال : لا إلا أن تزيده من عمرك، قال : وما عمري ؟ قال : ألف سنة، قال آدم : فقد وهبت له أربعين سنة، قال : فكتب الله عز وجل عليه كتاباً وأشهد عليه ملائكته فلما حضره الموت وجاءته الملائكة قال : إنه قد بقي من عمري أربعون سنة قالوا : إنك قد وهبتها لابنك داود : قال : ما وهبت لأحد شيئاً، قال : فأخرج الله عز وجل الكتاب وشهد عليه الملائكة »[2] .

بيان الإسناد :ـ

١ ـ حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة، ثقة عابد، أثبت الناس في ثابت البناني، تغير حفظه بأخرة، من كبار الطبقة الثامنة، مات سنة سبع وستين ومائة، أخرج له البخاري تعليقاً ومسلم والأربعة[3] .

---

(١) تفسير الطبري ٣/١١٦ .
(٢) منحة المعبود بترتيب مسند الطيالسي أبي داود ٢/١٥ رقم ١٩٣٥، تفسير سورة البقرة .
(٣) التقريب ١/١٩٧ رقم ٥٤٢، تذكرة الحفاظ ١/٢٠٢ رقم ١٩٧ .

٢ ـ علي بن زيد هو ابن جدعان وهو ضعيف من الطبقة الرابعة[١].

٣ ـ يوسف بن مهران البصري، لين الحديث ولم يرو عنه غير ابن جدعان، من الطبقة الرابعة[٢].

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[٣] لكنه ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان ويوسف بن مهران.

بيان المعنى:

قوله في الحديث الأول: «أشهد أن السلف المضمون إلى أجل قد أحله الله وأذن فيه» السلف هو بيع شيء معلوم في الذمة بثمن حاضر إلى أجل معلوم، ويسمى السلم، وقد استدل الفقهاء على جواز بيع السلم بهذه الآية مع تفسير ابن عباس وبما جاء في السنة من إباحة السلم ومن ذلك ما أخرجه الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمار السنتين والثلاث فقال: أسلفوا في الثمار في كيل معلوم إلى أجل معلوم»[٤].

والآية شاملة للسلم ولغيره من أنواع الديون.

---

(١) التقريب ٢/٣٧ رقم ٣٤٢، المغني في الضعفاء ١/٤٤٧ رقم ٤٢٦٥.
(٢) التقريب ٢/٣٨٢ رقم ٤٥٧.
(٣) تهذيب التهذيب ٧/٣٢٢ رقم ٥٤٤، ١١/٤٢٤ رقم ٨٢٩.
(٤) صحيح البخاري، كتاب السلم حديث رقم ٢٢٥٣، المغني لابن قدامة ٤/٣٠٤، تفسير القرطبي ٣/٣٧٧

٢٠ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾(البقرة/ ٢٨٤).

﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾(البقرة/ ٢٨٦).

(٤٣) قال الإمام مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب وإسحاق بن إبراهيم ـ واللفظ لأبي بكر قال إسحاق أخبرنا وقال الآخران حدثنا ـ وكيع عن سفيان عن آدم بن سليمان مولى خالد قال سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية **﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾** قال : دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا، قال : فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله تعالى **﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ماكسبت**

وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ قال : قد فعلت ﴿ **ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا** ﴾ قال : قد فعلت ﴿ **واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا** ﴾ قال: قد فعلت[1].

وأخرجه الإمام أحمد وأبو عوانة والترمذي والحاكم[2].

بيان المعنى :

قوله « دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء » يعني من الغم والهم حيث شملت الآيه ما تحدث به النفس وإن لم يحصل الفعل لقوله تعالى ﴿ **أو تخفوه** ﴾ وقد جاء هذا المعنى مصرحاً به في إحدى روايات الطبري حيث جاء فيها «فقالوا: يا رسول الله إنا لمؤاخذون بما نحدث به أنفسنا!! هلكنا».

وقد رُوي عن ابن عباس في معنى الآية ان الله تجوز لهذه الأمة عن حديث النفس وآخذهم بالعمل وذلك فيما أخرجه ابن جرير الطبري من طريق الزهري عن سعيد بن مرجانة يحدث أنه بينما هو جالس سمع عبدالله بن عمر تلا هذه الآية ﴿ **لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه** ﴾. . . الآية، فقال: والله لئن أخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى ابن عمر حتى سمع نشيجه فقال ابن مرجانة: فقمت حتى أتيت ابن عباس فذكرت له ما تلا ابن عمر

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب رقم ٥٧ حديث رقم ١٢٦ .
(٢) مسند أحمد ١/٢٣٣، ٣٣٢ .
مسند أبي عوانة ١/٧٥، باب بيان رفع الخطأ والنسيان .
سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة البقرة حديث رقم ٢٩٩٢
المستدرك ٢/٢٨٦ كتاب التفسير، سورة البقرة.

وما فعل حين تلاها فقال عبدالله بن عباس: يغفر الله لأبي عبدالـرحمن لعمري لقد وجد المسلمون منها حين أنزلت مثلما وجد عبدالله بن عمر فأنزل الله بعدها ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ إلى آخـر السورة، قال ابن عباس: فكانت هذه الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها وصار الأمر إلى أن قضى الله عز وجل أن للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت في القول والفعل.(١)

---

(١) تفسير الطبري ١٤٤/٣.

سورة ال عمران[3]

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم * إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم ﴾ (آل عمران/٣٣ ـ ٣٥).

١ ـ قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: (وآل عمران) المؤمنين من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد صلى الله عليه وسلم، يقول **﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه ﴾** (آل عمران/٦٨) ـ وهم المؤمنون.[1] (٤٤)

وأخرجه الطبري من طريق علي بن أبي طلحة.[2]

٢ ـ قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: (نذرت لك ما في بطني محرراً). للمسجد يخدمه.[3] (٤٥)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب رقم ٤٤.

(٢) تفسير الطبري ٦/٤٦٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب رقم (٧٤).

هكذا أخرجه الإمام البخاري معلقاً، وذكر الحافظ ابن حجر أن ابن أبي حاتم وصله بمعناه.[1]

بيـــان المعنـى:

قوله ﴿ **وآل ابراهيم وآل عمران** ﴾ يعني المؤمنين منهم كما جاء في الأثر الأول عن ابن عباس، فالمقصود من هذا الأثر أن الله تعالى حينما يذكر أنه اختار آل فلان فإنما يقصد المؤمنين من ذريته دون الكافرين، ومثل ذلك بآل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد صلى الله عليه وسلم، ثم استشهد لصحة هذا المعنى بقوله تعالى ﴿ **ان أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه** ﴾ وهم المؤمنون.

قوله ﴿ **اذ قالت امرأة عمران** ﴾ بيان للاصطفاء المذكور في الآية الأولى بالنسبة لآل عمران، وامرأة عمران هي أم مريم عليها السلام، المعنى: اذكر هذا الاصطفاء (اذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً) قال ابن عباس: للمسجد يخدمه، يعني عتيقاً من الدنيا متفرغاً لعبادة الله تعالى وخدمة بيته.

---

(١) فتح الباري ١/٥٥٤.

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ (آل عمران/٤٤).

(٤٦) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: اقترعوا فجرت الأقلام مع الجرية وعال قلم زكرياء الجرية فكفلها زكرياء.[١]

وقد أخرج ابن جرير نحوه من طريق العوفي عن ابن عباس[٢] وإسناده ضعيف كما تقدم.[٣]

بيان المعنى:

قول «اقترعوا فجرت الأقلام» الخ معناه أن أحبار بني إسرائيل تنافسوا على كفالة مريم لأنها ابنة سيدهم فاقترعوا على ذلك فوضعوا أقلامهم في جرية الماء فجرت الأقلام مع الماء ما عدا قلم زكريا عليه السلام فإنه ارتفع ولم يجر مع الماء فكفلها زكريا، وقوله «فعال قلم

(١) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب رقم ٣٠.
(٢) تفسير الطبري ٣/٢٦٨.
(٣) انظر الحديث رقم (٣٥).

زكـريا» قـال ابن حجـر: أي ارتفـع عـلى المـاء وفي روايـة الكشميهني «وعلا»[1] وقد أخرج ابن جرير روايات كثيرة توضح هذا المعنى منها ما أخـرجه عن عكـرمة قـال: ثم خرجت بهـا ـ يعني أم مريم ـ بمـريم في خرقها تحملها إلى بني الكاهن بن هارون أخي موسى بن عمـران قال: وهم يـومئذ يلون من بيت المقـدس ما يـلي الحجبة من الكعبـة فقـالت لهم: دونكم هذه النذيرة فإني حـررتها وهي ابنتي ولا يـدخل الكنيسـة حائض وأنا لا أردها إلى بيتي فقالـوا: هذه ابنـة إمامنـا، وكان عمـران يؤمهم في الصـلاة وصاحب قـربانهم فقـال زكريـا: ادفعوهـا إلي فـإن خالتها عنـدى، قالـوا: لا تطيب أنفسنـا هي ابنة إمـامنا فـذلك حـين اقترعوا فاقترعوا بأقـلامهم عليها ـ بـالأقلام التي يكتبـون بها التـوراة ـ فقرعهم زكريا فكفلها.[2]

---

(١) فتح الباري ٥/٢٩٤.
(٢) تفسير الطبري ٣/٢٤٣.

٤ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ **إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي** ﴾ (آل عمران/٥٥).

* * *

(٤٧) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ **متوفيك** ﴾ مميتك.[١]

وقد أخرجه الإمام ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.[٢]

وإسناد هذا الأثر حسن كما تقدم.[٣]

بيان المعنى:

قوله «مميتك» محمول على وفاة عيسى عليه السلام في آخر الزمان، ومما يؤيد هذا ما أخرجه إسحاق بن بشر وابن عساكر من طريق جويبر

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المائدة، باب رقم (١٣).

(٢) تفسير الطبري ٣/٢٩٠.

(٣) انظر الحديث رقم (٢).

عن الضحاك عن ابن عباس في قوله ﴿ **إني متوفيك ورافعك** ﴾ يعني رافعك ثم متوفيك في آخر الزمان.[1]

فعلى هذا يكون هذا الكلام من المقدم والمؤخر كما روى عن قتادة وغيره فيكون تقدير الكلام: إني رافعك إلى ومتوفيك بعد ذلك.[2]

وتقديم التوفي على الرفع لا يقتضي التقدم في الزمن لأن الواو لا تقتضي الترتيب.

وذكر الله سبحانه توفي عيسى عليه السلام على سبيل الامتنان عليه حيث جاء رداً على اليهود الذين حاولوا المكربه ليقتلوه فبين الله له أنهم لن يصلوا إليه، بل سيتوفاه ربه إذا حان أجل موته.

وقد جاء في القرآن والأحاديث الصحيحة أن عيسى عليه السلام قد رفعه الله حياً وأنه سينزل في آخر الزمان فمن ذلك قوله تعالى ﴿ **وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه** ﴾ (النساء/١٥٨).

وقوله تعالى ﴿ **ويكلم الناس في المهد وكهلاً** ﴾ (آل عمران/٤٦) - وعيسى عليه السلام رفع شاباً وإنما يكون كهلاً حينما ينزل في آخر الزمان.

وقد أشار إلى هذا ابن جرير الطبري في روايته عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم.[3]

---

(١) الدر المنثور ٢/٣٦.
(٢) تفسير ابن كثير ١/١/٣٨١.
(٣) تفسير الطبري ٣/٢٩٠.

ومما جاء في السنة قولـه صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعـة حتى ينـزل فيكم ابن مريم حكـماً مقسـطاً فيكسر الصليب ويقتـل الخنـزيـر ويفيض المـال حتى لا يقبله أحد » أخـرجـه الشيخـان من حـديث أبي هريرة[1].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب رقم ٣١ حديث رقم ٢٤٧٦.
صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب رقم ٧١ حديث رقم ٢٤٢ - ٢٤٧.

٥ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾(آل عمران/ ٧٩).

* * *

(٤٨) قال الإمام : البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ كونوا ربانيين ﴾ حكماء فقهاء[١].

وقال الحافظ ابن حجر : هذا التعليق وصله ابن أبي عاصم أيضاً بإسناد حسن، والخطيب بإسناد آخر حسن[٢].

أقول : وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق العوفي ومن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب، باب رقم ١٠.
(٢) فتح الباري ١/ ١٦١.
(٣) تفسير الطبري ٣/ ٣٢٦.

بيان المعنى :-

روى عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في طائفة من أهل الكتاب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أتدعونا إلى عبادتك ؟ وقد أخرج ابن جرير في ذلك عن ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنا ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس : أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا ؟ أو كما قال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معاذ الله أن نعبد غير الله أو نأمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني أو كما قال، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم ﴿ **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة** ﴾ الآية إلى قوله بعد ﴿ **إذ أنتم مسلمون** ﴾[1].

وإسناد هذا الأثر فيه ضعف كما تقدم[2].

والمراد بالحكم في الآية العلم والفقه كقوله تعالى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام ﴿ **وآتيناه الحكم صبياً** ﴾(مريم/١٢)[3].

وقوله ﴿ **كونوا ربانيين** ﴾ الربانيون جمع رباني وهو منسوب إلى الرب، وقال ابن عباس في تفسير هذه الكلمة : « حكماء علماء » كما

---

(١) تفسير الطبري ٣/٣٢٥.
(٢) انظر الحديث رقم (٣٧).
(٣) لسان العرب مادة (حكم) تفسير القرطبي ٤/١٢١.

جاء في حديث الباب، وقال سيبويه زادوا ألفاً ونوناً في الرباني إذا أرادوا تخصيصاً بعلم الرب دون غيره، كأن معناه: صاحب علم الرب دون غيره من العلوم، وهو كما يقال: رجل شَعْراني ولَحْياني ورَقَباني، إذا خص بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة، فإذا نسبوا إلى الشعر قالوا شعري، وإلى الرقبة قالوا رقبي وإلى اللحية قالوا لحِيي، والرَّبي منسوب إلى الرب، والرباني الموصوف بعلم الرب.

وقال ابن الأعرابي: الرباني العالم المعلم الذي يغذو الناس بصغار العلم قبل كبارها، وقال محمد بن علي ابن الحنفية لما مات عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: اليوم مات رباني هذه الأمة، وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: الناس ثلاثة عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق[1].

ومعنى الآية: ما صح ولا استقام لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والنبوة والفقه والفهم الذي يدرك به مراد الله تعالى ويبلغه للناس على ضوء ذلك أن ﴿ **يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله** ﴾ فإن هذه الدعوى تتناقض مع الخصائص التي بها اصطفى الله جل وعلا من شاء من عباده لحمل رسالته ﴿ **ولكن** ﴾ يقول لهم ﴿ **كونوا ربانيين** ﴾ علماء فقهاء بشريعة الله ﴿ **بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾ أي إنما يرفعكم إلى هذه المنزلة العالية كونكم تعلمون الناس كتاب ربكم وتتدارسونه بينكم حتى تفقهوه.

---

(١) لسان العرب (مادة ربب) تفسير القرطبي ٤/١٢٢.

٦ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين. أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون. إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴾(آل عمران/٨٦ ـ ٨٩).

(٤٩) قال الإمام النسائي: أخبرنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال حدثنا يزيد وهو ابن زريع قال أنبأنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم تندم فأرسل إلى قومه: سلوا لي رسول الله ى الله عليه وسلم هل لي من توبة فجاء قومه إلى رسول الله ى الله عليه وسلم فقالوا إن فلاناً قد ندم وإنه أمرنا أن نسألك هل له من توبة فنزلت **﴿ كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم ﴾** إلى قوله **﴿ غفور رحيم ﴾** فأرسل إليه فأسلم[1].

(١) سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، باب توبة المرتد (١٠٧/٧).

بيان الإسناد :ـ

١ ـ محمد بن عبد الله بن بزيع ـ بفتح الباء وكسر الزاي ـ البصري ثقة، من الطبقة العاشرة، مات سنة سبع وأربعين ومائتين، أخرج له مسلم والترمذي والنسائي[١].

٢ ـ يزيد بن زريع ـ بضم الزاي وفتح الراء ـ البصري أبو معاوية ثقة ثبت من الطبقة الثامنة، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة، أخرج له الجماعة[٢].

٣ ـ داود هو ابن أبي هند القشيري بالولاء البصري، وهو ثقة متقن كان يهم بأخرة، من الطبقة الخامسة مات سنة أربعين ومائة وقيل قبلها، أخرج له البخاري تعليقاً ومسلم والأربعة[٣].

٤ ـ وعكرمة ثقة ثبت[٤].

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[٥]، ورجاله ثقات كما تبين من تراجمهم إلا أن ابن أبي هند كان يهم في آخر عمره ولكن لم يقع في هذه الرواية شيء من الوهم وقد أخرجه ابن جرير وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه ووافقه الذهبي[٦]. فالإسناد على هذا صحيح.

---

(١) التقريب ٢/١٧٥ رقم ٣٦٠، الجرح والتعديل ٧/٢٩٤ رقم ١٥٩٧.
(٢) التقريب ٢/٣٦٤ رقم ٢٥٠، تذكرة الحفاظ ١/٢٥٦ رقم ٢٤٢.
(٣) التقريب ١/٢٣٥ رقم ٤٥، تذكرة الحفاظ ١/١٤٦ رقم ١٤٠.
(٤) انظر الحديث رقم (٥).
(٥) انظر تهذيب التهذيب ٩/٢٤٨ رقم ٤٠٤، ٣/٢٠٤ رقم ٣٨٨.
(٦) موارد الظمآن، كتاب التفسير حديث رقم ١٧٢٨، المستدرك، كتاب قسم الفيء ٢/١٤٢، وكتاب الحدود ٤/٣٦٦، تفسير الطبري ٣/٣٤٠.

وفي رواية لابن جرير الطبري عن مجاهد أن صاحب هذه القصة هو الحارث بن سويد الأنصاري من بني عمرو بن عوف[1].

وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في أهل الكتاب عرفوا محمداً صلى الله عليه وسلم ثم كفروا به[2].

وهذا الأثر إسناده ضعيف كما تقدم[3] فيقدم عليه الأثر السابق الذي أخرجه أبو داود لصحة إسناده.

بيان المعنى :

قوله تعالى : ﴿ **كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم** ﴾ بيان لعدم استحقاق هؤلاء هداية الله جل وعلا وتوفيقه إلى الطريق المستقيم بعدما تلبسوا بما تلبسوا به من ظلم لأنفسهم حيث أوردوها موارد الهلاك عن علم منهم واختيار لهذا الطريق المنحرف إذ فضلوا الكفر على الإيمان والغي على الرشاد، وقوله تعالى بعد ذلك ﴿ **إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم** ﴾ بيان لكرم الله جل وعلا ومنّه العظيم عليهم ولطفه البليغ بهم حيث لم يؤاخذهم بما سلف منهم من هذا الذنب الكبير بعدما جاؤا إليه تائبين منيبين.

---

(١) تفسير الطبري ٣/٣٤٠.
(٢) تفسير الطبري ٣/٣٤١.
(٣) انظر الحديث رقم (٣٥).

٧ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ (آل عمران/ ٩٦ ـ ٩٧).

* * *

(٥٠) ١ ـ أخرج عبد الرزاق الصنعاني عن معمر عن ابن طاوُس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ كان آمناً ﴾ قال من قتل أو سرق في الحل ثم دخل الحرم فإنه لا يجالس ولا يكلم ولا يؤوى، ولكنه يناشد حتى يخرج فيقام عليه ما أصاب فإن قتل أو سرق في الحل فأدخل الحرم فأرادوا أن يقيموا عليه ما أصاب أخرجوه من الحرم إلى الحل فأقيم عليه وإن قتل في الحرم أو سرق أقيم عليه في الحرم[1].

---

(١) مصنف عبد الرزاق، كتاب الحج، باب ما يبلغ الإلحاد، حديث رقم ٩٢٢٦.

بيان الإسناد :-

تقدم الكلام على رجال هذا الإسناد وتبين لنا أنهم ثقات قد سمع بعضهم من بعض[1]، فإسناد هذا الأثر على هذا صحيح.

وأخرجه ابن جرير من عدة طرق عن ابن عباس أنه قال : من أحدث حدثاً في غير الحرم ثم لجأ إلى الحرم لم يعرض له ولم يبايع ولم يكلم ولم يؤو حتى يخرج من الحرم، فإذا خرج من الحرم أخذ فأقيم عليه الحد، قال : ومن أحدث في الحرم حدثاً أقيم عليه الحد[2].

بيـــان المعنـى :

تبين لنا من هذا الأثر ثلاث مسائل :

الأولى : إذا قتل الجاني أو سرق داخل الحرم فإنه يقام عليه الحد فيه.

الثانية : إذا فعل ذلك خارج الحرم ثم أدخله غيره إلى الحرم ولم يلجأ إليه بنفسه، فهذا يخرج إلى الحل ثم يقام عليه الحد.

الثالثة : إذا فعل ذلك خارج الحرم ثم دخل إلى الحرم عائذاً به، فهذا لا يجوز إقامة الحد عليه في الحرم ولا إخراجه بالقوة، بل تجب مقاطعته حتى يضطر إلى الخروج، ثم يقام عليه الحد في الحل.

هذا هو رأي ابن عباس، وهو مروي عن بعض الصحابة والتابعين.[3].

---

(١) انظر الأحاديث رقم (٨) و(٣٠) و(١٧).

(٢) تفسير الطبري ٤/ ١٣.

(٣) انظر تفسير الطبري ٤/ ١٢ - ١٣.

وقد اختلف العلماء بعد ذلك في قتل الجاني الذي لجأ إلى الحرم، فذهب الإمام أبو حنيفة وأحمد إلى عدم جواز قتله في الحرم، واستدلوا على ذلك بعموم قوله تعالى ﴿ **ومن دخله كان آمناً** ﴾، قالوا: وهذا خبر أريد به الأمر، لأنه لو أريد به الخبر لأفضى إلى وقوع الخبر على خلاف المخبر به.

كما استدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجراً فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ى الله عليه وسلم فقولوا له إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن له فيه ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب» أخرجه الإمام البخاري.[1]

ووجه الاستدلال بهذا الحديث أن الله سبحانه حرم سفك الدم في مكة سواء كان بحق أو بغير حق، إذ لو كان تحريم سفك الدم بمكة خاصاً فيما إذا كان بغير حق لم يكن لمكة خصوصية في هذا، حيث أن سفك الدم بغير حق محرم في سائر بقاع الأرض.

وفرق أصحاب هذا القول بين ما إذا ارتكب الجاني جريمته داخل الحرم وبين ما إذا ارتكبها خارجه بأنه تجري عليه العقوبة إذا ارتكبها داخله لأنه قد أهانه ولا تجري عليه إذا لجأ إليه لأنه معظم له فيكون آمناً ما دام فيه.

وقال الإمام مالك والشافعي يقتل الجاني سواء كانت جنايته داخل الحرم أو خارجه ثم لجأ إليه لعموم آيات الحدود ولأن النبي صلى الله عليه

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب رقم ٥١، حديث رقم ٤٢٩٥.

وسلم أمر بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة.

وأجاب أصحاب القول الأول عن هذا بأن أدلة تحريم الحرم خاصة فتخصص عموم أدلة الحدود، أما الأمر بقتل ابن خطل فكان في الساعة التي أحلها الله لنبيه خاصة.

هذا فيمن جنى جناية توجب قتلاً أما في الحدود التي هي فيما دون النفس فالجمهور على أنها تقام في الحرم مطلقاً لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما حرم سفك الدم في الحرم ولا يشمل هذا ما دون النفس.

وذكر ابن جرير قول ابن عباس ثم ذكر قول ابن الزبير والحسن ومجاهد وهو أن من قتل خارج الحرم ثم عاذ بالحرم يخرج من الحرم فيقام عليه الحد ثم رجح هذا القول بأن السلف اتفقوا على أن من كانت جريرته خارج الحرم فإنه لا يؤخذ بجريرته فيه وإنما اختلفوا في صفة إخراجه منه لأخذه بها، فقال بعضهم بمقاطعته حتى يضطر إلى الخروج وقال بعضهم بإخراجه من الحرم بالقوة، وما داموا قد اتفقوا على لزوم إخراجه لإقامة الحد عليه وإنما اختلفوا في طريقة إخراجه كان لازماً على الإمام أن يخرجه بالطريقة التي يراها ثم يقيم الحد عليه. [1].

ولعل هذا هو الراجح لأن إقامة الحد عليه في الحرم وقد جاء عائداً به معظماً له مخالف للنصوص السابقة، وإبقاؤه في الحرم حتى يخرج بنفسه قد يحيل الحرم إلى مأوى للمجرمين خصوصاً وأن المقاطعة قد لا تتم من جميع المسلمين.

---

(١) المغني لابن قدامة ٨/٢٣٦ نيل الأوطار ٧/٤٧، تفسير الطبري ٤/١٢ - ١٤، أحكام القرآن ٢/٢٢.

(٥١) ٢ - قال الإمام ابن ماجة: حدثنا سويد بن سعيد حدثنا هشام بن سليمان القرشي عن ابن جريج. قال: وأخبرنيه أيضاً عن ابن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الزاد والراحلة» يعني قوله ﴿ **من استطاع إليه سبيلاً** ﴾.[١]

بيـــان الإســـناد:

١ - سويد بن سعيد بن سهل الهروي أبو محمد، صدوق في نفسه إلا أنه عمي فصار يتلقن ما ليس من حديثه، وأفحش ابن معين فيه القول، وذلك في قوله عنه: يجب أن يبدأ بسويد فيقتل وذلك حين حدث بحديث «من قال في ديننا برأيه فاقتلوه».

ولكن روى عنه كلام فيه اعتدال في شأنه وذلك فيما رواه محمد بن يحيى الخراز قال سألت يحيى بن معين عنه فقال: ما حدثك فاكتب عنه وما حدثك به تلقينا فلا، وهو من قدماء الطبقة العاشرة، مات سنة أربعين ومائتين وله مائة سنة، أخرج له مسلم وابن ماجة[٢].

٢ - هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزومي المكي قال الذهبي: صدوق[٣]، وهو من الطبقة الثامنة أخرج له الإمام البخاري تعليقاً ومسلم وابن ماجة.

٣ - وابن جريج ثقة فقيه تقدمت ترجمته.[٤]

٤ - وابن عطاء هو عمر بن عطاء بن أبي الخوار - بضم الخاء

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الحج، باب ما يوجب الحج حديث رقم ٢٨٩٧.
(٢) التقريب ١/٣٤٠ رقم ٥٩٦، الكاشف ١/٤١١ رقم ٢٢١٥، التهذيب ٤/٢٧٣.
(٣) التقريب ٢/٣١٩ رقم ٨٣، الكاشف ٣/٢٢٣ رقم ٦٠٦٦.
(٤) مضى برقم ٢٥ص.

وفتح الواو - المكي مولى بني عامر، وهو ثقة من الطبقة الرابعة، أخرج له الإمام مسلم وأبو داود.(١)

٥ - وعكرمة ثقة ثبت تقدمت ترجمته.(٢)

وقد جاء في أثناء هذا الإسناد قوله «واخبرنيه أيضاً عن ابن عطاء» ومعنى هذا أن هشام بن سليمان القرشي رواه عن ابن جريج على أنه من كلامه ثم رواه عنه عن ابن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً، فضمير الفاعل في «أخبرنيه» يعود على ابن جريج وضمير المفعول يعود على هشام بن سليمان.

وقد تبين لنا من ترجمة رجال هذا الإسناد أن فيه سويد بن سعيد وقد لقن ما ليس من حديثه بعد ما عمي وهشام بن سليمان وهو مقبول، ولكن يعضده ما أخرجه الحاكم من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً** ﴾ قال: قيل يا رسول الله ما السبيل؟ قال الزاد والراحلة..

قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد تابع حماد بن سلمة سعيداً على روايته عن قتادة ثم ذكر رواية حماد بن سلمة وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تصحيح هذا الحديث.(٣)

---

(١) التقريب ٢/٦١ رقم ٤٨٧.
(٢) انظر الحديث رقم (٥).
(٣) المستدرك ١/٤٤١ - ٤٤٢، كتاب المناسك.

وأخرج البيهقي من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: السبيل أن يصح بدن العبد ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يجحف به.[1]

وعلى هذا يكون إسناد الإمام ابن ماجة حسناً لغيره.

---

(١) السنن الكبرى ٤/٣٣١، كتاب الحج، باب الرجل يطيق المشي.

٨ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ﴾ (آل عمران/١١٣)

* * *

(٥٢) قال الإمام أحمد حدثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال: آخر شدة يلقاها المؤمن الموت، وفي قوله **﴿ يوم تكون السماء كالمهل ﴾** قال: كدردى الزيت، وفي قوله **﴿ آناء الليل ﴾** قال: جوف الليل، وقال هل تدرون ما ذهاب العلم؟ قال: هو ذهاب العلماء من الأرض[1].

بيان الإسناد:

١ ـ جرير هو ابن عبدالحميد الضبي، وهو ثقة صحيح الكتاب وقد تقدمت ترجمته[2].

---

(١) مسند أحمد ١/٢٢٣.

(٢) انظر الحديث رقم (٢٢).

٢ ـ قابوس هو ابن أبي ظبيان الجنبي، فيه لين من الطبقة السادسة[١].

٣ ـ وأبوه هو حصين بن جندب الجنبي، الكوفي وهو ثقة من الطبقة الثانية، مات سنة تسعين وقيل سنة تسع وثمانين، وقد أخرج له الجماعة[٢].

والجنبي ـ بفتح الجيم وسكون النون ـ منسوب إلى قبيلة جنب من قبائل اليمن، وقد سموا بذلك لأنهم جانبوا أخاهم صداء وحالفوا سعد العشيرة، وقيل لأنهم كانوا منفردين أقلاء فلما اجتمعوا عزوا وقوي بعضهم ببعض، وهم أبناء يزيد ومنبه ابني حرب بن علة[٣].

وهذا الإسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[٤]. إلا أن فيه ضعفاً لضعف أحد رواته وهو قابوس بن أبي ظبيان.

وقد أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **ومن آناء الليل فسبح** ﴾ قال: آناء الليل جوف الليل[٥].

وإسناد هذا الأثر ضعيف كما تقدم[٦]، ولكنه صالح للاعتبار.

فهذا يعتبر شاهداً لآخر الحديث ويشهد لأوله الحديث الذي علقه الإمام البخاري في تفسير (المهل) وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن

---

(١) التقريب ٢/١١٥ رقم ١، المغني في الضعفاء ٢/٥١٧ رقم ٤٩٧٥.
(٢) التقريب ١/١٨٢ رقم ٤٠٧، الخلاصة/ ٨٥.
(٣) اللباب في تهذيب الأنساب ١/٢٩٤.
(٤) انظر تهذيب التهذيب/٨/٣٠٥ رقم ٥٥٣، ٢/٣٧٩ رقم ٦٥٤.
(٥) تفسير الطبري ١٦/٢٣٤.
(٦) انظر الحديث رقم (٣٥).

أبي طلحة وسيأتي في تفسير قوله تعالى ﴿ **كالمهل يغلي في البطون** ﴾ من سورة الدخان.

فيكون الإسناد على هذا حسناً لغيره.

بيان المعنى:

سيأتي بيان أول الأثر في تفسير سورة المعارج إن شاء الله.

قوله ﴿ **آناء الليل** ﴾ جوف الليل قال أهل اللغة آناء الليل ساعاته جمع إِنْيٍ وإِنىً، فمن قال: إِنْيٌ فهو مثل نِحْيٍ وأنحاء ومن قال إِنىً فهو مثل مِعىً وأمعاء، قال الهذلي المنتخل:

السالك الثغر مخشياً موارده بكل إِنْيٍ قضاه الليل ينتعل[1]

وفسره ابن عباس في هذا الحديث بجوف الليل ولعل تخصيص هذا الوقت بالذكر لكونه أفضل أوقات الصلاة فيه.

---

(١) تفسير الطبري ٥٤/٤ لسان العرب مادة (أنى).

٩ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعدما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين** ﴾ (آل عمران/١٥٢).

* * *

(٥٣) قال الإمام أحمد: حدثني سليمان بن داود أخبرنا عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيدالله عن ابن عباس أنه قال: ما نصر الله تبارك وتعالى في موطن كما نصر يوم أحد، قال: فأنكرنا ذلك، فقال ابن عباس: بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله تبارك وتعالى، إن الله عز وجل يقول في يوم أحد ﴿ **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه** ﴾ يقول ابن عباس: الحس القتل ﴿ **حتى إذا فشلتم** ﴾ إلى قوله ﴿ **ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين** ﴾ وإنما عنى بهذا الرماة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أقامهم في موضع ثم قال: احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا فلما غنم النبي صلى الله عليه وسلم وأباحوا عسكر المشركين أكبَّ الرماة جميعاً

فدخلوا في العسكر ينهبون وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم هكذا ـ وشبك بين أصابعه ـ والتبسوا، فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فضرب بعضهم بعضاً والتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير. . . ثم ذكر بقية الحديث في غزوة أحد(١).

بيان رجال الإسناد:

١ ـ سليمان بن داود هو أبو أيوب سليمان بن داود بن علي بن عبدالله بن عباس الهاشمي البغدادي، وهو ثقة جليل، قال الإمام أحمد بن حنبل عنه: يصلح للخلافة، من الطبقة العاشرة، مات سنة تسع عشرة ومائتين وقيل بعدها، أخرج له الإمام البخاري في خلق أفعال العباد والأربعة(٢).

٢ ـ عبدالرحمن بن أبي الزناد المدني مولى قريش صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد وكان فقيهاً، ولي خراج المدينة فحمد، من الطبقة السابعة. مات سنة أربع وسبعين ومائة وله أربع وسبعون سنة، أخرج له الإمام البخاري تعليقاً ومسلم والأربعة(٣).

٣ ـ وأبوه عبدالله بن ذكوان القرشي المدني المعروف بأبي الزناد، وهو ثقة فقيه من الطبقة الخامسة مات سنة ثلاثين ومائة وقيل بعدها أخرج له الجماعة(٤).

---

(١) مسند أحمد ١/٢٨٧.
(٢) التقريب ١/٣٢٣ رقم ٤٣٠، الكاشف ١/٣٩٣ رقم ٢١٠٥.
(٣) التقريب ١/٤٧٩ رقم ٩٣٦، الخلاصة/٢٢٧.
(٤) التقريب ١/٤١٣ رقم ٢٨٦، الكاشف ٢/٨٤ رقم ٢٧٣٣.

٤ ـ وعبيد الله هو أبو عبدالله عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي، وهو ثقة فقيه ثبت من الطبقة الثالثة، مات سنة أربع وتسعين وقيل سنة ثمان، وقد أخرج له الجماعة(١).

وبهذا تبين لنا أن رجال هذا الإسناد ثقات ما عدا عبدالرحمن بن أبي الزناد فهو صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد، ولكن قال علي بن المديني: وقد نظرت فيما روى عنه سليمان بن داود الهاشمي فرأيتها مقاربة(٢).

وقد سمع رجال هذا الإسناد بعضهم من بعض(٣).

وبهذا يكون هذا الحديث حسن الإسناد.

وقد أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي(٤).

بيان المعنى:

قوله «ما نصر الله تبارك وتعالى في موطن كما نصر يوم أحد» الخ قصد ابن عباس بهذا الكلام بيان أمرٍ التبس على بعض الناس وهو ظنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين قد انهزموا في غزوة أحد، فبين أن النبي صلى الله عليه وسلم قد انتصر نصراً لم يحصل في موطن آخر فلما استنكر سامعوه هذا الكلام استدل على قوله بالقرآن حيث بين الله سبحانه بقوله ﴿ **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه** ﴾ الآية أي أنه تعالى قد أنجز لنبيه والمؤمنين ما وعدهم به من

---

(١) التقريب ١/٥٣٥ رقم ١٤٦٩، تذكرة الحفاظ ١/٧٨ رقم ٧٥.

(٢) تهذيب التهذيب ٦/١٧٢.

(٣) تهذيب التهذيب ٤/١٨٧ رقم ٣١٨، ٥/٢٠٣ رقم ٣٥١، ٧/٢٣ رقم ٥٠.

(٤) المستدرك ٢/٢٩٦، كتاب التفسير.

النصر في أول المعركة فلما أخلَّ بعضهم بشرط من شروط النصر وهو الالتزام بطاعة القائد حصل لهم ما حصل من الفشل والإصابة.

وقوله « أكبَّ الرماة جميعاً » يتعارض مع ما جاء في صحيح الإمام البخاري من أن أميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه ثبت في مكانه ولم ينزل[1]. وثبت معه نفر يسير دون العشرة كما ذكر ابن سعد في طبقاته[2]. فقول ابن عباس هذا محمول على تغليب الكثرة حيث إن الذين نزلوا من الجبل أكثر من الذين ثبتوا.

---

(١) صحيح البخاري، الكتاب المغازي حديث رقم (٤٠٤٣).
(٢) طبقات ابن سعد ٢/٤١.

١٠ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ **وما كان لنبي أن يَغُلَّ ومن يغلل يأت بما غلَّ يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾(آل عمران/١٦١).

* * *

(٥٤) قال الإمام أبـو داود السجستاني : حـدثنا قتيبـة بن سعيد حـدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا خصيف حدثنا مقسم مولى ابن عباس قـال قـال ابن عباس رضي الله عنهـما نزلت هـذه الآية ﴿ **ومـا كـان لنبي أن يغل** ﴾ في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض الناس : لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فأنزل الله عز وجل ﴿ **وما كـان لنبي أن يغل** ﴾ إلى آخر الآية ـ قال أبو داود : يَغل مفتوحة الياء.

بيان الإسناد :

١ ـ قتيبـة بن سعيـد بن جميـل بن طـريف الثقفي أبـو رجـاء البغلاني[١] ثقة ثبت من الطبقة العاشرة، مات سنة أربعين ومائتين عن تسعين سنة، أخرج له الجماعة[٢].

---

(١) نسبة إلى بغلان بلدة بنواحي بلخ (معجم البلدان ١/٤٦٨).

(٢) التقريب ١/١٢٣ رقم ٨٥، الكاشف ٣/٣٩٧ رقم ٤٦٣٣.

٢ ـ عبد الواحد بن زياد العبدي بالولاء البصري، ثقة، في حديثه عن الأعمش وحده مقال، مات سنة ست وسبعين ومائة وقيل بعدها، من الطبقة الثامنة، أخرج له الجماعة[١].

٣ ـ خصيف هو ابن عبد الرحمن الجزري، أبو عون، وهو صدوق سيء الحفظ خلط بأخرة ورمي بالأرجاء، من الطبقة الخامسة، أخرج له الأربعة[٢].

٤ ـ مقسم مولى ابن عباس هو أبو القاسم مقسم بن بجرة مولى عبد الله بن الحارث، ويقال له مولى ابن عباس للزومه له، وهو صدوق وكان يرسل، من الطبقة الرابعة، مات سنة إحدى وعشرين ومائة أخرج له البخاري حديثاً واحداً والأربعة[٣].

فهذا الإسناد رجاله قد سمع بعضهم من بعض[٤] وهم ثقات ماعدا خصيف بن عبد الرحمن فهو سيء الحفظ.

وقد أخرجه الإمام الترمذي من طريق خصيف بن عبد الرحمن بهذا الإسناد وذكر مثله[٥].

وأخرجه الطبراني من طريقين عن خصيف بن عبد الرحمن عن عكرمة عن ابن عباس وذكر مثله[٦].

---

(١) التقريب ٢/٥٢٦ رقم ١٣٨٣، تذكرة الحفاظ ١/٢٥٨ رقم ٢٤٤.
(٢) التقريب ١/٢٢٤ رقم ١٢٦، الكاشف ١/٢٨٠ رقم ١٤٠٠.
(٣) التقريب ٢/٢٧٣ رقم ١٣٥٢، الكاشف ٣/١٧٣ رقم ٥٧١٤.
(٤) تهذيب التهذيب ٦/٤٣٤ رقم ٩١٢، ٨/٣٥٨ رقم ٦٣٩، ٣/١٤٢ رقم ٢٧٣.
(٥) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة آل عمران رقم ٣٠٠٩ تفسير الطبري ٤/١٥٤.
(٦) المعجم الكبير للطبراني ١١/٣٦٤، رقم ١٢٠٢٨ و ١٢٠٢٩.

(٥٥) لكن أخرجه الطبري من طريق آخر قال حدثنا نصر بن على الجهضمي قال حدثنا معتمر عن أبيه عن سليمان الأعمش قال : كان ابن مسعود يقرأ ﴿ وما كان لنبي أن يُغَلّ ﴾ فقال ابن عباس : بلى ويُقْتَل، قال : فذكر ابن عباس أنه إنما كانت في قطيفة قالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم غلها يوم بدر فأنزل الله ﴿ **وماكان لنبي أن يغل** ﴾[1].

وأخرجه الطبراني من طريق مجاهد عن ابن عباس وذكر نحوه[2].

بيان إسناد هذا الحديث :

١ ـ نصر بن علي بن نصر بن علي الجهضمي، ثبت، طلب للقضاء فامتنع، من الطبقة العاشرة، مات سنة خمسين ومائتين أو بعدها، أخرج له الجماعة[3].

٢ ـ معتمر هو ابن سليمان التيمي أبو محمد البصري، يلقب بالطفيل، وهو ثقة من كبار الطبقة التاسعة، مات سنة سبع وثمانين ومائتين، وقد جاوز الثمانين أخرج له الجماعة[4].

٣ ـ وأبوه هو سليمان بن طرخان التيمي، نزل في «التيم» فنسب إليهم، وهو ثقة عابد، من الطبقة الرابعة، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة، وهو ابن سبع وتسعين، أخرج له الجماعة[5].

---

(١) تفسير الطبري ٧/٣٥٠.
(٢) المعجم الكبير للطبراني ١١/١٠١ رقم ١١١٧٤.
(٣) التقريب ٢/٣٠٠ رقم ٦٩، الكاشف ٣/٢٠١ رقم ٥٩١٦.
(٤) التقريب ٢/٢٦٣ رقم ١٢٦٠، تذكرة الحفاظ ١/٢٦٦ رقم ٣٥١.
(٥) التقريب ١/٣٢٦ رقم ٤٥٤، تذكرة الحفاظ ١/١٥٠ رقم ١٤٥.

٤ ـ وسليمان بن مهران الأسدي الكاهلي أبو محمد الكوفي «الأعمش» ثقة حافظ عارف بالقراءة ورع لكنه يدلس، من الطبقة الخامسة، مات سنة سبع أو ثمان وأربعين ومائة وكان مولده سنة إحدى وستين، أخرج له الجماعة(١).

ولكن تدليسه ليس من النوع الذي يؤثر على روايته كما سيأتي(٢).

فهؤلاء ثقات، وقد سمع بعضهم من بعض(٣).

فهذا إسناد صحيح، فيتقوى به إسناد أبي داود السابق، ويتبين منه أن هذا الحديث ليس مما وهم فيه خصيف بن عبد الرحمن، وهو صدوق فيكون إسناده حسناً، وباعتضاده برواية الطبري يكون صحيحاً لغيره.

بيان المعنى :-

قوله ﴿ **وما كان لنبي أن يغل** ﴾ الغلول هو الخيانة(٤). والمراد به هنا الخيانة في قسمة الغنيمة.

وقد اختلف القراء في قراءة ﴿ **يغل** ﴾ فقرأها ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الغين، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الغين(٥).

---

(١) التقريب ١/٣٣١ رقم ٥٠٠، تذكرة الحفاظ ١/١٥٤ رقم ١٤٩.

(٢) انظر ص (٣٨٤).

(٣) انظر تهذيب التهذيب (١٠/٢٢٧ رقم ٤١٥، ٤/٢٠١ رقم ٣٤١، ٤/٣٣٢ رقم ٣٧٦).

(٤) معاني القرآن للفراء ١/٢٤٦ معاني القرآن للزجاج ١/٤٩٨.

(٥) النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٣

وقد قرأ ابن عباس بفتح الياء وضم الغين وفسر الآية على هذه القراءة.

ومن تفسير ابن عباس السابق تبين لنا أن هذه الآية نزلت بسبب ماقيل من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ قطيفة من الغنائم يوم بدر قبل قسمتها، وقد يكون قائل هذه المقالة لا يدري عن الحكم الشرعي في ذلك فرأى أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ من الغنيمة ماشاء، ومما يقوي هذا أن غزوة بدر لم يشهدها أحد من المنافقين.

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية ما يدل على أن المراد بالغلول الخيانة في قسمة الغنيمة وذلك ما أخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿ **وما كان لنبي أن يغل** ﴾ يقول: ما كان للنبي أن يقسم لطائفة من المسلمين ويترك طائفة ويجور في القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بأمر الله ويحكم فيه بما أنزل الله، يقول: ما كان الله ليجعل نبياً يغل من أصحابه فإذا فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم استنوا به[1] وفي هذا بيان لمعنى الآية من غير ذكر لسبب نزولها.

وهذا الأثر إسناده ضعيف كما سبق.[2]

وسواء كان المراد بالغلول الأخذ من الغنيمة قبل القسمة أو الجور في القسمة فإن الله سبحانه أنزل في هذه الآية ما يبرىء نبيه من ذلك كله لأن الخيانة تتنافى مع النبوة.

---

(١) تفسير الطبري ٤/١٥٥.

(٢) انظر الحديث رقم (٣٥).

١١ - ما جـاء في قولـه تعالى

﴿ لا تحسبن الـذين يفرحـون بما أتـوا ويحبون أن يحمـدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ﴾ (آل عمران/١٨٨).

* * *

(٥٦) قال الإمام البخـاري حدثني إبـراهيم بن موسى أخـبرنا هشـام أن ابن جريج أخبرهم عن ابن أبي مليكة أن علقمة بن وقاص أخـبره «أن مـروان قال لبـوابه: اذهب يـا رافع إلى ابن عبـاس فقل لئن كـان كل امـرىء فـرح بمـا أوتي وأحب أن يحمـد بمـا لم يعمـل معـذبـاً لنعـذبن أجمعون. فقال ابن عباس: ما لكم ولهـذه؟ إنما دعـا النبي صلى الله عليه وسلم يهـود فسألهم عن شيء فكتمـوه إياه وأخـبروه بغيره فـأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتـوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس ﴿ وإذ أخـذ الله ميثاق الـذين أوتوا الكتـاب ﴾ كذلـك حتى قوله ﴿ يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ﴾، تابعه عبدالرزاق عن ابن جريج.[١]

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب رقم ١٦ حديث رقم ٤٥٦٨.

وأخرجه الإمام أحمد ومسلم والترمذي والحاكم.(١).

بيـــان المعنـى:

معنى هذه الآية مرتبط بالآية التي قبلها، وهي قـوله تعـالى ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للنـاس ولا تكتمونـه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون** ﴾.

والمراد بالذين أوتوا الكتـاب في الآية: اليهـود كما جـاء في حديث هـذا البـاب، والشيء الـذي أخـذ الله ميثـاق اليهـود ليبيننـــه للنـاس ولا يكتمونه هو بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإلزامهم بالإيمان بـه إذا بعث واتبـاع شريعته، وذلـك كما أخـرج الإمام ابن جـرير من طـريق العـوفي عن ابن عباس أنـه قال في هـذه الآية: كـان أمرهم أن يتبعـوا النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماتـه، وقال: اتبعـوه لعلكم تهتدون، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليـه وسلم قال: ﴿ **أوفـوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون** ﴾ (البقرة/ ٤٠) عاهدهم على ذلك، فقال حين بعث محمداً: صدقوه وتلقون الذي أحببتم عندي.(٢)

وقوله تعالى ﴿ **لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا** ﴾ يعنى بما أقدموا عليه من جحد نبوة رسول ى الله عليه وسلم وكتمان مـا جاء في كتـابهم من الأخبار عنه، وتصديق كثير من العرب لهم، كما في قول ابن عباس في حديث الباب «وفرحوا بما أتوا من كتمانهم».

---

(١) صحيـح مسلم، كتاب صفـات المنافقـين حديث رقم ٢٧٧٨، سنن الـترمذي، كتـاب التفسير، سورة آل عمران رقم ٣٠١٤. المستدرك ٢/ ٢٩٩، كتـاب التفسير مسنـد أحمد ١/ ٢٩٨.

(٢) تفسير الطبري ٤/ ٢٠٢.

وقوله تعالى ﴿ **ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا** ﴾ جاء في حديث الباب «إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم» هكذا جاء في رواية الإمام البخاري، وجاء في رواية الإمام مسلم وغيره » فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه».

وهذا الشيء الذي لم يخبروا عنه رسول الله ى الله عليه وسلم لم يذكر في هذا الحديث، في جميع طرقه، فلعله هو الشيء الذي أخبر الله عنهم في الآية السابقة أنهم كتموه وهو بيان صفة النبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم.

ورُوي عن ابن عباس أن الشيء الذي أحبوا أن يحمدوا عليه وهم لم يفعلوه هو زعمهم بأنهم أهل عبادة الله والأعمال الصالحة، وذلك كما أخرج الإمام ابن جرير الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: هم أهل الكتاب، أنزل عليهم الكتاب فحكموا بغير الحق وحرفوا الكلم عن مواضعه وفرحوا بذلك وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فرحوا بأنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله، وهم يزعمون أنهم يعبدون الله ويصومون ويصلون، فقال الله جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ **لا تحسبن الذين يفرحوا بما أتوا** ﴾ كفروا بالله وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ **ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا** ﴾ من الصلاة والصوم، فقال الله جل وعز لمحمد عليه السلام ﴿ **فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم** ﴾[1].

---

(١) تفسير الطبري ٤/٢٠٦.

وإسناد هذا الأثر ضعيف كما تقدم،[1] فالحديث الأول الذي أخرجه الشيخان وغيرهما أصح منه إسناداً، ولكن ليس هناك ما يمنع من شمول الآية لمدلول الأثرين معاً وغير ذلك مما يدعيه اليهود لأنفسهم من أعمال الخير مما لم يفعلوه.

وقوله ﴿ بمفازة ﴾ بمعنى: بمنجاة، أي فلا تحسبهم متلبسين بنجاة من العذاب بل لهم عذاب أليم.[2]

---

(١) انظر رقم ٣٥.
(٢) تفسير الالوسي ٤/١٥١ تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز ٣/٣١٧).

«ســورة النســاء»[٤]

١ ـ باب ما جاء في قوله تعالى

﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً . وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا . وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً ﴾ (النساء/٢ ـ ٤) .

* * *

(٥٧) قال الإمام البخاري : ويذكر عن ابن عباس (حوباً) إثماً (تعولوا) تميلوا، (نحلة) النحلة المهر.[١]

وقوله «(حوباً) إثماً» أخرجه الإمام الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس،[٢] وقال الحافظ ابن حجر: وصله ابن أبي

---

(١) صحيح البخاري ٨/٢٤٥ ، كتاب التفسير، سورة النساء، باب لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها رقم (٦).

(٢) تفسير الطبري ٤/٢٣١ وهذا إسناد حسن كما تقدم (انظر رقم٢).

حاتم بإسناد صحيح عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **إنه كان حوباً** ﴾ قال: إثماً عظيماً.[1]

وقوله «(تعولوا) تميلوا» قال ابن حجر: وصله سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **ذلك أدنى ألا تعولوا** ﴾ قال: أن لا تميلوا، قال: وروينا في فوائد أبي بكر الآجري «بإسناد آخر صحيح إلى الشعبي عن ابن عباس.[2]

وأخرجه الإمام ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة ومن طريق العوفي عن ابن عباس.. وذكر مثله[3].

والإسناد الأول حسن والثاني ضعيف كما تقدم[4].

وقوله «النحلة المهر» أخرجه الإمام ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.. وذكر مثله[5].

والنحلة في اللغة العطية بلا مقابل ولا عوض[6] فتفسير ابن عباس النحلة بالمهر بيان لمتعلق النحلة والمقصود وليس بياناً لمعناها.

---

(١) فتح الباري ٨/٢٤٦.
(٢) فتح الباري ٨/٢٤٦.
(٣) تفسير الطبري ٤/٢٤٠.
(٤) انظر ص٢ وص٩٠ الحديث رقم (٢) ورقم (٣٥).
(٥) تفسير الطبري ٤/٢٤١ وإسناده حسن كما تقدم في الحديث رقم (٢).
(٦) مفردات الراغب/٤٨٥.

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقـوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً ﴾ (النساء/٥).

* * *

قـال الإمـام البخـاري: قـال ابن عبـاس «قـوامـا» قـوامكم من (٥٨)
معايشكم[١].

وأخرجه الإمـام ابن جريـر من طريق عـلي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: يقول الله سبحانه لا تعمـد إلى مالـك وما خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك أو بنيك، ثم تنظر إلى مـا في أيديهم، ولكن أمسك مالك وأصلحـه وكن أنت الذي تنفق عليهم في كسوتهم ورزقهم ومؤونتهم، قال: وقوله ﴿ **قياماً** ﴾ بمعنى: قوامكم في معايشكم[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النساء، مقدمة السورة.
(٢) تفسير الطبري ٤/٢٤٩.

بيان المعنى:

قوله تعالى ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم** ﴾ السفهاء هم الذين لا يحسنون التصرف في الأموال، والمراد بهم بناء على ما جاء في تفسير ابن عباس الذي أخرجه ابن جرير: السفهاء من الأبناء والنساء.

وقوله ﴿ **التي جعل الله لكم قياماً** ﴾ قال ابن عباس في الأثر السابق «قوامكم من معايشكم» يعني التي تقوم عليها معيشتكم في هذه الحياة، قال أبو عبيده: مصدر يقيمكم ويجيء في الكلام في معنى قوام فيكسر، وإنما هو من الذي يقيمك وإنما أذهبوا الواو لكسرة القاف وتَركَها بعضهم كما قالوا: ضياء للناس وضواء للناس(١).

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١ :١١٧.

٣ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً ﴾ (النساء/٨)

* * *

(٥٩) قال الإمام البخاري: حدثنا أحمد بن حميد أخبرنا عبيدالله الأشجعي عن سفيان عن الشيباني عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما **﴿ وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين ﴾** قال: هي محكمة وليس بمنسوخة»[١].

وفي رواية أخرى للبخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال «إن ناساً يزعمون أن هذه الآية نسخت ولا والله ما نسخت، ولكنها مما تهاون الناس، هما واليان: وال يرث وذاك الذي يرزق ووال لا يرث فذاك الذي يقال له بالمعروف، يقول لا أملك لك أن أعطيك»[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ٣ حديث رقم ٤٥٧٦.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب رقم ١٨ حديث رقم ٢٧٥٩.

وأخرج البيهقي الرواية الأولى من طريق عكرمة والرواية الثانية من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس[١].

وأخرج أبو عبدالله الحاكم من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية «يرضخ لهم فإن كان في المال تقصير اعتذر إليهم».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي[٢].

بيان المعنى:

الذي يفهم من كلام ابن عباس هذا أن الآية المذكورة غير منسوخة بآيات المواريث وأن حكمها باق، فإذا حضر قسمة التركة أولو القربى من غير الورثة واليتامى والمساكين فإنهم يعطون شيئاً من المال.

وقوله في رواية الحاكم «يرضخ لهم فإن كان في المال تقصير اعتذر إليهم» يعني يعطون عطية قليلة إذا كان المال كثيراً فإن كان قليلاً اعتذر إليهم، وهو القول بالمعروف كما في الرواية التي زادها الإسماعيلي في صحيح البخاري، قال ابن حجر: زاد الإسماعيلي من وجه آخر عن الأشجعي: وكان ابن عباس إذا ولى رضخ واذا كان في المال قلة اعتذر إليهم فذلك القول بالمعروف»[٣]

وقال ابن حجر في روايتي البخاري: وهذان الإسنادان الصحيحان عن ابن عباس هما المعتمدان وجاءت عنه روايات من

(١) السنن الكبرى ٢٦٦/٦، ٢٦٧، كتاب الوصايا، باب ما جاء في قوله تعالى **﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى﴾** الآية.

(٢) المستدرك ٣٠٢/٢ ـ ٣٠٣ كتاب التفسير.

(٣) فتح الباري ٢٤٢/٨.

أوجه ضعيفة عند ابن أبي حاتم وابن مردويه أنها منسوخة نسختها آية الميراث، وصح ذلك عن سعيد بن المسيب وهو قول القاسم بن محمد وعكرمة وغير واحد وبه قال الأئمة وأصحابهم، وجاء عن ابن عباس قول آخر أخرجه عبدالرزاق بإسناد صحيح عن القاسم بن محمد أن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر قسم ميراث أبيه عبدالرحمن في حياة عائشة فلم يدع في الدار ذا قرابة ولا مسكيناً إلا أعطاه من ميراث أبيه وتلا الآية. قال القاسم: فذكرته لابن عباس فقال: «ما أصاب ليس ذلك له، إنما ذلك إلى الوصي وإنما ذلك في العصبة» أي ندب للميت أن يوصى لهم.

قال ابن حجر: قلت وهذا لا ينافي حديث الباب وهو أن الآية محكمة وليست بمنسوخة قال: وقيل معنى الآية: وإذا حضر قسمة الميراث قرابة الميت ممن لا يرث واليتامى والمساكين فإن نفوسهم تتشوف إلى أخذ شيء منه ولا سيما إن كان جزيلاً فأمر الله سبحانه أن يرضخ لهم بشيء على سبيل البر والإحسان، واختلف من قال بذلك هل الأمر فيه للندب أم للوجوب؟ فقال مجاهد وطائفة هو على الوجوب وهو قول ابن حزم إن على الوارث أن يعطي هذه الأصناف ما طابت به نفسه.

قال: وقال آخرون إن ذلك على سبيل الاستحباب وهو المعتمد، لأنه لو كان على الوجوب لاقتضى استحقاقاً في التركة ومشاركة في الميراث بجهة مجهولة فيفضي إلى التنازع والتقاطع اهـ[1].

---

(١) فتح الباري ٨/٢٤٢.

والقول بأن الآية محكمة وأن الأمر فيها للاستحباب هـو الظاهـر، لأن القول بأنها منسوخة يحتـاج إلى إثبات ذلـك بالـدليل، والقـول بأن الأمر فيها للوجوب يتعارض مع آيات الميراث.

وقوله في رواية سعيد بن جبير «وهما واليـان وال يرث وذاك الـذي يرزق ووال لا يرث فذاك الذي يقـال له بـالمعروف يقـول لا أملك أن أعطيك» يعني إذا كان المال قليلاً كما يبينه قوله في رواية الحاكم «يرضخ لهم فإن كان في المال تقصير اعتذر إليهم» وكا جاء في زيادة الإسـماعيلي أن ابن عباس إذا ولى رضخ وإن كان في المال قلة اعتذر إليهم».

٤ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه ابواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً. ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ﴾ (النساء/ ١١ ـ ١٢).

* * *

(٦٠) قال الإمام البخاري: حدثنا محمد بن يوسف عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما أحل فجعل

للذكر مثل حظ الأنثيين وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع[1].

وأخرجه البيهقي والطبري[2].

بيان المعنى:

قوله «كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين» يعني كان ذلك في الجاهلية كما في الحديث الذي أخرجه الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن بعض الناس قالوا لرسول الله ى الله عليه وسلم بعد نزول آيات المواريث: أنعطي الجارية نصف ما ترك أبوها وليست تركب الفرس ولا تقاتل القوم ونعطي الصبي الميراث وليس يغني شيئاً؟ وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية لا يعطون الميراث إلا من قاتل يعطونه الأكبر فالأكبر[3].

وقوله «فنسخ الله من ذلك ما أحب» دليل على أن الأمر الأول الذي كان عليه العرب استمر إلى نزول الآية كما ذكر الحافظ ابن حجر[4].

وقوله «وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث» يعني أنّ لكل واحد منهما السدس إذا كان للميت ولد ولأمه الثلث إذا ورثه أبواه وليس له ولد، فالثلث راجع إلى الأم فقط في بعض الأحوال.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النساء باب **﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم﴾** حديث رقم ٤٥٧٨.

(٢) سنن البيهقي، كتاب الفرائض، باب فرض الزوج والزوجة «٦/٢٢٦»، تفسير الطبري ٤/٢٧٥.

(٣) تفسير الطبري ٤/٢٧٧، وإسناد ضعيف كما تقدم في الحديث رقم (٣٥).

(٤) فتح الباري ٨/٢٤٥.

٥ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً . واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان تواباً رحيما ﴾ (النساء/ ١٥ ـ ١٦) .

* * *

(٦١) ١ ـ قال الإمام أبو داود السجستاني : حدثنا أحمد بن محمد بن ثابت المروزي حدثني علي بن الحسين عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال : ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ﴾ وذكر الرجل بعد المرأة ثم جمعهما فقال ﴿ واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ﴾ فنسخ ذلك بآية الجلد فقال ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾[١] .

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب الرجم رقم ٤٤١٣ .

بيان الإسناد:

هـذا الإسناد تقـدم الكلام عليـه وتبين لنـا أنه متصـل، لكن فيه علي بن الحسين بن واقد المروزي وهو صدوق يهم[(١)].

وقـد أخرجـه الإمام ابن جـريـر من طـريق يحيى بن واضـح عن الحسين بن واقد عن يزيد النحـوي عن عكرمـة والحسن البصري على أنه من تفسيرهما[(٢)].

ويحيى بن واضح ثقة[(٣)] فروايته أرجح من رواية علي بن الحسين، فلعـل رفع هـذا الأثـر إلى ابن عبـاس من أوهـام عـلي بن الحسـين بن واقد.

وما دام قد وصف بالوهم وخالف في هذا الأثـر من هو أقـوى منه فإن إسناده يكون ضعيفاً.

٢ ـ قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿ **لهن سبيلا** ﴾ يعني الرجم للثيب والجلد للبكر[(٤)].

وقـال الحـافظ ابن حجـر: وصله عبـد بن حميـد عنه بـإسنـاد صحيح[(٥)].

بيان المعنى:

قـوله تعـالى ﴿ والـلاتي يـأتين الفـاحشة من نسـائكم فاستشهـدوا عليهن أربعة منكم فإن شهـدوا فأمسكـوهن في البيوت حتى يتـوفاهن

(١) انظر الحديث رقم (١٣).
(٢) تفسير الطبري ٤/٢٩٥.
(٣) التقريب ٢/٣٥٩ رقم ١٩٣.
(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النساء.
(٥) فتح الباري ٨/٢٣٨.

الموت ﴾ هذا كان في أول الإسلام إذا زنت المرأة تحبس في البيت حتى يأتيها الموت، وقوله تعالى **﴿ أو يجعل الله لهن سبيلا ﴾** فيه بيان أن هذا الحكم نزل لفترة محدودة وأن الله جل وعلا سيغيره.

وقد نسخه الله تعالى بقوله في سورة النور **﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾** (النور/٢) كما جاء في حديث الباب، وكما أخرج الإمام البخاري وغيره من حديث ابن عباس عن عمر رضي الله عنهم في حديث طويل قال فيه: «فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها رجم رسول الله ى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبَل أو الاعتراف»[1].

وقوله تعالى **﴿ أو يجعل الله لهن سبيلاً ﴾** قال ابن عباس في الحديث الثاني من أحاديث هذا الباب: «يعني الرجم للثيب والجلد للبكر».

وقد روي هذا التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك فيما أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والدارمي من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحدود رقم ٦٨٣٠.
وانظر صحيح مسلم، كتاب الحدود رقم ١٦٩١.
سنن الترمذي، كتاب الحدود رقم ١٤٣١.
سنن ابن ماجه، كتاب الحدود رقم ٢٥٥٣.

عليه وسلم «خذوا عنى خذوا عنى، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم»(١).

وقوله تعالى ﴿ **واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما** ﴾ اختلف المفسرون في المراد بقوله ﴿ **واللذان يأتيانها** ﴾ وقوله في الآية السابقة ﴿ **واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم** ﴾ فقيل إن المراد باللاتي يأتين الفاحشة النساء المحصنات والمراد باللذين يأتيانها الرجل غير المحصن والمرأة غير المحصنة فتكون عقوبة المحصنات على هذا، الحبس في البيوت وعقوبة غير المحصنات وغير المحصنين الإيذاء، وبهذا قال السدى وعبدالرحمن بن زيد(٢).

ولكن هذا القول لا يشمل الرجال المحصنين حيث لا يدخلون في قوله تعالى ﴿ **واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم** ﴾.

وقيل إن المراد باللاتي يأتين الفاحشة: النساء عموماً محصنات وغير محصنات فعقوبتهن الحبس في البيوت، والمراد باللذين يأتيانها الرجال عموماً بصنفيهم المحصنين وغير المحصنين فالتثنية في الآية باعتبار الإحصان وعدم الإحصان.

---

(١) مسند أحمد ٣/٤٧٦، ٥/٣١٧.
صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب حد الزنى، حديث رقم ١٢.
سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب في الرجم رقم ٤٤١٥.
سنن الترمذي، كتاب الحدود، باب ما جاء في الرجم رقم ١٤٣٤.
سنن ابن ماجة، كتاب الحدود، باب حد الزنى رقم ٢٥٥٠.
سنن الدارمي، كتاب الحدود، باب تفسير قوله تعالى ﴿**أو يجعل الله لهن سبيلاً**﴾ ٢/١٨١.
(٢) تفسير الطبري ٤/٢٩٤.

فتكون عقوبة الرجال مطلقاً متزوجين وغير متزوجين هي الايذاء. وبهذا قال مجاهد وغيره[1].

وهذا القول هو الراجح لأنه يشمل الرجال بصنفيهم المتزوجين وغير المتزوجين ويشمل النساء متزوجات وغير متزوجات، وقد نسخ هذا كله بما جاء في الآيات والأحاديث السابقة.

وقد رُوي عن ابن عباس ما يدل على أنّ الآية الأولى في النساء والآية الثانية في الرجال وذلك ما أخرجه البيهقي والطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ **واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم** ﴾ الآية قال: كانت المرأة إذا زنت حبست في البيت حتى تموت، وفي قوله ﴿ **واللذان يأتيانها منكم فآذوهما** ﴾ قال: كان الرجل إذا زنى أوذي بالتعيير وضرب النعال فأنزل عز وجل بعد هذا ﴿ **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** ﴾ فإن كانا محصنين رجما في سنة رسول الله ى الله عليه وسلم، وهذا سبيلهما الذي جعل الله لهما[2].

فهذا يؤيد القول الثاني وهو قول مجاهد حيث قال ابن عباس في الآية الأولى: «كانت المرأة إذا زنت حبست حتى تموت» وقال في الآية الثانية: «كان الرجل إذا زنى أوذي بالتعيير وضرب النعال».

وفي هذا الأثر بيان نوع الإيذاء المذكور في الآية.

---

(١) تفسير الطبري ٤/٢٩٥ وتفسير القرطبي ٥/٨٦.

(٢) سنن البيهقي ٨/٢١١ كتاب الحدود، باب ما يستدل به على أن السبيل هو جلد الزانيين ورجم الثيب، وتفسير الطبري ٤/٢٩٢.

وقوله في حديث الباب «وذكر الرجل بعد المرأة ثم جمعهما» غير واضح لأنه لم يرد في الآية ذكر للرجل وحده وإنما ذكر الله سبحانه النساء في الآية الأولى ثم ذكر صنفين في الآية الثانية، وقد سبق بيان اختلاف المفسرين في المراد بهذين الصنفين، فعلى القول بأن المراد بهما الرجل والمرأة يكون المراد بقوله «وذكر الرجل بعد المرأة «أنه ذكره مع المرأة بعدما ذكر المرأة وحدها، ويكون قوله» ثم جمعهما «بيان لكيفية ذكر الرجل مع المرأة يعني أنه ذكره مع المرأة مجموعين في حكم واحد.

٦ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ياأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ (النساء/١٩).

* * *

(٦٢) قال الإمام البخاري: حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا أسباط بن محمد حدثنا الشيباني عن عكرمة عن ابن عباس **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ﴾** قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا زوجوها وإن شاءوا لم يزوجوها وهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية في ذلك[1].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير حديث رقم ٤٥٧٩.
وكتاب الإكراه باب رقم ٥ حديث رقم ٦٩٤٨.

وأخرجه أبو داود والبيهقي والطبري[1].

وفي رواية أخرى لأبي داود عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته فيعضلها حتى تموت أو ترد إليه صداقها فأحكم الله عن ذلك ونهي عن ذلك[2].

بيان المعنى:

هذا الحديث يبين لنا ما كان عليه أهل الجاهلية من ظلم النساء، حيث كان أولياء الزوج يرثون زوجته إذا مات عنها كما يرثون ماله، فلا تملك حريتها في الزواج فإن شاءوا تزوجها أحدهم وإن شاءوا منعوها من الزواج حتى تموت أو تفتدي نفسها منهم بمال.

وقد أخرج ابن جرير الطبري في ذلك من طريق العوفي عن ابن عباس قال في هذه الآية: وذلك أن رجالاً من أهل المدينة كان إذا مات حميم أحدهم ألقى ثوبه على امرأته، فورث نكاحها فلم ينكحها أحد غيره، وحبسها عنده حتى تفتدي منه بفدية فأنزل الله عز وجل ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها** ﴾[3].

ولقد أنقذ الله تعالى المرأة بالإسلام فأخرجها من هذا الوضع السيء إلى وضع آخر يتسم بالعدل والتكريم حيث أعطاها حريتها في نفسها تتزوج من تشاء أو تبقى من غير زواج.

---

(١) سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها رقم ٢٠٨٩.
سنن البيهقي ١٣٨/٧، كتاب النكاح باب ما جاء في تفسير العضل - تفسير الطبري ١٠٤/٨.

(٢) سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب ﴿**لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها**﴾ رقم ٢٠٩٠.

(٣) تفسير الطبري ٣٠٧/٤، وهذا الإسناد ضعيف كما تقدم انظر الحديث رقم (٣٥).

٧ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً . حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليماً حكيماً ﴾ (النساء/٢٣ ـ ٢٤).

* * *

١ ـ قال الإمام البخاري : وقال لنا أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن (٦٣
سعيد عن سفيان قال حدثني حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

رضي الله عنهما قال «حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ ﴿ **حرمت عليكم أمهاتكم** ﴾ الآية[1].

وأخرجه أبو عبدالله الحاكم من طريق عكرمة وعمير الهلالي مولى ابن عباس عن ابن عباس وذكر مثله[2].

وأخرجه الطبراني من طريق عمير الهلالي مولى ابن عباس عن ابن عباس قال: حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع، ثم قرأ ﴿ **حرمت عليكم أمهاتكم** ﴾ حتى بلغ ﴿ **وبنات الأخت** ﴾ ثم قال: هذا النسب، ثم قرأ ﴿ **وامهاتكم اللاتي أرضعنكم** ﴾ حتى بلغ ﴿ **وأن تجمعوا بين الأختين** ﴾ ثم قرأ ﴿ **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء** ﴾ فقال: هذا الصهر[3].

وأخرجه عبدالرزاق من طريق عمير مولى ابن عباس وذكر نحوه إلا أنه لم يذكر المحرمات من النسب[4].

(٦٤) ٢ ـ أخرج عبدالرزاق عن ابن جريج عن عمرو بن دينار أن عكرمة مولى ابن عباس أخبره أن ابن عباس كان لا يرى بأساً أن يجمع إنسان بين أختين، والمرأة وابنتها، وأن ابن عباس كان يقول: لا تحرمهن عليك قرابة بينهن إنما تحرمهن عليك القرابة بينك وبينهن،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب رقم ٢٤ حديث رقم ٥١٠٥.
(٢) المستدرك، كتاب التفسير سورة النساء (٢/٣٠٤).
(٣) المعجم الكبير للطبراني ١١/٤٣١ رقم (١٢٢٢٢).
(٤) مصنف عبدالرزاق، كتاب النكاح، باب ﴿**ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم**﴾ (٦/٢٧٢ رقم ١٠٨٠٨).
وعمير مولى ابن عباس هو عمير بن عبدالله الهلالي أبو عبدالله المدني مولى أم الفضل ويقال له مولى ابن عباس. أخرج له الشيخان وغيرهما (التقريب ٢/٨٦ رقم ٧٧١).

وأن ابن عباس كان يقول ﴿ **إلا ما ملكت أيمانكم** ﴾ ثم يقول هي مرسلة، كل هذا أخبرني عَمْرو أن ابن عباس أفتى معاذ بن عبيدالله ابن معمر بأن يجمع بين جاريتين له أختين أو أم وابنتها، قال: من أخبرك بذلك؟ قال: عكرمة مولى ابن عباس حسبت قال: ابن أبي ملكية ومن شئت.[1].

وأخرج عبد الرزاق أيضاً قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني عمرو أيضاً أن ابن عباس كان يعجب من قول علي في الأختين يجمع بينهما: حرمتها آية وأحلتها آية أخرى، ويقول: ﴿ **إلا ما ملكت أيمانكم** ﴾ هي مرسلة[2].

بيان الإسناد:

رجال هذا الإسناد ثقات تقدمت تراجمهم وتقدم سماع بعضهم من بعض[3] فإسناده على هذا صحيح.

بيان المعنى:

ذكر الله سبحانه في هاتين الآيتين المحرمات من النساء وهن سبع من النسب وسبع من الصهر كما ذكر ابن عباس، أما اللاتي من النسب فهن الأم والبنت والأخت والعمة والخالة وبنت الأخ وبنت الأخت، وأما السبع اللاتي من الصهر فهن الأم من الرضاعة والأخت من الرضاعة وأم الزوجة وبنت الزوجة التي دخل بها زوجها وهي الربيبة،

---

(١) مصنف عبدالرزاق، كتاب الطلاق، باب جمع ذوات الأرحام (١٩٢/٧ رقم ١٢٧٣٦).

(٢) مصنف عبدالرزاق، كتاب الطلاق، باب جمع ذوات الأرحام (١٩٢/٧ رقم ١٢٧٣٧).

(٣) انظر حديث رقم (٢٩) و(١٠) و(٥).

وزوجة الابن من الصلب وأخت الزوجة وزوجة الأب، وهؤلاء ذكرهن الله في قوله ﴿ **حرمت عليكم أمهاتكم** ﴾ الآية ما عدا زوجة الأب فقد ذكرها الله سبحانه في الآية التي قبلها.

وقول ابن عباس «وسبع من الصهر» ينطبق على السبع الأخيرة ما عدا الأم والأخت من الرضاعة ففي تسمية ذلك صهراً تجوز كما ذكر الحافظ ابن حجر(١).

والجامع بين الرضاع والصهر عدم وجود القرابة النسبية في الكل.

وقول عكرمة «إن ابن عباس كان لا يرى بأساً أن يجمع إنسان بين أختين والمرأة وابنتها» يعني من الإماء المملوكات كما هو واضح من آخر هذا الأثر ويستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم** ﴾ ويقول هي مرسلة يعني غير مقيدة.

وقول علي رضي الله عنه «حرمتهما آية وأحلتهما آية اخرى» المراد بآية التحريم قوله تعالى ﴿ **وأن تجمعوا بين الاختين** ﴾ حيث يدخل في عمومها الإماء، والمراد بآية التحليل قوله تعالى ﴿ **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم** ﴾ وأمثالها كقوله تعالى ﴿ **إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم** ﴾ (المؤمنون/٦).

(٦٥) وقد رُوي هذا القول عن عثمان رضي الله عنه وذلك فيما أخرجه عبدالرزاق عن معمر ومالك عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب أن رجلاً سأل عثمان عن الأختين يجمع بينهما فقال عثمان: أحلتهما آية وحرمتهما آية، فأما أنا فلا أحب أن أصنع ذلك، قال فخرج من عنده

---

(١) فتح الباري ٩/١٥٤.

فلقي رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال: لكني أنهاك ولو كان من الأمر إليّ شيء ثم وجدت أحداً يفعل ذلك لجعلته نكالاً. قال ابن شهاب: أراه علياً[1].

وإسناد هذا الأثر صحيح[2].

وقد أجمع الفقهاء من بعد الصحابة رضي الله عنهم على تحريم الجمع بين الأختين مطلقا لعموم قوله تعالى ﴿ **وأن تجمعوا بين الأختين** ﴾.

وشذ أهل الظاهر فقالوا: يجوز الجمع بين الأختين بملك اليمين في الوطء كما يجوز الجمع بينهما في الملك، واحتجوا بما رُوي عن عثمان رضي الله عنه في حكم الجمع بينهما[3].

---

(١) مصنف عبدالرزاق ٧/١٨٩ رقم ١٢٧٢٨ باب الجمع بين ذوات الأرحام في ملك اليمين.

(٢) بيان هذا الإسناد:

١ - معمر هو ابن راشد الأزدي وهو ثقة ثبت تقدم في الحديث رقم (٨).

٢ - مالك هو ابن أنس بن مالك الأصبحي أبو عبدالله المدني الفقيه إمام دار الهجرة ورأس المتقين وكبير المثبتين حتى قال الإمام البخاري: أصح الأسانيد كلها: مالك عن نافع عن ابن عمر، وهو من الطبقة السابعة، مات سنة تسع وسبعين ومائة، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين، (التقريب ٢/٣٢٣ رقم ٨٥٩).

٣ - الزهري هو الإمام محمد بن مسلم بن شهاب، وهو ثقة ثبت تقدم في الحديث رقم (٨).

٤ - قبيصة بن ذؤيب الخزاعي المدني نزيل دمشق رضي الله عنه، من أولاد الصحابة وله رؤية، مات سنة بضع وثمانين، أخرج له الجماعة. (التقريب ٢/١٢٢ رقم ٧٤).

وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض (انظر تهذيب التهذيب ٩/٤٤٥).

(٣) انظر تفسير القرطبي ٥/١١٦، تفسير ابن كثير ١/٤٩٩، المغني لابن قدامة ٦/٥٨٤.

والظاهر أن قوله تعالى ﴿ **إلا ما ملكت أيمانكم** ﴾ لا يخصص عموم قوله تعالى ﴿ **وأن تجمعوا بين الأختين** ﴾ لأن المراد بقوله ﴿ **إلا ما ملكت أيمانكم** ﴾ استثناء المملوكات المتزوجات من عموم تحريم نكاح النساء المتزوجات المبين في قوله تعالى ﴿ **والمحصنات من النساء** ﴾ فيجوز الاستمتاع بالمملوكة وإن كانت ذات زوج بعد استبرائها وليس فيها إشارة للجمع بين الأختين.

وقوله في الحديث الثاني «كل هذا أخبرني عمرو» هذا من كلام ابن جريج الراوي عن عمرو بن دينار.

وقوله «قال: من أخبرك بذلك» يعني قال ابن جريج لعمرو بن دينار: من أخبرك بفتوى ابن عباس.

وقوله «قال: عكرمة مولى ابن عباس، حسبت قال: ابن أبي مليكة ومن شئت » يعني قال عمرو بن دينار: أخبرني عكرمة، وأظن أن ابن أبي مليكة أخبرني وأخبرني من شئت غيرهما، يعني: أن هذه الفتوى مشهورة عن ابن عباس رواها عنه أكثر من واحد.

(٦٦) ٣ ـ أخرج عبدالرزاق عن ابن جريج قال أخبرني عطاء أنه سمع ابن عباس يراها الآن حلالاً[1]، وأخبرني أنه كان يقرأ ﴿ ﴿**فما استمتعتم به منهن ـ إلى أجل ـ فآتوهن أجورهن** ﴾ وقال ابن عباس: في حرف «إلى أجل» قال عطاء: وأخبرني من شئت عن أبي سعيد الخدري قال: لقد كان أحدنا يستمتع بملء القدح سويقا، وقال صفوان: هذا ابن عباس يفتي بالزنا، فقال ابن عباس: إني لا أفتي

(١) يعني متعة النساء كما سيأتي في شرح الحديث.

بالزنا أفنسى صفوان أم أراكه، فوالله ان ابنها لمن ذلك أفزنا هـو؟ قال: واستمتع بها رجل من بني جمح[1].

بيان الإسناد:

١ - ابن جريج هو عبدالملك بن عبدالعزيـز بن جريـج وهو ثقـة فقيه تقدمت ترجمته[2].

٢ - وعـطاء هو ابن أبي ربـاح المكي مولى قـريش وهو ثقـة فقيـه فاضل لكنـه كثير الإرسـال. من الطبقـة الثالثـة مات سنـة أربع عشرة ومائة على المشهور وقيل إنه تغـير بأخـرة ولم يكن ذلك منـه، أخرج لـه الجماعة[3].

وقد سمع منه ابن جريج وسمع هو من ابن عباس[4].

فإسناد الحديث على هذا صحيح.

(٦٧) ٤ - قـال الإمام الـترمـذي: حـدثنـا محمـود بن غيـلان أخـبرنـا سفيـان بن عقبـة أخـو قبيصـة بن عقبـة أخـبرنـا سفيـان الثـوري عن مـوسى بن عبيدة عن محمـد بن كعب عن ابن عباس قـال: إنما كـانت المتعـة في أول الإسلام كـان الرجـل يقدم البلدة ليس لـه بهـا معـرفـة فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه يقيم فتحفظ لـه متاعـه وتصلح له شيئـه حتى إذا نـزلت الآية ﴿ **إلا عـلى أزواجهم أو ما ملكت أيمـانهم** ﴾ قال ابن عباس: فكل فرج سواهما فهو حرام[5].

---

(١) مصنف عبدالرزاق، باب المتعة/ ٤٩٨ حديث رقم ١٤٠٢٢.

(٢) انظر الحديث رقم (٢٩).

(٣) التقريب ٢/٢٢ رقم ١٩٠، تذكرة الحفاظ ١/٩٨ رقم ٩٠.

(٤) تهذيب التهذيب ٧/١٩٩ رقم ٣٨٤.

(٥) سنن الترمذي، كتاب النكاح، باب النكاح المتعة حديث رقم ١١٢٢.

بيان الإسناد:

١ - محمود بن غيلان العدوي بالولاء أبو أحمد المروزي، نزيل بغداد، ثقة من الطبقة العاشرة، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين وقيل بعد ذلك أخرج له الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه(١).

٢ - وسفيان بن عقبة السوائي الكوفي أخو قبيصة بن عقبة صدوق، من الطبقة التاسعة أخرج له مسلم والأربعة(٢).

٣ - وسفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبدالله الكوفي ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، من رءوس الطبقة السابعة وكان ربما دلس، مات سنة إحدى وستين ومائة وله أربع وستون أخرج له الجماعة(٣).

٤ - وموسى بن عبيدة بن نشيط الرَّبَذي أبو عبدالعزيز المدني ضعيف ولاسيما في عبدالله بن دينار وكان عابداً، من صغار الطبقة السادسة، مات سنة ثلاث وخمسين ومائة، أخرج له الترمذي وابن ماجة(٤).

٥ - ومحمد بن كعب بن سليم بن أسد أبو حمزة القرظي المدني ثقة عالم، من الطبقة الثالثة، ولد سنة أربعين على الصحيح ووهم من قال ولد في عهد النبي ى الله عليه وسلم فقد قال البخاري: إن أباه كان ممن لم ينبت من بني قريظة(٥) مات محمد سنة عشرين ومائة وقيل

---

(١) التقريب ٢/٢٢٣ رقم ٩٦١، الكاشف ٣/١٢٥ رقم ٥٤١٦.

(٢) التقريب ١/٣١١ رقم ٣١٦، الكاشف ١/٣٧٨ رقم ٢٠٢٠.

(٣) التقريب ١/٣١١ رقم ٣١١، تذكرة الحفاظ ١/٢٠٢ رقم ١٩٧.

(٤) التقريب ٢/٢٨٦ رقم ١٤٨٣، المغني في الضعفاء ٢//٦٨٥ رقم ٦٥٠٩.

(٥) يعني أنه ممن أعفي من القتل من بني قريظة حيث لم يصل آنذاك سن البلوغ.

قبل ذلك، أخرج له الجماعة[1].

وهذا إسناد متصل حيث قد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض[2].

وقد تبين لنا أنهم ثقات ما عدا موسى بن عبيدة فهو ضعيف.

وأخرج هذا الحديث البيهقي من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن كعب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المتعة في أول الإسلام وكانوا يقرؤون هذه الآية ﴿ **فما استمتعتم به منهن - إلى أجل مسمى -** ﴾ الآية... ثم ذكر مثله[3].

وهذه الرواية لا تقوي الرواية السابقة لأنهما من طريق واحد، ولم أجد لهذا الحديث إسناداً آخر يقويه فهو بهذا الإسناد يكون ضعيفاً.

بيان المعنى:

قوله «وقال ابن عباس: في حرف - إلى أجل -» هذه القراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف العثماني، وهذه القراءة ليست من القراءات العشر[4].

وقال الإمام أبو جعفر ابن جرير في هذه القراءة: «وأما ما روى عن أبي بن كعب وابن عباس من قراءتهما ﴿ **فما استمتعتم به منهن - إلى**

---

(١) التقريب ٢٠٣/٢ رقم ٦٥٩، الكاشف ٩٢/٣ رقم ٥٢١٠.

(٢) تهذيب التهذيب ٦٤/١٠ رقم ١٠٩، ١١٦/٤ رقم/٢٠٣، ٣٥٦/١٠ رقم ٦٣٦، ٤٢٠/٩ رقم ٦٨٩.

(٣) سنن البيهقي ٢٠٥/٧، كتاب النكاح، باب نكاح المتعة.

(٤) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٤٩/٢.

أجـل مسمى ـ ﴾ فقراءة بخـلاف ما جـاءت به مصـاحف المسلمـين، وغـير جائـز لأحد أن يلحق في كتـاب الله تعالى شيئـاً لم يأت بـه الخـبر القاطع العذر عمن لا يجوز خلافه »[١].

قوله «لقد كان أحدنا يستمتع بملء القـدح سويقـاً » المتعة هي أن يستمتع الرجل بالمرأة إلى أجل مسمى ثم يفارقها، وهي لا تعتبر نكاحاً ولا يترتب عليها ميراث.

قوله «أفنسي صفوان أم أراكه » الخ أخرج عبـدالرزاق في مصنفـه قصة أم أراكه من طريق ابن جريـج قال: أخـبرني عمرو بن دينـار عن طـاوس عن ابن عباس قـال: لم يَرُعْ عمـرَ أمـير المؤمنـين إلا أمُّ أراكـة خرجت حبلى، فسـألها عمـر عن حملها فقـالت: استمتع بي سلمـة بن أميـة بن خلف، فلما أنكر صفـوان على ابن عبـاس بعض ما يقـول في ذلك قال: فسل عمك هل استمتع[٢].

ومن هـذه الروايـة تبين لنـا أن صفوان الـذي اعـترض عـلى ابن عباس هو ابن أخي سلمة بن أمية بن خلف.

وابن عباس رضي الله عنهما لم يكن يفتي بجواز نكاح المتعة إلا عند الضرورة كالميتة للمضطر كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي جمرة[٣] قال: سمعت ابن عباس يسأل عن متعة النساء فرخص فقـال له مـولى له[٤]: إنما ذلـك في الحال الشـديد وفي النسـاء قلة، ـ أو نحوه ـ فقـال

---

(١) تفسير الطبري ١٣/٥.

(٢) مصنف عبدالرزاق، باب المتعة ٤٩٨/٧ رقم ١٤٠٢٤.

(٣) أبو جمرة هو الضبعي كما ذكر ابن حجر في الفتح ١٧١/٩.

(٤) قال ابن حجر: لم أقف على اسمه صريحاً وأظنه عكرمة ـ الفتح ١٧١/٩.

ابن عباس: نعم[1].

قال ابن حجر: قوله «فقال ابن عباس: نعم» في رواية الإسماعيلي «صدق» وعند مسلم من طريق الزهرى عن خالد بن المهاجر أو ابن أبي عمرة الأنصاري «قال رجل» يعني لابن عباس، وصرح به البيهقي في روايته ـ: إنما كانت ـ يعني المتعة ـ رخصة في أول الإسلام لمن اضطر إليها كالميتة والدم ولحم الخنزير، قال: ويؤيده ما أخرجه الخطابي والفاكهي من طريق سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: لقد سارت بفتياك الركبان وقال فيها الشعراء ـ يعني المتعة ـ فقال: والله ما بهذا أفتيت وما هي إلا كالميتة لا تحل إلا للمضطر[2].

ومن الحديث الذي أخرجه الإمام الترمذي يتبين لنا أن ابن عباس قد رجع عن رأيه وأفتى بتحريم نكاح المتعة، ولكن إسناده ضعيف كما تقدم.

أما الجمهور من الصحابة فيرون أن نكاح المتعة حرام، وكذلك اتفق العلماء على تحريمها لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه حرمها إلى يوم القيامة بعدما أباحها للصحابة عند الضرورة، وذلك فيما أخرجه مسلم من طريق الربيع بن سبرة الجهني أن أباه حدثه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أيها الناس أني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً.

وقوله «انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم» يعني عام الفتح

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، حديث رقم ٥١١٦.
(٢) فتح الباري ١٧١/٩.

كما صرح به في الروايات الأخرى التي أخرجها مسلم ومنها قوله «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة ثم لم نخرج منها حتى نهانا عنها»[1].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب نكاح المتعة حديث رقم ٢١ - ٢٢ وانظر فتح الباري ٩/١٦٨، نصب الراية ٣/١٧٦، أضواء البيان ١/٢٨٣.

٨ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ **ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيداً** ﴾ (النساء/٣٣).

* * *

(٦٨) ١ ـ قال الإمام البخاري: حدثنا الصلت بن محمد حدثنا أبو أسامة عن إدريس عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ **ولكل جعلنا موالي** ﴾ قال: ورثة ﴿ **والذين عاقدت أيمانكم** ﴾ كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم، فلما نزلت ﴿ **ولكل جعلنا موالي** ﴾ نسخت، ثم قال ﴿ **والذين عاقدت أيمانكم** ﴾ من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له»[1].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النساء، باب ٧ حديث ٤٥٨٠ وانظر رقم ٢٢٩٢ و ٦٧٤٧.

وأخرجه ابن الجارود وأبو داود والحاكم والبيهقي والطبري[1].

(٦٩) قال الإمام أبو داود الطيالسي: حدثنا سليمان عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: آخى رسول الله ى الله عليه وسلم بين أصحابه وورث بعضهم من بعض حتى نزلت ﴿ **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض** ﴾ فتركوا ذلك وتوارثوا بالنسب[2].

بيان الإسناد:

١ - سليمان هو ابن قرم بن معاذ التيمي أبو داود النحوي وثقه الإمام أحمد وضعفه غيره وقال الحافظ ابن حجر عنه: سيء الحفظ يتشيع، من الطبقة السابعة ومنهم من ينسبه إلى جده[3].

٢ - سماك هو ابن حرب الذهلي وهو صدوق وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة كما مضى في ترجمته[4].

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[5].

وقد أخرجه الإمام الطبراني من طريق أبي داود الطيالسي بإسناده وذكر مثله[6].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الفرائض، باب نسخ ميراث العقد رقم ٢٩٢٢.
المستدرك ٢/٣٠٦، كتاب التفسير.
المنتقى لابن الجارود، باب المواريث رقم ٩٥٣.
السنن الكبرى ٦/٢٦٢، كتاب الوصايا، باب نسخ التوارث بالتحالف وغيره ١٠/٢٩٦، كتاب الولاء، باب ما يستدل به على نسخ آية المعاقدة.
تفسير الطبري ٥/٥٣.

(٢) منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود، سورة النساء ٢/١٩ رقم ١٩٥٢.

(٣) تهذيب التهذيب ٤/٢١٣ رقم ٣٦٧، التقريب ١/٣٢٩ رقم ٤٨٠.

(٤) مضى بهذا في الحديث رقم (٥).

(٥) تهذيب التهذيب ٤/٢١٣ رقم ٣٦٧ و ٢٣٢ رقم ٣٩٥.

(٦) معجم الطبراني ١١/٢٨٤ رقم ١١٧٤٨.

وقال الهيثمى عن إسناد الطبراني: رجاله رجال الصحيح[1]، وذلك لأن سليمان بن قرم وسماك بن حرب قد أخرج لهما الإمام مسلم في صحيحه. وقد سبق لنا في المقدمة أن بينا أن إخراج الإمام مسلم لمن اتهموا بالوهم وسوء الحفظ لا يعني أن يصحح أحاديثهم بل ينتقي منها مالم يتهموا فيه ويترك ما اتهموا فيه[2].

(١) مجمع الزوائد ٧/٢٨.
(٢) انظر ص (٣٧) من المقدمة.

وبهذا تبين لنا أن في هذا الإسناد سليمان بن قرم ضعفه بعض النقاد وقال عنه الحافظ ابن حجر: «سيء الحفظ» كما أن فيه سماك بن حرب في روايته عن عكرمة اضطراب وقد رواه هنا عن عكرمة، ولكن أخرجه الإمام أبو داود السجستاني من طريق آخر قال حدثنا أحمد بن محمد بن ثابت حدثني علي بن حسين عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس وذكر نحوه(1).

وهذا الإسناد تقدم بيانه وتبين لنا أن فيه علي بن الحسين بن واقد المروزي وقد اتهم بالوهم(2)، لكن مجيء الحديث من هذين الطريقين يرفع الوهم والاضطراب عن هؤلاء الرواة كما يرفعه مجيئه أيضاً من طريق ثالثة أخرجها الإمام ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وذكر نحوه(3).

فهذه الأسانيد الثلاثة حسان بعد انتفاء الوهم والاضطراب وباعتضادها بعضها مع بعض يصبح الحديث صحيحاً لغيره.

بيان المعنى:

قوله: «فلما نزلت ﴿ **ولكل جعلنا موالي** ﴾ نسخت» هكذا جاء في رواية الإمام البخاري أن هذه الآية هي التي نسخت التوارث بالحلف، وفي الرواية التي أخرجها الإمام أبو داود الطيالسي أن الناسخ قوله تعالى ﴿ **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله** ﴾.

---

(1) سنن أبي داود، كتاب الفرائض، باب رقم ١٦ حديث رقم ٢٩٢١

(2) انظر الحديث رقم (١٣).

(3) تفسير الطبري ٥/٥٢.

وهذا إسناد حسن كما تقدم في الحديث رقم (٢).

وقد ذكر ابن جرير أن الناسخ هو قوله تعالى ﴿ **وأولوا الأرحام** ﴾، ونسب هذا القول إلى ابن عباس وقتادة وعكرمة والحسن البصري وهو الذي اعتمده أخيراً في تفسير الآية.

وذكر الحافظ ابن حجر الرواية الأخيرة في شرحه لحديث البخاري ونقل القول بأن الناسخ هو ﴿ **وأولوا الارحام** ﴾ عن قتادة، ثم قال: ومن طرق شتى عن جماعة من العلماء كذلك وهذا هو المعتمد، قال: ويحتمل أن يكون النسخ وقع مرتين: الأولى حيث كان المعاقد يرث وحده دون العصبة فنزلت ﴿ **ولكل** ﴾ وهي آية الباب فصاروا جميعاً يرثون، وعلى هذا يتنزل حديث ابن عباس ثم نسخ ذلك آية الاحزاب وخص الميراث بالعصبة وبقي للمعاهد النصر والارفاد ونحوهما وعلى هذا يتنزل بقية الآثار وقد تعرض له ابن عباس في حديثه أيضاً لكن لم يذكر الناسخ الثاني ولا بد منه والله أعلم أهـ(١).

أقول وهذا جمع حسن إذا اعتبرنا أن المراد بالنصيب في قوله تعالى: ﴿ **فآتوهم نصيبهم** ﴾هو نصيبهم من الميراث وأن قوله تعالى ﴿ **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله** ﴾ قد نسخ اشتراك المعاقدين مع الورثة في الميراث وأثبت اختصاص الورثة بالإرث، ولكن ابن عباس فسر النصيب في الآية بالنصر والرفادة والنصيحة والوصية، فإذا اعتبرنا أنَّ ابن عباس يرى أن قوله تعالى ﴿ **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض** ﴾ يبين أن المراد بالنصيب في الآية الإحسان والمعروف وليس الإرث فهذا جائز ويكون النسخ بكلتا

---

(١) فتح الباري ٨/٢٤٩.

الآيتين على أن إحداهما مبينة للأخرى وعلى هذا فلا تعارض بين هـذه الروايات.

قوله «ثم قال ﴿ **والذين عـاقدت ايمـانكم** ﴾» «عاقـدت» بالألف قـراءة ابن عـامـر وابن كثـير وابي عمـرو ونـافـع وقـرأ عـاصم وحمـزة والكسائي بغير ألف[1].

وقوله «من النصر والـرفادة والنصيحـة» متعلق بقولـه ﴿ **فآتـوهم نصيبهم** ﴾ ولم تذكر هذه الجملة في رواية البخاري وذكرهـا الطبري في روايتـه عن أبي كريب بـإسنـاد البخـاري حيث جـاء فيهـا ﴿ **والـذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم** ﴾ من النصر الخ[2].

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٩.
(٢) تفسير الطبري ٥/٥٣.

٩ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً ﴾ (النساء/ ٣٥).

* * *

(٧٠) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: (شقاق) تفاسد[١].

وأخرجه الإمام ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: فهذا الرجل والمرأة إذا تفاسد الذي بينهما... ثم ذكر بعث الحكمين من أهله وأهلها[٢].

وإسناد هذا الأثر حسن كما تقدم[٣].

بيان المعنى:

قوله **﴿ وإن خفتم شقاق بينهما ﴾** يعني: وإذا حدث بين الزوجين نزاع فخفتم أن يؤدي هذا النزاع إلى تباعد بينهما.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النساء، باب رقم ٢٣.
(٢) تفسير الطبري ٥/ ٧٣.
(٣) انظر الحديث رقم (٢).

وفسر ابن عباس الشقاق بالتفاسد، وهذا من باب التفسير باللازم، لأن الشقاق هو النزاع والخصام، فكأن كل واحد من المتخاصمين يأخذ شقاً غير شق صاحبه، ويلزم منه وقوع التفاسد بين المتخاصمين.

وقوله ﴿ **إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما** ﴾ يعني بذلك الحكمين كما أخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: وذلك الحكمان وكذلك كل مصلح يوفقه الله للحق والصواب[1].

وإسناده حسن كما تقدم[2].

---

(١) تفسير الطبري ٥/٧٦.

(٢) انظر الحديث رقم (٢).

١٠ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أوجاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفورا ﴾ (النساء/٤٣).

* * *

(٧١) ١ ـ قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: **﴿ لمستم ﴾** و **﴿ تمسوهن ﴾** و **﴿ اللاتى دخلتم بهن ﴾** والإفضاء؛ الجماع[١].

(٧٢) ٢ ـ قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: الدخول والمسيس واللماس هو الجماع[٢].

(٧٣) ٣ ـ أخرج عبدالرزاق عن معمر عن قتادة أن عبيد بن عمير

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النساء، الباب الثالث.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب رقم ٢٥.

وسعيد بن جبير وعطاء بن رباح اختلفوا في الملامسة، قال سعيد وعطاء هو اللمس والغمز، وقال عبيد بن عمير هو النكاح، فخرج عليهم ابن عباس وهم كذلك، فسألوه وأخبروه بما قالوا فقال: أخطأ الموليان وأصاب العربي وهو الجماع ولكن الله يعف ويكني[١].

بيان الإسناد:

١ ـ معمر بن راشد الأزدي ثقة ثبت تقدمت ترجمته[٢].

٢ ـ وقتادة بن دعامه السدوسي ثقة ثبت تقدمت ترجمته أيضاً، وتقدم بيان سماع عبدالرزاق من معمر ومعمر من قتادة[٣].

وعلى هذا فالحديث صحيح الإسناد.

(٧٤) ٤ ـ أخرج عبد الرزاق الصنعاني عن الثوري عن عاصم .. عن بكر بن عبد الله المزني قال قال ابن عباس رضي الله عنهما: الدخول، والتغشي، والإفضاء، والمباشرة، والرفث، واللمس، هذا الجماع، غير أن الله حيي كريم يكني بما شاء عما شاء[٤].

بيان الإسناد:ـ

١ ـ الثوري هو الإمام سفيان وهو ثقة حافظ فقيه تقدمت ترجمته[٥].

٢ ـ وعاصم هو ابن سليمان الأحول أبو عبد الرحمن البصري، وهو ثقة، من الطبقة الرابعة، لم يتكلم فيه إلا الإمام يحيى بن سعيد

---

(١) مصنف عبدالرزاق، كتاب الصلاة، باب الوضوء من القبلة حديث رقم ٥٠٦.
(٢) انظر الحديث رقم (٨).
(٣) انظر الحديث رقم (١١).
(٤) مصنف عبد الرزاق، كتاب الطلاق باب ﴿وربائبكم﴾ رقم ١٠٨٢٦.
(٥) انظر الحديث رقم (٦٧).

القطان وكأنه بسبب دخوله في الولاية، مات سنة أربعين ومائة، أخرج له الجماعة[1].

٣ ـ بكر بن عبد الله المزني أبو عبد الله البصري، ثقة ثبت جليل، من الطبقة الثالثة، مات سنة ست ومائة، أخرج له الجماعة[2].

فهؤلاء كلهم ثقات قد سمع بعضهم من بعض[3] فإسناده صحيح.

(٧٥) ٥ ـ أخرج عبد الرزاق عن الثوري عن قابوس عن أبي ظبيان قال: سئل ابن عباس أي الصعيد أطيب؟ قال الحرث[4].

بيان الإسناد :ـ

سفيان الثوري ثقة حافظ فقيه تقدمت ترجمته[5].

قابوس بن أبي ظبيان الجنبي، فيه لين، من الطبقة السادسة[6].

وأبوه هو حصين بن جندب بن الحارث الجنبي الكوفي وهو ثقة من الطبقة الثانية[7].

وهذا إسناده متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[8].

---

(١) التقريب ١/٣٨٤ رقم ٧، تذكرة الحفاظ ١/١٤٩ رقم ١٤٤.
(٢) التقريب ١/١٠٦ رقم ١١٧، الكاشف ١/١٥٢ رقم ٦٣٥.
(٣) تهذيب التهذيب ٥/٤٢ رقم ٧٣، ١/٤٨٤ رقم ٨٨٩.
(٤) مصنف عبد الرزاق، كتاب الطهارة، باب أي الصعيد أطيب ١/٢١١، رقم ٨١٤.
(٥) انظر الحديث رقم (٦٧).
(٦) انظر الحديث رقم (٥٢).
(٧) انظر الحديث رقم (٥٢).
(٨) تهذيب التهذيب ٨/٣٠٥ رقم ٥٥٣، ٢/٣٧٩ رقم ٦٥٤.

ورجاله ثقات ماعدا قابوس بن أبي ظبيان ففيه ضعف فيكون الإسناد ضعيفاً.

بيان المعنى :-

قوله في الرواية الأولى : (لمستم) يريد قوله تعالى في هذه الآية ﴿ **أو لامستم النساء** ﴾ وقد قرأها بغير ألف حمزة والكسائي وخلف وقرأها الباقون بألف[1].

وقوله (تمسوهن) يريد قوله تعالى ﴿ **لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن** ﴾(البقرة/٢٣٦).

وقوله (اللاتي دخلتم بهن) يريد قوله تعالى ﴿ **وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن** ﴾(النساء/٢٣).

وقد تبين لنا من هذه الآثار رأي ابن عباس في نقض الوضوء من ملامسة النساء حيث بين أن المراد بالملامسة في الآية الجماع وليس مجرد مس جسم المرأة.

وهذا القول مروي عن علي رضي الله عنه أخرجه ابن جرير من طريق الشعبي عنه[2].

(٧٦) ويؤيده ما أخرجه الإمام أحمد قال حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة بن الزبير عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ، قال عروة : قلت لها : من هي إلّا أنت ؟ قال : « فضحكت »[3].

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٥٠.
(٢) تفسير الطبري ٥/ ١٠٣.
(٣) مسند أحمد ٦/ ٢١٠.

وهذا إسناد صحيح[1] .

مما يدل على أن لمس المرأة لا ينقض الوضوء ما أخرجه الشيخان من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها :

---

(١) وبيان هذا الإسناد :ـ

١ ـ وكيع هو ابن الجراح الرؤاسي وهو ثقة حافظ عابد ـ التقريب ٢/٣٣١، تذكرة الحفاظ ١/٣٠٦.

٢ ـ والأعمش هو سليمان بن مهران الأسدي وهو ثقة حافظ ـ التقريب ١/٣٣١، تذكرة الحفاظ ١/١٥٠.

وقد سمع هؤلاء بعضهم من بعض ـ التهذيب ٩/٣٨٥، ١١/١٢٣.

٣ ـ وحبيب بن أبي ثابت ثقة فقيه جليل وكان كثير الإرسال والتدليس ـ التقريب ١/١٤٨.

٤ ـ وعروة هو ابن الزبير بن العوام وهو ثقة فقيه مشهور اشتهر بكثرة العبادة وقراءة القرآن وكان حافظاً ثبتاً عالماً بالسيرة ـ التقريب ٢/١٩، تذكرة الحفاظ ١/٦٢.

وقد ضعّف بعض العلماء هذا الحديث بأن حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من عروة بن الزبير، واحتجوا بما روى عن سفيان الثوري أنه قال : ما حدثنا حبيب إلا عن عروة المزني، ذكره أبو داود السجستاني بعد إسناده هذا الحديث ثم قال : يعني : لم يحدثهم عن عروة بن الزبير بشيء، ثم قال أبو داود : وقد روى حمزة الزيات عن حبيب عن عروة بن الزبير عن عائشة حديثاً صحيحاً ـ سنن أبن داود (كتاب الطهارة باب الوضوء من القبلة رقم ٦٩).

وهذا الحديث الصحيح الذي رواه عن عروة بن الزبير هو ما أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات من سننه قال : حدثنا أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن حمزة الزيات عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم عافني في جسدي وعافني في بدني « الحديث ذكره ابن التركماني في تعليقه على سنن البيهقي » ـ الجوهر النقي ١/١٢٤.

فتبين من هذا ثبوت سماع حبيب بن أبي ثابت من عروة بن الزبير.

وقول سفيان الثوري «ما حدثنا حبيب إلا عن عروة المزني » لا ينفي ثبوت سماع حبيب عن عروة بن الزبير لاحتمال أن يكون حدث بذلك غيره، وقد تبين لنا سماعه منه.

وقد أخرج هذا الحديث الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة والدار قطني كلهم عن وكيع عن الأعمش بهذا الإسناد.

« كنت أنام بين يدي رسول الله ى الله عليه وسلم ورجلاي في قبلته فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي فإذا قام بسطهتما، قالت : والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح »[1].

قوله : « فتيمموا صعيدا طيبا » يعني فاقصدوا تراباً طاهراً « فامسحوا بوجوهكم وأيديكم » يعني من ذلك التراب بدلاً من الماء.

وجاء في الحديث الخامس من أحاديث هذا الباب أن ابن عباس سئل : أي الصعيد أطيب ؟ فقال : الحرث.

ولعل ذلك لأن الحرث طهارته مؤكدة حيث يمر عليه الماء كثيراً.

= وأخرجه الدار قطني أيضاً بأسانيد أخرى عن الأعمش بهذا الإسناد (مسند أحمد ٦/ ٢١٠، سنن أبي داود، كتاب الطهارة باب ٦٩، حديث ١٧٩، سنن الترمذي، كتاب الطهارة، باب ٦٣ حديث ٨٦، سنن ابن ماجة، كتاب الطهارة، باب ٦٩ حديث ٥٠١)

فهذه الطرق كلها تدور على حبيب بن أبي ثابت.

ولكن أخرج الدار قطني هذا الحديث من عدة طرق عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها وليس فيها حبيب بن أبي ثابت - سنن الدار قطني ١/ ١٣٥ - ١٣٨ كما أخرجه البزار من طريق عطاء عن عائشة رضي الله عنها.

- نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية ١/ ٧٢، وقد وثق رجال بعض هذه الطرق الحافظ الزيلعي والحافظ ابن حجر.

- نصب الراية ١/ ٧١ + ٧٥، الدراية في تخريج أحاديث الهداية ١/ ٤٣ - ٤٥.

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة باب ٢٢ حديث ٣٨٢.
صحيح مسلم، كتاب الصلاة باب ٥١ حديث ٢٧٢.

١١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ياأيها الذين آمنو أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾(النساء/ ٥٩).

* * *

قال الإمام البخاري : حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا حجاج بن محمد عن ابن جريح عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما : **﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾** قال : « نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى إذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية »[١]. (٧٧)

وأخرجه مسلم وابن الجارود وأبو داود والنسائي والترمذي وأحمد والطبري[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، حديث رقم ٤٥٨٤ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة باب ٨ حديث رقم ١٣ .
المنتقى لابن الجارود، باب طاعة الأمراء رقم ١٠٤٠ .
سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الطاعة رقم ٢٦٢٤ . =

بيان المعنى :-

أخرج الإمام أحمد خبر هذه القصة كاملاً عن أبي سعيد الخدري قال : بعث رسول الله ى الله عليه وسلم علقمة بن مُجَزِّز على بعث أنا فيهم حتى انتهينا إلى رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق فأذن لطائفة من الجيش وأمرَّ عليهم عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي وكان من أصحاب بدر وكانت فيه دعابة - يعني مزاحاً - وكنت ممن رجع معه فنزلنا ببعض الطريق، قال : وأوقد القوم ناراً ليصنعوا عليها صنيعاً لهم أو يصطلوا قال : فقال لهم : أليس لي عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى، قال : أعزم عليكم بحقي وطاعتي لما تواثبتم في هذه النار فقام ناس فتحجزوا حتى إذا ظن أنهم واثبون قال : احبسوا أنفسكم فإنما كنت أضحك معكم فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن قدموا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «من أمركم منهم بمعصية فلا تطيعوه»(١) .

والشاهد من الآية لهذه القصة هو في قوله تعالى ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول** ﴾ فهؤلاء القوم لما اختلفوا مع قائدهم أطاعه بعضهم وتردد في طاعته البعض الآخر فبين تعالى في هذه الآية أن الواجب عند التنازع هو الرجوع إلى الله ورسوله، فالرجوع إلى الله هو الرجوع إلى كتابه والرجوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو

= سنن النسائي، كتاب البيعة، باب قوله تعالى ﴿**وأولي الأمر منكم**﴾ ١٥٤/٧ .
سنن الترمذي، كتاب الجهاد، باب رقم ٣ (تحفة الاحوذى ٣١٥/٥).
تفسير الطبري ٤٩٧/٨ .
مسند أحمد ٣٣٧/١ .

(١) مسند الإمام أحمد ٦٧/٣ .

الرجوع إليه حال حياته ثم إلى سننه بعد وفاته.

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن طاعة الولاة إنما هي في المعروف، فأما فيما يخالف طاعة الله ورسوله فلا تجوز طاعتهم.

١٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾(النساء/ ٧٥)

* * *

(٧٨) قال الإمام البخاري : حدثني عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عبيد الله قال سمعت ابن عباس قال : « كنت أنا وأمي من المستضعفين »[١].

(٧٩) وقال الإمام البخاري : حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد بن أيوب عن ابن أبي مليكة أن ابن عباس تلا ﴿ **إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان** ﴾ فقال : « كنت أنا وأمي ممن عذر الله »[٢].

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير، سورة النساء.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير، سورة النساء حديث رقم ٤٥٨٨ .

بيان المعنى :-

ذكـر ابن عبـاس في هـذين الحـديثـين أنـه كـان هـو وأمـه من المستضعفين في مكة الذين منعهم الكفار من إظهـار دينهم ومن الهجرة إلى المـدينة، وقـد كان قبـل فتح مكـة من الـولـدان حيث لم يبلغ سن التكليف.

وقوله « كنت انا وأمي ممن عذر الله » يعني في التخلف عن الهجرة إلى المدينة ويقصد بذلك قوله تعالى ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكـة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنـا مستضعفين في الأرض قـالوا ألم تكن أرض الله واسعـة فتهـاجـروا فيهـا فـأولئـك مـأواهم جهنم وسـاءت مصيرا. إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولـدان لا يستطيعـون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً** ﴾(النساء ٩٧ - ٩٩).

١٣ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ﴾ (النساء/٧٧).

(٨٠) قال الإمام النسائي : أخبرنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال أنبأنا أبي قال أنبأنا الحسين بن واقد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس « أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ى الله عليه وسلم بمكة فقالوا يا رسول الله إنا كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة ! فقال : إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا ، فلما حولنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال فكفوا فأنزل الله عز وجل **﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة ﴾** (الآية)[١]

(١) سنن النسائي كتاب الجهاد ٦/٣.

بيان الإسناد :-

١ - محمد بن علي بن الحسن بن شقيق بن دينار المروزي ثقة صاحب حديث، من الطبقة الحادية عشرة، مات سنة خمسين ومائتين، أخرج له الترمذي والنسائي[١].

٢ - وأبوه علي بن الحسن بن شقيق أبو عبد الرحمن المروزي ثقة حافظ، من كبار العاشرة مات سنة خمس عشرة ومائتين وقيل قبل ذلك، أخرج له الجماعة[٢].

٣ - والحسين بن واقد المروزي ثقة تقدمت ترجمته[٣].

٤ - وعمرو بن دينار ثقة ثبت تقدمت ترجمته[٤].

٥ - وعكرمة ثقة ثبت تقدمت ترجمته[٥].

فهؤلاء رجال ثقات قد سمع بعضهم من بعض[٦].

وعلى هذا فإسناد الحديث صحيح .

وأخرجه الحاكم والطبري والبيهقي كلهم من طريق الحسين بن واقد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس، وقال الحاكم : صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي[٧] .

---

(١) التقريب ٢/١٩٢ رقم ٥٤١، الخلاصة/٣٥٢.
(٢) التقريب ٢/٣٤ رقم ٣١١، تذكرة الحفاظ ١/٣٧٠ رقم ٣٦٥.
(٣) انظر الحديث رقم (١٣).
(٤) انظر الحديث رقم (١٠).
(٥) انظر الحديث رقم (٥).
(٦) تهذيب التهذيب ٩/٣٤٩ رقم ٥٧٩، ٢/٣٧٣ رقم ٦٤٢، ٨/٢٨ رقم ٤٥ .
(٧) المستدرك ٢/٣٠٧ كتاب التفسير، ٢/٦٦ كتاب الجهاد.
سنن البيهقي ٩/١١، كتاب السير، باب مبتدأ الإذن بالقتال.
تفسير الطبري ٥/١٧٠.

بيان المعنى :-

الذي يفهم من هذه الرواية أن قوله تعالى ﴿ **الم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم** ﴾ الآية قد نزل في جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم آمنوا به قبل أن يفرض الجهاد فطلبوا منه أن يأذن لهم به ليدفعوا عن أنفسهم فأمروا بالكف عن القتال فلما فرض عليهم ضعف بعضهم وكفوا عن القتال.

وظاهر هذه الرواية أن الذين طلبوا الإذن بالقتال وهم عبد الرحمن بن عوف وأصحابه هم الذين كفوا عنه بعدما أمروا به، وهذا يتنافى مع فضيلة هؤلاء الصحابة وما اشتهر عنهم من التسابق إلى الجهاد في سبيل الله، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لم يتخلف عن غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا ضعف هذه الرواية بعضهم فقال القاسمي : إن في إسنادها من ليس على شرط الصحيح(١) وقال محمد عبده : إنني أجزم ببطلان هذه الرواية مهما كان سندها لأنني أبرىء السابقين الأولين كسعد وعبد الرحمن مما رموا به(٢).

أقول : وقد سبق تصحيح هذه الرواية من الإمامين الحاكم والذهبي كما وثق الإمام ابن حجر رجال إسنادها في تراجمهم، فلا يجوز رد هذه الرواية أو تضعيفها، وقد رويت بإسناد صحيح، بل يصار إلى تأويلها بما يتناسب مع كرامة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عرف عنهم من اعتقاد سليم وإيمان متين.

---

(١) تفسير القاسمي ٥/ ٤٠٠.

(٢) تفسير رشيد رضا (المنار) ٥/٢٦٣.

ويمكن أن يقال في تأويلها إنه لا يلزم من كونهم كفوا عن القتال بعدما أمروا به أن يكون منهم عبد الرحمن بن عوف، وإنما الذين كفوا عن القتال هم بعض أصحابه ممن تقاعس عن الهجرة أو رجع من المدينة بعدما هاجر إليها خوفاً من الجهاد بعدما شرع، والآية صرحت بأن الذين كفوا عن القتال هم بعض الذين طلبوه.

أما التسرع في رد الروايات من غير بحث في إسنادها فهو خطأ ومخالف للمنهج الصحيح، فالواجب علينا أن نبحث إسناد الرواية أولاً فإن كان مردوداً رددناها ولا حاجة إلى البحث فيها وإن كان مقبولاً قبلناها وحاولنا تفسيرها بشكل لا يتعارض مع الأصول الثابتة المشهورة، ولما كان من الأصول المقررة نزاهة فضلاء الصحابة عن مثل ما يتضمنه ظاهر هذه الرواية كان من الواجب علينا أن نفسرها تفسيراً لا يمس كرامة هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم.

١٤ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً ﴾(النساء/٨٨).

* * *

(٨١) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : بددهم، فئة : جماعة[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ والله أركسهم ﴾ قال : ردهم[٢].

وأخرجه أيضاً من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : يقول : أوقعهم[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النساء باب رقم ١٥.
(٢) تفسير الطبري ٥/١٩٥.

بيان المعنى :

قـوله ﴿ **أركسهم** ﴾ الـرَّكْس في اللغة بفتـح الراء ـ هـو رد الشيء مقلوبا وقلب أوله على آخره[1] .

وقال ابن جرير : والإركاس الرد ومنه قول أمية بن أبي الصلت :

فـأركـسـوا في حميـم الـنـار انهم كـانوا عصـاة وقالـوا الإ فك والـزورا

وقال في معنى الآية : يعني بذلك والله ردهم إلى أحكـام أهل الشرك في إباحة دمائهم وسبي ذراريهم[2] .

فقول ابن عباس «ردهم» مناسب لمعنى الإركاس في اللغة أما قوله «بددهم» وقوله «أوقعهم» فهو من التفسـير بالـلازم أي يلزم على ردهم إلى أحكام أهل الشرك تبديدهم وإيقاعهم في الهلاك .

وقد نزلت هذه الآية حينما اختلف المؤمنون في الحكم على طوائف من المنافقين باعتبار أنهم مسلمون في الظاهر وأعمالهم أعمال المنافقـين ، ومن هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن غـزوة أحد فـاختلف المؤمنون في الحكم عليهم ومعاملتهم كما أخرج الشيخان من حديث زيد بن ثـابت رضي الله عنه قال : «لمـا خرج النبي صلى الله عليـه وسلم إلى غزوة أحـد رجـع نـاس ممن خـرج معـه وكـان أصحاب النبي صلى الله عليـه وسلم فرقتين : فرقة تقول : نقاتلهم ، وفرقة : لا نقاتلهم ، فنزلت ﴿ **فـما لكم في المنـافقين فئتـين والله أركسهم بما كسبـوا** ﴾ وقال : «إنها طيبـة تنفي الذنوب كما تنفي النار خبث الفضة»[3] .

---

(١) مفردات الراغب والقاموس المحيط «مادة ركس» .
(٢) تفسير الطبري ١٩٢/٥ .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب المغازي باب رقم ١٧ حديث رقم ٤٠٥٠
صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين ، حديث رقم ٦ .

وهنـاك طوائف أخـرى اختلف المسلمون في الحكم عليهم فحكم عليهم بعضهم بـأنهم منـافقــون وحكم عليهم البعض الآخـر بـأنهم مؤمنون، وقد وردت فيهم أحاديث مطولة ذكرت فيها أخبارهم ونزول الآيـة فيهم، وقد أخـرجها الإمـام ابن جريـر الطبري وأخـرج بعضها الإمام أحمد(١).

والمعنى: فما بالكم أيهـا المؤمنون المتكلمـون في شأن المنـافقين قـد اختلفتم في الحكم عليهم فافترقتم فرقتين فرقة تقـول إخوانـنا في الدين فكيف نقاتلهم وفرقة تقول قد ارتدوا عن دينهم وظـاهروا أهـل الشرك علينا؟ والله سبحانه قد ردهم إلى أحكام أهل الشرك في إباحة دمـائهم وسبي ذراريهم بسبب ما عملوه في أنفسهم حيث ارتدوا عن الإسلام.

---

(١) تفسير الطبري ٥/١٩٣ ـ ١٩٤ مسند الإمام أحمد ١/١٩٢.

١٥ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ﴾
(النساء/ ٨٩ ـ ٩٠).

* * *

(٨٢) قال الإمام البخاري: ويذكر عن ابن عباس: (حصرت) ضاقت[١] هكذا أخرجه الإمام البخاري بصيغة التمريض التي تدل على عدم صحته عنده، وقال الحافظ ابن حجر: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى **﴿ حصرت صدورهم ﴾** قال: ضاقت[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النساء باب ١٤
(٢) فتح الباري ٨/٢٥٦.

بيان المعنى:

لما أمر الله جل وعلا بقتل المنافقين إذا تولوا عن الطريق الصحيح وأظهروا ولاءهم للكافرين استثنى من هؤلاء فريقين: الأول من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين فيكون حكمه كحكمهم. الثاني من رغب في السلم تحرجاً من قتال المؤمنين وقتال قومه من الكفار.

١٦ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً** ﴾ (النساء/٩٣).

* * *

(٨٣) ١ ـ قال الإمام البخاري: حدثني عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور حدثني سعيد بن جبير ـ أو قال ـ حدثني الحكم عن سعيد بن جبير قال: «أمرني عبدالرحمن بن ابزى قال: سل ابن عباس عن هاتين الآيتين ما أمرهما؟ ﴿ **ولا يقتلون النفس التي حرم الله** ﴾ ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً** ﴾ فسألت ابن عباس فقال: «لما أنزلت التي في الفرقان قال مشركو أهل مكة. فقد قتلنا النفس التي حرم الله ودعونا مع الله إلهاً آخر، وقد أتينا الفواحش، فأنزل الله ﴿ **إلا من تاب وآمن** ﴾ الآية، فهذه لأولئك وأما التي في النساء الرجل إذا عرف الإسلام وشرائعه ثم قتل فجزاؤه جهنم»، فذكرته لمجاهد فقال: إلا من ندم.

(٨٤) ٢ ـ وأخرج الشيخان عن القاسم بن بزة أنه سأل سعيد بن جبير: هل لمن قتل مؤمناً متعمداً من توبة؟ قال: فقرأت عليه

﴿ **ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق** ﴾، فقال سعيد: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها علي فقال: هذه مكية نسختها آية مدنية التي في سورة النساء.

(٨٥) ٣ ـ وأخرج الشيخان أيضاً عن سعيد بن جبير قال: اختلف أهل الكوفة في هذه الآية ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم** ﴾ فرحلت إلى ابن عباس فسألته عنها فقال: لقد أنزلت آخر ما نزل ولم ينسخها شيء.

(٨٦) ٤ ـ وللبخاري من طريق سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن قوله تعالى ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم** ﴾ فقال لا توبة له، وعن قوله تعالى ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر** ﴾ إلى قوله ﴿ **إلا من تاب وآمن** ﴾ فقال: كانت هذه في الجاهلية.

(٨٧) ٥ ـ ولمسلم من طريق سعيد بن جبير قال: أمرني عبدالرحمن بن ابزى أن أسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها** ﴾ فسألته فقال: لم ينسخها شيء، وعن هذه الآية: ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق** ﴾ قال: نزلت في أهل الشرك[١].

وأخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي والحاكم والبيهقي والطبري[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ٢٩ حديث رقم ٣٨٥٥، وكتاب التفسير سورة الفرقان باب رقم ٢ و٣ الاحاديث رقم ٤٧٦٢، ٤٧٦٣، ٤٧٦٤، ٤٧٦٥.
صحيح مسلم، كتاب التفسير، الأحاديث رقم ١٦ إلى ٢٠.

(٢) مسند أحمد ١/ ٢٤٠، ٢٩٤، سنن النسائي ٧/ ٨٥ ـ ٨٦ باب تعظيم الدم، سنن أبي =

بيان المعنى:

ذكر ابن عباس في هذه الروايات الآيات التي نزلت فيمن قتل مؤمناً متعمداً فذكر قوله تعالى في سورة النساء ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها** ﴾ وقوله تعالى في سورة الفرقان ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾ (٦٨ - ٧٠).

* * *

ويفهم من هذه الروايات أن ابن عباس رضي الله عنهما يرى أن قوله تعالى في سورة الفرقان ﴿ **ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق - الى قوله إلا من تاب** ﴾ نزلت في أهل الشرك إذا قتلوا وهم مشركون ثم أسلموا فإن الله يتوب عليهم وإن قوله تعالى في سورة النساء ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم** ﴾ في المسلم الذي عرف شرائع الإسلام ثم يقتل عمداً فلا توبة له ولكن في إحدى الروايات السابقة قال ابن عباس عن آية الفرقان: «تلك آية مكية نسختها آية مدنية التي في سورة النساء» فهذه الرواية تجعل الآيتين في المسلم يقتل عمداً بينما الروايات الأخرى تجعل آية الفرقان في المشرك يقتل حال كفره ثم يسلم وآية النساء في المسلم يقتل عمداً.

= داود، كتاب الفتن، باب تعظيم قتل المؤمن رقم ٤٢٧٣، ٤٢٧٤، ٤٢٧٥.
السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الجنايات باب أصل تحريم القتل (١٦/٨)، سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة النساء، رقم ٣٠٢٩، المستدرك ٤٠٣/٢ كتاب التفسير، سورة الفرقان.
تفسير الطبري ٢١٩/٥.

وقال الحافظ ابن حجر في بيان ذلك: «وحاصل ما في هذه الروايات أن ابن عباس كان تارة يجعل الآيتين في محل واحد فلذلك يجزم بنسخ إحداهما وتارة يجعل محلهما مختلفاً، ويمكن الجمع بين كلاميه بأن عموم التي في الفرقان خص منها مباشرة المؤمن القتل متعمداً، وكثير من السلف يطلقون النسخ على التخصيص، وهذا أولى من حمل كلامه على التناقض وأولى من دعوى أنه قال بالنسخ ثم رجع عنه»(١).

ومن هذه الروايات تبين لنا رأي ابن عباس فيمن قتل متعمداً هو أنه خالد في جهنم وأنه لا توبة له، وقد ذكر القرطبي في تفسيره ما يدل على أن ابن عباس يرى أن له توبة وذلك فيما رواه يزيد بن هارون قال: أخبرنا أبو مالك الأشجعي عن سعد بن عبيدة قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: ألمن قتل مؤمناً متعمداً توبة؟ قال: لا، إلا النار، قال فلما ذهب قال له جلساؤه: أهكذا كنت تفتينا أن لمن قتل توبة مقبولة؟ قال: إني لأحسبه رجلاً مغضباً يريد أن يقتل رجلاً مؤمناً، قال: فبعثوا في أثره فوجدوه كذلك(٢).

وذكره السيوطي في الدر المنثور ونسبه إلى عبد بن حميد والنحاس.

قال السيوطي: وأخرج ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه كان يقول: جزاؤه جهنم إن جازاه، يعني للمؤمن وليس للكافر فإن شاء عفا عن المؤمن وإن شاء عاقب.

قال: وأخرج ابن المنذر من طريق عاصم بن أبي النجود عن ابن

---

(١) فتح الباري ٨/٤٩٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥/٣٣٣.

عباس في قوله ﴿ فجزاؤه جهنم ﴾ قال: هي جزاؤه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له(١).

فمن هذه الآثار الأخيرة يتبين لنا أن ابن عباس يرى أن القاتل له توبة وإنما يفتي بعض الأحيان بأنه لاتوبة له إذا عرف من حال السائل أنه يريد أن يقدم على جريمة القتل بناء على أنه إذا قتل يتوب بعد ذلك فأراد ابن عباس أن يغلظ عليه في الجواب من باب الوعظ والتذكير لا من باب الفتوى بالحكم الذي يراه، ولا شك أن الروايات الأولى التي أخرجها الشيخان وغيرهما أصح من هذه الروايات ولكن قد تحمل الروايات الأولى على أنه قصد التمسك بظاهر الآية ليكون أبلغ في ردع المجرمين عن ارتكاب مثل هذه الجريمة الشنعاء، ومما يدل على ذلك ما جاء في رواية الإمام أحمد والنسائي من حديث سالم بن الجعد عن ابن عباس أن رجلاً أتاه فقال: أرأيت رجلاً قتل رجلاً متعمداً... ثم ذكر الرواية على نحو ما تقدم في الروايات إلى أن قال: أرأيت إن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى، قال: وأنى له بالتوبة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ثكلته أمه رجل قتل رجلاً متعمداً يجيء يوم القيامة آخذاً قاتله بيمينه أو بيساره - وآخذا رأسه بيمينه - أو بشماله - تشخب أوداجه دماً في قُبُل العرش يقول: يارب سل عبدك فيم قتلني(٢).

فكون ابن عباس أجاب بهذا الجواب دليل على أنه أراد الردع والزجر لا بيان الحكم وإلا فإن تعلق المقتول بقاتله يوم القيامة لا يمنع من قبول توبة القاتل لأن القتل يتعلق به حق للقاتل لا تمحوه التوبة

(١) الدر المنثور ٢/١٩٧ - ١٩٨.
(٢) مسند أحمد ١/٢٤٠، سنن النسائي، باب تعظيم الدم ص ٧/٨٥

وإنما تمحو التوبة ما كان حقاً لله أما حقـوق الآدميين فـإنها تبقى في ذمة الجاني إلا إذا عفا المجني عليه، وسواء في ذلـك القتل وغـيره كالقـذف والسرقة.

والذين عليه جمهور العلماء أن القاتل إذا تاب تاب الله عليه لقـوله تعـالى ﴿ **ان الله لا يغفر ان يشرك بـه ويغفر مـا دون ذلك لمن شـاء** ﴾ والقتل دون الشرك، ولقولـه تعالى ﴿ **إلا من تـاب وآمن وعمل عمـلاً صالحاً** ﴾ أما قوله تعالى ﴿ **ومن يقتل مؤمنا متعمداً** ﴾ فهو محمـول على من مـات ولم يتب وليس له من العمـل الصالـح ما يكفـر الله بـه هـذا الذنب، فإنـه يعذب بـالنار ولا يخلد فيهـا كتخليد الكفـار وإنما المـراد بالخلود هنا المكث الطويل[1].

---

(١) تفسير الطبري ٥/٢٢١، تفسير ابن كثير ١/٥٧١، الجامع لأحكام القرآن ٥/٣٣٢.

١٧ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا أن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ (النساء/٩٤).

* * *

(٨٨) قال الإمام البخاري: حدثني علي بن عبدالله حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ **ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً** ﴾ قال قال ابن عباس: كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمته فأنزل الله في ذلك إلى قوله ﴿ **عرض الحياة الدنيا** ﴾ تلك الغنيمة، قال: قرأها ابن عباس (السلام)[1].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النساء/١٧ حديث رقم ٤٥٩١.

وأخرجه مسلم والترمذي وأبو داود وأحمد والبيهقي[1].

بيان المعنى:

قوله «قرأ ابن عباس (السلام)» هذه قراءة القراء العشرة ما عدا نافع وأبي جعفر وحمزة وخلف فهؤلاء قرؤا بحذف الألف (السلم)[2].

وهذا القول من كلام عطاء وهو موصول بالإسناد المذكور كما ذكر الحافظ ابن حجر[3].

وهذه القصة التي أخرجها الإمام البخاري مجملة قد رويت من طريق أخرى مفصلة، وذلك فيما أخرجه الحافظ البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فيها المقداد بن الأسود، فلما وجدوا القوم وجدوهم قد تفرقوا، وبقي رجل له مال كثير لم يبرح، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فأهوى إليه المقداد فقتله، فقال رجل من أصحابه: أقتلت رجلاً يشهد أن لا إله الا الله؟ لأذكرن ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله إن رجلاً شهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد، فقال: ادع لي المقداد، يا مقداد أقتلت رجلاً يقول لا إله إلا الله؟ فكيف لك بلا إله إلا الله غداً؟ قال: فأنزل الله

---

(١) صحيح مسلم كتاب التفسير رقم ٢٢.
سنن أبي داود، كتاب الحروف والقراءات رقم ٣٩٧٤.
سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة النساء (تحفة الاحوذى ٨/٣٨٦).
السنن الكبرى ٩/١١٥، كتاب السير، باب المشركين يسلمون قبل الأسر، مسند الإمام أحمد ١/٢٢٩، ٢٧٢.

(٢) النشر في القراءات العشر ٢/٢٥١.

(٣) فتح الباري ٨/٢٥٩.

تبارك وتعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل** ﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمقداد: «كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته ! وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة من قبل».

قال الحافظ الهيثمي: رواه البزار وإسناده جيد(١).

وقد أخرج الإمام البخاري آخر حديث البزار هذا تعليقاً، قال: قال حبيب بن أبي عمرة عن سعيد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمقداد: «إذا كان رجل ممن يخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته فكذلك أنت كنت تخفي إيمانك بمكة من قبل»(٢).

وهذا يعتبر تفسيراً لقوله تعالى ﴿ **كذلك كنتم من قبل** ﴾.

(١) مجمع الزوائد، كتاب التفسير ٧/٨.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب رقم (١) حديث رقم ٦٨٦٦.

١٨ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً** ﴾ (النساء / ٩٥).

* * *

(٨٩) قال الإمام الترمذي: حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني حدثنا الحجاج بن محمد عن ابن جريج أخبرني عبدالكريم سمع مقسماً مولى عبدالله بن الحارث يحدث عن ابن عباس أنه قال: ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر** ﴾ عن بدر والخارجون إلى بدر، لما نزلت غزوة بدر قال عبدالله بن جحش وابن أم مكتوم إنَّا أعميان يا رسول الله فهل لنا رخصة؟ فنزلت ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر** ﴾ و ﴿ **فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة** ﴾ ـ فهؤلاء القاعدون غير أولي الضرر ﴿ **وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه** ﴾ على القاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر.

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن عباس[1].

وأخرج الإمام البخاري منه قوله «عن بدر والخارجون إلى بدر»[2].

بيان الإسناد:

١ - الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني هو صاحب الإمام الشافعي وقد شاركه في الطبقة الثانية من شيوخه، وهو ثقة، من الطبقة العاشرة، مات سنة ستين ومائتين أو قبلها بسنة، أخرج له الإمام البخاري والأربعة[3].

٢ - الحجاج بن محمد المصيصى الأعور أبو محمد الترمذي الأصل، نزل بغداد ثم المصيصه، وهو ثقة ثبت لكنه اختلط في آخر عمره لما قدم بغداد قبل موته، من الطبقة التاسعة، مات ببغداد سنة ست ومائتين، أخرج له الجماعة[4].

٣ - وابن جريج ثقة فقيه فاضل وكان يدلس ويرسل وقد تقدمت ترجمته[5].

٤ - وعبدالكريم هو ابن مالك الجزري أبو سعيد مولى بني أمية، الخضري نسبة إلى قرية من اليمامة، وهو ثقة من الطبقة السادسة،

---

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة النساء/ رقم ٣٠٣٢.
(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النساء رقم ٤٥٩٥.
(٣) التقريب ١/ ١٧٠، الخلاصة/ ٨٠.
(٤) التقريب ١/ ١٥٤ رقم ١٦١، الكاشف ١/ ٣٠٧.
(٥) انظر الحديث رقم (٢٩).

مات سنة سبع وعشرين ومائة أخرج له الجماعة[1].

٥ ـ مقسم بن بجرة ويقال نجده أبو القاسم مولى عبدالله بن الحارث ويقال له ابن عباس للزومه إياه، وهو صدوق وكان يرسل، من الطبقة الرابعة، مات سنة إحدى ومائة[2].

وهذا إسناد متصل حيث قد سمع رواته بعضهم من بعض[3] ورجاله ثقات ماعدا مقسم مولى ابن عباس فهو صدوق فإسناده على هذا حسن كما ذكر الإمام الترمذي.

وأخرجه البيهقي من طريق حجاج بن محمد بهذا الإسناد وذكر مثله[4].

وأخرجه الطبري من طريق حجاج بن محمد بهذا الإسناد وذكر مثله إلا أنه لم يخرج الزيادة التي في آخره وهي قوله « فهؤلاء القاعدون » الخ، وجاء في رواية الطبري « أبو أحمد بن جحش » بدلاً من « عبد الله بن جحش » في رواية الترمذي[5].

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنون غير أولي الضرر** ﴾ قال: هم قوم كانوا على عهد رسول الله ى الله عليه وسلم لا يغزون معه لأسقام

---

(١) التقريب ١/٥١٦ رقم ١٢٨٣، الكاشف ٢/٣٠٦.
(٢) انظر الحديث رقم (٥٤).
(٣) تهذيب التهذيب ٢/٣١٨ رقم ٥٥٢.
٢/٢٠٥ رقم ٣٧١، ٦/٣٧٣ رقم ٧١٤.
(٤) سنن البيهقي ٩/٤٧، كتاب السير، باب النفير.
(٥) تفسير الطبري ٥/٢٢٩

وأمراض وأوجاع، وآخرون أصحاء لا يغـزون معه، فكـان المرضى في عذر من الأصحاء.

قال الحافظ الهيثمي : رواه الطبراني من طريقـين ورجال أحـدهما ثقات[1].

وأخـــرجـه البيهقي من طـــريق أبي نضرة عن ابن عبـاس وذكـــر مثله[2].

بيان المعنى :-

قوله ﴿ **لا يستوى القاعـدون من المؤمنين غـير أولي الضرر** ﴾ عن بدر والخارجين إلى بدر » هذا تفسير للآيـة ببعض ما تشتمـل عليه فهـو من قبيل التمثيل ببعض ما تتضمنه الآية فليست الآية خـاصة في أهـل بدر بل هي عامة في المجاهدين في سبيل الله جميعـاً، والرسـول صلى الله عليه وسلم لم يعـاتب أحداً تخلف عن بـدر لأنه خـرج لأخذ عـير قريش ولم يخرج لقتال، ومع هذا فالذين شهدوا بدراً أفضـل من غيرهم كـما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه « وما يدريـك لعل الله عز وجل اطلع على أهل بـدر فقال : اعملوا مـا شئتم فقد غفـرت لكم » أخرجه البخاري[3].

ومما يدل عـلى أنّ ابن عباس أراد التمثيـل لمن تتضمنهم الآية فقط ماجاء في الرواية الأخيرة التي أخرجها الطبراني حيث قال ابن عباس في

---

(١) مجمع الزوائد، كتاب التفسير، سورة النساء ٧/ ٩

(٢) سنن البيهقي، كتاب السير، باب من اعتذر بالضعف ٩/ ٢٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير سورة الممتحنة رقم ٤٨٩٠.

تفسير الآية « هم قوم كانوا على عهد رسول الله ى الله عليه وسلم لا يغزون لأسقام وأمراض وأوجاع وآخرون أصحاء لا يغزون معه فكان المرضى في عذر من الاصحاء ».

وقوله في رواية الترمذي « لما نزلت غزوة بدر » يعني آيات غزوة بدر التي نزلت عقبها.

قوله « قال عبد الله بن جحش وابن أم مكتوم إنا أعميان يا رسول الله فهل لنا من رخصة » هكذا جاء في رواية الترمذي « عبد الله بن جحش » وجاء في رواية الطبري « أبو أحمد بن جحش » كما سبق وقد صوب ابن حجر كون المذكور في هذه الرواية هو أبو أحمد بن جحش فقال بعد ما ذكر ماجاء في رواية ابن جرير « وهو الصواب في ابن جحش فإن عبد الله أخوه وأما هو فاسمه عبدٌ بغير إضافة وهو مشهور بكنيته »[1].

وقد ذكر ابن حجر في ترجمة أبي أحمد بن جحش أنه كان أعمى أما أخوه عبد الله فكان مبصراً وهو أول قائد أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية[2] فبهذا يتعين أن المذكور في رواية الترمذي صوابه « أبو أحمد بن جحش » لكونه هو الأعمى رضي الله عنهما.

والذي يفهم من هذا الأثر أن قوله تعالى ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين** ﴾ الآية نزلت بسبب قول ابن أم مكتوم وابن جحش رضي الله عنهما « فهل لنا من رخصة » وهذا يدل على أنّ الآية نزلت كلها مرة واحدة وقد جاء في صحيح البخاري وغيره ما يدل على أن قوله تعالى

---

(١) فتح الباري ٢٦٢/٨.

(٢) الإصابة ٢٧٨/٢ رقم ٤٥٨٣ و ٣/٤ رقم ١٠.

﴿ **غير أولي الضرر** ﴾ لم تنزل مع الآية أول ما نزلت وإنما نزلت بسبب سؤال ابن أم مكتوم عن الرخصة، فمن ذلك ما رواه الإمام البخاري من حديث زيد بن ثابت » أن رسول الله ى الله عليه وسلم أملى عليه ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله** ﴾. فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُملُّها على قال : يا رسول الله والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت ـ وكان أعمى ـ فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي ثم سرى عنه فأنزل الله ﴿ **غير أولي الضرر** ﴾.

وأخرجه البخاري أيضاً من طريقين عن البراء بن عازب رضي الله عنه(١).

فهذا يدل على أن الذي سأل رسول الله ى الله عليه وسلم هو ابن أم مكتوم وأنه سأل بعد نزول الآية من غير استثناء أولي الضرر ثم أنزل الله سبحانه ﴿ **غير أولي الضرر** ﴾ بعد سؤال ابن أم مكتوم.

ولا شك أن رواية البخاري أصح من رواية الترمذي ولكن يمكن الجمع بين الروايتين بأن سؤال ابن أم مكتوم هو وأبو أحمد بن جحش كان سابقاً على نزول الآية ثم صادف نزولها وجود ابن أم مكتوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تنزل كاملة حتى سأله ابن أم مكتوم فنزل قوله ﴿ **غير أولي الضرر** ﴾ ونظراً لأن هذه الجملة نزلت في نفس المجلس الذي نزلت فيه الآية لم يذكر في رواية الترمذي تأخر نزولها عن بقية الآية.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النساء حديث رقم ٥٤٩٣ و ٤٥٩٤

قوله « ﴿ **فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة** ﴾ فهؤلاء القاعدون غير أولي الضرر و﴿ **وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما درجات منه** ﴾ على القاعدين من المؤمنين غير أولى الضرر » .

هذا الجزء من الحديث ليس موجوداً في رواية الطبري كما سبق، وقد ذكر الحافظ ابن حجر أنه مدرج في الخبر وأنه من كلام ابن جريج[1] .

وحاصل هذا التفسير أن ﴿ **القاعدين** ﴾ في الآية هم غير أولي الضرر في الموضعين، فيكون القاعدون من أولي الضرر كالمجاهدين في سبيل الله في الأجر.

وهذا يخالف تفسير ابن جريج الذي أخرجه ابن جرير عنه حيث أخرج عنه روايتين : الأولى في قوله تعالى ﴿ **فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة** ﴾ قال : على أهل الضرر، الثانية : في قوله تعالى ﴿ **وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً** ﴾ قال : على القاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر[2] .

فعلى هذا التفسير يكون المجاهدون في سبيل الله مفضلين على القاعدين من أهل الضرر درجة واحدة وعلى القاعدين من غير أولي الضرر أجراً عظيماً ودرجات كثيرة .

وبهذا أخذ ابن جرير في تفسيره وأيده بما رواه من تفسير ابن جريج .

---

(١) فتح الباري ٨/٢٦٢ .
(٢) تفسير الطبري ٥/٢٣١ .

ومما يؤيد هـذا التفسير قـوله تعـالى بعد أن ذكـر المفضل عليهم في المـوضـع الأول ﴿ **وكــلاً وعـد الله الحسنى** ﴾ يعني من المجـاهـدين والقـاعدين من أولي الضرر، فهـذا دليل عـلى أن المراد بـالقاعـدين في الموضع الأول القـاعدون من أولي الضرر لأن القـاعدين من غـير أولي الضرر مؤاخذون بقعودهم وتخلفهم عن رسـول الله ى الله عليه وسلم فلا يستحقون هذا الجزاء.

١٩ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً. إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً. فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً ﴾(النساء/٩٧ ـ ٩٩).

* * *

(٩٠) قال الإمام البخاري : حدثنا عبد الله بن يزيد المقرىء حدثنا حيوة وغيره قالا حدثنا محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود : « قطع على أهل المدينة بعث فاكتتبت فيه فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته فنهاني عن ذلك أشد النهي ثم قال : أخبرني ابن عباس أنّ ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي السهم يرمي به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل فأنزل الله ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ (الآية)[١].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ١٩ حديث ٤٥٩٦، وكتاب الفتن، باب ١٢ حديث ٧٠٨٥.

وأخرجه البيهقي والطبري[1].

بيان المعنى :-

قوله « قطع على أهل المدينة بعث فاكتتبت فيه » أي ألزم أهل المدينة بإخراج جيش لقتال أهل الشام فكنت فيمن كتب فيه، وكان ذلك في خلافة ابن الزبير على مكة[2].

قوله « أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين » الخ هؤلاء المسلمون الذين ذكرهم ابن عباس وذكر أنه نزل فيهم قوله تعالى ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة** ﴾ الآية ورد ذكرهم في روايات أخرى عن ابن عباس فمنها ما أخرجه ابن جرير قال : حدثنا (٩١) أحمد بن منصور الرمادي قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال : ثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بإسلامهم فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم، فقال : المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت ﴿ **ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم** ﴾ إلى آخر الآية، فقال : فكتبوا إلى من بقي من المسلمين بهذه الآية : أن لا عذر لهم فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة فنزلت فيهم هذه الآية ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله** ﴾ إلى آخر الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك فحزنوا وأيسوا من كل خير، ثم نزلت فيهم ﴿ **ثم إن ربك للذين هاجروا من**

---

(١) السنن الكبرى ١٢/٩، كتاب السير، باب فرض الهجرة، تفسير الطبري ٢٣٤/٥ .
(٢) فتح الباري ٢٦٣/٨ .

بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ فكتبوا إليهم بذلك : إن الله قد جعل لكم مخرجاً فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا منهم من نجا وقتل من قتل(١) .

ورجال هذه الرواية ثقات قد سمع بعضهم من بعض فإسنادها على هذا صحيح(٢) .

وقد أخرج ابن هشام خبر هؤلاء وذكر أسماءهم وأنسابهم وهم الحارث بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة، وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه بن الحجاج(٣) .

ويستفاد من الآية وما ورد في سبب نزولها أنه لا يجوز للمسلم القادر على الهجرة الإقامة في دار الكفر إذا كان لا يستطيع إقامة شعائر الإسلام فيها، وإذا مات في دار الكفر وهو على هذه الحال فهو ظالم

---

(١) تفسير الطبري ٥/٢٣٣

(٢) بيان هذا الإسناد :

١ - أحمد بن منصور بن سيار الرمادي ثقة حافظ، من الطبقة الحادية عشرة، (التقريب ١/٢٦ رقم ١٢٧).

٢ - أبو أحمد الزبيري هو محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمرو بن درهم الأسدي، وهو ثقة ثبت، إلا أنه قد يخطىء في حديث الثوري، من الطبقة التاسعة (التقريب ٢/١٧٦ رقم ٣٧٧).

٣ - ومحمد بن شريك المكى، أبو عثمان ثقة من الطبقة السابعة (التقريب ٢/١٧٠ رقم ٣٠٧).

٤ - وعمرو بن دينار ثقة مضى في ص ٢٣ رقم ٤ .

٥ - وعكرمة ثقة ثبت مضى في ص ١١ رقم ٤ .

وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض (انظر تهذيب التهذيب ٩/٢٢١ رقم ٣٤٨، ٨/٢٨ رقم ٤٥، تهذيب الكمال (ترجمة أحمد بن منصور الرمادي).

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٣٣٠.

لنفسه مرتكب للإثم فعليه أن يهاجر إلى دار الإسلام حتى يستطيع إقامة شعائر الإسلام ويكثر سواد المسلمين.

قال ابن حجر في الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم «لا هجرة بعد فتح مكة» : فلا تجب الهجرة من بلد قد فتحه المسلمون، أما قبل فتح البلد فمن به من المسلمين أحد ثلاثة : الأول قادر على الهجرة منها ولا يمكنه إظهار دينه ولا أداء واجباته فالهجرة منه واجبة، الثاني قادر لكنه يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته فمستحبة لتكثير المسلمين بها ومعونتهم وجهاد الكفار والأمن من غدرهم والراحة من رؤية المنكر بينهم.

الثالث : عاجز بعذر من أسر أو مرض أو غيره فتجوز الإقامة فإن حمل على نفسه وتكلف الخروج منها أجر[1].

---

(١) فتح الباري ١٩٠/٦، كتاب الجهاد، باب لا هجرة بعد الفتح.

٢٠ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً ﴾(النساء/١٠٢).

(٩٢) قال الإمام البخاري : حدثنا محمد بن مقاتل أبو الحسن أخبرنا حجاج عن ابن جريج قال أخبرني يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما : **﴿ إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى ﴾** قال : « عبد الرحمن بن عوف وكان جريحاً »[١].

وأخرجه الطبري والحاكم من طريق حجاج بن محمد بهذا الإسناد عن ابن عباس قال : « نزلت في عبد الرحمن بن عوف وكان جريحاً » قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي[٢].

وقد تبين لنا أن الإمام البخاري قد أخرجه.

وأخرجه البيهقي من طريق الحاكم بإسناده وذكر مثله[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النساء رقم ٤٥٩٩.
(٢) تفسير الطبري ٥/٢٥٩ المستدرك ٢/٣٠٨ كتاب التفسير.
(٣) سنن البيهقي ٥٥٣، كتاب الصلاة، باب المعذور يضع السلاح.

بيان المعنى :

يعني ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكان جريحاً، والآية عامة لجميع المسلمين لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيباح للمسلمين إذا كانوا في مواجهة الكفار وكانوا يتأذون من حمل السلاح إما لمطر أو مرض أو غير ذلك أن يضعوا أسلحتهم إذا ضعفوا عن حملها على أن يأخذوا حذرهم من أعدائهم أن يغيروا عليهم وهم غافلون عنهم .

٢١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً ﴾(النساء/١٢٨ ـ ١٢٩).

(٩٣) ١ ـ قال الإمام أبو داود الطيالسي، حدثنا سليمان بن معاذ عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال: خشيت سودة أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله لا تطلقني وأمسكني واجعل يومي لعائشة ففعل فنزلت هذه الآية **﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً ﴾** الآية، قال: فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز[1].

بيان الإسناد :ـ

١ ـ سليمان بن معاذ هو أبو داود سليمان بن قرم بن معاذ البصري

(١) منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود ٢/١٧ رقم ١٩٤٤ تفسير سورة النساء.

النحوي ومنهم من ينسبه إلى جده، وهو سيء الحفظ يتشيع، وقد وثقه الإمام أحمد كما سبق في ترجمته[1].

٢ ـ سماك هو أبو المغيرة سماك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي البكري الكوفي، وهو صدوق وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة وقد تغير بأخرة فكان ربما يلقن، من الطبقة الرابعة[2].

وعكرمة ثقة ثبت تقدمت ترجمته[3].

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[4] لكن فيه سليمان بن قرم بن معاذ وهو سيء الحفظ، وقد رواه سماك عن عكرمة وروايته عنه فيها اضطراب ولكنه يتقوى بحديث عائشة رضي الله عنها الذي أخرجه الإمام أبو داود السجستاني قال: حدثنا أحمد بن يونس، (٩٤)
حدثنا عبد الرحمن (يعني) ابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت عائشة: ياابن أختي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا، وكان قَلَّ يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وفَرِقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول يومي لعائشة فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، قالت: نقول في ذلك أنزل الله تعالى فيها وفي أشباهها، أراه قال: ﴿ **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً** ﴾[5].

---

(١) انظر الحديث رقم (٦٩).
(٢) التقريب ١/٣٣٢ رقم ٥١٩، الكاشف ١/٤٠٣.
(٣) انظر الحديث رقم (٥).
(٤) تهذيب التهذيب ٤/٢٣٢ رقم ٣٩٥ ورقم ٢١٣ ورقم ٣٦٧.
(٥) سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب القسم بين النساء رقم ٢١٣٥.

وهذا الحديث إسناده حسن[1] فيتقوى به الحديث السابق فيكون حسناً لغيره.

وأصل الحديث أخرجه الإمام البخاري، ولكن ليس فيه ذكر لنزول الآية[2].

وأخرج هذا الحديث أيضاً البيهقي من طريق أبي داود الطيالسي بإسناد الترمذي[3].

(٩٥) ٢ ـ أخرج الإمام البخاري في قوله تعالى ﴿ **واحضرت الانفس الشح** ﴾ عن ابن عباس قال: هواه في الشيء يحرص عليه، ﴿ **كالمعلقة** ﴾ لا هي أيم ولا ذات زوج، ﴿ **نشوزاً** ﴾ بغضاً[4].

---

(١) بيان الإسناد:

١ ـ أحمد بن يونس هو أحمد بن عبد الله بن يونس بن قيس الكوفي التميمى اليربوعي وهو ثقة حافظ، من كبار الطبقة العاشرة، مات سنة سبع وعشرين ومائتين، وقد ينسب إلى جده.

وهو في هذا الحديث منسوب إلى جده. (التقريب ١/ ١٩ رقم ٧٤).

٢ ـ وعبد الرحمن بن أبي الزناد صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد وقد تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٣).

٣ ـ وهشام بن عروة بن الزبير ثقة فقيه ربما دلس، من الطبقة الخامسة، مات سنة خمس أو ست وأربعين ومائة وله سبع وثمانون سنة أخرج له الجماعة.

(التقريب ٢/ ٣١٩ رقم ٩٢).

وأبوه عروة بن الزبير ثقة فقيه مشهور (التقريب ٢/ ١٩ رقم ١٥٧).

وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض فإسناده متصل (انظر تهذيب التهذيب ١/ ٥٠ رقم ٨٧، ١١/ ٤٨ رقم ٨٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب رقم ٩٨ حديث رقم ٥٢١٢.

(٣) سنن البيهقي ٧/ ٢٩٧، كتاب القسم والنشوز، باب ما جاء في قوله تعالى ﴿ **وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً** ﴾ الآية.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير النساء باب رقم ٢٤.

وقـولـه ﴿ **وأحضرت الأنفس الشح** ﴾ هـواه في الشيء يحـرص عليـه، وقولـه ﴿ **كـالمعلقـة** ﴾ لا هي أيم ولا هي ذات زوج أخـرجـه البيهقي والـطبري من طريق عـلى بن أبي طلحة عن ابن عبـاس رضي الله عنهما. قال : لن تستطيع أن تعدل فيما بينهن ولو حرصت وهو قوله ﴿ **واحضرت الانفس الشـح** ﴾ والشح هـواه في الشيء يحرص عليـه، ثم قال ﴿ **ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقـة** ﴾ يقول : تـذروها لا أيماً ولا ذات بعل(١).

وقوله ﴿ **نشوزاً** ﴾ بغضاً « أخـرجه ابن جـرير من طـريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : يعني البغض(٢).

بيان المعنى :

تبين لنا من سبب نزول هذه الآية أنها نزلت حلاً للمشكلات التي تكون بين الزوجين وذلك فيما إذا ضعفت الدواعي التي تربط بينهـما إما لكبر سن المرأة أو مرضها أو غير ذلك ثم ترتب على ذلك عزوف الزوج عنها فلا جناح عليهما أن تبقى في عصمته في مقابل أن تتنازل عن حقها في البيات عندها أو غيره من أنواع الصلح الذي يرضاه الطرفان.

وقـد أخرج الإمـام البخاري في معنى الآيـة عن عائشـة رضي الله عنها قالت : « الـرجل تكـون عنده المـرأة ليس بمستكثر منهـا يريـد أن يفـارقها فتقـول : أجعلك من شـأني في حـل، فنـزلت هـذه الآيـة في ذلك »(٣).

---

(١) السنن الكبرى ٧/٢٩٨، كتاب القسم والنشوز باب قوله عز وجل ﴿ **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء** ﴾ الآية، تفسير الطبري ٥/٣١٢ - ٣١٦

(٢) تفسير الطبري ٥/٣١٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النساء رقم ٤٦٠١.

قوله ﴿ **وإن امـرأة خافت من بعلهـا نشوزاً** ﴾ قـال ابن عباس في الحديث الثاني « بغضاً » .

وأصل النشوز الارتفاع ومنه سمى المرتفع من الأرض نشزا[1] .

فتفسـير ابن عباس النشـوز بالبغض بـاعتبـار السبب لأن البغض سبب للنشوز الذي هو التباعد عنها والارتفاع إلى غيرها .

قوله ﴿ **أو إعراضا** ﴾ يعني صدوداً عنها .

قـوله ﴿ **وأحضرت الأنفس الشـح** ﴾ قال ابن عبـاس « هـواه في الشيء يحرص عليه » يعني إذا كان هوى الإنسـان في شيء فإنـه يحرص عليـه ولا يتنازل عنـه لمصلحة غـيره ، فالـرجل إذا كـان هواه في امـرأة أخرى لكون الأولى لا تحقق له مطلوبه فإنـه لا يتنازل عن هـواه والمرأة لا تتنازل عن شيء من حقها لزوجها ، فـالشح بـالهوى يـلازم النفوس ﴿ **والصلح خير** ﴾ من الشح ولا يكون الصلح إلا بالتنـازل عن بعض الحقوق ، وإلا حصل الفراق ، وهذا لا يكون من مصلحة الزوجين ولا الأولاد .

وقـوله ﴿ **ولن تستـطيعوا أن تعـدلوا بـين النساء ولـو حرصتم** ﴾ يعني لا تستطيعون العـدل بين النسـاء في كل شيء لأن محبـة القلب لا يمكن توزيعها بين النساء عـلى السواء ، ولـذلك كـان رسول الله ى الله عليـه وسلم يقسم بين نسـائه فيعـدل ويقول « اللهم هـذا قسمي فيـما أملك فـلا تلمني فيـما تملك ولا أملك » أخـرجـه أصحـاب السنن عن

---

(١) مفردات الراغب / ٤٩٢ .

عائشة رضي الله عنهـا، وقال أبـو داود في قولـه « فيما تملك ولا أملك » يعني القلب[1].

وأخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عبـاس في قوله تعـالى ﴿ **ولن تستطيعـوا أن تعدلـوا بين النسـاء ولو حـرصتم** ﴾ قال : يعني في الحب والجماع[2].

وقوله ﴿ **فـلا تميلوا كل الميـل** ﴾ يعني إذا ملتم بعض الميل فيـما لا تملكونه من المحبـة القلبية ومـا يتبعها فـلا تميلوا كل الميـل فيما تملكـون العدل فيه كالقسم بينهن في المبيت والنفقة ﴿ **فتذروها كالمعلقة** ﴾ يعني فتتركوا الزوجة التي ملتم عنها كل الميل كالمعلقة التي لا هي مفرغـة من الأزواج فتستطيع الزواج ولا ذات زوج يعطيها حقوق الزوجية.

ولذلك قـال ابن عباس في معنى هـذه الجملة «لا هي أيم ولا هي ذات زوج ».

---

(١) سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب القسم بين النساء حديث ٢١٣٤.
سنن الترمذي، كتاب النكاح، باب التسوية بين الضرائر حديث ١١٤٠.
سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب القسمة بين النساء حديث ١٩٧١.
سنن النسائي، كتاب عشرة النساء، باب ميل الرجل إلى بعض نسائه ٧/٦٤.
سنن الدارمي ٢/١١٤، كتاب النكاح باب في القسمة بين النساء.
(٢) تفسير الطبري ٥/٣١٤.

٢٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ (النساء/ ١٣٥).

(٩٦) قال الإمام البخاري: ويذكر عن ابن عباس: **﴿ تلووا ﴾** ألسنتكم بالشهادة(١).

وقد أخرجه ابن جرير الطبري موصولاً من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله **﴿ وإن تلووا أو تعرضوا ﴾** قال: إن تلووا بألسنتكم بالشهادة أو تعرضوا عنها(٢).

وهذا إسناد حسن كما تقدم(٣). فلعل الإمام البخاري أخرجه من غير هذا الطريق حيث ذكره بصيغة التمريض وهي «ويذكر».

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة النساء باب رقم ١٤.
(٢) تفسير الطبري ٥/٣٢٣.
(٣) انظر الحديث في ص (٣٨).

بيان المعنى :

قوله ﴿ **تلووا** ﴾ من اللي وهو الإمالة[1] فالمعنى وإن تميلوا بالشهادة عن الاستقامة فتحرفوها، أو تعرضوا عنها فلا تؤدوها ﴿ **فإن الله كان بما تعملون خبيراً** ﴾ فيجازيكم على أعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وقد روي عن ابن عباس ما يدل على أنّ الخطاب في الآية للقضاة وذلك فيما أخرجه ابن جرير من طريق قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس في قول الله ﴿ **وإن تلووا أو تعرضوا** ﴾ قال: هما الرجلان يجلسان بين يدي القاضي فيكون لى القاضي واعراضه لأحدهما على الآخر[2].

والتفسير الأول أنسب لسياق الآية حيث إن الخطاب في الآية كلها للشهداء كما أن في إسناد الرواية الثانية قابوس بن أبي ظبيان وفي حديثه ضعف كما سبق في ترجمته[3].

وقد رجح ابن جرير كون الخطاب في الآية للشهداء ونقل تفسير الآية بذلك عن مجاهد وقتادة وابن زيد وغيرهم[4].

---

(١) المفردات في غريب القرآن (مادة لوى).
(٢) تفسير الطبري ٥/٣٢٣.
(٣) انظر الحديث رقم (٥٢).
(٤) تفسير الطبري ٥/٣٢٤.

٢٣ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ﴾ (النساء/ ١٤٥).

* * *

(٩٧) قال الإمام البخاري: وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أسفل النار[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: يعني أسفل النار[٢].

فالمنافق على هذا أشد من الكافر عذاباً في النار وذلك لأنه اتصف بما اتصف به الكافر من الكفر بالله وزاد على ذلك محاولة خداع الله تعالى والمؤمنين بإظهاره الإيمان وإبطانه الكفر.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النساء باب رقم ٢٥.
(٢) تفسير الطبري ٥/٣٣٨.

٢٤ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم ﴾ (النساء/١٧٦).

١ ـ قال الإمام أبو محمد عبدالله الدارمي: حدثنا محمد بن (٩٨)
يوسف حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد عن ابن عباس قال: الكلالة ما خلا الوالد والولد[١].

بيان الإسناد:

١ ـ محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الفريابي الضبي بالولاء، نزيل قيساريه، وهو ثقة فاضل يقال: أخطأ في شيء من حديث سفيان وهو مقدم فيه مع ذلك عندهم على عبدالرزاق، من الطبقة التاسعة، مات سنة اثنتي عشرة ومائتين، أخرج له الجماعة[٢].

---

(١) سنن الدارمي، كتاب الفرائض باب الكلالة (٢/٣٦٤).
(٢) التقريب ٢/٢٢١ رقم ٨٤٤، تذكرة الحفاظ ١/٣٧٦ رقم ٣٧٢.

٢ ـ وسفيان هو الثوري ثقة حافظ فقيه تقدمت ترجمته[١].

٣ ـ وعمرو بن دينار ثقة ثبت تقدمت ترجمته[٢].

٤ ـ والحسن بن محمد هو أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني وهو ثقة فقيه، من الطبقة الثالثة، مات سنة مائة أو قبلها بسنة أخرج له الجماعة[٣].

فهؤلاء الرواة كلهم ثقات وقد اتصل الإسناد بسماع بعضهم من بعض[٤].

وبناء على هذا يكون إسناد الحديث صحيحاً.

وأخرجه البيهقي من طريقين عن سفيان الثوري بهذا الإسناد وذكر مثله وفي آخره قال: قلت فإن الله عز وجل يقول ﴿ **إن امرؤ هلك ليس له ولد** ﴾ قال: فغضب وانتهرني.

وكذلك أخرجه البيهقي من طريق أبي إسحاق السبيعي عن سليم بن عبد السلولي عن ابن عباس[٥].

وأخرجه الطبري من ثلاث طرق عن عمرو بن دينار بهذا الإسناد وذكر مثله.

وأخرجه أيضاً من طريقين عن أبي إسحاق عن سليم بن عبدٍ

---

(١) الحديث رقم (٦٧).

(٢) انظر الحديث رقم (١٠).

(٣) التقريب ١/١٧١ رقم ٣١٨، الخلاصة/٨١.

(٤) تهذيب التهذيب ٩/٥٣٥ رقم ٨٧٨، ٢٨/٨ رقم ٤٥، ٢/٣٢٠ رقم ٥٥٥.

(٥) سنن البيهقي، كتاب الفرائض، باب حجب الأخوة والأخوات ٦/٢٢٤، ٢٢٥.

السلولي عن ابن عباس ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وذكر مثله[1].

بيان المعنى:

قوله ﴿ قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾ الكلالة مصدر من تكلله النسب أي أحاط به، وبه سمي الإكليل وهي منزلة من منازل القمر لإحاطتها بالقمر إذا حل بها، ومنه الإكليل الذي هو التاج والعصابة المحيطة بالرأس، وقيل من كل يكل، يقال: كلت الرحم إذا تباعدت وطال انتسابها، فإذا مات الرجل وليس له ولد ولا والد فورثته كلالة، وسمى القرابة من غير الأصل والفرع كلالة لأنهم يحيطون بالميت من جوانبه وليسوا منحدرين منه ولا هو منحدر منهم، وإحاطتهم به أنهم ينتسبون معه، قال أعرابي: «مالي كثير ويرثني كلالة متراخ نسبهم» وقال الفرزدق:

ورثتم قناة المجد لا عن كلالة عن ابني مناف عبد شمس وهاشم

وقال آخر:

وإن أبا المرء أحمى له ومولى الكلالة لا يغضب

يعني أن أقارب الكلالة لا يغضبون لقريبهم غضب الأب لابنه[2].

فالكلالة على هذا هي أن يموت الإنسان وليس له ولد ولا والد فيرثه أقاربه.

---

(١) تفسير الطبري ٤/٢٨٤ تفسير الآية رقم ١٢ من سورة النساء.

(٢) تفسير القرطبي ٥/٧٦، معاني القرآن للزجاج ٢/٢٤، النهاية في غريب الحديث ٤/١٩٧، فتح الباري ٨/٢٦٨.

وقد روي تفسير الكلالة بهذا عن أبي بكر وعمرو غيرهما من الصحابة رضي الله عنهم، وعن جمع من التابعين، وهذا هو الذي عليه جمهور العلماء كما ذكر القرطبي(١).

وقال ابن كثير: وهو مذهب الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة وقول علماء الأمصار قاطبة(٢).

وقد روي تفسير الكلالة بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك فيما أخرجه الحاكم قال: حدثنا أبو النضر الفقيه حدثنا أحمد بن نجدة حدثنا يحيى بن عبدالحميد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا عمار بن زريق عن أبي إسحاق عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله ما الكلالة؟ قال: أما سمعت الآية التي نزلت في الصيف ﴿ **يستفتونك قال الله يفتيكم في الكلالة** ﴾ والكلالة من لم يترك ولداً ولا والداً».

ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، قال الذهبي: قلت: الحماني ضعيف(٣).

والحماني هو يحيى بن عبد الحميد بن بَشْمين ـ بفتح الباء وسكون الشين ـ الحِمَّاني، قال فيه ابن حجر: حافظ إلا أنهم اتهموه بسرقة الحديث(٤).

---

(١) تفسير القرطبي ٤/٢٨٤.
(٢) تفسير ابن كثير ١/٦٣٥.
(٣) المستدرك ٤/٣٣٦ كتاب الفرائض.
(٤) تقريب التهذيب ٢/٣٥٢، وهو منسوب إلى حمان بن عبدالعزيز بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، قبيلة من تميم نزلوا الكرفة ـ اللباب في تهذيب الأنساب ١/٣٨٦.

وهذا الحديث لو صح لم يكن هناك اختلاف في تفسير الكلالة.

هذا وقد روى ابن عباس عن عمر في تفسير الكلالة قولاً آخر أخرجه الطبري والحاكم والبيهقي من حديث طاوس عن ابن عباس قال: كنت آخر الناس عهداً بعمر رضي الله عنه فسمعته يقول: القول ما قلت. قلت: وما قلت؟ قال: الكلالة من لا ولد له.

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

وقال البيهقي بعد روايته هذا الأثر: كذا في هذه الرواية والذي روينا عن عمر وابن عباس في تفسير الكلالة أشبه بدلائل الكتاب والسنة من هذه الرواية وأولى أن يكون صحيحاً لانفراد هذه الرواية وتظاهر الروايات عنهما بخلافها والله أعلم[١].

وهذه الرواية ليس فيها أن ابن عباس يفسر الآية بذلك وإنما هو يروي تفسير عمر رضي الله عنه ولكن لما كان في إيراده هذا التفسير عن عمر ما قد يدل على أنه جاء به ليستشهد به على رأيه في ذلك نسبه البيهقي لهما أخذاً من هذه الرواية ثم ضعفه بمخالفته للروايات المشهورة عنهما.

وقد أخرج هذه الرواية ابن أبي حاتم من طريق طاوس قال سمعت ابن عباس يقول: كنت آخر الناس عهداً بعمر فسمعته يقول: القول ما قلت، قلت وما قلت؟ قال: الكلالة من لا ولد له ولا والد.

(١) تفسير الطبري ٢٨٦/٤ والمستدرك ٣٣٦/٤، كتاب الفرائض وسنن البيهقي ٢٢٥/٦ كتاب الفرائض باب حجب الأخوة والأخوات بالأب.

ذكره ابن كثير في تفسيره[1].

فهذه الرواية تتفق مع الروايات التي رويت عن عمر وابن عباس، وسياقها هو سياق الرواية الأولى، وكلاهما من رواية طاوس عن ابن عباس، فترجح على رواية الحاكم لاعتضادها بالروايات الأخرى، ولعله قد حصل في رواية الحاكم وهم من بعض الرواة.

وقد قال في ذلك أبو الحسين بن اللبان: «وقد روى عن ابن عباس ما يخالف ذلك - يعني أن الكلالة من لا ولد له ولا والد - وهو أنه من لا ولد له، والصحيح عنه الأول ولعل الراوي ما فهم عنه ما أراد»[2].

والظاهر أنه يريد هذه الرواية، أما قوله «والصحيح عنه الأول» فهو يريد تفسيره المشهور عنه بأن الكلالة من لا ولد له ولا والد.

وقوله تعالى ﴿ **إن امرؤ هلك ليس له ولد** ﴾ يعني ولا والد فاكتفى جل وعلا بذكر الولد لشهرة معنى الكلالة عند العرب.

وقد استدل بعض العلماء على عدم دخول الأب في الكلالة بقوله تعالى في هذه الآية ﴿ **وله أخت فلها نصف ما ترك** ﴾ فكونها ترث النصف دليل على عدم وجود الأب إذ لو كان الأب موجوداً لم ترث شيئاً لأنه يحجبها بإجماع العلماء[3].

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٤٨٥

(٢) تفسير ابن كثير ١/٤٨٦
وابن اللبان هو أبو الحسين محمد بن عبدالله بن الحسن ابن اللبان، عالم وقته في علم الفرائض، له كتب في الفرائض قال السبكي عنها: ليس لأحد مثلها وعنه أخذ الناس، توفي سنة اثنتين وأربعمائة (انظر الأعلام للزركلي ٧/١٠١ وتاريخ بغداد ٥/٤٧٢).

(٣) تفسير ابن كثير ١/٦٣٣.

وجمهور العلماء من الصحابة والتابعين على أن الاخوات لأب والشقيقات لا يرثن إطلاقاً مع وجود الولد الذكر ولكنهن يرثن تعصيباً مع البنات ما عدا ابن عباس فانه أخذ بظاهر الآية فلم يفرق بين الذكر والأنثى(١).

وقد نقل الحافظ ابن حجر عن ابن بطال إجماع العلماء على أنهن يرثن تعصيباً مع البنات ما عدا ابن عباس وأهل الظاهر(٢).

وما يبين رأي ابن عباس في ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق أبي سلمة بن عبدالرحمن قال: جاء ابن عباس رضى الله عنهما رجل فقال: رجل توفي وترك ابنة وأختاً لأبيه وأمه، فقال: للابنة النصف وليس للأخت شيء ما بقي فهو لعصبته، فقال له رجل: فإن عمر بن الخطاب قد قضى بغير ذلك، جعل للابنة النصف وللأخت النصف فقال ابن عباس: أنتم أعلم أم الله؟ قال معمر: فلم ادر ما وجه ذلك حتى لقيت ابن طاوس فذكرت له حديث الزهري فقال: أخبرني أبي أنه سمع ابن عباس يقول: قال الله تعالى ﴿ **إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك** ﴾ قال ابن عباس: فقلتم أنتم لها النصف وإن كان له ولد.

أخرجه الحاكم وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي(٣).

وأخرجه البيهقي عن طريق الحاكم(٤).

---

(١) تفسير القرطبي ٦/٢٩.
(٢) فتح الباري ٢/٢٤.
(٣) المستدرك ٢/٣١٠، كتاب التفسير سورة النساء ٤/٣٣٩ كتاب الفرائض.
(٤) سنن البيهقي ٦/٢٣٣ كتاب الفرائض، باب الأخوات مع البنات.

وقد أجاب ابن جرير على رأي ابن عباس هذا بقوله: «إنما جعل الله جل ثناؤه بقوله ﴿ **إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك** ﴾ إذا لم يكن للميت ولد ذكر ولا أنثى وكان موروثاً كلالة، النصف من تركته فريضة لها مسماة فأما إذا كان للميت ولد أنثى فهي معها عصبة يصير لها ما كان يصير للعصبة غيرها لو لم تكن وذلك غير محدود بحد ولا مفروض لها فرض سهام أهل الميراث بميراثهم عن ميتهم ولم يقل الله في كتابه ـ فإن كان له ولد فلا شيء لأخته معه ـ فيكون لما روى عن ابن عباس وابن الزبير في ذلك وجه يوجه إليه، وإنما بين جل ثناؤه مبلغ حقها إذا ورث الميت كلالة وترك بيان مالها من حق إذا لم يورث كلالة في كتابه، وبينه بوحيه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فجعلها عصبة مع إناث ولد الميت، وذلك معنى غير معنى وراثتها الميت إذا كان موروثاً كلالة[1].

ومما يدل على أن الأخت ترث مع البنت تعصيباً ما أخرجه الإمام البخاري بسنده عن الأسود بن يزيد قال: أتانا معاذ بن جبل باليمن معلماً وأميراً فسألناه عن رجل توفي وترك ابنته وأخته فأعطى الابنة النصف والأخت النصف.

وفي رواية أخرى للبخاري عن الأسود بن يزيد قال: قضى فينا معاذ بن جبل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: النصف للابنة والنصف للأخت.

وأخرج الإمام البخاري أيضاً من طريق هزيل بن شر حبيل قال: سئل أبو موسى عن ابنة وابنة ابن وأخت فقال للابنة النصف وللأخت

(١) تفسير الطبري ٦/٤٥.

النصف وائت ابن مسعـود فسيتابعني، فسئـل ابن مسعود وأخـبر بقول أبي مـوسى فقال: لقـد ضللت إذاً وما أنـا من المهتدين أقضي فيهـا بما قضى النبي صلى الله عليـه وسلم لـلابنـة النصف ولابنـة الابن السـدس تكملة الثلثين وما بقي فللأخت، فأتينا أبـا موسى فـأخبرنـاه بقول ابن مسعود فقال: لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم[1].

(١) صحيح البخاري، كتاب الفرائض باب رقم ٦ و٨ و١٢، الأحاديث رقم ٦٧٣٤ و٦٧٣٦ و٦٧٤١.

« ســورة المائــدة »

١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إنَّ الله يحكم ما يريد. ياأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب. حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم ﴾(المائدة/١ ـ ٣)

* * *

١ ـ قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ **العقود** ﴾ العهود : ما أحل وما حرم ﴿ **إلا ما يتلى عليكم** ﴾ الخنزير ﴿ **يجرمنكم** ﴾ يحملنكم ﴿ **شنآن** ﴾ عداوة ﴿ **والمنخنقة** ﴾ تخنق فتموت ﴿ **والموقوذة** ﴾ تضرب بالخشب بوقذها، فتموت ﴿ **المتردية** ﴾ تتردى من الجبل ﴿ **والنطيحة** ﴾ تنطح الشاة، فما أدركته يتحرك بذنبه أو بعينه فاذبح وكل[١]. (٩٩)

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن ابي طلحة عن ابن عباس مفرقاً في تفسير الآيات الثلاث[٢].

٢ ـ قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما : « الأزلام القداح يقتسمون بها في الأمور، والنُّصُب أنصاب يذبحون عليها[٣]. (١٠٠)

وأخرجه الإمام ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : والنصب أنصاب يذبحون ويهلون عليها، وفي قوله ﴿ **وأن تستقسموا بالازلام** ﴾ قال : يعنى القداح كانوا يستقسمون بها في الأمور[٤].

٣ ـ قال الإمام الترمذي : حدثنا عبد بن حميد أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار قال : « قرأ ابن عباس ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت** (١٠١)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد الباب الأول.
(٢) تفسير الطبري ٦/٤٧، ٥١، ٦٣، ٦٥، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١.
(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المائدة، باب رقم (١٠).
(٤) تفسير الطبري ٦/٧٥، ٧٨.

لكم الإسلام ديناً ﴾ وعنده يهودي فقال : لو أنزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيداً فقال ابن عباس : فإنها نزلت في يوم عيدين في يوم الجمعة ويوم عرفة ».

قال أبو عيسى : حديث حسن غريب من حديث ابن عباس، وهو صحيح(1).

بيان الإسناد :

١ ـ عبد بن حميد بن نصر الكسي، هو الإمام الحافظ صاحب المسند والتفسير واسمه عبد الحميد فخفف اسمه فقيل « عبد » وهو منسوب إلى « كس » وهي مدينة ببلاد ماوراء النهر بقرب « نخشب » ذكرها الحفاظ في تواريخهم كذلك غير أن الناس يكثرون ذكرها بفتح الكاف والسين المعجمة، وهو ثقة من الطبقة الحادية عشرة، مات سنة تسع وأربعين ومائتين، وقد أخرج له الإمام البخاري تعليقاً ومسلم والترمذي(2).

٢ ـ يزيد بن هارون هو أبو خالد بن هارون بن زاذان الحافظ، وهو ثقة متقن عابد، وقال عنه الإمام أحمد : يزيد كان له فقه، ما كان أذكاه وأفهمه وأفطنه ؟ ! وكان مهيباً حتى كان «المأمون» يتقي مخالفته

---

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة المائدة رقم ٣٠٤٤ وقوله «وهو صحيح » غير موجود في بعض نسخ الترمذي (انظر تحفة الاحوذى ٤٠٨/٨) وهذه الجملة تختلف عن طريقة الإمام الترمذي في التعبير عن مثل هذا في سننه حيث يقول « حديث حسن صحيح » فلعلها مزيدة من بعض النساخ.

(٢) تذكرة الحفاظ ٥٣٤/١ رقم ٥٥١ التقريب ٥٢٩/١ رقم ١٤١١ اللباب في تهذيب الأنساب ٩٨/٣.

ن الطبقة التاسعة توفى سنة ست ومائتين وقد قارب التسعين، خرج له الجماعة[1].

- حماد بن سلمة بن دينار الإمام الحافظ كان فصيحاً بارعاً في ثقة في الحديث، وهو أثبت الناس في ثابت البناني. وكان عابداً على فعل الخير والعمل لله، وقد تغير حفظه في آخر عمره، وهو ر الطبقة الثامنة، مات سنة سبع وستين ومائة، وقد أخرج له البخاري تعليقاً ومسلم والأربعة[2].

- عمار بن أبي عمار مولى بني هاشم، صدوق ربما أخطأ، وهو طبقة الثالثة، مات بعد العشرين ومائة، وقد أخرج له الإمام الأربعة[3].

بهذا تبين لنا أن رواة هذا الحديث كلهم ثقات ماعدا عمار بن أبي هو صدوق، وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض[4] فهو متصل.

وعلى هذا يكون إسناده حسناً كما قال الإمام الترمذي.

أخرجه أبو داود الطيالسي من طريق حماد عن عمار بن أبي عمار مثله[5].

هذا الحديث أخرجه الشيخان من حديث طارق بن شهاب عن ن الخطاب أنّ رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في

---

(1) كرة الحفاظ ١/٣١٧ رقم ٢٩٨ تقريب التهذيب ٢/٣٧٢ رقم ٣٤٠.
(2) كرة الحفاظ ١/٢٠٢ رقم ١٩٧، التقريب ١/١٩٧ رقم ٥٤٢.
(3) ريب ٢/٤٨ رقم ٤٤٧، الخلاصة/٣٧٩.
(4) يب التهذيب ٦/٤٥٥ رقم ٩٤٠، ١١/٣٦٦ رقم ٧١١، ٧/٤٠٤ رقم ٦٥٦.
(5) حة المعبود بترتيب مسند الطيالسي أبي داود، سورة المائدة ٢/١٧ رقم ١٩٤٧.

كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر اليهود أنزلت لاتخـذنا ذلـك اليوم عيـداً قـال : أي آيـة ؟ قـال ﴿ **اليـوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ قال عمر : قد عرفنـا ذلك اليـوم والمكان الذي نزلت فيه عـلى النبي ى الله عليه وسلم وهـو قائم بعـرفة يوم جمعة[1].

(١٠٢) ٤ ـ قـال الإمـام البخـاري : قـال ابن عبـاس : ﴿ **مخمصـة** ﴾ مجاعة[2].

وأخرجه ابن جرير الـطبري من طريق عـلي بن أبي طلحة عن ابن عباس[3].

بيان المعنى :

قـوله تعـالى ﴿ **يا أيهـا الذين آمنـوا أوفوا بـالعقود** ﴾ العقـود هي العهود كما فسرهـا ابن عباس في الحـديث الأول الذي أخـرجه الإمـام البخـاري، وقد أخـرجه ابن جـرير بسيـاق أتم من طريق عـلي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : يعنى ما أحل وماحرم، وما فرض وما حـد في القرآن كله، فلا تغدروا ولا تنكثوا، ثم شدد ذلك فقـال ﴿ **والذين ينقضون عهد الله من بعـد ميثاقـه ويقطعـون ما أمـر الله به أن يـوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾ (الرعد/٢٥)[4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الايمـان رقم ٤٥، صحيح مسلم، كتـاب التفسير رقم ٣.
(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المائدة، الباب الثاني.
(٣) تفسيره الطبري ٦/ ٨٥.
(٤) تفسير الطبري ٦/ ٤٨، وإسناده حسن كما تقدم ـ انظر ص ٢.

قوله ﴿ **أحلت لكم بهيمة الأنعام** ﴾ قيل إن بهيمة الأنعام هي الإبل والبقر والغنم، ذكره ابن جرير عن الحسن البصري وقتادة والسدي وغيرهم(١).

وقيل إن المراد بها بقر الوحش والظباء والحمر الوحشية ذكره الفراء(٢).

وقيل : إنها شاملة لبهيمة الأنعام الانسية وهي الإبل والبقر والغنم والوحشية كبقر الوحش والظباء والحمر الوحشية ذكره الزجاج(٣).

وهذا هو الظاهر لأن الله سبحانه استثنى من إباحة بهيمة الأنعام ما حرمه علينا من بهيمة الانعام الأنسية بقوله ﴿ **إلا ما يتلى عليكم** ﴾ كما سيأتي، وما حرمه علينا من الوحشية بقوله ﴿ **غير محلي الصيد وأنتم حرم** ﴾.

وقوله ﴿ **إلا ما يتلى عليكم** ﴾ جاء في تفسير ابن عباس السابق ﴿ **إلا ما يتلى عليكم** ﴾ : الخنزير، وقد أخرجه ابن جرير بسياق أكمل من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : هي الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به(٤).

والمراد من ذلك قوله تعالى ﴿ **حرمت عليكم الميتة** ﴾ إلى آخر الآية.

---

(١) تفسير الطبري ٦/٥٠.
(٢) معاني القرآن للفراء ١/٢٩٨.
(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/١٥٣.
(٤) تفسير الطبري ٦/٥١.

وقوله ﴿ غير محلى الصيد وأنتم حرم ﴾ استثناء آخر من إحلال بهيمة الأنعام، المعنى أحلت لكم بهيمة الأنعام إنسيها ووحشيها إلا ماتلاه الله عز وجل علينا بقوله ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾ الآية وإلا الصيد بالنسبة للمحرمين بالحج أو العمرة.

وقوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ﴾ الآية.

جاء في الحديث الأول الذي أخرجه الإمام البخاري عن ابن عباس انه قال: ﴿ يجر منكم ﴾ يحملنكم ﴿ شنآن ﴾ عدواة.

وقد أخرج الإمام ابن جرير تفسير الآية كاملاً من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ لا تحلوا شعائر الله ﴾ قال: كان المشركون يحجون البيت الحرام ويهدون الهدايا ويعظمون حرمة المشاعر، ويتَّجرون في حجتهم، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم فقال الله عز وجل ﴿ لا تحلوا شعائر الله ﴾، وفي قوله ﴿ ولا الشهر الحرام ﴾ قال: يعني لا تستحلوا قتالاً فيه ﴿ ولا آمين البيت الحرام ﴾.

[فكان المؤمنون والمشركون يحجون البيت] - جميعاً فنهى الله المؤمنين أن يمنعوا أحداً أن يحج البيت أو يتعرضوا له من مؤمن أو كافر، ثم أنزل الله بعد هذا ﴿ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾(التوبة/٢٨).

وقال ﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله ﴾(التوبة/١٧) - وقال ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ (التوبة/١٨) - فنفى المشركين من المسجد الحرام، وفي قوله تعالى ﴿ يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً ﴾ قال: يعني أنهم يترضون الله بحجهم، وفي قوله ﴿ ولا يجْرِ منَّكم شنآن قوم ﴾ قال: ولا يحملنكم

بغض قوم، وفي قوله ﴿ **وتعاونوا على البرِّ والتقوى** ﴾ قال: البِرُّ ما أمرت به والتقوى ما نهيت عنه[1].

وإسناد هذا الأثر حسن كما تقدم[2].

والشعائر جمع شعيرة وهي اسم لما أشعر، أي جعل علماً وشعاراً للنسك من مواقف الحج كالمطاف والمسعى والجمرات.

ومما يدل على هذا المعنى قوله تعالى ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾(البقرة/١٥٨).

والهدي هو ما يقدمه الحاج من بهيمة الأنعام تقرباً إلى الله تعالى، سمي بذلك لأنه يهدى إلى بيت الله الحرام، تعظيماً له.

والقلائد هي ما قلد من الهدي وكان العرب يعلقون في أعناق الإبل قلائد إشعاراً بأنهم قد قدموها هدايا للبيت، وقد أخرج ابن جرير في ذلك من طريق العوفي عن ابن عباس أنه قال: الهدي ما لم يقلد، وقد جعل على نفسه أن يهديه ويقلده، والقلائد مُقَلَّدات الهدى، وإذا قلد الرجل هديه فقد أحرم، فإن فعل ذلك وعليه قميصه فليخلعه[3].

---

(١) تفسير الطبري ٦/٥٤، ٥٥، ٦١، ٦٢، ٦٥، ٦٧، وقوله « فكان المؤمنون والمشركون يحجون البيت » سقط من الطبعات الأولى الكاملة لتفسير الطبري وأثبته الشيخ محمود شاكر في طبعة دار المعارف ٩/٤٧٨ نقلاً عن رواية أبي جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ حيث روى هذا الأثر بإسناد الطبري، والكلام لا يستقيم بغير هذه الزيادة، وقد جاءت الرواية كاملة في الدر المنثور ـ ٢/٢٥٤ ـ نقلاً عن تفسير الطبري وغيره.

(٢) انظر الحديث رقم (٢).

(٣) تفسير الطبري ٦/٥٦.

وإسناد هذا الأثر ضعيف كما تقدم[1].

قوله تعالى ﴿ **حرمت عليكم الميتة والدم** ﴾ الميتة ما فارقته الروح من غير ذكاة، والدم المراد به هنا الدم المسفوح فقط لقوله تعالى ﴿ **قل لا أجد فيما أوحي إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به** ﴾ (الانعام/١٤٥)[2]، وقد قيل إن أهل الجاهلية كانوا يجعلون الدم في الأمعاء ويشوونها ويأكلونها[3].

وقوله ﴿ **وما أهل لغير الله به** ﴾ يعني وما نودي به عند الذبح لغير الله، والإهلال رفع الصوت باسم من ذبح له وقد كان العرب في الجاهلية يذبحون لأصنامهم ويجهرون بذكر أسمائها عند الذبح، ومن ذلك قيل للملبِّي في حجة أو عمرة مهل لرفعه صوته بالتلبية، ومنه استهلال الصبي إذا صاح عند سقوطه من بطن أمه، واستهلال المطر وهو صوت وقوعه على الأرض[4].

وقوله ﴿ **والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع** ﴾ المنخنقة التي ماتت خنقاً، وذلك باحتباس نفسها سواء فعل بها ذلك آدمي أو اتفق لها ذلك كأن تكون موثقة بحبل أو تدخل بين عودين أو نحو ذلك[5].

---

(١) الحديث رقم (٣٥).
(٢) تفسير القرطبي ٢/٢٢١.
(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/١٥٨
(٤) تفسير الطبري ٢/٨٥، معاني القرآن للفراء ١/١٠٢.
(٥) تفسير القرطبي ٦/٤٨.

والموقوذة هي التي تضرب بشيء ثقيل غير محدد حتى تموت[1]، يقال: وقذتها أوقذها وقذاً، وأوقذتها أوقذها إيقاذاً، إذا أثخنتها ضرباً[2].

والمتردية هي التي تسقط من جبل ونحوه فتموت.

والنطيحة هي التي تنطحها أخرى فتموت.

وما أكل السبع يعني: وما أخذه السبع فمات من ذلك.

وهكذا فسر ابن عباس هذه المحرمات كما تقدم في الرواية الأولى التي أخرجها الإمام البخاري.

ومما يوضح معنى الموقوذة ما أخرجه الإمام البخاري ومسلم من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: «سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن صيد المعراض، قال: ما أصاب بحده فكله وما أصابه بعرضه فهو وقيذ»[3]

والمعراض سهم يرمي به بلا ريش ولا نصل يمضي عرضاً فيصيب بعرض العود أحياناً[4].

وقوله ﴿ إلا ما ذكيتم ﴾ قال ابن عباس في الحديث الاول «فما أدركته يتحرك بذنبه أو بعينه فاذبح وكل» وقد أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: «ما أدركت ذكاته من

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٩.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/١٥٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصيد والذبائح، الباب الأول حديث رقم ٥٤٧٥.
صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح، الباب الأول حديث رقم ١٩٢٩.

(٤) لسان العرب (مادة عرض).

هذا كله يتحرك له ذنب أو تطرف له عين فاذبح واذكر اسم الله عليه فهو حلال».

وقوله «من هذا كله» يعني مما تقدم ذكره من المحرمات ما عدا الخنزير فإنه محرم لذاته.

قوله ﴿ **وما ذبح على النصب** ﴾ قال ابن عباس في الحديث السابق: والنصب أنصاب كانوا يذبحون ويهلون عليها.

وهي من الحجارة كما اخرج ابن جرير من طريق ابن ابي نجيح عن مجاهد قال في النصب: حجارة حول الكعبة يذبح عليها أهل الجاهلية ويبدلونها إذا شاؤا بحجارة أعجب إليهم منها[1].

والذبح على النصب مما أهل به لغير الله ولكن الله جل وعلا ذكَرَه بخصوصه ولم يستثن منه ما ذكى لأنه لا يمكن تداركه بالذكاة الشرعية بعد ذكر اسم الله عليه، ولذلك دخل فيها استثنى منه قوله تعالى ﴿ **إلا ما ذكيتم** ﴾ كما سبق.

قوله ﴿ **وأن تستقسموا بالأزلام** ﴾ قال ابن عباس في الحديث الثاني: «الأزلام القداح التي يقتسمون بها في الأمور» والمراد بذلك القداح التي يستعملها أهل الجاهلية لمعرفة الخير من الشر فيما يريدون الإقدام عليه من السفر والأحكام والأحلاف وغير ذلك من أمورهم، فمنها قداح خاصة يستعملها الإنسان لخاصة نفسه وهي ثلاثة: أحدها مكتوب عليه افعل، والثاني لا تفعل، والثالث غفل لا شيء عليه، فإن خرج الآمر فعل، وإن خرج الناهي لم يفعل وان خرج الغفل أعاد

(١) تفسير الطبري ٦/٧٥.

الاستقسام مرة أخرى، ومنها قداح يستعملونها لشئونهم العامة كالقداح التي يتحاكم إليها أهل مكة وكانت سبعة قداح في جوف الكعبة، منها واحد للديات فمن خرج عليه هذا القدح تحمَّل الدية ومنها قداح لإثبات النسب مكتوب على أحدها «منكم» وعلى الثاني «من غيركم» وعلى الثالث «ملصق» فإذا خرج «منكم» كان صاحبه خالص النسب وإن خرج «من غيركم» كان حليفاً وإن خرج «ملصق» كان على منزلته منهم لا نسب له ولا حلف إلى غير ذلك من أمورهم.

والقدح بكسر القاف وسكون الدال هو السهم قبل أن يوضع عليه الريش والنصل[(١)].

وقوله «والنُّصُب أنصاب يذبحون عليها» المراد بهذه النصب حجارة يعظمها أهل الجاهلية فيذبحون عليها الأنعام ويهلُّون منها للحج أو العمرة كما سبق في رواية علي بن أبي طلحة.

قوله ﴿ **ذالكم فسق** ﴾ قال ابن عباس؛ يعني من أكل من ذلك كله فهو فسق» أخرجه ابن جرير عنه من طريق علي بن أبي طلحة[(٢)].

وقوله ﴿ **اليوم يئس الذين كفروا من دينكم** ﴾ يعني من أن تتركوا دينكم وترجعوا إلى الشرك كما أخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: يعني أن ترجعوا إلى دينهم أبداً[(٣)].

---

(١) تفسير الطبري ٦/٧٦، ٧٧، فتح الباري ٨/٢٧٧، النهاية في غريب الحديث ٢/٣١١.

(٢) تفسير الطبري ٦/٧٨.

(٣) تفسير الطبري ٦/٧٨.

وقـولـه ﴿ **اليـوم أكملت لكم دينكم وأتممت عـليكـم نعـمتي ورضيت لكم الإسـلام ديناً** ﴾ قـال ابن عباس: وهـو الإسلام قـال: أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمـان فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا، وقد اتمه الله عـز ذكره فـلا ينقصه أبـداً، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدا». أخرجه ابن جرير من طـريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[1].

وإسناد حسن كما تقدم[2].

وقد سبق في الحديث الثاني أن يهودياً قال لابن عباس: لو أنزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيداً، فقـال ابن عباس: فـإنها نزلت في يوم عيدين: في يوم الجمعة ويوم عرفة.

كـما سبق أن هذه القصـة حدثت لعمـر رضي الله عنه مـع يهودي وأجاب بمثل ذلـك، ولعل ابن عبـاس قد استفـاد هذا العلم من عمـر لكثرة ملازمته إياه رضي الله عنهم أجمعين.

وإنمـا عظم اليهـودي هذه الآيـة لما تحتـوي عليـه من الشهـادات العظيمة من الله جل وعلا لهذا الدين الذي اصطفى هـذه الأمة لحمله وتبليغـه إلى النـاس جميعـاً، وهي التي ذكـرهـا ابن عبـاس في تفسـيره السابق.

قـوله ﴿ **فمن اضـطر في مخمصـة** ﴾ قـال ابن عبـاس في الحـديث الـرابع: «مخمصـة: مجاعـة» والمخمصة عـلى وزن مفعلة مثـل المجبنـة

---

(١) تفسير الطبري ٦/ ٧٩.
(٢) انظر الحديث رقم (٢).

والمبخلة، وهي من خمص البطن وهو ضموره وذلك لأن المجاعة تسبب ضمور البطن ومن ذلك أخمص القدم وهو باطنها وذلك لضمورها. قال الأعشى:

تبيتون في المشتى ملاءً بطونكم   وجاراتكم سُغْبٌ يبتن خمائصا[1]

وقوله ﴿ غير متجانف لإثم ﴾ أصل الجَنَف الميل، ومنه قولهم «جنف القوم على» إذا مالوا، والمقصود به هنا العمد والقصد، كما أخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم ﴾ قال: يعني إلى ما حرم مما سمى في صدر هذه الآية ﴿ غير متجانف لإثم ﴾ يقول: غير متعمد لإثم[2].

وقوله ﴿ فإن الله غفور رحيم ﴾ متعلق بقوله ﴿ فمن اضطر ﴾ وهو على تقدير: «فأكل» المعنى: فمن اضطر إلى الأكل من هذه المذكورات فأكل منها فإن الله ساتر عليه ذنبه ذلك لارتكابه إياه حال الضرورة رحيم به حيث لم يؤاخذه وهو في تلك الحال.

---

(١) تفسير الطبري ٦/٨٤، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/١٥٣ مفردات الراغب الأصفهاني (مادة خمص).

(٢) تفسير الطبري ٦/٨٦، مجاز القرآن ١/١٥٣.

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلِّبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب ﴾ (المائدة/ ٤).

* * *

(١٠٣) ١ ـ قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: إن أكل الكلب فقد أفسده إنما أمسك على نفسه، والله يقول **﴿ تعلمونهن مما علمكم الله ﴾** فَتُضَرَب وتُعلَّم حتى تترك[1].

وأخرجه ابن جرير الطبري من عدة طرق كما سيأتي في بيان المعنى.

بيان المعنى:

قوله **﴿ يسألونك ماذا أحل لهم ﴾** السائلون هم بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كما أخرج أبو عبدالله الحاكم والبيهقي من طريق محمد بن إسحاق عن ابان بن صالح عن القعقاع بن حكيم عن

(١) صحيح البخاري، كتاب الصيد والذبائح باب رقم ٧.

سلمى عن أبي رافع قال: أمرنا رسول الله ى الله عليه وسلم بقتل الكلاب، فقال الناس: يا رسول الله ما أُحِلَّ لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فأنزل الله ﴿ **يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين** ﴾.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي[1].

قوله ﴿ **قل أحل لكم الطيبات** ﴾ أي كل طعام طيب، ومن ذلك الذبائح التي خلت من المحرمات السابقة التي ذكرها الله سبحانه في قوله ﴿ **حرمت عليكم الميتة** ﴾ الآية كما سبق في تفسيرها.

وقوله ﴿ **وما علمتم من الجوارح** ﴾ قال ابن عباس: يعني بالجوارح الكلاب والضواري[2] والفهود والصقور وأشباهها. أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة[3].

وأخرج ابن جرير أيضاً من طريق العوفي عن ابن عباس قال: الجوارح الكلاب والصقور المعلمة[4].

وأخرج البيهقي من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: من الكلاب المعلمة والبازي وكل طير يعلم للصيد[5].

---

(١) المستدرك كتاب التفسير سورة المائدة ٢/٣٦١.
سنن البيهقي، كتاب الصيد والذبائح ٩/٢٣٥.
(٢) الضواري: هي التي اعتادت على الصيد بعد ما علمت (لسان العرب مادة ضرا).
(٣) تفسير الطبري ٦/٩٠.
(٤) تفسير الطبري ٦/٩٠.
(٥) سنن البيهقي، كتاب الصيد والذبائح ٩/٢٣٥.

والجـوارح بمعنى الكواسب، ويقـال: جرح فـلان واجـترح بمعنى اكتسب، ومنه الجارحة لأنه يكتسب بها، ومنه اجتراح السيئات كـما في قوله تعالى ﴿ **ويعلم ما جرحتم بالنهار** ﴾ (الأنعام/٦٠)[١]

وقـوله ﴿ **مكلبـين** ﴾ يعني وأنتم في هـذه الحـال أصحـاب صيـد بالكلاب، يقال: رجل مُكَلِّب وكُلَّاب[٢].

وقـولـه ﴿ **تعلمـونهن مما علمكم الله** ﴾ يعني تؤدبـون الجـوارح فتعلمونهن طلب الصيد لكم، كما أخرج ابن جـرير من طـريق العوفي عن ابن عباس قال: إن المعلَّم من الكلاب أن يمسك صيده فلا يـأكلُ منه حتى يأتي صاحبه، فإن أكل من صيده قبل أن يـأتي صاحبـه فيدرك ذكاته فلا يأكلْ من صيده[٣].

وتقـدم في حديث البـاب الذي أخـرجه الإمـام البخاري عن ابن عباس أنه قـال: «إن أكل الكلب فقـد أفسده إنمـا أمسك عـلى نفسه، والله يقول ﴿ **تعلمونهن مما علمكم الله** ﴾فَتُضرب وتُعَلَّم حتى تترك».

وقـولـه ﴿ **فكلوا ممـا أمسكن عليكم واذكـروا اسم الله عليـه** ﴾ يعني: كلوا مما حبسن لكم، وعلامـة ذلك أن لا تـأكل منـه الجوارح، وذلك كما أخـرج الإمام البخـاري ومسلم من حديث عـدي بن حاتم رضي الله عنـه قال: «فقلت:أرسـل كلبي، قال ـ يعني رسـول الله صلى الله عليه وسلم ـ إذا أرسلت كلبك وسميت فكـل، قلت: فإن أكـل؟

---

(١) تفسير القرطبي ٦/٦٦.
معاني القرآن للأخفش الأوسط ١/٢٥٤، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/١٥٤.
(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/١٦٣.
مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/١٥٤، تفسير القرطبي ٦/٦٦.
(٣) تفسير الطبري ٦/٩٢.

قال: فلا تأكل فإنه لم يمسك عليك، إنما أمسك على نفسه، قلت: أرسل كلبي فأجد معه كلباً آخر؟ قال: لا تأكل فإنك إنما سميت على كلبك ولم تسم على الآخر»[1].

(١) صحيح البخاري، كتاب الصيد والذبائح، الباب الثاني، حديث رقم ٥٤٧٦.
صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح، الباب الأول، حديث رقم ١٩٢٩.

٣ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنباً فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ﴾ (المائدة/٦).

* * *

(١٠٤) ١ ـ أخرج عبدالرزاق عن معمر عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن الرُّبَيِّع أن النبي صلى الله عليه وسلم غسل قدميه ثلاثاً، ثم قالت لنا إن ابن عباس قد دخل علي فسألني عن هذا الحديث فأخبرته فقال: يأبى الناس إلا الغسل ونجد في كتاب الله المسح ـ يعني القدمين ـ[١].

وأخرجه البيهقي من طريق سفيان بن عيينة عن عبدالله بن محمد بن عقيل وجاء في آخره فقال ابن عباس: ما أجد في الكتاب إلا غسلتين ومسحتين[٢].

---

(١) مصنف عبدالرزاق. كتاب الطهارة، باب غسل الرجلين. حديث رقم ٦٥.
(٢) سنن البيهقي ١/٧٢، كتاب الطهارة، باب الدليل على أن فرض الرجلين الغسل.

بيان الإسناد:

١ ـ معمر هو ابن راشد وهو ثقة ثبت تقدمت ترجمته[١].

٢ ـ عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي أبو محمد المدني، صدوق في حديثه لين، ويقال تغير بأخرة، من الطبقة الرابعة مات بعد الأربعين ومائة[٢].

٣ ـ والرُبَيِّع ـ بالتصغير والتشديد ـ هي بنت معوذ بن عفراء الأنصارية النجَّارية رضي الله عنها من صغار الصحابة، أخرج لها الجماعة[٣].

وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض[٤] فإسناده متصل لكن فيه عبدالله بن محمد بن عقيل في حديثه ضعف لكنه ينجبر بالأحاديث الآتية التي تشهد له فيكون إسناده حسناً لغيره، ومتنه صحيح كما سيتبين لنا من الأثرين القادمين.

(١٠٥) ٢ ـ أخرج عبدالرزاق عن معمر عن قتادة عن جابر بن زيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: افترض الله غسلتين ألا ترى أنه ذكر التيمم فجعل مكان الغسلين مسحتين وترك المسحتين؟[٥].

بيان الإسناد:

١ ـ معمر هو ابن راشد الأزدي وهو ثقة ثبت تقدمت ترجمته[٦].

---

(١) انظر الحديث رقم (٨).

(٢) التقريب ١/٤٤٧ رقم ٦٠٧، الخلاصه/ ٢١٣.

(٣) التقريب ٢/٥٩٨ رقم ٤، الإصابة ٤/٢٩٣.

(٤) تهذيب التهذيب ٦/١٣ رقم ١٩.

(٥) مصنف عبدالرزاق، كتاب الطهارة، باب غسل الرجلين، حديث رقم ٥٤.

(٦) انظر الحديث رقم (٨).

٢ ـ قتادة بن دعامة السدوسي ثقة ثبت تقدمت ترجمته[١].

٣ ـ جابر بن زيد أبو الشعثاء الأزدي، مشهور بكنيته وهو ثقة فقيه، من الطبقة الثالثة، أخرج له الجماعة[٢].

وعكرمة ثقة ثبت تقدمت ترجمته[٣].

فهؤلاء الرواة ثقات قد سمع بعضهم من بعض[٤].

فإسناده على هذا صحيح.

(١٠٦) ٣ ـ أخرج عبدالرزاق عن ابن جريج قال: أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة يقول قال ابن عباس الوضوء مسحتان وغسلتان[٥].

بيان الإسناد:

١ ـ ابن جريج ثقة فقيه تقدمت ترجمته[٦].

٢ ـ عمرو بن دينار ثقة ثبت تقدمت ترجمته[٧].

٣ ـ وعكرمة ثقة ثبت تقدمت ترجمته[٨].

وقد تقدم بيان سماع بعضهم من بعض فإسناده على هذا صحيح.

---

(١) انظر الحديث رقم (١١).

(٢) التقريب ١/١٢٢ رقم ٣، تذكرة الحفاظ ١/٧٢ رقم ٦٧.

(٣) انظر الحديث رقم (٥).

(٤) تهذيب التهذيب ٨/٣٥١ رقم ٦٣٥، ٢/٣٨ رقم ٦١.

(٥) مصنف عبدالرزاق، كتاب الطهارة، باب غسل الرجلين رقم ٥٥.

(٦) انظر الحديث رقم (٢٩).

(٧) انظر الحديث رقم (١٠).

(٨) انظر الحديث رقم (٥).

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق ابن جريج بهذا الإسناد وذكر مثله[1].

وبهذا تبين لنا أن في إسناد الأثر الأول عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب وهو صدوق في حديثه لين ويقال إنه تغير بأخرة.

أما رجال الروايتين الأخيرتين فكلهم ثقات قد سمع بعضهم من بعض.

فيكون الحديث بناء على هذا صحيح الإسناد.

٤ ـ قال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن ابن (١٠٧)
خيثم[2] عن ابن أبي مليكة عن ذكوان مولى عائشة أنه استأذن لابن عباس على عائشة وهي تموت وعندها ابن أخيها عبدالله بن عبدالرحمن فقال: هذا ابن عباس يستأذن عليك وهو من خير بنيك. فقالت: دعني من ابن عباس ومن تزكيته، فقال لها عبدالله بن عبدالرحمن: إنه قارىء لكتاب الله فقيه في دين الله فأذنى له فليسلم عليك وليودعك قالت: فأذن له إن شئت فأذن له فدخل ابن عباس ثم سلم وجلس وقال: أبشري يا أم المؤمنين فوالله ما بينك وبين أن يذهب عنك كل اذى ونصب ـ أو قال وصب ـ وتلقى الأحبة محمدا وحزبه ـ أو قال أصحابه ـ إلا أن تفارق روحك جسدك، فقالت: وأيضاً، فقال ابن عباس: كنت أحب أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ولم يكن يحب إلا طيباً، وأنزل الله عز وجل براءتك من فوق سبع سماوات

---

(١) تفسير الطبري ١٢٨/٦.

(٢) جاء في المسند طبعة الحلبي عن أبي خيثم وهو خطأ صوابه عن ابن خيثم، كما سيأتي في ترجمته.

فليس في الأرض مسجد إلا وهو يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار، وسقطت قلادتك بالابواء فاحتبس النبي صلى الله عليه وسلم في المنزل والناس معه في ابتغائها - أو قال في طلبها - حتى أصبح القوم على غير ماء فأنزل الله عز وجل ﴿ فتيمموا صعيداً طيباً ﴾ الآية فكان في ذلك رخصة للناس عامة في سببك فوالله إنك لمباركة، فقالت: دعني يا ابن عباس من هذا فوالله لوددت أني كنت نسياً منسياً(١).

بيان الإسناد:

١ - عبدالرزاق هو الإمام عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري بالولاء أبوبكر الصنعاني، وهو ثقة حافظ مصنف شهير، عمي في آخر عمره فتغير وكان يتشيع، من الطبقة التاسعة، مات سنة إحدى عشرة ومائتين وله خمس وثمانون، أخرج له الجماعة(٢).

٢ - معمر هو ابن راشد الأزدي وهو ثقة ثبت تقدمت ترجمته(٣).

٣ - ابن خثيم هو عبد الله بن عثمان بن خثيم القارى المكي أبو عثمان، وهو صدوق من الطبقة الخامسة مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، أخرج له البخاري تعليقاً ومسلم والأربعة(٤).

٤ - ابن أبي مليكة هو عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة، أدرك ثلاثين من أصحاب النبي ى الله عليه وسلم، وهو ثقة

---

(١) مسند أحمد ١/٣٤٩.
(٢) التقريب ١/٥٠٥ رقم ١١٨٣، تذكرة الحافظ ١/٣٦٤ رقم ٣٥٧
(٣) انظر الحديث رقم (٨).
(٤) التقريب ١/٤٣٢ رقم ٤٦٥، الجرح والتعديل ٥/١١١ رقم ٥١٠.

فقيـه، من الطبقـة الثالثـة، مات سنـة سبـع عشرة ومـائـة أخـرج لـه الجماعة[1].

٥ ـ ذكوان أبو عمرو مولى عائشة رضي الله عنها، مدني ثقـة، من الطبقة الثالثة، أخرج له الشيخان وأبو داود والنسائي[2].

وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض[3] فإسناده متصل لكن فيه ابن خثيم وهو صدوق فيكون إسناده حسناً.

وقد روي خبر نـزول هذه الآيـة بسبب عائشـة رضي الله عنها من طرق أخرى، من ذلك ماأخرجه الإمـام البخاري من حـديث عائشـة رضي الله عنهـا قالت : خـرجنا مـع رسـول الله ى الله عليـه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء ـ أو بـذات الجيش ـ انقطع عقـد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس إلى أبي بكر الصـديق فقالـوا : ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت برسـول الله ى الله عليه وسلم وبـالناس وليسوا على مـاء وليس معهم ماء ؟ فجـاء أبو بكـر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخـذي قد نـام، فقال : حبست رسـول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، قـالت عائشة : فعاتبني أبو بكر وقال ماشاء الله أن يقـول وجعل يـطعنني بيده في خـاصرتي ولا يمنعني من التحرك إلا مكـان رسـول الله صلى الله عليـه وسلم على فخذي، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبح على

(١) التقريب ١/٤٣١ رقم ٤٥٢، تذكرة الحفاظ ١/١٠١ رقم ٩٤.
(٢) التقريب ١/٢٣٨ رقم ٣، الجرح والتعديل ٣/٤٥١ رقم ٢٠٤٠.
(٣) تهذيب التهذيب ١٠/٢٤٣ رقم ٤٣٩، ٥/٣٠٦ رقم ٥٢٣، ٣/٢١٩ رقم ٤١٧.

غير ماء فأنزل الله آية التيمم فقال اسيد بن حضير: ماهي بأول بركتكم ياآل أبي بكر، قالت : فبعثنا البعير الذي كنت عليه فإذا العقد تحته[1].

بيان المعنى :

تبين لنا من هذه الروايات أن ابن عباس يرى أن فرض الرجلين في الوضوء هو المسح لا الغسل، وذلك بناء على قراءة الجر في قوله تعالى ﴿ **وأرجلكم** ﴾ بكسر اللام على أنها معطوفة على ﴿ **رءوسكم** ﴾ في قوله تعالى ﴿ **وامسحوا برءوسكم** ﴾ وهذه هي قراءة حمزة وأبي عمرو وابن كثير وأبي جعفر.

وقراءة النصب هي قراءة نافع وابن عامر والكسائى ويعقوب وحفص[2].

وقد روى عن ابن عباس أنه قرأ الآية بالنصب وذلك فيما أخرجه الطبري والبيهقي من طريق خالد بن مهران الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿ **وامسحوا برءوسكم وارجلكم** ﴾ بالنصب وقال : عاد الأمر إلى الغسل[3].

فيكون بناء على ذلك قد رأى أن فرض الرجلين هو الغسل.

وهذا هو الموافق لسنة رسول الله ى الله عليه وسلم كما أخرج الإمام البخاري من حديث عثمان رضي الله عنه في بيان وضوء النبي صلى

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المائدة، حديث رقم ٤٦٠٧.

(٢) النشر في القراءات العشر ٢/٢٥٤.

(٣) سنن البيهقي، كتاب الطهارة، باب قراءة ﴿وأرجلكم﴾ نصبا، ١/٧٠ تفسير الطبري ٦/١٢٧.

الله عليه وسلم وفيه « ثم غسل كل رجل ثلاثاً، ثم قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ نحو وضوئي هذا[(١)] .

وأخرج الإمام البخاري من حديث عمرو بن يحيى المازني عن أبيه أن رجلاً قال لعبد الله بن زيد ـ وهو جد عمرو بن يحيى ـ : أتستطيع أن تريني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ ؟ فقال عبد الله بن زيد : نعم . . . ثم ذكر وضوء النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن قال : « ثم غسل رجليه »[(٢)] .

وهذا هو الذي عليه جمهور العلماء، قال الحافظ ابن حجر : ولم يثبت عن أحد من الصحابة خلاف ذلك إلا عن علي وابن عباس وأنس وقد ثبت عنهم الرجوع عن ذلك، قال عبد الرحمن بن أبي ليلى : « أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على غسل القدمين » رواه سعيد بن منصور اهـ[(٣)] .

وقد سبق بيان بعض ما تشتمل عليه هذه الآية في تفسير قوله تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى** ﴾ (الآية ـ النساء/٤٣)[(٤)]

(١) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب رقم ٢٨ ، حديث رقم ١٤٦ .
(٢) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب رقم ٣٨، حديث رقم ١٨٥ .
(٣) فتح الباري ١/٢٦٦ .
(٤) انظر ص (٢٣٩).

٤ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم . إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم ﴾(المائدة/٣٣ ـ ٣٤) .

(١٠٨) قال الإمام النسائى : أخبرنا زكريا بن يحيى قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال أنبأني علي بن الحسين بن واقد قال حدثني أبي قال حدثنا يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى **﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ﴾** الآية قال : نزلت هذه الآية في المشركين فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه لم يكن عليه سبيل ، وليست هذه الآية للرجل المسلم ، فمن قتل وأفسد في الأرض وحارب الله ورسوله ثم لحق بالكفار قبل أن يقدر عليه لم يمنعه ذلك أن يقام فيه الحد الذي أصاب[١] .

---

(١) سنن النسائي ، كتاب تحريم الدم ، باب قوله تعالى ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ﴾ الآية ١٠١/٧ .

وأخرجه أبو داود مختصراً من طريق علي بن الحسين بن واقد بهذا الإسناد[1].

بيان الإسناد :-

هذا الإسناد تقدم الكلام عليه وتبين لنا أن فيه علي بن الحسين بن واقد المروزي، فهو متهم بالوهم[2]، وعلى هذا يكون هذا الإسناد محتملاً للضعف لاحتمال أن يكون مما وهم فيه علي بن الحسين، ولم أجد له طريقاً آخر يقويه، بل روي عن ابن عباس ما يدل على خلافه كما سيأتي في بيان المعنى.

بيان المعنى :

يفهم من هذه الرواية أن هاتين الآيتين نزلتا في المشركين إذا حاربوا الله ورسوله وسعوا في الأرض فساداً بأن قطعوا الطريق فقتلوا أو نهبوا أو أخافوا المسلمين، فمن تاب منهم قبل أن نقدر عليه فليس لنا عليه سبيل ويسقط عنه الحد.

والظاهر أن ابن عباس يقصد بالمشركين : المرتدين عن الإسلام حيث أن هاتين الآيتين نزلتا في العرنيين الذين أسلموا ثم ارتدوا وأخذوا إبل الصدقة وقتلوا رعاتها، وقد أخرج هذا الخبر الإمام البخاري ومسلم وأبو داود من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن ناساً من عرينة قدموا على رسول الله ى الله عليه وسلم المدينة فاجتووها[3] فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئتم أن

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب المحاربة، حديث رقم ٤٣٧٢ .

(٢) انظر الحديث رقم (١٣).

(٣) يعني أصابهم الجوى، وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول وذلك لأن هواء المدينة لم يوافقهم (النهاية لابن الاثير ١/٣١٨).

تخرجوا إلى إبل الصدقة فتشروا من ألبانها وأبوالها، ففعلوا فصحـوا ثم مـالوا عـلى الرعـاة فقتلوهم وارتدوا عن الإسـلام وساقـوا ذود رسـول الله صلى الله عليه وسلم[١]، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث في اثرهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم في الحـرة حتى ماتوا.

وزاد أبو داود في رواية له : فبعث رسول الله ى الله عليه وسلم في طلبهم قافة فـأتى بهم، قال : فـأنزل الله تبـارك وتعالى في ذلـك ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً** ﴾ الآية.

وفي رواية للإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه قـال : إنما سمـل النبي صلى الله عليه وسلم أعين أولئك لأنهم سملوا أعين الرعاة[٢].

وقـد ذهب الجمهور من العلماء إلى أن المـراد بالمحـاربين في الآيـة قـطاع الـطريق من المسلمـين، واحتجـوا عـلى كـون الآيـة ليست في المشركين بمثل قوله تعالى ﴿ **قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قـد سلف** ﴾، قوله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العـاص « أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله » رواه مسلم[٣]، وقوله تعالى في هذه الآيات ﴿ **إلا الـذين تابـوا من قبل أن تقـدروا عليهم فاعلمـوا أن الله غفـور رحيم** ﴾ يدل على أنها ليست في المشركـين إذ أن المشرك إذا تاب قبلت

---

(١) الذود هو القطيع الصغير من الإبل قيل من ثلاث إلى تسع وقيل إلى عشر وقيل إلى خمس عشرة وقيل أكثر من ذلك (لسان العرب : مادة ذود).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رقم (١٥)، حديث رقم ٦٨٠٢.
صحيح مسلم، كتاب القسامة، باب رقم ٢، حديث رقم ٩ و ١٤.
سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب ماجاء في المحاربة، حديث رقم ٤٣٦٤ و ٤٣٦٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ٥٤، حديث ١٩٢.

توبته سواء قبل أن نقدر عليه أو بعد ذلك[1].

والذي عليه عمل الصحابة هو إسقاط الحد عمن جاء تائباً قبل القدرة عليه من المحاربين المسلمين، وقد ذكر ابن كثير في تفسيره أمثلة لذلك من عمل الصحابة رضي الله عنهم[2].

قال الحافظ ابن حجر بعد ما نقل قول الجمهور في أن الآية في المحاربين من المسلمين: « والمعتمد أن الآية نزلت أولاً فيهم - يعني في المرتدين من العرنيين - وهي تتناول بعمومها من حارب من المسلمين بقطع الطريق، لكن عقوبة الفريقين مختلفة، فإن كانو كفاراً يخير الإمام فيهم إذا ظفر بهم، وإن كانوا مسلمين فعلى قولين: أحدِهما وهو قول الشافعي والكوفيين: ينظر في الجناية فمن قتل قتل ومن أخذ المال قطع ومن لم يقتل ولم يأخذ مالا نُفِي، وجعلوا «أو» للتنويع وقال مالك: بل هي للتخيير فيخير الإمام بين الأمور الثلاثة[3].

ولعل ابن عباس يريد في هذا الحديث أن الاستثناء في قوله تعالى ﴿ **إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم** ﴾ مقصود به أن المحاربين من الكفار غير مؤاخذين إذا تابوا قبل القدرة عليهم بما سبق منهم من سفك الدماء أو أخذ الأموال لأن الإسلام يهدم ما قبله، أما المسلم فإنه وإن تاب قبل القدرة عليه لا يسقط عنه حد ما أصاب من دم أو مال.

وهذا هو الذى عليه جمهور العلماء بالنسبة للمحاربين من

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ٢/٤٠٧، تفسير القرطبي ٦/١٤٩.
(٢) تفسير ابن كثير ٢/٥٦.
(٣) فتح الباري ١٢/١١٠.

المسلمين وهو أن من تاب قبل القدرة عليه يسقط عنه حد الحرابة ويؤخذ بحقوق الآدميين من الأنفس والجراح والأموال إلا أن يعفى عنها[١].

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يدل على أن هذا الحكم فيمن قطع الطريق من المسلمين وذلك فيما أخرجه الإمام الطبري قال حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله** ﴾ إلى قوله ﴿ **أو ينفوا من الأرض** ﴾ قال : إذا حارب فقتل فعليه القتل إذا ظهر عليه قبل توبته، وإذا حارب وأخذ المال وقتل فعليه الصلب إن ظهر عليه قبل توبته، وإذا حارب وأخذ المال ولم يقتل فعليه قطع اليد والرجل من خلاف إن ظهر عليه قبل توبته، وإذا حارب وأخاف السبيل فإنما عليه النفي[٢].

وهذا الإسناد ضعيف كما تقدم[٣].

وأخرجه البيهقي من طريق محمد بن سعد بهذا الإسناد.

ومن طريق الإمام الشافعي عن إبراهيم بن أبي يحيى عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس.

ومن طريق عبد الرزاق عن إبراهيم عن داود عن عكرمة عن ابن عباس[٤].

---

(١) انظر «المغني لابن قدامة» ٨/٢٩٥، والمجموع شرح المهذب ١٩/٨٤.
(٢) تفسير الطبري ٦/٢١١.
(٣) انظر الحديث رقم (٣٥).
(٤) سنن البيهقي، كتاب السرقة، باب قطاع الطريق ٨/٢٨٣.

وفي هذين الإسنادين إبـراهيم بن أبي يحيى الأسلمي وهو مـتروك على رأي أكثر علماء الجرح والتعديل[1] .

وذلك أن هذه الأحكام المذكورة في هذا الأثر تنطبق على المحاربين من المسلمين ولا تنطبق على الكفار لأن الكافر المحارب لله ولرسوله إنما يعامل بالقتل إلا أن يسلم .

فهذا دليل على أنَّ ابن عباس لا يرى أن الآية خاصة بـالمحاربـين من الكفار بل تشمل كذلك المحاربين من المسلمين .

---

(١) التقريب ١/٤٢ رقم ٢٦٩ ، التهذيب ١/١٥٨ رقم ٢٨٤ ، الميزان ١/٥٧ رقم ١٨٩ .

٥ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ يا يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم. سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين. وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين. إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون. وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن

تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون. وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين. وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون. وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواء هم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون. وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون. أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾

(المائدة/ ٤١ ـ ٥٠).

* * *

(١٠٩) ١ ـ قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن الله عز وجل أنزل ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ـ فأولئك هم الظالمون ـ فأولئك هم الفاسقون ﴾ قال قال ابن عباس : أنزلها الله عز وجل في الطائفتين من اليهود كانت إحداهما قد قهرت الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا ـ أو اصطلحوا ـ على أن كل قتيل قتلته العزيزة

فديته خمسون وَسْقا[1]، وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق، فكانوا على ذلك حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فذلت الطائفتان كلتاهما لمقدم النبي ى الله عليه وسلم، ولم يظهر ولم يوطئهما عليه وهو في الصلح، فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلا، فأرسلت العزيزة إلى الذليلة : أن ابعثوا إلينا بمائة وسق، فقالت الذليلة : وهل كان هذا في حيين قط دينهما واحد ونسبهما واحد وبلدهما واحد دية بعضهم نصف دية بعض ؟ إنما اعطينا هذا ضيماً منكم لنا وفرقاً منكم، فأما إذ قدم محمد فلا نعطيكم ذلك، فكادت الحرب تهيج بينهما، فاصطلحوا على أن يجعلوا رسول الله ى الله عليه وسلم بينهم، ثم ذكرت العزيزة فقالت : والله يا محمد بمعطيكم منهم ضعف ما يعطيهم منكم، ولقد صدقوا، ما أعطونا هذا إلا ضيماً منا وقهراً لهم، فدسوا إلى محمد من يَخْبُر لكم رأيه إن أعطاكم ما تريدون حكَّمتموه وإن لم يعطكم حذرتم فلم تحكموه، فدَسُّوا إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم ناساً من المنافقين ليخبروا لهم رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما جاءوا رسول الله أخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأمرهم كله وما أرادوا، فأنزل الله عز وجل ﴿ **يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواهم** ﴾ إلى قوله ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾، ثم قال : فيهما والله أنزلت، وإياهم عني الله عز وجل[2].

---

(١) الوسق ـ بفتح الواو وسكون السين ـ ستون صاعاً (النهاية في غريب الحديث ٥/١٨٥ مادة وسق).

(٢) مسند أحمد ١/٢٤٦.

بيان الإسناد :ـ

١ ـ إبراهيم بن أبي العباس السامرائي، ثقة تغير حفظه في آخر عمره فلم يحدث، وهو من الطبقة العاشرة[1].

٢ ـ عبدالرحمن بن أبي الزناد، صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد، وقد تقدمت ترجمته[2].

٣ ـ وأبوه هو عبد الله بن ذكوان، وهو ثقة فقيه تقدمت ترجمته[3].

وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ثقة ثبت فقيه، تقدمت ترجمته[4].

وقد تبين لنا بهذا أن هذا الإسناد فيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وقد تغير لما قدم بغداد، ولم يذكر أن إبراهيم بن أبي العباس السامرائي ممن روى عنه قديماً في المدينة فيحتمل أن يكون روى عنه بعد تغيره.

أما اتصاله فهو ثابت لأن رواته قد سمع بعضهم من بعض[5] وقد وثق الحافظ الهيثمي رجاله ماعدا ابن أبي الزناد[6].

لكن روي هذا الحديث من طرق أخرى ليس فيها عبد الرحمن بن أبي الزناد، فقد أخرجه أبو داود السجستاني قال : حدثنا محمد بن (١١٠)

(١) التقريب ١/٣٧ رقم ٢١٧، الكاشف ١/٨٣ رقم ١٤٩.
(٢) انظر الحديث رقم (٥٣).
(٣) انظر الحديث (٥٣).
(٤) انظر الحديث رقم (٨).
(٥) تهذيب التهذيب ١/١٣١ رقم ٢٣٣، ٦/١٧٠ رقم ٣٥٣.
(٦) مجمع الزوائد ٧/١٧ سورة النساء.

العلاء حدثنا عبد الله - يعني ابن موسى - عن علي بن صالح عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس وذكر نحوه[1]. وفي إسناده سماك بن حرب تغير بأخرة وفي روايته عن عكرمة اضطراب[2].

أخرجه النسائى قال أخبرنا القاسم بن زكريا بن دينار قال حدثنا عبيد الله بن موسى . . بهذا الإسناد[3].

وأخرجه ابن الجارود والدار قطني وابن حبان والحاكم والبيهقي كلهم من طريق عبيد الله بن موسى عن على بن صالح عن سماك بن

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الديات، باب النفس بالنفس، حديث رقم ٤٤٩٤، وكتاب الأقضية، باب الحكم بين أهل الذمة حديث رقم ٣٥٩١.

(٢) بيان هذا الإسناد :

١ - محمد بن العلاء هو أبو كريب الهمداني - وهو ثقة حافظ، تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

٢ - والقاسم بن زكريا بن دينار القرشي الطحان، ثقة، من الطبقة الحادية عشرة، التقريب ١/١١٦ رقم ١٧، الخلاصة ٣١٢.

٣ - وعبيد الله بن موسى بن أبي المختار - باذام العبسى الكوفي أبو محمد، وهو ثقة كان يتشيع قال أبو حاتم : كان أثبت في إسرائيل من أبي نعيم واستصغر في سفيان الثوري. التقريب ١/٥٣٩ رقم ١٥١٢، تذكرة الحفاظ ١/٣٥٣ رقم ٣٤٣.

٤ - وعلي بن صالح بن صالح بن حي الهمداني أبو محمد الكوفي، ثقة عابد، من الطبقة السابعة، التقريب ٢/٣٨ رقم ٣٥٦، الكاشف ٢/٢٨٧ رقم ٣٩٨٤.

٥ - وسماك بن حرب تقدمت ترجمته وهو صدوق تغير بأخرة فكان ربما يلقن وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة. أنظر الحديث رقم (٥).

٦ - وعكرمة ثقة ثبت تقدمت ترجمته. انظر الحديث رقم (٥).

وهذا إسناد متصل لسماع رواته بعضهم من بعض. أنظر تهذيب التهذيب ٨/٣١٣ رقم ٥٦٩، ٧/٥٠ رقم ٩٧، ٧/٣٣٢ رقم ٥٦٠، ٧/٢٦٣ رقم ٤٧٥.

(٣) سنن النسائي، كتاب القسامة، باب تأويل قوله تعالى «وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط» ٨/١٨.

حرب عن عكرمة عن ابن عباس وذكروا نحو حديث الإمام أحمد. وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي[1].

وبهذا تبين لنا أن في الإسناد الأول لهذا الحديث عبد الرحمن بن أبي الزناد وقد تغير لما قدم بغداد.

وفي الإسناد الثاني سماك بن حرب وقد تغير بأخرة وفي روايته عن عكرمة اضطراب وقد روي هذا الحديث عن عكرمة.

ولكن اتفاق هذين الروايين على سياق هذا الحديث بألفاظ متقاربة يدل على سلامته من الاضطراب والاختلاف وهما صدوقان كما سبق فيصبح الحديث صحيحاً لغيره، ولعل تصحيح الحاكم رواية سماك بن حرب وموافقة الذهبي إياه على ذلك لاعتضاده برواية عبد الرحمن بن أبي الزناد.

(١١١) ٢ ـ قال الإمام البخاري: وقال ابن عباس: ﴿ **شرعة ومنهاجاً** ﴾: سبيلاً وسنة[2].

وأخرجه الإمام ابن جرير من طريق إبي إسحاق السبيعي عن التميمي عن ابن عباس[3].

---

(١) المنتقى لابن الجارود، باب الحكم بين أهل الذمة رقم ٣٥٩١، سنن الدار قطني، كتاب الحدود والديات ٣/١٩٨ رقم ٣٤٤.
موارد الظمآن، كتاب التفسير رقم ١٧٣٨.
المستدرك، كتاب الحدود ٤/٣٦٦.
سنن البيهقي، كتاب الجنايات، باب إيجاب القصاص في العمد ٨/٢٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الايمان، الباب الأول.

(٣) تفسير الطبري ٦/٢٧٠.

وقال الحافظ ابن حجر : وصله عبد الرزاق في تفسيره بسند صحيح[1] .

بيان المعنى :-

قوله « أنزلها الله في الطائفتين من اليهود كانت إحداهما قد قهرت الأخرى » بين بني النضير وبني قريظة ، والقاهرة هي بنو النضير والمقهورة هي بنو قريظة ، كما جاء في رواية أخرى أخرجها الإمام أحمد مختصرة عن ابن عباس قال : كان بنو النضير إذا قتلوا قتيلاً من بني قريظة أدوا إليهم نصف الدية وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا إليهم الدية كاملة فسوى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم الدية[2] ، وكذلك جاء في رواية عكرمة السابقة التى أخرجها أبو داود والنسائي وغيرهما .

قوله « ولم يظهر » يعني ولم يظهر رسول الله ى الله عليه وسلم على الطائفتين من اليهود ولم يغلبهما بعدُ حيث كانوا معه في المعاهدة التي أبرمها معهم لما قدم المدينة ، وجاء في مجمع الزوائد « ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يظهر » ونسبه الهيثمي للإمام أحمد[3] . فلعله جاء هكذا في نسخة أخرى للمسند .

وقوله « ولم يوطئهما عليه وهو في الصلح » يعني ولم يوافقهما على هذا الأمر الذي اصطلحوا عليه وهو معهم لا يزال في المعاهدة التي تمت بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم .

---

(١) فتح الباري ١/٤٨ .
(٢) مسند الإمام أحمد ١/٣٦٣ .
(٣) مجمع الزوائد ٧/١٥ .

وقـد روى في سبب نزول هـذه الآيـات قصـة أخـرى وهي خـبر
رجـوع اليهود إلى رسـول الله ى الله عليه وسلم في حـد الرجم، وقـد
وردت في أحاديث منها مـا أخرجـه الإمام مسلم من حـديث البراء بن (١١٢)
عـازب قال : مُـرَّ على النبي ى الله عليـه وسلم بيهـودي مُحَمَّـماً مجلوداً
فـدعـاهم صلى الله عليـه وسلم فقـال « هكـذا تجـدون حـد الـزاني في
كتـابكم ؟ » قالـوا : نعم، فدعـا رجلاً من علمائهم فقـال : « أنشدك
بـالله الذي أنـزل التـوراة عـلى مـوسى أهكـذا تجـدون حـد الـزاني في
كتابكم ؟ » قال : لا ولـولا أنك نشـدتني بهذا لم أخـبرك نجده الـرجم
ولكنـه كثر في أشرافنـا فكنا إذا أخـذنـا الشريف تـركنـاه وإذا أخـذنـا
الضعيف أقمنا عليه الحد فقلنا : تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمـه على
الشريف والـوضيع، فجعلنـا التحميم والجلد مكـان الـرجم، فقـال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه »
فأمر به فرجم، فأنزل الله عز وجل ﴿ **ياأيها الرسول لا يحـزنك الـذين
يسـارعون في الكفـر** ﴾ إلى قولـه ﴿ **إن أوتيتم هذا فخـذوه** ﴾ يقول :
ائتوا محمداً صلى الله عليه وسلم فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وإن
أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى ﴿ **ومن لم يحكم بمـا أنزل الله
فـأولئك هم الكـافرون** ﴾، ﴿ **ومن لم يحكم بمـا أنزل الله فـأولئك هم
الظالمون** ﴾، ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فـأولئك هم الفـاسقون** ﴾،
في الكفار كلها[1].

ومن الـروايـة الأولى تبـين لنـا أن الآيـات نـزلت بسبب قضيـة
القصـاص بين اليهـود وتحاكمهم في ذلـك إلى رسـول الله صلى الله عليـه

(١) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب رقم ٦، حديث رقم ٢٨ .

وسلم، وفي الرواية الثانية تبين لنا أن هـذه الآيات نـزلت بسبب قضية الرجم والاستفتاء الذي جرى من اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلـك، وقد صـح سند الـروايتين عن ابن عبـاس رضي الله عنهـما، فيحتمل أن القضيتين جرتا في وقت متقارب فنزلت هـذه الآيات فيهـما معاً، لكن قضية القصاص أقرب لمعنى هذه الآيات من وجوه :

١ ـ أنـه قد ذكـر القصاص في آخـر هذه الآيـات في قـولـه تعـالى ﴿ **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بـالعين** ﴾ الآيـة، فهذا يقوي كون سبب النزول قضية القصاص كما ذكر الحافظ ابن كثير[1].

٢ ـ ان الله سبحـانه وتعـالى ذكر في هـذه الآيات أن المسـارعة إلى الكفر صادرة من المنـافقين واليهـود، وقضية الـرجم لم يذكـر فيها دور للمنافقين بينما ذكر في قضية القصاص أن الـطائفة العـزيزة من اليهـود دسوا أناساً من المنافقين إلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ليعلموا رأيـه في القضية قبل أن يحكموه.

٣ ـ ولأن الله سبحـانه ذكـر في هذه الآيات تحاكمهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ **فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم** ﴾ الآية، ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله** ﴾ وهذا يتناسب مـع قضية القصـاص لأن فيها خصومة بين طائفتين من اليهود، أما قضية الرجم فليس فيهـا خصومة حتى يقع بسببها التحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله تعالى ﴿ **أكالون للسحت** ﴾ المراد بالسحت هنا أخذ الرشوة في الحكم، كـما أخـرج الإمـام ابن جـريـر من طـريق العـوفي عن ابن

---

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٦٥.

عباس في قوله تعالى ﴿ **سماعون للكذب أكالون للسحت** ﴾ قال: وذلك أنهم أخذوا الرشوة في الحكم، وقضوا بالكذب(١).

وقد نقل ابن جرير أيضاً تفسير السحت بالرشوة عن بعض الصحابة كعمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم(٢).

وأصل السحت الاستئصال، ومنه قوله تعالى ﴿ **لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب** ﴾(طه/٦١) ـ يقال: سحته وأسحته إذا استأصله، ومنه قول الفرزدق :ـ

وعض زمان يابن مروان لم يدع   من المال الا مُسْحَتاً أو مُجَلَّفا

فالمسحت هو الذي استأصله إهلاكاً وإفساداً، والمجلف هو الذي أخذ من جوانبه(٣).

(١) تفسير الطبري ٦/٢٤٠.
(٢) تفسير الطبري ٦/٢٣٩ ـ ٢٤١.
(٣) معاني القرأن للزجاج، ٢/١٩٤ لسان العرب (مادة سحت) و(جلف)، تفسير القرطبي ٦/١٨٢.

٦ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون ﴾المائدة (٨٧ ـ ٨٨).

* * *

(١١٣) قال الإمام الترمذي: حدثنا أبو حفص عمرو بن علي أخبرنا أبو عاصم أخبرنا عثمان بن سعد أخبرنا عكرمة عن ابن عباس: «أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي فحرمت اللحم فأنزل الله **﴿ يأيها الذين أمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً ﴾** قال: هذا حديث حسن غريب، ورواه بعضهم من غير حديث عثمان بن سعد مرسلاً ليس فيه عن ابن عباس ورواه خالد الحذاء عن عكرمة مرسلاً[1].

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة المائدة، حديث رقم ٣٠٥٤.

بيان الإسناد:

١ ـ أبو حفص عمرو بن علي بن بحر بن كنيز الفلاس الصيرفي الباهلي البصري ثقة حافظ، من الطبقة العاشرة، مات سنة تسع وأربعين ومائتين أخرج له الجماعة[١].

٢ ـ وأبو عاصم هو الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيباني البصري، الملقب بالنبيل، وهو ثقة ثبت، من الطبقة التاسعة، مات سنة اثنتي عشرة ومائتين أو بعدها، أخرج له الجماعة[٢].

٣ ـ عثمان بن سعد الكاتب أبو بكر البصري، وهو ضعيف، من الطبقة الخامسة، وقد أخرج له أبو داود والترمذي[٣].

٤ ـ وعكرمة ثقة ثبت[٤].

وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض[٥] فإسناده متصل، ورواته ثقات ما عدا عثمان بن سعد الكاتب فهو ضعيف لكن يشهد لهذا الحديث ما أخرجه الإمام ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم** ﴾ قال: هم رهط من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: نقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا ونسيح في الأرض كما تفعل

(١) التقريب ٢/٧٥ رقم ٦٤٠، تذكرة الحفاظ ١/٤٨٧ رقم ٥٠٢.
(٢) التقريب ١/٣٧٣ رقم ١٦، تذكرة الحفاظ ١/٣٦٦ رقم ٣٦٠.
(٣) التقريب ٢/٩ رقم ٦١، ميزان الاعتدال ٣/٣٤ رقم ٥٥١١.
(٤) انظر الحديث رقم (٥).
(٥) انظر (تهذيب التهذيب ٨/٨٠ رقم ١٢٠، ٤/٤٥٠ رقم ٧٨٣، ٧/١١٧ رقم ٢٥٣).

الرهبان، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليهم فذكر ذلك لهم فقالوا: نعم، فقال رسول الله ى الله عليه وسلم «لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأنكح النساء فمن أخذ بسنتي فهو مني ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني»[١].

وإسناد حسن كما تقدم[٢].

وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق العوفي عن ابن عباس[٣].

وإسناد ضعيف كما تقدم[٤].

وبناء على ما جاء في هذه الرواية يكون المراد بالاعتداء في الآية تحريم ما أحل الله، وذلك لأن التحريم والتحليل مما يختص به الله تعالى وحده، فمن حرم ما أحل الله أو أحل ما حرم الله فقد جاوز حده وإن كانت نيته التقرب إلى الله تعالى.

---

(١) تفسير الطبري ٧/١٠.

(٢) انظر الحديث رقم (٢).

(٣) تفسير الطبري ٧/١٠.

(٤) انظر الحديث رقم (٣٥).

٧ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ (المائدة/ ٩٠).

* * *

(١١٤) ١ ـ قال الإمام أبو داود السجستاني: حدثنا أحمد بن محمد المروزي حدثنا علي بن حسين عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال: **﴿ يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾** (النساء/ ٤٣) و **﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ﴾** (البقرة/ ٢١٩) نسختهما التي في المائدة **﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب ﴾** الاية[١].

وأخرجه البيهقي من طريق أبي داود بهذا الإسناد وذكر مثله[٢].

بيان الإسناد:

هذا الحديث تقدم في سورة البقرة وتبين لنا أن فيه علي بن الحسين

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأشربة، الباب الأول، حديث رقم ٣٦٧٢.

(٢) السنن الكبرى، كتاب الأشربة، باب ما جاء في الخمر ٨/ ٢٨٥.

بن واقد قد اتهم بالوهم وقد خالفه في هذا الحديث من هو أوثق منه وهو يحيى بن واضح فرواه عن عكرمة والحسن البصري على أنه من كلامهما كما تقدم بيان ذلك[1].

بيان المعنى :

ذكر ابن عباس في الأثر الأول الآيات الثلاث التي فيها النهي عن شرب الخمر. الأولى قوله تعالى ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما** ﴾ ففي هذه الآية تحذير من تعاطي الخمر والميسر من غير قطع بتحريمهما وذلك ببيان أن الإثم المترتب على تعاطيهما أكبر ضرراً على المسلم من فقد متعتهما.

الثانية قوله تعالى ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى** ﴾ فهذه الآية قاطعة بتحريم شرب الخمر قرب أوقات الصلاة بالقدر الذي لا يتمكن فيه من الصحو قبل وقت الصلاة.

الثالثة: قوله تعالى ﴿ **إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾ وهذه الآية قاطعة بتحريم الخمر والميسر مطلقاً.

وقد جاء في هذا الأثر عن ابن عباس أن الآية الأخيرة ناسخة للآيتين الأوليين، والمقصود من ذلك أن القطع بتحريم الخمر والميسر دائماً المفهوم من الآية الأخيرة ناسخ للإبقاء على إباحتهما مطلقاً المفهوم من الآية الأولى وعلى إباحة الخمر في بعض الأوقات المفهوم من الآية الثانية.

---

(١) انظر الحديث رقم (١٣).

وقــد سبق بيـان معنى الخمــر والميسر في تفســير قــولــه تعــالى ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر** ﴾[1].

والذي يظهر من ذلك أن تحريم الخمر على هذه المـراحل الثـلاث كان من قبيل التـدرج في التشريع من الأخف إلى الأثقـل وذلك أنـه لما كان المدمن عـلى الخمر من الصعب عليـه أن يتركهـا دفعة واحـدة نزل أولاً بيان أن شربها لا يليق بالمؤمن بالله لأنها تصد عن ذكر الله والصلاة وتـورث العداوة والبغضـاء ثم نزل بعـد ذلك تحـريم شربهـا في بعض الأوقات دون بعض ليتدرب شاربها عـلى التقليل منهـا تمهيداً لاجتنـابها بعد نزول النهي عنها دائماً.

وهـذا المعنى لا ينفي أن تكـون الآيـة الأخـيرة نـاسخـة لـلآيتـين الأولیين كما قال ابن عباس لأن في الحكم المفهـوم منها إزالـة لبعض ما يفهم من الآيتين الأولیين كما سبق.

وقوله ﴿ **رجس** ﴾ الرجس الشيء القذر[2]، المعنى: هذه الأشياء التي ذكرها الله سبحـانه وهي الخمـر والميسر والأنصاب والأزلام أمـور مستقذرة مستقبحة شرعاً لما يترتب عليها من الآثام الكبيرة ﴿ **من عمل الشيطان** ﴾ يعني وسوسته وتزيينه.

---

(١) انظر ص ٩٥.

(٢) لسان العرب (مادة رجس).

٨ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين ﴾ (المائدة/٩٣).

* * *

(١١٥) قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزل تحريم الخمر قالوا يارسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها فنزلت **﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ﴾** إلى آخر الآية[١].

بيان الإسناد:

١ ـ وكيع هو ابن الجراح الرؤاسي وهو ثقة حافظ عابد[٢].

٢ ـ إسرائيل هو ابن يونس بن أبي إسحاق السبيعي وهو ثقة تقدمت ترجمته.

---

(١) مسند الإمام أحمد ١/ ٢٣٤.

(٢) انظر الحديث رقم (٧٦).

٣ ـ وسماك هو ابن حرب تقدمت ترجمته وهو صدوق تغير بأخرة وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة.

٤ ـ وعكرمة ثقة ثبت تقدمت ترجمته[١].

وأخرجه الإمام أحمد من طريق آخر عن إسرائيل بهذا الإسناد وذكر مثله[٢].

وأخرجه الإمام الترمذي من طريق إسرائيل بهذا الإسناد وذكر مثله وقال: هذاحديث حسن صحيح[٣].

وأخرجه الحاكم من طريق إسرائيل بهذا الإسناد وذكر مثله ثم قال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي[٤].

هذا وقد تبين لنا أن هذا الحديث يدور إسناده على سماك بن حرب وقد تغير في آخر عمره وروايته عن عكرمة فيها اضطراب وقد رواه هنا عن عكرمة، ولكن له شاهد أخرجه الإمام البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: «كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة فنزل تحريم الخمر فأمر منادياً فنادى، فقال أبو طلحة: أخرج فانظر ما هذا الصوت، قال: فخرجت فقلت: هذا مناد ينادي: ألا إن الخمرحرمت فقال لي اذهب فأهرقها قال: فجرت في سكك المدينة قال: وكانت خمرهم يومئذ الفضيخ[٥] فقال بعض القوم: قتل قوم

---

(١) انظر هؤلاء الثلاثة في الحديث رقم (٥).

(٢) مسند الإمام أحمد ١/٢٧٢.

(٣) سنن الترمذي، كتاب التفسير سورة المائدة رقم ٣٠٥٢.

(٤) المستدرك، كتاب الاشربة ٤/١٤٣.

(٥) الفضيخ البسر إذا شدخ وجعل منه النبيذ. ويطلق أيضاً على خليط البسر والرطب إذا نبذ. (فتح الباري ١٠/٣٨).

وهي في بطونهم، قال: فأنزل الله ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا** ﴾[1].

وأخرجه الإمام الترمذي قال: حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: مات رجال من أصحاب النبي ى الله عليه وسلم قبل أن تحرم الخمر، فلما حرمت الخمر قال رجال: كيف بأصحابنا وقد ماتوا وهم يشربون الخمر فنزلت ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات** ﴾

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقد رواه شعبة عن أبي إسحاق عن البراء حدثنا بذلك بندار[2].

ثم ذكر حديث شعبة وهو مثل حديث إسرائيل.

وهذا الحديث صحيح ورجاله ثقات كما سبق في تراجمهم[3].

وبهذين الحديثين يتقوى حديث ابن عباس السابق فيكون صحيح الإسناد كما ذكر الإمام الحاكم والذهبي.

ويتبين لنا من هذين الشاهدين الصحيحين أن حديث ابن عباس مما روى عن سماك بن حرب قبل تغيره وانه مما لم تضطرب روايته فيه عن عكرمة ولهذا حكم عليه الحاكم والذهبي بالصحة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المائدة، حديث رقم ٤٦٢٠.

(٢) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة المائدة رقم ٣٠٥٠ و ٣٠٥١.

(٣) انظر رقم ٥ و ١٠١ و ١١٠ أما أبو أسحاق فهو السبيعي عمرو بن عبد الله وهو ثقة عابد (التقريب ٢/٧٣ رقم ٦٢٣).

بيان المعنى :

يخبرنا الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بأنه قد رفع الحرج عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات في شربهم الخمر قبل تحريمها إذ أن شربهم إياها آنذاك لا يعتبر مخالفة لأوامر الله جل وعلا ، والحال أنهم قد اتقوا الله وآمنوا به إيماناً صادقاً وعملوا الصالحات ثم ازدادوا تقوى وإيماناً بما يقدمونه من الأعمال الصالحة وما يتقونه من المحرمات عليهم حتى بلغوا مرتبة الإحسان التي هي كمال مراقبة الله تعالى في السر والعلن المنبثقة عن تعظيم الله عز وجل وشدة الخوف منه والرجاء لما عنده حتى كأن العبد يشاهد ربه من شدة تذكره واستحضاره في قلبه كما جاء في بيان النبي صلى الله عليه وسلم لمعنى الإحسان حينما سأله عنه جبريل عليه السلام فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . أخرجه الشيخان[1] .

فقوله تعالى ﴿ **إذا ما اتقوا وآمنوا** ﴾ الخ ليس قيداً في رفع الجناح ، لأن رفع الإثم عن الإنسان فيما يطعم هو في كون ما يطعمه حلالاً لا باتصافه هو بهذه الصفات ، وإنما ذكر الله سبحانه هذه الصفات على سبيل الامتداح والثناء على أولئك المؤمنين السابقين .

ومما يدل على ذلك ما أخرجه أبو عبد الله الحاكم من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن الشُّرَّاب كانوا يضربون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأيدي والنعال والعصي حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا في خلافة أبي بكر أكثر منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله عنه : لو

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان رقم ٥٠ ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان رقم ١ .

فرضنا لهم حداً، فتوخى نحواً مما كانوا يضربون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبو بكر رضي الله عنه يجلدهم أربعين حتى توفي ثم قام من بعده عمر فجلدهم كذلك أربعين حتى أتى برجل من المهاجرين الأولين وقد كان شرب فأمر به أن يجلد فقال : لم تجلدني بيني وبينك كتاب الله عز وجل. فقال عمر رضى الله عنه : في أي كتاب الله تجد أنى لا أجلدك ؟ فقال إن الله تعالى يقول في كتابه ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا** ﴾ الآية فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا، شهدت مع رسول الله ى الله عليه وسلم بدراً والحديبية والخندق والمشاهد، فقال عمر رضي الله عنه : ألا تردون عليه ما يقول ؟ فقال ابن عباس : إن هذه الآيات أنزلت عذراً للماضين وحجة على الباقين لأن الله عز وجل يقول ﴿ **ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان** ﴾ ثم قرأ حتى انفذ الآية الاخرى، ومن كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وآمنوا وأحسنوا فإن الله عز وجل نهى أن تشرب الخمر، فقال عمر رضي الله عنه : صدقت فماذا ترون ؟ فقال علي رضي الله عنه : نرى أنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى وعلى المفتري ثمانون جلدة فأمر عمر رضي الله عنه فجلد ثمانين.

قال الحاكم : « هذا حديث صحيح ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي[1].

---

(١) المستدرك ٤/٣٧٥، كتاب الحدود.

وأخرجه البيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس[1].

فمن هذه الرواية تبين لنا أن أحد الصحابة قد اشتبه عليه معنى قوله تعالى ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين** ﴾ فظن أن من آمن بالله واتقاه وعمل الصالحات وأحسن لا جناح عليه في شرب الخمر وفهم أن قوله تعالى ﴿ **إذا مااتقوا** ﴾ إلى آخره قيود في رفع الجناح عن شرب الخمر فبين له ابن عباس أن هذه الآيات عذر للماضين حيث شربوا الخمر قبل أن تحرم عليهم فلا ينقص ذلك مما تحلوا به من التقوى والإيمان والعمل الصالح والإحسان، وحجة على الباقين لأن من شربها بعدما حرمها الله لا يكون من المتقين ولا من المحسنين.

وقال الزمخشري في تفسير هذه الآية على اعتبار سبب نزولها : يعني أن المؤمنين لا جناح عليهم في أي شيء طعموه من المباحات إذا ما اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا، على معنى أن أولئك كانوا على هذه الصفات ثناء عليهم وحمداً لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان، ومثاله أن يقال لك : هل على زيد فيما فعل جناح ؟ فتقول وقد علمت أن ذلك أمر مباح : ليس على أحد جناح في المباح إذا اتقى المحارم وكان مؤمناً محسناً تريد أن زيداً تقي مؤمن محسن وأنه غير مؤاخذ بما فعل[2].

---

(١) السنن الكبرى ٨/ ٣٢٠، كتاب الأشربة، باب حد الخمر.

(٢) الكشاف للزمخشري ١/ ٦٤٣.

٩ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ يـاأيها الـذين آمنوا لا تسـألـوا عن أشيـاء إن تبـد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنهـا والله غفور حليم . قـد سـألهـا قـوم مـن قبـلكم ثـم أصبـحـوا بهـا كـافـريـن ﴾ (المائدة/١٠١ ـ ١٠٢).

* * *

(١١٦) قال الإمام البخاري : حدثني الفضل بن سهل قـال : حدثنـا أبو النضر حدثنا أبو خيثمه حدثنا أبـو الجويـرية عن ابن عبـاس رضي الله عنهما قال « كـان قوم يسـألون رسـول الله صلى الله عليه وسلم استهـزاء فيقـول الرجـل : من أبي ؟ ويقول الـرجل : تضـل ناقتـه أين ناقتي ؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية **﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشيـاء إن تبد لكم تسؤكم ﴾** حتى فرغ من الآية كلها[١] .

وأخرجه البيهقي من طريق أبي النضر بهذا الإسناد إلى أبي جويرية أنه قال : سمعت أعرابياً من بني سليم سـأله ـ يعني ابن عبـاس ـ عن

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المائدة، باب رقم ١٢ حديث رقم ٤٦٢٢ .

الضَّوالِّ، فقال : ماترى في الضوال ؟ قال : من أكل من الضوال فهو ضال، قال : ما ترى في الضوال ؟ قال : من أكل من الضوال فهو ضال، ثم سكت الرجل، وأخذ ابن عباس يفتي الناس ـ يقول أبو الجويرية فتوى كثيرة لا أحفظها ـ فقال الأعرابي : أراك أصدرت الناس غيري أفترى لي توبة ؟ قال : ويلك لا تسأل هذه المسألة قال : وما أشد مسألتك ! قال : أستغفر الله وأتوب إليه وأجل ماصنعت، قال : أتدري فيم نزلت هذه الآية ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ حتى فرغ من الآية كلها، قال : كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من أبي ويقول الرجل يضل ناقته : أين ناقتي فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية[1].

بيان المعنى :

هذه الرواية مجملة لم يبين فيها سبب نزول معين وإنما جاء فيها أن الآية نزلت بسبب أسئلة كانت تلقى على النبي صلى الله عليه وسلم بعضها لغرض صحيح، ولكن لم تدع الضرورة إليه، وبعضها تصدر استهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولا يكون هذا إلا من المنافقين.

وقد أخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : ذاك يوم قام فيهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به، قال : فقام رجل فكره المسلمون مقامه يومئذ فقال : يارسول الله من أبي ؟ قال أبوك حذافة قال : فنزلت هذه الآية[2].

---

(١) سنن البيهقي كتاب اللقطة، باب ما يجوز له أخذه وما لا يجوز ١٩١/٦ .

(٢) تفسير الطبري ٨١/٧.

وأخرج الشيخان من حديث قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سألوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسألة فصعد النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم المنبر فقال : لا تسألوني عن شيء إلا بينت لكم فجعلت أنظر يميناً وشمالاً فإذا كان رجل رأسه في ثوبه يبكي ، فأنشأ رجل كان إذا لاحى يدعى إلى غير أبيه فقال : يا نبي الله من أبي ؟ فقال : أبوك حذافة ، ثم أنشأ عمر فقال : رغبنا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ، نعوذ بالله من سوء الفتن فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط إنه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما دون الحائط ، قال قتادة : يذكر هذا الحديث عند هذه الآية ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ .

وفي بعض روايات الشيخين عن أنس رضي الله عنه «فنزلت ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم** ﴾ » .

وفي رواية أخرى للإمام البخاري « فقام إليه رجل فقال : أين مدخلي يا رسول الله ؟ قال : النار »(١) .

وابن حذافة المذكور في الحديث هو عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه وهو من أفاضل الصحابة ، وليس هو المقصود من قول ابن عباس في الرواية السابقة « يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من أبي » فإن عبد الله بن حذافة من المؤمنين

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب رقم ١٥ حديث ٧٠٨٩ ، وكتاب الاعتصام ، باب رقم ٣ حديث رقم ٧٢٩٤ .
صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب رقم ٣٧ حديث ١٣٤ ، ١٣٧ .

الصادقين وأسئلة الاستهزاء لا يتصور وقوعها ممن يظهر الإيمـان إلا من المنافقين، وإنمـا أراد ابن عباس أن يبـين أنواع الاسئلة التي تلقى عـلى النبي صلى الله عليـه وسلم، وبسببها نـزلت هـذه الآيـة، وإن من هـذه الاسئلة ما يصدر على سبيل الاستهزاء.

١٠ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ يـاأيهـا الـذين آمنـوا شهـادة بينكم إذا حضر أحـدكم المـوت حـين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخـران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشترى به ثمناً ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذاً لمن الآثمين. فإن عثر على أنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ومـا اعتدينـا إنا إذاً لمن الـظالمين. ذلـك أدنى أن يأتـوا بالشهـادة عـلى وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمـانهم واتقوا الله واسمعـوا والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ (المائدة/١٠٦ ـ ١٠٨).

* * *

(١١٧) قال الإمام البخاري : قال لي علي بن عبد الله حدثنا يحيى بن آدم حـدثنـا ابن أبي زائــدة عن محمـد بن أبي القــاسم عن عبـد الملك بن سعيـد بن جبير عن أبيـه عن ابن عباس رضي الله عنهـما قـال « خـرج رجـل من بني سهم مع تميم الـداري وعـدي بن بـداء فـمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما بتركته فقـدوا جامـاً من فضة مخـوصاً

من ذهب فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم وجد الجام بمكة، فقالوا ابتعناه من تميم وعدي، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا: لشهادتنا أحق من شهادتهما وإن الجام لصاحبهم، قال: وفيهم نزلت هذه الآية ﴿ **ياأيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت** ﴾[1].

وأخرجه أبو داود والترمذي والدار قطني والبيهقي والطبري[2].

بيان المعنى:

في هذه الآيات بيان حكم الوصية عند الموت وذلك بأن يوصي من حضره الموت بوصيته ويشهد عليها رجلين مسلمين عدلين، فإن كان في سفر إلى بلاد الكفار ولم يجد مسلمين يشهدهما فيشهد رجلين من الكفار ممن يستطيع إيصال وصيته إلى أهله، فإن شك أولياء الموصي من شهادتهما طلب منهما الحاكم أن يقسما بالله بعد الصلاة ما خانا في الشهادة ولا كتما شيئاً من الوصية، فإن عثر بعد ذلك على أنهما قد ارتكبا إثماً في شهادتهما بأن كذبا وخانا في الوصية فإن الحاكم يحلف رجلين من أولياء الموصي الأقربين فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادة الشاهدين اللذين استأمنهما الموصى وإنهما لم يعتديا عليهما في ذلك ثم يغرم الشاهدان ما ظهر عليهما من حق الموصي.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب رقم ٣٤ حديث رقم ٢٧٨٠.
(٢) سنن أبي داود، كتاب الأقضية، باب شهادة أهل الذمة رقم ٣٦٠٦.
سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة المائدة حديث رقم ٣٠٥٩.
سنن الدار قطني، كتاب النذور رقم ٣٠، ٣١ (٤/ ١٦٨).
سنن البيهقي، كتاب الشهادات ١٠/ ١٦٥.
تفسير الطبري ٧/ ١١٥.

وهذا الحكم المأخوذ من هذه الآيات يؤيده سبب النزول السابق الذكر، وقوله « فقدوا جاماً من فضة مخوصاً من ذهب » أي اناء مصنوعاً من الفضة ومنقوشاً من الذهب على هيئة الخوص[1].

وقد اختلف الفقهاء في حكم هذه الآيات هل هو منسوخ أم محكم ؟

فالذين قالوا إنه محكم، منهم من قال إن الخطاب في قوله تعالى ﴿ **ذوا عدل منكم** ﴾ للمسلمين عموماً والمراد بقوله ﴿ **من غيركم** ﴾ الكفار، وبناء على هذا تجوز شهادة أهل الذمة على المسلمين في السفر عند عدم وجود المسلمين، وبهذا قال جمع من السلف منهم سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ويحيى بن يعمر وقتادة وشريح ومجاهد وسفيان الثوري والنخعي واختاره أحمد بن حنبل، وقد استدلوا على ذلك بظاهر الآية وبما جاء في سبب نزولها وبما روى عن الصحابة في ذلك، ومنه ما أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في هذه الآية : فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين فأمره الله بشهادة رجلين من غير المسلمين فإن ارتيب في شهادتهما استحلفا بعد الصلاة بالله لم نشتر بشهادتنا ثمناً قليلاً[2].

ومن ذلك ما أخرجه أبو داود في سننه والطبري في تفسيره من حديث الشعبي أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا هذه[3] ولم يجد أحداً من المسلمين يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل

---

(١) فتح الباري ٥/٤١١.
(٢) تفسير الطبري ٧/١٠٩.
(٣) دقوقا بفتح الدال وضم القاف وألف ممدودة ومقصورة مدينة بين اربل وبغداد لها ذكر في الأخبار والفتوح كان بها وقعة للخوارج. ذكره ياقوت في معجم البلدان ٢/٤٥٩.

الكتاب فقدما الكوفة فأتيا أبا موسى الأشعري فأخبراه وقدما بتركته ووصيته، فقال الأشعري : هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله ى الله عليه وسلم فأحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانها لوصية الرجل وتركته، فأمضى شهادتهما[1].

قال ابن كثير بعدما ذكر هذا الأثر بإسناد الطبري من طريقين : « وهذان إسنادان صحيحان إلى الشعبي عن أبي موسى الأشعري »[2].

ومن الذين قالوا إن الآية محكمة غير منسوخة من قال إن قوله تعالى ﴿ **ذوا عدل منكم** ﴾ يعني من قومكم وعشيرتكم، وقوله ﴿ **من غيركم** ﴾ يعني من غير عشيرتكم وقومكم من المسلمين. وبناء على هذا التفسير لا يكون في الآية دليل على جواز شهادة أهل الكتاب على المسلمين. وبهذا قال الحسن البصري وعكرمة والزهري.

وقيل إن المراد بقوله تعالى ﴿ **وآخران من غيركم** ﴾ من الكفار كالقول الأول ولكن الآية منسوخة، وبهذا قال زيد بن أسلم، وأخذ به مالك والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم إلا أن أبا حنيفة قال : تجوز شهادة الكفار بعضهم على بعض ولا تجوز على المسلمين.

واحتج هؤلاء الفقهاء بقوله تعالى ﴿ **وأشهدوا ذوي عدل منكم** ﴾، والكفار ليسوا من أهل العدالة، قالوا : وآية الدين من آخر

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأقضية، باب شهادة أهل الذمة رقم ٣٦٠٥.
تفسير الطبري ٧/١٠٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/١٢٢.

ما نزل وفيها ﴿ **ممن ترضون من الشهداء** ﴾، والكفار ممن لا ترضى شهادتهم، فهذا ناسخ لما في آية المائدة، وقالوا أيضاً: قد أجمع المسلمون على أن شهادة الفساق لا تجوز والكفار فساق فلا تجوز شهادتهم.

وأجابوا عن هذه الآية بأن الإسلام حين نزول هذه الآية لم يجاوز المدينة فجازت شهادة أهل الكتاب، وهو اليوم قد طق الأرض فسقطت شهادة الكفار.

وقد اختار ابن جرير الطبري وابن كثير والقرطبي والنحاس القول بأن الآية محكمة وأنها في شهادة الكفار على المسلمين في حال الوصية في السفر عند عدم وجود المسلمين واستدلوا لذلك بما سبق ذكره من قصة تميم الداري وماروي عن ابن عباس وأبي الحسن الأشعري رضي الله عنهم[1].

وأجاب القرطبي عن أدلة القول بالنسخ بأن جواز شهادة أهل الذمة على المسلمين هي قضية خاصة وذلك في الوصية في السفر عند الضرورة حيث لا يوجد مسلم، وما ذكروه من قوله تعالى ﴿ **ممن ترضون من الشهداء** ﴾ وأنه ناسخ لآية الوصية إنما هو في قضية أخرى فلا ينطبق على قضية الوصية لمكان الحاجة والضرورة فيها، وما ادعوه من النسخ لا يصح فإن النسخ لابد فيه من إثبات الناسخ والمنسوخ

---

(١) تفسير الطبري ٧/١٠٠ ـ ١٢٤.
تفسير القرطبي ٦/٣٤٩.
تفسير ابن كثير ٢/١٢٠ ـ ١٢٣.
أحكام القرآن للجصاص ٢/٤٨٩.

على وجه يتنافى الجمع بينهما مع تراخي الناسخ[1].

وقد أخرج البيهقي من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في هذه الآية : هي منسوخة[2].

وإسناد هذا الأثر ضعيف كما تقدم[3] فتقدم عليه الروايات الصحيحة السابقة.

---

(١) تفسير القرطبي ٦/٣٥٠.

(٢) سنن البيهقي، كتاب الشهادات، باب قوله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا شهادة بينكم ﴾، ١٠/١٦٤.

(٣) انظر الحديث رقم (٣٥).

« ســـــورة الأنعـــــام »

١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ولـــو جـعلنـــاه مـلكـــاً لجعـلنـــاه رجـــلا وللبسنـــا عـليهـم مـــا يلبسون ﴾(الأنعام/٩)

* * *

(١١٨) قـــال الإمـام البخـــاري : قـــال ابن عبـــاس رضي الله عنهـــما : ﴿ وللبسنا ﴾ لشبهنا[١].

وأخرجه ابن جـرير من طـريق علي بن أبي طلحـة عن ابن عباس وذكر مثله[٢].

وإسناده حسن كما تقدم[٣].

بيان المعنى :

معنى الآية : ولو جعلنا الرسـول ملكاً كـما طلب ذلك كفـار مكة لجعلناه في صورة رجل حتى يتمكنوا من مخاطبته والاستفـادة منه، ولـو

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام.
(٢) تفسير الطبري ١٥٣/٧.
(٣) انظر الحديث رقم (٢).

جعلناه كذلك لاشتبه عليهم أمره فظنوه رجلاً مثلهم كما أوجدوا لأنفسهم الشبهات حين بعث إليهم رسول منهم.

وقد روي عن ابن عباس الآية تفسير آخر وهو أن الآية نزلت في أهل الكتاب وذلك ما أخرجه ابن جرير الطبري من طريق عطية العوفي عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى ﴿ **وللبسنا عليهم ما يلبسون** ﴾ : فهم أهل الكتاب فارقوا دينهم وكذبوا رسلهم وهو تحريف الكلام عن مواضعه[1].

وإسناد هذه الرواية ضعيف كما تقدم[2] فترجح عليها الرواية السابقة من حيث الإسناد كما أن هذا التفسير بعيد عن سياق الآيات حيث إن ما قبل هذه الآية قد نزل في مجادلة المشركين.

---

(١) تفسير الطبري ٧/١٥٣.

(٢) انظر الحديث رقم (٣٥).

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ قل أي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأ نذركم به من بلغ ﴾ (الأنعام/١٩).

* * *

(١١٩) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس ﴿ **لأنذركم به** ﴾ أهل مكة[١].

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ **لأنذركم به** ﴾ قال : يعني أهل مكة ﴿ **ومن بلغ** ﴾ يعني : ومن بلغه هذا القرآن فهو له نذير[٢].

وإسناده حسن كما تقدم[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام.
(٢) تفسير الطبري ١٦٣/٧.
(٣) انظر الحديث رقم (٢).

٣ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ماكنا مشركين ﴾ (الأنعام/٢٣)

* * *

(١٢٠) قال الامام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ ثم لم تكن فتنتهم ﴾ معذرتهم[١].

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله ﴿ ثم لم تكن فتنتهم ﴾ قال : قولهم[٢].

وأخرجه أيضاً من طريق العوفي عن ابن عباس قال : فهو كلامهم، قالوا ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام.

(٢) تفسير الطبري ١٦٦/٧.

(٣) تفسير الطبري ١٦٦/٧.

بيان المعنى :-

وقوله تعالى ﴿ **ثم لم تكن فتنتهم** ﴾ الفتنة الابتلاء والاختبار وتفسير الفتنة بالمعذرة ليس بياناً لمعنى الفتنة في اللغة وإنما هو بيان لعاقبة فتنتهم فالمعنى ثم لم تكن عاقبة ابتلائهم واختبارهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين.

قال ابن جرير : وإنما الفتنة الاختبار والابتلاء ولكن لما كان الجواب من القوم غير واقع هنالك إلا عند الاختبار وضعت الفتنة التي هي الاختبار موضع الخبر عن جوابهم ومعذرتهم[١].

---

(١) تفسير الطبري ١٦٧/٧.

٤ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ **وهـو ينهـون عنـه وينأون عنـه وإن يهلكـون إلا أنفسهم ومـا يشعرون** ﴾ (الأنعام/٢٦).

* * *

(١٢١) قـال الإمـام البخـاري : قـال ابن عبـاس : ﴿ **ينـأون** ﴾ يتباعدون[١].

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ **وهم ينهون عنه وينأون عنه** ﴾ قال : يعني ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به ﴿ **وينأون عنه** ﴾ يعني يتباعدون عنه[٢].

وإسناده حسن كما تقدم[٣].

بيان المعنى :ـ

من هذه الرواية تبين أن هـذه الآية نـزلت في مشركي مكة حيث

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام.
(٢) تفسير الطبري ١٧٢/٧.
(٣) انظر الحديث رقم (٣٥).

كـانوا ينهـون الناس عن اتبـاع محمد صـلى الله عليه وسلم والإيمـان به ويتباعدون عنه.

وقد روى عن ابن عباس في معنى الآية قول آخر وهو مـا أخرجـه أبو عبدالله الحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قـال في هـذه الآية: نـزلت في أبي طالب كـان ينهى المشركـين أن يؤذوا رسـول اللهى الله عليه وسلم ويتباعد عما جاء به.

قال أبو عبدالله: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي[1].

وبهذا تبين لنا أن في الآية قولين عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الأول: أن الآية نزلت في مشركي مكة حيث كانـوا ينهون النـاس عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم ويتباعدون عن الإيمان به.

الثـاني: أنها نـزلت في أبي طـالب حيث كـان ينهى المشركـين عن إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتباعد عن الإيمان بما جاء به.

ومن دراسة سياق هذه الآية يتبين لنا أن القول الأول أرجح حيث إن ما قبل هذه الآية وما بعدها في مشركي مكة وليست في أبي طالب.

وقـد اختـار ابن جـريـر هـذا القـول ورجحـه بمنـاسبتــه لسيـاق الآيات[2].

---

(١) المستدرك ٢/٣١٥، كتاب التفسير.

(٢) تفسير الطبري ١٧٣/٧.

٥ ـ ما جاء قوله تعالى

﴿ وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ﴾ (الأنعام/ ٣٥).

* * *

(١٢٢) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿نفقاً﴾ سربا[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قوله **﴿ وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلماً في السماء ﴾** والنفق السرب، فتذهب فيه **﴿ فتأتيهم بآية ﴾** أو تجعل لك سلماً في السماء فتصعد عليه فتأتيهم بآية أفضل مما أتيناهم به فافعل[٢].

وإسناده حسن كما تقدم[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير سورة النساء باب رقم ٢٥.
(٢) تفسير الطبري ٧/ ١٨٤.
(٣) انظر الحديث رقم (٢).

وقـولـه «والنفق: السرب» يعني الـطريق الممتـد بـاطن الأرض، مـأخوذ من نـافقاء الـيربوع، قـال الزجـاج: والنفق الطريق النـافذ في الأرض، والنافقاء ممدود أحد جحـرة اليربـوع يخرقـه من باطن الأرض إلى جلدة الأرض، فإذا بلغ الجلدة أرقها حتى إن رابه دبيب رفع برأسه هذا المكان وخرج منه[1].

وقد ذكر الإمام البخاري هذا الأثر عنـد تفسير قـوله تعـالى ﴿ **ان المنـافقين في الـدرك الأسفـل من النـار** ﴾ من سـورة النسـاء، وذلـك لتناسب الكلمتين: النفاق والنفق من حيث الاشتقاق.

(١) معاني القرآن للزجاج ٢/٢٦٧.

٦ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴾ (الأنعام/ ٧٠).

(١٢٣) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس ﴿ تبسل ﴾ تفضح ﴿ أبسلوا ﴾ أفضحوا(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ﴾ قال: تفضح، وفي قوله ﴿ أولئك الذين أبسلوا ﴾قال: فضحوا(٢).

بيان المعنى:

الإبسال في اللغة يطلق على التحريم، ومنه قول ضمرة النهشلي:

بكرت تلومك بعد وهن في الندى   بَسْلٌ عليك ملامتي وعتابي

أي حرام عليك ملامتي وعتابي.(٣)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام.

(٢) تفسير الطبري ٧/٢٣٢، ٢٣٥.

(٣) تفسير الطبري ٨/٢٣٢.

قال الراغب الأصفهاني: ولتضمنه معنى المنع قبل للمحرَّم والمرتهن بَسْل وقوله تعالى ﴿ **وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت** ﴾ أي تحرم الثواب والفرق بين الحرام والبسل أن الحرام عام فيما كان ممنوعاً منه بالحكم والقهر والبسل هو الممنوع منه بالقهر قال عز وجل ﴿ **اولئك الذين أبسلوا بما كسبوا** ﴾أي حرموا الثواب(١).

وقوله تعالى ﴿ **ان تبسل نفس** ﴾ قيل معناه: أن تسلم - أي تقاد إلى الهلاك بما عملت من سوء - وبهذا قال عكرمة والحسن البصري ومجاهد(٢).

وقيل معناه: أن تحبس، أي تمنع من الحصول على الثواب، وتؤخذ بما عملت، وبهذا قال قتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم(٣) وبه قال الفراء(٤).

وتفسير ابن عباس الإبسال بالفضح من باب التفسير باللازم أي من لازم أخذهم بالعذاب بما كسبوا أن يفضحوا.

ومعنى الآية على هذا: وذكر يارسول الله بالقرآن هؤلاء الكفار الذين يتخبطون في ظلام الجهل ويخوضون في آيات الله بالباطل كيلا تحرم نفس من ثواب الله تعالى وتبوء بأليم عقابه بسبب ما تكسبه

---

(١) المفردات في غريب القرآن / ٤٦.
(٢) تفسير الطبري ٨/٢٣١ - ٢٣٢.
(٣) تفسير الطبري ٨/٢٣٢.
(٤) معاني القرآن للفراء ١/٣٣٩.

لنفسها من عمل السوء والابتعاد عن العمل الصالح فتفتضح بذلك أمام الله وأمام الناس، ثم تطلب الفداء لنفسها بما تملك فلا يقبل منها.

وقوله في رواية البخاري «افضحوا» قال الحافظ ابن حجر: كذا فيه من الرباعي وهي لغة[1].

(١) فتح الباري ٨/٢٨٧.

٧ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ (الأنعام/٩٣).

* * *

(١٢٤) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: **﴿ باسطوا أيديهم ﴾** البسط الضرب[1].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة قال: هذا عند الموت والبسط الضرب يضربون وجوههم وأدبارهم[2].

وتفسير ابن عباس البسط بالضرب ليس تفسيراً لفظياً لهذه الكلمة وإنما معنى البسط المد، بل هو بيان لما بسطوا أيديهم له وهو ضرب الكفار.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام.
(٢) تفسير الطبري ٧/٢٧٥

٨ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ولا تـأكلوا مما لم يـذكـر اسم الله عليـه وإنـه لفسق وإن الشيـاطـين ليـوحون إلى أوليـائهم ليجادلـوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركـون ﴾
(الأنعام/١٢١)

* * *

١ ـ قال الإمام النسائي: أخبرنا عمرو بن عـلي قال حـدثنا يحيى **(١٢٥)**
قال حدثنـا سفيان قـال حدثني هـارون بن أبي وكيع ـ وهـو هارون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس في قوله عز وجل ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليـه** ﴾ قال: خـاصمهم المشركون فقـالوا: مـا ذبـح الله فـلا تأكلونه وما ذبحتم أنتم أكلتموه!![1].

---

(١) سنن النسـائي، كتاب الأضـاحي، باب قـوله تعـالى ﴿**ولا تأكلوا مما لم يـذكـر اسم الله عليه**﴾ ٧/٢٣٧.

بيان الإسناد:

١ - عمرو بن علي هو الفلاس وهو ثقة حافظ تقدمت ترجمته[١].

٢ - يحيى هوابن سعيد بن فروخ القطان التميمي البصري وهو ثقة متقن حافظ إمام قدوة، من كبار التاسعة مات سنة ثمان وتسعين ومائتين، وله ثمان وسبعون سنة، أخرج له الجماعة[٢].

٣ - سفيان هو الثوري وهو ثقة حافظ فقيه تقدمت ترجمته[٣].

٤ - وهارون بن عنترة بن عبدالرحمن الشيباني، لا بأس به، من الطبقة السادسة مات سنة اثنتين وأربعين ومائة، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجة في التفسير[٤].

٥ - وأبوه عنترة بن عبدالرحمن الشيباني الكوفي، ثقة من الطبقة الثانية وقد وهم من زعم أن له صحبة، أخرج له النسائي[٥].

وهؤلاء الرواة قد سمع بعضهم من بعض[٦] فإسناده متصل، ورجاله ثقات ماعدا هارون بن عنترة فلا بأس به، فإسناده على هذا حسن.

---

(١) انظر الحديث رقم١١٣.
(٢) التقريب ٢/٣٤٨ رقم ٧٢، تذكرة الحفاظ ١/٢٩٨ رقم ٢٨٠.
(٣) انظر الحديث رقم (٦٧).
(٤) التقريب ٢/٣١٢ رقم ١٩، الكاشف ٣/٢١٤ رقم ٦٠١٣.
(٥) التقريب ٢/٨٩ رقم ٣٨٧، الكاشف ٢/٣٥٥ رقم ٤٣٧١.
(٦) تهذيب التهذيب ٨/٨٠ رقم ١٢٠، ١١/٢١٦ رقم ٣٥٨، و ٩ رقم ١٩، ٨/١٦٢ ورقم ٢٩٥.

وأخرجه الحاكم والطبري من طريق سفيان الثوري بهذا الإسناد وذكر مثله[١].

(١٢٦) ٢ ـ قال أبو داود السجستاني : حدثنا محمد بن كثير أخبرنا إسرائيل حدثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم** ﴾ يقولون : ماذبح الله فلا تأكلوا وما ذبحتم أنتم فكلوا، فأنزل الله عز وجل ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** ﴾[٢].

بيان الإسناد :

١ ـ محمد بن كثير هو العبدي البصري، وهو ثقة، لم يصب من ضعفه من كبار الطبقة العاشرة، مات سنة ثلاث وعشرين ومائة، وله تسعون سنة، أخرج له الجماعة[٣].

٢ ـ إسرائيل هو ابن يونس وهو ثقة تقدمت ترجمته.

٣ ـ وسماك هو ابن حرب وقد تقدمت ترجمته وهو صدوق تغير بأخرة وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة.

٤ ـ وعكرمة ثقة ثبت تقدمت ترجمته[٤]

---

(١) المستدرك ٤/٢٣٣، كتاب الذبائح، تفسير الطبري ٨/١٧.
(٢) سنن أبي داود، كتاب الأضاحي، باب ذبائح أهل الكتاب رقم ٢٨١٨.
(٣) التقريب ٢/٢٠٣ رقم ٦٥٤، الخلاصة/ ٣٥٧.
(٤) انظر ترجمة هؤلاء الثلاثة في الحديث رقم (٥).

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[1].

وأخرجه البيهقي من طريق أبي داود بهذا الإسناد وذكر مثله[2].

وأخرجه الطبري من طريق إسرائيل بن يونس بهذا الإسناد وذكر مثله[3].

(١٢٧) ٣ ـ قال الإمام الترمذي : حدثنا محمد بن موسى البصري الحرشي حدثنا زياد بن عبد الله البكائي حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال :أتى أناس النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله أنأكل ما نقتل ولا نأكل ما يقتل الله ؟ فأنزل الله ﴿ **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ـ إلى قوله ـ وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾.

وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب[4].

بيان الإسناد :ـ

١ ـ محمد بن موسى بن نفيع الحرشي البصري، فيه لين، من الطبقة العاشرة، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين، أخرج له الترمذي والنسائي[5].

٢ ـ زياد بن عبد الله بن الطفيل العامري البكائي، أبو محمد الكوفي صدوق ثبت في المغازي، وفي حديثه عن غير ابن إسحاق لين،

---

(١) تهذيب التهذيب ٩/٤١٧ رقم ٦٨٤.

(٢) سنن البيهقي، كتاب الصيد بالذبائح، باب قوله تعالى ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** ﴾ ٩/٢٤١.

(٣) تفسير الطبري ٨/١٧.

(٤) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الأنعام حديث رقم ٣٠٦٩.

(٥) التقريب ٢/٢١١ رقم ٧٤٨، المغني في الضعفاء ٢/٦٣٧، الديوان/٢٩٠

ولم يثبت أن وكيعاً كذبه، من الطبقة الثامنة، مات سنة ثلاث وثمانين ومائة أخرج له البخاري في موضع واحد متابعة ومسلم والترمذي وابن ماجة[1].

٣ ـ عطاء بن السائب صدوق اختلط وقد تقدمت ترجمته[2].

٤ ـ سعيد بن جبير ثقة ثبت فقيه تقدمت ترجمته[3].

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[4].

(١٢٨) ٤ ـ قال الإمام أبو داود السجستاني حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: جاءت اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله فأنزل الله ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** ﴾ إلى آخر الآية[5].

وأخرجه البيهقي من طريق عمران بن عيينة به وذكر مثله[6].

بيان الإسناد:

١ ـ عثمان بن أبي شيبة ثقة حافظ وله أوهام تقدمت ترجمته[7].

٢ ـ عمران بن عيينة بن أبي عمران الهلالي أبو الحسن الكوفي أخو

(١) التقريب ١/٢٦٨ رقم ١١٨، الكاشف ١/٣٣٢ رقم ١٧١٢.
(٢) انظر الحديث رقم (٢٢).
(٣) انظر الحديث رقم (١١).
(٤) تهذيب التهذيب ٩/٤٨٢.
(٥) سنن أبي داود، كتاب الأضاحي، باب ذبائح أهل الكتاب رقم ٢٨١٩.
(٦) سنن البيهقي ٩/٢٤٠، كتاب الصيد والذبائح، باب قوله تعالى ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** ﴾
(٧) انظر الحديث رقم (٢٢).

سفيان، صدوق له أوهام، من الطبقة الثامنة أخرج له الأربعة[1].

وعطاء بن السائب صدوق اختلط[2]

وسعيد بن جبير ثقة ثبت[3].

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[4].

ومن ترجمة رجال هذه الأسانيد تبين لنا أن إسناد الرواية الأولى حسن لأن فيه هارون بن عنترة الشيباني لم يصل إلى مرتبة الثقات ولكنه لا بأس به كما ذكر الحافظ ابن حجر.

أما الرواية الثانية ففي إسنادها سماك بن حرب وقد تغير بأخرة وروايته عن عكرمة مضطربة، وقد روى هذا الحديث عن عكرمة.

والرواية الثالثة في إسنادها محمد بن موسى بن نفيع الحرشي فيه لين، وعطاء بن السائب اختلط بأخرة.

أما الرواية الرابعة ففي إسنادها عمران بن عيينة وقد اتهم بالوهم. وعطاء بن السائب وقد اختلط.

ولكن هذه الأسانيد يقوي بعضها بعداً فيرتفع عنها احتمال الضعف ويتقوى الإسناد الأول فيرتفع من الحسن إلى الصحة ويكون الحديث على هذا صحيحاً لغيره.

بيان المعنى :

من هذه الروايات تبين لنا أن هذه الآية نزلت في المشركين الذين

---

(١) التقريب ٢/٨٤ رقم ٧٣٦، الكاشف ٢/٣٥٠ رقم ٤٣٣٧.
(٢) انظر الحديث رقم ٢٢.
(٣) انظر الحديث رقم ١١.
(٤) تهذيب التهذيب ٧/١٤٩ رقم ٢٨٩، ٨/١٣٦ رقم ٢٣٥.

حاولوا صرف المسلمين عن الالتزام بدينهم وإثارة الشبهات عندهم في بعض أحكام دينهم حيث شككوهم في حكم الإسلام في الميتة فقالوا لهم : إن الميتة ذبيحة الله فكيف تتركون ما ذبح الله وتأكلون ما ذبحتم أنتم بأيديكم .

وقد بين الله تعالى أن هذا الجدل من المشركين هو من وحي أوليائهم من شياطين الجن والإنس ليصدوهم عن الدخول في الإسلام وليلبسوا على المسلمين أمر دينهم .

وجاء في إحدى الرويات التي أخرجها أبو داود والبيهقي عن ابن عباس قال : جاءت اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم . . . .

وهذه الرواية تخالف سائر الرويات التي تثبت أن الآية نزلت في المشركين ، وهذه الروايات صحيحة الإسناد أما هذه الرواية ففي إسنادها عمران بن عيينة الهلالي وهو متهم بالوهم وعطاء بن السائب وقد اختلط كما سبق .

ولكن الوهم في الرواية لم يأت من قبل عطاء بن السائب لأن الترمذي لم يرو عنه هذه الرواية من طريق عمران بن عيينة بل من طريق محمد بن موسى البصري الحرشي قال أخبرنا زياد بن عبد الله البكائي أخبرنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال : أتى ناس النبي صلى الله عليه وسلم . . فذكره وقد سبق ذكر هذه الرواية .

ففي هذه الرواية لم يبين من هم الذين أتوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فتفسر بالروايات الصحيحة التي أثبتت أن الآية في المشركين ، فلعل نسبة هذه المقالة إلى اليهود من أوهام عمران بن عيينة ، وهو مع

ضعفه قد خالف الثقات في هذا الحديث فإسناده منكر، ولهذا قال أبو حاتم فيه : لا يحتج بحديثه لانه يأتي بالمناكير[1].

وقد أخرج ابن أبي حاتم هذا الحديث بهذا الإسناد عن سعيد بن جبير ولم يذكر فيه ابن عباس وقد ذكر ابن كثير هذه الرواية ثم ضعفها من وجوه ثلاثة

أحدها : أن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا.

الثاني : أن الآية من سورة الأنعام وهي مكية.

الثالث : أن هذا الحديث رواه الترمذي من طريق عطاء بن السائب بهذا الإسناد ولفظه «أتى ناس النبي صلى الله عليه وسلم»[2] وهي الرواية التي سبق ذكرها.

وقوله في إحدى الروايات السابقة «يقولون ما ذبح الله فلا تأكلوا وما ذبحتم فكلوا» الأمر هنا ليس على الحقيقة وإنما هو للتعجب والإنكار على المسلمين حيث يأكلون ما ذبحوا ولا يأكلون ما ذبح الله، ويبين ذلك ما أخرجه ابن جرير بإسناد الرواية السابقة نفسه «إن المشركين قالوا للمسلمين ما قتل ربكم فلا تأكلون وما قتلتم أنتم تأكلونه!».

وبناء على ما جاء في هذه الروايات يكون المراد بقوله تعالى ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** ﴾ هو الميتة، وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسير الآية بذلك، وذلك فيما أخرجه ابن جرير الطبري من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

---

(١) تهذيب التهذيب ٨/١٣٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/١٨٥.

في قوله تعالى ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** ﴾ قال : الميتة[1].

ولكن روى عن ابن عباس أن المراد ما ذبح فلم يذكر اسم الله عليه، أخرجه أبو عبد الله الحاكم من طريق إسرائيل بن يونس عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : يقولون ما ذبح فذكر اسم الله عليه فلا تأكلوه وما لم يذكر اسم الله عليه فكلوه، فقال الله عز وجل ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** ﴾.

قال أبو عبد الله : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي[2].

ولا تعارض بين ماجاء في هذه الرواية وماجاء في الروايات السابقة لإمكان أن يكون القولان قد صدرا من المشركين فأنكروا على المسلمين عدم أكلهم من الميتة وعدم أكلهم مما ذبح ولم يذكر اسم الله عليه والآية شاملة لكل ما لم يذكر اسم الله عليه سواء مات أو ذبح ولم يذكر اسم الله عليه.

وقوله تعالى ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** ﴾ هل يشمل ذلك ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليها أم لا ؟

الذي روي عن ابن عباس هو أن ذبيحة المسلم تجوز إذا نسي أن يذكر اسم الله عليها، قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : من نسي فلا بأس[3].

---

(١) تفسير الطبري ٨/١٩.
(٢) المستدرك ٤/٢٣١ كتاب الأضاحي، و ٤/١١٣ كتاب الأطعمة.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب رقم ١٥.

وأخرجه الدار قطني موصولاً من طريق عكرمة عن ابن عباس[1].

وأخرج عبد الرزاق الصنعاني عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي الشعثاء قال : حدثنا (ع) - يعني عكرمة - عن ابن عباس قال : إن في المسلم اسم الله فإن ذبح ونسي اسم الله فليأكل، وإن ذبح المجوسي وذكر اسم الله فلا تأكله[2].

وأخرجه الدار قطني من طريق ابن عيينة بهذا الإسناد دون قوله « وإن ذبح المجوسي » إلى آخره[3].

وهذا الإسناد صحيح إلى ابن عباس كما ذكر الحافظ ابن حجر[4].

وقال الإمام البخاري في تأييد قول ابن عباس بعد ماذكر قوله تعالى ﴿ **وإنه لفسق** ﴾ : والناسي لا يسمى فاسقاً[5].

وفيما روى عن ابن عباس فيمن نسي التسمية تأييد لمن ذهب إلى إباحة ذبيحة المسلم إذا نسي أن يذكر اسم الله عليها عند الذبح وهذا هو مذهب الإمام أبي حنيفة وهو مروي عن الإمام مالك وأحمد بن حنبل[6].

وقوله تعالى ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم** ﴾ . روى عن ابن

---

(١) سنن الدار قطني ٤/٢٩٥ ، باب الصيد والذبائح رقم ٩٥.
(٢) مصنف عبد الرزاق، كتاب المناسك (٤/٤٨١ رقم ٨٥٤٨).
(٣) سنن الدار قطني، باب الصيد والذبائح، ٤/٢٩٥ رقم ٩٦.
(٤) فتح الباري ٩/٦٢٤.
(٥) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب رقم ١٥ .
(٦) تفسير ابن كثير ٢/١٨٢ ، تفسير القرطبي ٧/٧٥ .

عباس أن المراد بالشياطين هنا شياطين الجن يوحون إلى أوليائهم من الإنس، من ذلك ما أخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال : لما حرم الله الميتة أمر الشيطان أولياءه فقال لهم : ما قتل الله لكم خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم، فقال الله ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** ﴾[1]

وهذا إسناده ضعيف[2]، ولكن يقويه ماأخرجه ابن جرير من طريق ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال : شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس ﴿ **يوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم** ﴾[3].

وروى عن ابن عباس أن المراد بالشياطين في الآية شياطين الفرس الذين أوحوا إلى كفار مكة بأن يجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حل الميتة، وقد أخرج الطبراني في ذلك من طريق موسى بن عبد العزيز القنباري قال : حدثنا الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** ﴾ أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمداً وقولوا : فما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال وماذبح الله عز وجل بشمشير من ذهب يعني الميتة فهو حرام ؟ فنزلت هذه الآية ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾ أي وإن الشياطين من فارس ليوحون إلى أوليائهم من قريش[4].

---

(١) تفسير الطبري ٨/١٦.
(٢) انظر الحديث رقم (٣٥).
(٣) تفسير الطبري ٨/١٧.
(٤) تفسير ابن كثير ٢/١٨٥.

وأخرجه ابن جرير من طريق موسى بن عبد العزيز القنباري عن الحكم بن أبان عن عكرمة ولم يذكر ابن عباس ولكن جاء فيه بعد قوله « وما ذبح الله ـ قال ابن عباس : بشمشار من ذهب »[1]. فهذا دليل على أن عكرمة رواه عن ابن عباس.

وفي إسناده موسى بن عبد العزيز القنباري العدنى وهو صدوق سيء الحفظ[2] وكذلك شيخه الحكم بن ابان العدنى صدوق له أوهام[3].

والمراد بالشمشار أو الشمشير على اختلاف الروايتين السكين، وقد جاء بيان معناه في رواية أخرجها ابن جرير عن عكرمة وفيها « فما ذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكله محمد وأصحابه »[4]

ولا تعارض بين كون المراد بالشياطين شياطين الجن وشياطين الإنس لأنهم يجتمعون جميعاً على محاولة إضلال المؤمنين ويعمل شياطين الإنس في هذا المجال بتسليط من شياطين الجن.

وقوله تعالى ﴿ **وإن اطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾ المراد بهذا طاعتهم في تحليل ما حرم الله مما لم يذكر اسم الله عليه، لأن التحليل والتحريم حق لله تعالى وحده وطاعته جل وعلا في ذلك عبادة له وحده، فمن أطاع غير الله في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما يحل الله فقد اتخذه مع الله إلهاً.

---

(١) تفسير الطبري ٨/١٦.
(٢) تقريب التهذيب ٢/٢٨٦.
(٣) تقريب التهذيب ١/١٩٠، ووثقه الذهبي في «الكاشف ١/٢٤٤».
(٤) تفسير الطبري ٨/١٦.

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله ﴿ **وإن أطعتموهم** ﴾ يعني في أكل الميتة استحلالاً إنكم لمشركون مثلهم[1].

(١) الدر المنثور ٣/٤٣.

٩ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ﴾ (الأنعام/١٢٨).

* * *

(١٢٩) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما **﴿ استكثرتم ﴾** أضللتم كثيراً[١].

وأخرجه ابن جرير موصولاً من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: **﴿ ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ﴾** يعني أضللتم منهم كثيراً[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام ٨/٢٨٦.
(٢) تفسير الطبري ٨/٣٣.

١٠ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هـذا لله بزعمهم وهذا لشركائنـا فما كـان لشركائهم فـلا يصل إلى الله ومـا كان لله فهـو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون ﴾ (الأنعام/١٣٦).

* * *

(١٣٠) قال الإمام البخاري: قال ابن عبـاس رضي الله عنهما: **﴿ ممـا ذرأ من الحرث ﴾** جعلوا لله من ثمراتهم ومـالهم نصيباً وللشيـطان والأوثان نصيباً[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: **﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعـام نصيباً فقـالوا هـذا لله بزعمهم وهذا لشركـائنا ﴾** قـال: جعلوا لله من ثمراتهم ومـالهم نصيباً وللشيطان والأوثان نصيباً، فإن سقط من ثمـرة مما جعلوا لله في نصيب الشيطان تركـوه، وإن سقط مما جعلوا للشيـطان في نصيب الله التقطوه وحفظوه وردوه إلى نصيب الشيطان، وإن انفجر من سقى ما جعلوه لله

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام.

في نصيب الشيطان تركوه، وإن انفجر من سقى ما جعلوه للشيطان في نصيب الله سـدوه، فهذا مـا جعلوا من الحروث وسقى المـاء، وأما مـا جعلوا للشيطان من الأنعام فهو قول الله ﴿ **ما جعل الله من بحـيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام** ﴾[1].

وهذا الاثر فيه بيان لمعنى الآية.

وأخرجه البيهقي من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس[2].

وأخـرجـه ابن جـريـر أيضـاً من طـريق خصيف بن عبـدالـرحمن الجـزري عن عكـرمـة عن ابن عبـاس ومن طــريق العـوفي عن ابن عباس[3].

---

(١) تفسير الطبري ٨/ ٤٠.

(٢) السنن الكبرى ١٠/ ١٠، كتاب الضحايا، باب ما حرم المشركون على أنفسهم.

(٣) تفسير الطبري ٨/ ٤٠.

١١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين. ومن الأنعام حمولة وفرشاً كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين. ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل ءآلذكرين حرم أم الأنثيين أمّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني بعلم إن كنتم صادقين. ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل ءآلذكرين حرم أم الأنثيين أمّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (الأنعام/١٤١ ـ ١٤٤)

* * *

(١٣١) ١ ـ قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ معروشات ﴾ ما يعرش من الكرم وغير ذلك[١].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام.

أخرجه ابن جرير من طريق ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله: ﴿ **وهو الذي أنشأ جنات معروشات** ﴾ قال: ما يعرش من الكروم (وغير معروشات) قال: ما لا يعرش من الكرم[1].

وأخرج ابن جرير أيضاً من طريق علي بن أبي طلمة عن ابن عباس قال: فالمعروشات ما عرش الناس ﴿ **وغير المعروشات** ﴾ ما خرج في البر والجبال من الثمرات[2].

* * *

(١٣٢) ٢ - قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ **حمولة** ﴾ ما يحمل عليها[3].

وأخرج ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿ **ومن الأنعام حمولة وفرشاً** ﴾ فأما الحمولة فالإبل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه وأما الفرش فالغنم[4].

وأخرج ابن جرير أيضاً من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: الحمولة هي الكبار والفرش الصغار من الإبل[5].

وكذلك أخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس[6].

* * *

---

(١) تفسير الطبري ٨/٥٢.
(٢) تفسير الطبري ٨/٥٢.
(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام.
(٤) تفسير الطبري ٨/٦٣.
(٥) تفسير الطبري ٨/٦٣.
(٦) تفسير الطبري ٨/٦٢.

٣ ـ قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ **أما اشتملت** ﴾ يعني هل تشتمل إلا على ذكر أو أنثى فلم تحرمون بعضاً وتحلون بعضاً؟[1].

وأخرجه ابن جرير الطبري موصولاً من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال في هذه الآية: يعني هل تشتمل الرحم إلا على ذكر أو أنثى فهم يحرمون بعضاً ويحلون بعضاً[2].

بيان المعنى:

بعد أن بين الله سبحانه ضلال المشركين حيث حرموا بعض ما رزقهم الله افتراء على الله بقوله تعالى ﴿ **وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا** ﴾ وقوله ﴿ **وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون. وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم** ﴾ بين سبحانه وتعالى بعد ذلك مِنَّته وفضله على عباده حيث أوجد لهم في هذه الأرض جنات متنوعة الأشكال بعضها يقوم بنفسه فلا يحتاج إلى عروش وبعضها يحتاج إلى عروش يقام عليها وفي كلا النوعين منافع يعرفها الناس فقال تعالى ﴿ **وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات** ﴾.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام

(٢) تفسير الطبري ٦٧/٨.

ثم بين تعالى أنه أوجد لعباده مع ذلك نوعين من الأنعام. . نوعاً يركبون عليه ويحملون عليه أثقالهم، ونوعاً يتمتعون بلحمه وصوفه ووبره، فقال تعالى ﴿ **ومن الأنعام حمولة وفرشاً كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان** ﴾ أي في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله ﴿ **إنه لكم عدو مبين** ﴾ ظاهر العداوة يريد إضلالكم.

وقد تبين لنا من الرواية الأولى عن ابن عباس أن المراد بالحمولة في الآية ما يحمل عليه من الأنعام وهو كبار الإبل، وقد ذكر ابن عباس معها الخيل والبغال والحمير وهذه ليست من الأنعام ولكنها أُلحِقت بها لكونها يحمل عليها كالإبل.

أما الفرش فذكر ابن عباس في الرواية الأولى أن المراد به الغنم وذكر في الرواية الثانية أنه صغار الابل.

والظاهر أنه يشمل ما لا يحمل عليه من الأنعام وهي صغار الإبل والبقر والغنم لأن الفرش جاء في مقابل الحمولة فتبين أن المراد به ما لا يحمل عليه من الأنعام.

وقال ابن منظور: وفرش الإبل وغيرها صغارها الواحد والجمع في ذلك سواء، قال: وقيل الفرش من النعم ما لا يصلح إلا للذبح[1]، وقال الفراء: الحمولة ما أطاق العمل والحمل والفرش الصغار[2].

ثم ذكر الله سبحانه أنواع الأنعام فقال ﴿ **ثمانية أزواج من الضأن اثنين** ﴾ يعني: ذكر وأنثى ﴿ **ومن المعز اثنين** ﴾ ذكر وأنثى، ومن الإبل

---

(١) لسان العرب (مادة فرش).
(٢) معاني القرآن للفراء ١/٣٥٩.

والبقر كذلـك، كما في قـوله تعـالى بعد هـذه الآية ﴿ **ومن الابـل اثنين ومن البقر اثنين** ﴾.

وقوله تعالى ﴿ **ءآلذكرين حرم أم الأنثيين أمّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين** ﴾ إنكار من الله تعالى على أولئك المشركين الذين حرموا بعض هذه الأنعام في بعض الحالات ونسبوا هذا التحريم إلى الله تعالى.

المعنى هل حرم الله سبحـانه وتعـالى الذكـران من هذا الأنعـام أم حرم الإناث أم حـرم ما اشتملت عليـه أرحام الإنـاث وهي لا تشتمل إلا على ذكور أو إناث؟!

فإن كان الله سبحانه قد حرم الذكور من هذه الأنعام فلم أحللتم بعضها وحرمتم البعض الآخر؟ وإذا كان قد حرم الإنـاث فلم حرمتم البعض وأحللتم البعض الآخر؟.

وإذا كنتم قـد حرمتم بعضهـا لاعتبارات أخـرى فإن الله تعـالى لم يشرع تحريمها لهذه الاعتبارات فلم نسبتم التحريم إليه؟.

١٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ قال لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم ﴾ (الأنعام/١٤٥).

(١٣٤) ١ ـ قال الإمام البخاري: حدثنا علي بن عبدالله حدثنا سفيان قال عمرو قلت لجابر بن زيد: يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الحمر الأهلية فقال قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو الغفاري عندنا بالبصرة ولكنْ أَبَى ذلك البحرا بن عباس وقرأ ﴿ قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً ﴾[١].

وأخرجه عبدالرزاق الصنعاني عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال: قلت لأبي الشعثاء: إنهم يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يكفؤا القدور من لحوم الحمر... ثم ذكر مثل حديث الإمام البخاري[٢].

وأبو الشعثاء هو جابر بن زيد.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الذبائح، باب ٢٨ حديث ٥٥٢٩.

(٢) مصنف عبدالرزاق، كتاب المناسك، باب الحمار الأهلي، ٤/٥٢٥ رقم ٨٧٢٩.

وأخرجه أبو داود السجستاني من طريق عمرو بن دينار وذكر نحو رواية الإمام البخاري[1].

وأخرجه أبو عبدالله الحاكم من طريق عمرو بن دينار عن جابر بن زيد وذكر مثله إلا أنه زاد في آخره «وقد كان أهل الجاهلية يتركون أشياء تقذراً فأنزل الله عز وجل في كتابه وبين حلاله وحرامه فما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو ثم تلا هذه الآية ﴿ **قل لا أجد فيما أوحي إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير** ﴾.

قال أبو عبدالله: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي[2].

وأخرجه البيهقي عن أبي عبدالله الحاكم بإسناده هذا وذكر مثله[3].

وأخرجه الحاكم في موضع آخر من المستدرك من طريق عمرو بن دينار عن أبي الشعثاء عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية... وذكر بقية الأثر مثله.

وقد صححه الحاكم، ووافقه الذهبي[4].

* * *

(١) سنن أبي داود، كتاب الأطعمة، باب في لحوم الحمر الأهلية حديث رقم ٣٨٠٨.
(٢) المستدرك ٢/٣١٧، كتاب التفسير.
(٣) سنن البيهقي، كتاب الضحايا، باب ما جاء في أكل لحوم الحمر الأهلية ٩/٣٣٠.
(٤) المستدرك، كتاب الأطعمة ٤/١١٥.

(١٣٥) ٢ - وأخرج عبدالرزاق عن جعفر بن سليمان عن جويبر عن الضحاك قال: تلا ابن عباس هذه الآية ﴿ **قل لا أجد** ﴾ الآية فقال: ما خلا هذا فهو حلال[١].

بيان الإسناد:

١ - جعفر بن سليمان هو أبو سليمان الضبعي البصري وهو صدوق زاهد لكنه كان يتشيع، من الطبقة الثامنة[٢].

٢ - جويبر بن سعيد الأزدى أبو القاسم البلخي، راوي التفسير، ضعيف جداً، من الطبقة الخامسة[٣].

٣ - الضحاك هو ابن مزاحم الهلالي وهو صدوق كثير الإرسال تقدمت ترجمته[٤]. وهذا الإسناد فيه انقطاع حيث لم يسمع الضحاك من ابن عباس، كما أن فيه جويبر الأزدي وهو ضعيف جداً، ولكنه يتقوى برواية الإمام البخاري السابقة فيصبح حسناً لغيره.

* * *

(١٣٦) ٣ - أخرج عبدالرزاق عن معمر عن أيوب عمن حدثه أن ابن عباس سئل عن لحوم الحمر الأهلية فقال: إنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها يوم خيبر لأنها كانت هي الحمولة ثم تلا ﴿ **قل لاأجد فيما أوحي إلي محرماً** ﴾ الآية[٥].

---

(١) مصنف عبدالرزاق ٤/٥٢٧.
(٢) التقريب ١/١٣١ رقم ٨٣، الكاشف ١/٥ رقم ٨٠١.
(٣) التقريب ١/١٣٦ رقم ١٣١، الخلاصة /٦٦.
(٤) انظر الحديث رقم (٤).
(٥) مصنف عبدالرزاق ٤/٥٢٥ رقم ٨٧٢٧.

بيان الإسناد:

معمر هو ابن راشد الأزدي وهو ثقة ثبت[1].

وأيوب هو السختياني وهو ثقة ثبت حجة[2].

وهذا الإسناد متصل إلى أيوب السختياني حيث قد سمع رواته بعضهم من بعض[3] ولكنه منقطع بينه وبين ابن عباس حيث لم يذكر الواسطة بينهما فيكون الإسناد على هذا ضعيفاً.

٤ ـ قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالت يا رسول الله ماتت فلانة يعني الشاة ـ فقال: فلولا أخذتم مسكها! فقالت: نأخذ مسك شاة قد ماتت؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما قال الله عز وجل ﴿ **قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير** ﴾ فإنكم لا تطعمونه إن تدبغوه تنتفعوا به، فأرسلت إليها فسلخت مسكها فدبغته فأخذت منه قربة حتى تخرقت عندها[4]. (١٣٧)

بيان الإسناد:

١ ـ عفان هو ابن مسلم الباهلي أبو عثمان الصفار البصري وهو ثقة ثبت قال ابن المديني: كان إذا شك في حرف من الحديث تركه، وربما وهم، وقال ابن معين: أنكرناه في صفر سنة تسع عشرة ـ يعني

---

(١) انظر الحديث رقم (٨).

(٢) انظر الحديث رقم (٢٧).

(٣) تهذيب التهذيب ١٠/٢٤٣ رقم ٤٣٩.

(٤) مسند الإمام أحمد ١/٣٢٧.

ومائتين ـ ومـات بعدهـا بيسير، من كبـار الطبقـة العاشرة، أخـرج له الجماعة[1].

٢ ـ أبو عوانة هو وَضَّاح بن عبدالله اليشكري الواسـطي البزاز، وهو ثقة ثبت، من الطبقة السـابعة، مـات سنة خمس أو ست وسبعـين ومائة، أخرج له الجماعة[2].

٣ ـ سماك هو ابن حرب وهو صدوق إلا أن في روايته عن عكرمة اضطراباً كما تقدم[3].

٤ ـ عكرمة ثقة ثبت[4].

وهذا إسناد متصل قد سمـع رواته بعضهم من بعض[5]. إلا أنّ فيه سماك بن حرب في روايته عن عكرمة اضطراب لكن أخرجه الإمام البخاري مختصراً من طريق الشعبي عن عكرمة عن ابن عباس[6].

وكـذلك أخـرج الإمام البخـاري وأحمد من حـديث الزهـري أنّ عبيد الله بن عبدالله أخبره أن عبدالله بن عبـاس رضي الله عنهما أخـبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بشاة ميتة فقـال: هلا استمتعتم بإهابها؟ قالوا: إنها ميتة، قال: إنما حرم أكلها[7].

* * *

(١) التقريب ٢/٥/٢٢٦، تذكرة الحفاظ ١/٣٧٩، الخلاصة /٢٦٨.
(٢) التقريب ٢/٣٣١ رقم ٣٣، الخلاصة/ ٤٢٠، تذكرة الحفاظ ١/٢٣٦.
(٣) انظر الحديث رقم (٥).
(٤) انظر الحديث رقم (٥).
(٥) تهذيب التهذيب ١١/١١٦ رقم ٢٠٤، ٧/٢٣٠ رقم ٤٢٣.
(٦) صحيح الإمام البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب ٢١ حديث رقم ٦٦٨٦.
(٧) صحيح البخاري، كتاب الذبائح ،باب جلود الميتة حديث رقم ٥٥٣١.

(١٣٨) ٥ ـ قال الإمام الدارقطني: حدثنا محمد بن مخلد أخبرنا العباس بن محمد بن حاتم حدثنا شَبَابَة بن سوار أخبرنا أبو بكر الهذلي وأخبرنا أبو بكر الأزرق يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن بهلول حدثنا جدي أخبرنا عمار بن سلام أبو محمد أخبرنا زافر عن أبي بكر الهذلي عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل ﴿ **قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه** ﴾ قال: الطاعم الآكل، فأما السن والقرن والعظم والصوف والشعر والوبر والعصب فلا بأس به لأنه يغسل.

قال الدارقطني: أبو بكر الهذلي ضعيف[١].

وأخرجه من طريق آخر عن زافر بن سليمان عن أبي بكر الهذلي أن الزهري حدثهم عن عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وذكر نحوه، ثم قال الدارقطني: أبو بكر الهذلي متروك[٢].

وقال عنه الحافظ ابن حجر في التهذيب: اسمه سلمى بضم المهمله ـ بن عبدالله بن سلمى وقيل اسمه روح، وهو ابن بنت حميد بن عبدالرحمن الحميري، وذكر اختلاف الأئمة في الحكم عليه فبعضهم ضعفه وبعضهم تركه ولكن أكثر الأئمة المعتبرين تركوا حديثه وقال عنه في التقريب: أخباري متروك الحديث، من الطبقة السادسة[٣]. وكذلك ذكره الإمام الذهبي من المتروكين[٤] وقال في

---

(١) سنن الدارقطني ١/٤٦ رقم ١٨، كتاب الطهارة، باب الدباغ.
(٢) سنن الدارقطني ١/٤٨ رقم ٢٣، كتاب الطهارة، باب الدباغ.
(٣) تهذيب التهذيب ١٢/٤٥، تقريب التهذيب ٢/٤٠١.
(٤) المغني في الضعفاء رقم ٧٣٣٩.

موضع آخر: مجمع على ضعفه(١).

وبناء على هذا فالحديث مردود ولا يعتبر به.

بيان المعنى:

بعد أن ذكر الله سبحانه ما حرمه المشركون من الأنعام ونسبوه إلى الله جل وعلا جهلاً منهم وعدواناً بين سبحانه الأنواع التي حرمها من هذه الأنعام بقوله ﴿ **قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به** ﴾ أي قل لهؤلاء المشركين لا أجد فيما أوحى الله إلي من المحرمات غير الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح لغير الله فبأي دليل حرمتم ما حرمتموه منها مما لم يحرمه الله ونسبتم تحريمه إلى الله تعالى؟

وقوله ﴿ **فمن اضطر غير باغ ولا عاد** ﴾ يعني فمن ألجأته الضرورة إلى الأكل مما ذكر من المحرمات بأن أشرفت نفسه على الهلاك من الجوع ولم يجد غيرها فأكل منها ﴿ **غير باغ** ﴾ غير طالب ولا راغب في شيء مما ذكر لذاته ﴿ **ولا عاد** ﴾ مجاوز الحد الذي يسد به رمقه ﴿ **فإن الله غفور** ﴾ ساتر عليه ذنبه هذا ﴿ **رحيم** ﴾ به حيث لم يؤاخذه على ما ارتكبه حال الضرورة للإبقاء على نفسه.

وقوله في الحديث الأول «يزعمون أن رسول الله ى الله عليه وسلم نهى عن الحمر الأهلية» لم يبين في روايات هذا الحديث هؤلاء الذين يزعمون ذلك، وقد أخرج الإمام البخاري خبَرَ نَهْيِ النبي صلى الله عليه وسلم عن لحم الحمر الأهلية عن عدد من الصحابة منهم جابر بن

---

(١) ديوان الضعفاء والمتروكين رقم ٤٨٧٣.

عبدالله وعلي وابن عمر والبراء وابن أبي أوفى رضي الله عنهم[1].

وعمرو بن دينار لا يقصد هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم وإنما يقصد بعض العلماء الذين رووا ذلك عن الصحابة.

قوله «ولكن أبي ذلك البحر ابن عباس الخ أي امتنع ابن عباس من تحريم لحوم الحمر الأهلية واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ **قل لا أجد فيما أوحي إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به** ﴾ يعني فما عدا هذه المحرمات فهو حلال. وهذا هو ما جاء مصرحاً به في رواية عبدالرزاق حيث قال ابن عباس بعد ما تلا هذه الآية: «ما خلا هذا فهو حلال».

وفي الحديث الثالث تبين لنا رأي ابن عباس في نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن أكل لحم الحمر الأهلية يوم خيبر حيث علل ذلك ابن عباس بكونها كانت هي حمولة الناس فنهى عنها رسول الله ى الله عليه وسلم لكيلا تفنى حمولتهم لا لأنها محرم أكلها.

ولكن هذا الحديث ضعيف لانقطاع سنده.

وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يدل على توقفه في الحكم على لحوم الحمر الأهلية، فقد أخرج الإمام البخاري من حديث الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لا أدري أنهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أنه كان حمولة الناس فكره أن تذهب حمولتهم أو حرمه يوم خيبر. لحم الحمر الأهلية»[2].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الذبائح، باب رقم ٢٧ و ٢٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب رقم ٣٨ حديث رقم ٤٢٢٧.

فهذا يدل على أنّ ابن عباس يشك في مبعث هذا النهي هل هو لأنها محرمة لذاتها فيكون التحريم على التأبيد أم أنه نهى عنها مراعاة لحالة خاصة وهي حاجة الناس إليها للركوب فيكون التحريم مقيداً بتلك الحالة.

وهذا الحديث صحيح فيقدم على حديث عبدالرزاق السابق الذي فيه القطع من ابن عباس بأن علة التحريم هي كون الحمر الأهلية حمولة الناس.

وقد وردت أحاديث كثيرة في تحريم لحوم الحمر وبعضها صريح في تحريمها من ذلك ما أخرجه الإمام البخاري من طريق ابن شهاب الزهري أنّ أبا إدريس أخبره أن أبا ثعلبة قال «حرم رسول الله لحوم الحمر الأهلية»[1].

ومنها ما ذكرت فيه علة التحريم وهو كونها رجساً ومن ذلك ما أخرجه الإمام البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه جاءٍ فقال: أكلت الحمر، ثم جاءه جاءٍ فقال: أفنيت الحمر، فأمر منادياً فنادى في الناس أن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية فإنها رجس، فأكفئت القدور وانها لتفور باللحم»[2].

والظاهر أن ابن عباس لم يطلع على هذه العلة للتحريم وهي كونها رجساً لأنه تردد كما في الحديث السابق في معرفة علة النهي عنها يوم خيبر.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الذبائح، باب رقم ٢٨ حديث رقم ٥٥٢٧.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الذبائح، باب رقم ٢٨ حديث رقم ٥٥٢٨.

والذي يتلخص لنا من هذا البحث أن ابن عباس روي عنه إباحة لحوم الحمر الأهلية لكونها لا تدخل في المحرمات المذكورة في قوله تعالى ﴿ **قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً** ﴾ الآية وروي عنه أيضاً أنه توقف في الحكم عليها لتوقفه في معرفة علة النهي عنها يوم خيبر، وبهذا لا نستطيع أن نجزم بأن ابن عباس أباح لحوم الحمر الأهلية وإنما نقول إنه توقف في الحكم عليها لأنه لم يبلغه تحريمها عن النبي صلى الله عليه وسلم بشكل قاطع فاستدل على إباحتها بعموم النفي في الآية.

وما دام أنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه حرمها وبين أنها رجس فلا شك بعد هذا في تحريمها.

وقد أجاب العلماء عن هذه الآية بأنها مكية وخبر تحريم لحوم الحمر الأهلية في العام السابق من الهجرة يوم خيبر، وبأن ما في هذه الآية خبر عن الحكم الموجود عند نزولها فإنه حينئذ لم يكن نزل في تحريم المأكول إلا ما ذكر فيها وليس فيها ما يمنع أن ينزل بعد ذلك غير ما فيها وقد نزل بعدها في المدينة أحكام بتحريم أشياء غير ما ذكر فيها كالخمر في آية المائدة وتحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير.

وأجيب عن هذه الآية أيضاً بأنها خاصة ببهيمة الأنعام لأنه تقدم قبلها الخبر عن الجاهلية بأنهم كانوا يحرمون أشياء من الأزواج الثمانية بآرائهم فنزلت الآية ﴿ **قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً** ﴾ أي من المذكورات إلا الميتة منها والدم المسفوح، ويرد على هذا الجواب كون لحم الخنزير ذكر معها وليس من الأزواج الثمانية المذكورة في الآيات.

وقد أجيب عن ذلك بأن لحم الخنزير قرنت بـه علة تحريمـه وهي كونه رجساً[1].

أما ما يفهم من الأحاديث السابقة من أن ابن عباس يـرى إباحـة مـا عدا مـا ذكر في هـذه الآية فلعـل ذلك كـان في أول الامر ثم رجـع بعدما اطلع عـلى نهي النبيصلى الله عليه وسلم عن أكـل كل ذي نـاب من السباع وكل ذي مخلب من الطير، يدل على ذلك ما أخرجـه الإمام مسلم في صحيحه من حديث ميمـون بن مهران عن ابن عبـاس قال: «نهى رسول الله ى الله عليه وسلم عن كـل ذي ناب من السبـاع وعن كل ذي مخلب من الطير»[2].

فهذه الرواية تدل على أن ابن عباس يرى تحريم كـل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير،إذا لا يتصور أن يروي نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ثم يرى إباحته.

وقوله في الحديث الرابـع «فلولا أخذتم مسكهـا!» المسك ـ بضـع الميم وسكون السين ـ هو الجلد[3].

وفي هذا دليل على جواز الانتفاع بجلد الميتة بعد دبغه.

أما الحديث الخامس الذي أخرجه الإمـام الدارقـطني ففيه إبـاحة استعمال السن والقرن والعظم والصوف والشعر والوبر والعصب، لأنه يغسـل، ولكن هذا الحـديث مردود لأنـه فيه راو مـتروك كما سبق فـلا يؤخذ بما دل عليه.

---

(١) فتح البـاري ٩/٦٥٥، ٦٥٧، أحكـام القـرآن للجصـاص ٣/١٦، تفسـير القـرطبي ١١٧/٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصيد، باب ٣ حديث ١٦.

(٣) فتح الباري ٩/٦٥٩.

١٣ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحو مهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون ﴾ (الأنعام/١٤٦).

* * *

(١٣٩) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ كل ذى ظفر ﴾ البعير والنعامة ﴿ الحوايا ﴾ المبعر[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ كل ذي ظفر ﴾ قال: وهو البعير والنعامة[٢] وكذلك أخرجه البيهقي من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٣].

وأخرجه ابن جرير من طريق عطية العوفي عن ابن عباس قال: البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب[٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب رقم ٦.
(٢) تفسير الطبري ٨/٧٢، وقد سبق هذا الإسناد في رقم (٢) وتبين لنا أنه حسن.
(٣) سنن البيهقي ١٠/٨، كتاب الضحايا باب ما حرم على بني إسرائيل.
(٤) تفسير الطبري ٨/٧٣، وهذا إسناد ضعيف كما تقدم بيانه في الحديث رقم (٣٥).

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ﴿ كل ذي ظفر ﴾ هو الذي ليس بمنفرج الأصابع، يعني ليس بمشقوق الأصابع منها الإبل والنعام. ذكره ابن حجر وقال: إسناده حسن[1].

بيان المعنى :

من هذه الروايات تبين لنا أن ابن عباس يرى أن المراد بقوله تعالى ﴿ كل ذي ظفر ﴾ ماكانت أصابع رجليه ويديه ملتحمة وليست متعرجة كالإبل والنعام وذكر هذين النوعين من باب التمثيل بأهم ما يطلق عليه اللفظ ويدخل في ذلك كل ما ليس بمنفرج الأصابع كالبط.

وقد أخرج ابن جرير في ذلك عن قتادة قال : ﴿ كل ذي ظفر ﴾ الإبل والنعام ظفر يد البعير ورجله وظفر رجل النعام أيضاً كذلك وحرم عليهم أيضاً من الطير البط وشبهه وكل شيء ليس بمشقوق الأصابع[2].

وقول « الحوايا ـ المبعر » أخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال (أو الحوايا) وهي المبعر[3].

والمراد بالمبعر هنا ما يتكون فيه البعر وهي الأمعاء. وقوله ﴿ أو الحوايا ﴾ معطوف على قوله ﴿ ظهورها ﴾ فمعنى الآية على هذا : وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر كالإبل والنعام، ومن البقر

---

(١) فتح الباري ٨/٢٩٥.

(٢) تفسير الطبري ٨/٧٣.

(٣) تفسير الطبري ٨/٧٥، وهذا الإسناد حسن كما تقدم في الحديث رقم (٢).

والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو ما حملت أمعاؤها أو ما اختلط بعظم.

أما لماذا حرم الله على اليهود بعض الأنعام التي أباحها لغيرهم فقد بينه تعالى بقوله ﴿ **ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون** ﴾ أي عاقبناهم بذلك التحريم بسبب تعديهم حدود الله وإسرافهم على أنفسهم.

« ســورة الأعـراف »(٧)

١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ يابني آدم قد أنـزلنا عليكم لبـاساً يـواري سوءاتكم وريشـاً ولباس التقـوى ذلك خـير ذلك من آيـات الله لعلهم يذكـرون . يـابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبو يكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشيـاطين أولياء للذين لا يؤمنون . وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليهـا آباءنـا والله أمـرنا بهـا قل إن الله لا يـأمر بـالفحشاء أتقـولـون عـلى الله مـالا تعلمـون . قل أمـر ربي بالقسط وأقيمـوا وجوهكم عنـد كـل مسجـد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون . فريقاً هدى وفـريقاً حق عليهم الضـلالة إنهم اتخـذوا الشياطـين أولياء من دون الله ويحسبـون أنهم مهتدون . يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفـوا إنه لا يحب المسرفـين . قل من حـرم زينـة الله التي أخـرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يـوم القيامـة كذلـك نفصل الآيـات لقوم يعلمـون . قل إنمـا حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغـير الحق وأن تشركوا

بـالله مـا لم ينـزل بـه سلطانـاً وأن تقـولـوا عـلى الله مـا لا تعلمـون ﴾ (الأعراف/٢٦ ـ ٣٢).

* * *

(١٤٠) ١ ـ قـال الإمـام البخـاري : قـال ابن عبـاس رضي الله عنهما ﴿ وريشاً ﴾ المال[١]

وأخـرجـه ابن جـريـر من طـريق عـلي بن أبي طلحـة عن ابن عباس[٢].

وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال : الرياش اللباس والعيش النعيم[٣].

وابن عباس يقصد باللباس هنا لباس الـزينة والجمال لأن اللباس الضروري لستر العورات ذكر في الآية قبل ذلك في قوله تعالى ﴿ لباساً يواري سوءاتكم ﴾.

وهذا التفسير لا يختلف مع تفسير الريش بالمـال في الروايـة الأولى لأن المال هو وسيلة الحصول على لباس الزينة والعيش النعيم.

* * *

(١٤١) ٢ ـ قـال الإمام مسلم حـدثنـا محمـد بن بشـار حـدثنـا محمـد بن جعفر (ح) وحدثني أبو بكر بن نافع ـ واللفظ له ـ حدثنـا غندر حـدثنا شعبـة عن سلمة بن كهيـل عن مسلم البطين عن سعيـد بن جبـير عن

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، مقدمة سورة الأعراف.
(٢) تفسير الطبري ٨/١٤٨، وإسناده حسن كما تقدم في الحديث رقم (٢).
(٣) تفسير الطبري ٨/١٤٨، وإسناده ضعيف كما تقدم في الحديث رقم (٣٥).

ابن عباس قال : كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول : من يعيرني تطوافا تجعله على فرجها وتقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله

فنزلت هذه الآية ﴿ **خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾(الأعراف/٣١)(١).

وأخرجه النسائي والحاكم وفي رواية الحاكم فنزلت هذه الآية ﴿ **قل من حرم زينة الله** ﴾، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وأخرجه البيهقي والطبري من عدة طرق عن ابن عباس(٢).

* * *

(١٤٢) ٣ ـ قال الإمام الدار قطني : حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز حدثنا أبو جعفر محمد بن أبي سمينة حدثنا صالح بن بيان حدثنا فرات بن السائب عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ **خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ قال : الصلاة في النعلين وقد صلى رسول الله ى الله عليه وسلم في نعليه فخلعهما فخلع الناس فلما قضى الصلاة قال : لم خلعتم نعالكم ؟ قالوا : رأيناك

---

(١) صحيح مسلم رقم ٣٠٢٨، كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ **خذوا زينتكم** ﴾.

(٢) سنن النسائي ٥/٢٣٣ و ٢٣٤ في كتاب الحج ، باب قوله عز وجل ﴿ **خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾.

المستدرك ٢/٣١٩، كتاب التفسير، سورة الأعراف.

السنن الكبرى ٢/٢٢٣ ، كتاب الصلاة، باب وجوب ستر العورة ٥/٨٨.

كتاب الحج باب لا يطوف بالبيت عريان، تفسير الطبري ٨/١٦٠.

خلعت فخلعنا قال : إن جبريل عليه السلام أتاني فقال : إن فيهما دم حلمة[1].

بيان الإسناد :

هذا الأثر ساقط لا يقبل ففي إسناده صالح بن بيان الساحلي وشيخه فرات بن السائب الجزري وهما متروكان، وممن تركهما الدار قطني كما ذكر الحافظ ابن حجر في لسان الميزان، ونقل ابن حجر عن العقيلي أنه قال في صالح بن بيان : يحدث بالمناكير عمن لا يحتمل والغالب على حديثه الوهم، وقال المستغفري : كان يروي العجائب وينفرد بالمناكير[2]. وقال الإمام البخاري في فرات بن السائب : منكر الحديث وقال يحيى بن معين : ليس بشيء وقال : منكر الحديث وقال النسائى متروك الحديث وقال ابن عدى : له أحاديث غير محفوظة وله عن ميمون مناكير[3] أقول : ويضاف إلى ذلك كون هذا الأثر خالف الأثر الصحيح السابق فيكون بهذا خبراً منكراً.

بيان المعنى :

من الأثر الثاني تبين لنا أن بعض نساء العرب في الجاهلية كن يطفن بالبيت عرايا، وقد جاء في بعض الروايات ما يبين الدافع إلى هذا السلوك المنحرف فمن ذلك ما أخرجه ابن جرير عن قتادة قال : كان حي من أهل اليمن كان أحدهم إذا قدم حاجاً أو معتمراً يقول : لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد دنست فيه فيقول : من يعيرني مئزراً

(١) سنن الدار قطني، كتاب الصلاة، باب الصلاة في القوس والقرن ١/ ٣٩٩.
(٢) لسان الميزان ٣/١٦٦ رقم ٦٧٤.
(٣) لسان الميزان ٤/ ٤٣٠ رقم ١٣١٤.

فإن قدر على ذلك وإلا طاف عرياناً فأنزل الله فيه ما تسمعون ﴿ **خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾(٤).

ومن ذلك ما أخرجه ابن جرير عن الزهري أن العرب كانت تطوف بالبيت عراة إلا الحمس ـ قريشاً وأحلافهم ـ فمن جاء من غيرهم وضع ثيابه وطاف في ثياب أحمس، فإنه لا يحل له أن يلبس ثيابه فإن لم يجد من يعيره من الحمس فإنه يلقي ثيابه ويطوف عرياناً وإن طاف في ثياب نفسه ألقاها إذا قضى طوافه يحرمها فيجعلها حراماً عليه فلذلك قال: ﴿ **خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾(١).

ومن هذه الروايات تبين لنا أن هذه العادة لم تكن من النساء فقط وإنما كانت من النساء والرجال، وإن الدافع لها كان تعظيم البيت والحرم، وذلك باعتبارهم أن الثياب التي عصوا الله بها لا ينبغي لهم أن يطوفوا بها حول البيت، وإذا طافوا بثيابهم حرموا لبسها بعد ذلك على أنفسهم، ويعتبرون أن ثياب أهل مكة طاهرة لمجاورتهم بيت الله فإن وجدوا منها شيئاً طافوا به وإلا طافوا عراة.

ولما كان هذا العمل يترتب عليه معصية كبيرة ومفسدة عظيمة بكشف العورات وانتهاك الحرمات بتحريم ماأحل الله وتحليل ما حرم الله أنزل الله جل وعلا هذه الآيات مبيناً تفضله على عباده حيث أوجد لهم اللباس الذي يسترون به عوراتهم والمال الذي يقيمون به شئون حياتهم فقال تعالى﴿ **يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم**

---

(١) تفسير الطبري ٨/ ١٦١.

(٢) تفسير الطبري ٨/ ١٦٩.

وريشاً ﴾ أي أوجدنا لكم لباساً ضرورياً تسترون به عوراتكم ولباس زينة تتجملون به .

وقوله ﴿ **ولباس التقوى ذلك خير** ﴾ أي أن كونكم تتحلون بالعمل الصالح الذي يرضي الله وتبتعدون عن معصيته اتقاء لغضبه وعقابه خير لكم مما ترتكبونه من معصيته فتطوفون بالبيت مثلاً وأنتم عراة تَوَهُّماً منكم أن في عملكم هذا تعظيماً للحرم .

﴿ **ذلك من آيات الله** ﴾ أي ذلك المذكور من نعم الله حيث تفضل على عباده بنعمة اللباس والمتاع وذلك من العلامات الدالة على ربوبيته ووحدانيته ، أوجد هذه النعم لعباده ﴿ **لعلهم يذكرون** ﴾ فيعتبروا بذلك ويلتزموا بطاعته واجتناب معصيته .

ثم ذكّر الله سبحانه بني آدم بفتنة الشيطان وبين لهم أنه هو الذي يوسوس لهم بنزع اللباس عند الطواف حتى يوقعهم في معصية الله كما أوقع أباهم آدم وأمهم حواء حينما أغراهما بالأكل من الشجرة ففقدا بذلك لباسهما الذي حلاهما الله به وستر به عوراتهما حيث قال تعالى ﴿ **يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله** ﴾ أي هو ونسله وهم الجن « قال ابن منظور : يقال لكل جمع من شيء واحد قبيل »[1] .

ثم بين سبحانه حجة المشركين الواهية التي يبررون بها ارتكاب ما نهى الله عنه من الفواحش بقوله تعالى ﴿ **وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها** ﴾ ومن الفواحش التي كانوا يرتكبونها الفاحشة التي نزلت هذه الآيات فيها وهي طوافهم بالبيت وهم عراة ،

(١) لسان العرب (مادة قبل)، وانظر تفسير الطبري ٨/١٥٣ .

وحجتهم في هذه وغيرها من المحرمات التي كانوا يفعلونها أنهم ورثوها عن الآباء والأجداد، وقد أوحى الشيطان إليهم بأن مخالفة ما عليه الآباء تعتبر جريمة تسقط مرتكبها وتقضي على أمجاده التي وصل إليها، وأعظم من هذا نكارة احتجاجهم على ارتكابهم الفواحش بأن الله أمرهم بها جل وعلا عن ذلك، قال تعالى ﴿ **قل إن الله لا يأمر بالفحشاء** ﴾ أي لا يأمر خلقه بارتكاب قبائح الأمور ومساويها ﴿ **أتقولون على الله ما لا تعلمون** ﴾ فتنسبون إليه أنه أمركم بالتجرد من الثياب عند الطواف بالبيت وغير ذلك من القبائح ؟ !

﴿ **قل أمر ربي بالقسط** ﴾ أي بالعدل والاستقامة على الطريق المستقيم ﴿ **وأقيموا وجوهكم** ﴾ أي توجهوا إلى عبادة ربكم وحده ﴿ **عند كل مسجد** ﴾ كل موضع أعد لعبادة الله تعالى ولا توجهوا في عبادتكم إلى الأصنام والأوثان.

﴿ **كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة** ﴾ قال ابن عباس في معنى الآية : « إن الله سبحانه بدأ خلق ابن ادم مؤمناً وكافراً كما قال جل ثناؤه ﴿ **هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن** ﴾ ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمناً وكافراً » أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة[١].

المعنى : كما بدأ خلقكم متميزين بعضكم على الهدى وبعضكم على الضلال تعودون يوم القيامة متميزين كذلك فريقاً وفقهم الله إلى سلوك الطريق المستقيم الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة وفريقاً حق

---

(١) تفسير الطبري ١٥٦/٨، وإسناده حسن كما تقدم في الحديث رقم (٢).

عليهم الضلالة عن هذا الطريق المستقيم فانحازوا إلى الطرق المعوجة الموصلة إلى شقاء الدنيا والآخرة ﴿ **إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله** ﴾ أي انما ضلوا عن الطريق المستقيم لأنهم التجئوا إلى غير الله فاعتمدوا على شياطين الجن والإنس في طلب الهدى والنصر وصرفوا لهم أنواعاً من العبادة لا تجوز إلا لله تعالى ﴿ **ويحسبون أنهم** ﴾ بعملهم هذا ﴿ **مهتدون** ﴾ إلى الطريق المستقيم بسبب تزيين الشياطين لهم ما هم عليه من الاعتقاد الفاسد وإثارة الشبهات حول دعوة الحق.

ثم قال تعالى ﴿ **يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ أي استروا عوراتكم عند دخول المساجد ولا تخلعوا ثيابكم بحجة أنها قد تدنست كما مضى في سبب النزول. والآية تشمل ما زاد على ستر العورة من ثياب الزينة.

﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ أي تمتعوا بما أنعم الله عليكم ولا تسرفوا بتحريم ما أحل الله لكم أو بكثرة الإنفاق بطراً وخيلاء.

وفي معنى الآية يقول ابن عباس رضي الله عنهما: « أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً أو مخيلة ».

أخرجه ابن جرير قال: حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس[١]، وهذا إسناد صحيح ورجاله ثقات قد سمع بعضهم من بعض كما مضى في تراجمهم[٢].

---

(١) تفسير الطبري ٨/١٦٢.

(٢) انظر تراجم هؤلاء الرجال في الأحاديث رقم ١٦٧ و٨ و١٧ و٣٠.

وذكره الإمام البخاري معلقاً عن ابن عباس بلفظ « كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان : سرف أو مخيلة »[1].

ثم قال تعالى منكراً على هؤلاء الجاهلين الذين حرموا زينة الله على أنفسهم بتحرجهم من لبس ثيابهم وحرموا بعض الطيبات من رزق الله ﴿ **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق** ﴾ يعني أهذا الذي حرمها جدير بأن يطاع في التحليل والتحريم ؟ ! أم أن الذي أوجدها من العدم وتفضل بها على عباده هو الجدير بذلك ؟ ! .

﴿ **قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا** ﴾ يشاركون الكفار بالتمتع بها ﴿ **خالصة يوم القيامة** ﴾ للمؤمنين فلا يشاركهم فيها الكفار، قال ابن عباس : شارك المسلمون الكفار في الطيبات فأكلوا من طيبات طعامها ولبسوا من خيار ثيابها ونكحوا من صالح نسائها، وخلصوا بها يوم القيامة . أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة[2].

وهذا الإسناد حسن كما تقدم[3].

﴿ **كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون** ﴾ أي مثل ذلك البيان الذي بينا لكم في الواجب عليكم نحو اللباس والمطاعم والمشارب نبين العلامات الواضحة والدلالات المقنعة لقوم يعلمون ما يبين لهم[4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، الباب الأول. وقوله «مخيلة» بكسر الخاء على وزن عظيمة بمعنى الخيلاء وهو التكبر (فتح الباري ١٠/٢٥٣).

(٢) تفسير الطبري ٨/١٦٤.

(٣) انظر الحديث رقم (٢).

(٤) انظر تفسير الطبري ٨/١٦٦.

ثم بين سبحانه الأشياء التي حرمها على عباده بقـوله تعـالى ﴿ **قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركـوا بالله مـا لم ينـزل بـه سلطانـاً وأن تقـولـوا عـلى الله مـا لا تعلمـون** ﴾ فهذه هي التي حـرمها الله لا مـا نسبه إليـه الجـاهلون من تحريم بعض اللباس وبعض الطيبات من الرزق.

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ **ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين** ﴾(الأعراف/٥٥).

(١٤٣) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ **إنه لا يحب المعتدين** ﴾ في الدعاء وفي غيره[١].

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس[٢].

بيان المعنى :

قوله تعالى ﴿ **ادعوا ربكم تضرعاً** ﴾ يعني بخشوع وخضوع وتذلل[٣]. ﴿ **وخفية** ﴾ يعني لا ترفعوا أصواتكم بالدعاء، لأن رفع الصوت بالدعاء يتنافى مع الخشوع، وقد يخالطه شيء من الرياء، إنما يكون الدعاء بين الإسرار والجهر بحيث يسمع الإنسان نفسه كما في قوله تعالى ﴿ **واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين** ﴾(الأعراف/٢٠٥).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأعراف، باب رقم ٧.

(٢) تفسير الطبري ٨/٢٠٧.

(٣) تفسير الألوسي ٨/١٣٩.

وقوله تعالى ﴿ **إنه لا يحب المعتـدين** ﴾ قال ابن عباس في حديث الباب : في الدعاء وغيره، والاعتداء في الدعاء يكون برفع الصوت كما يدل عليه أول الآية.

وقد أخرج ابن جرير في هذا المعنى عن الحسن البصري قال : إنْ كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر جاره، وإنْ كان الرجل لقـد فقه الفقـه الأكبر ومـا يشعر بـه الناس، وإنْ كـان الرجـل ليصـلي الصـلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقواماً ماكان على الأرض من عمل يقـدرون على أن يعملوه في السر فيكـون علانيـة أبـداً، ولقد كـان كان المسلمـون يجتهدون في الـدعاء ومـا يسمـع لهم صـوت، إن كـان إلا همسـاً بينهم وبـين ربهم، وذلـك أن الله يقـول ﴿ **ادعـوا ربكم تضرعاً وخفيـة** ﴾، وذلك أن الله ذكـر عبـداً صـالحـاً فرضي فعله فقال ﴿ **إذ نادى ربه نداءً خفياً** ﴾ (مريم/٣)(١).

وقـد روى عن سعد بن أبي وقـاص وعبد الله بن مغفـل رضي الله عنهما أن من الاعتداء في الدعاء المبـالغة في المـطالب التي يطلبهـا العبد وذلك كما أخـرج الإمام أحمـد وأبو داود عن سعـد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه سمـع ابناً لـه يدعـو وهو يقـول : اللهم إني أسالـك الجنة ونعيمهـا واستبرقهـا ونحواً من هـذا وأعوذ بـك من النـار وسـلاسلهـا وأغـلالها، فقـال : لقد سـألت الله خيراً كثيـراً وتعـوذت بـالله من شر كثير، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : إنـه سيكون قوم يعتدون في الدعاء وقرأ هذه الآية ﴿ **ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين** ﴾ وإن حسبك أن تقول : اللهم إني أسالك الجنة وما

---

(١) تفسير الطبري ٢٠٦/٨.

قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وماقرب إليها من قـول أو عمل.

وقد أخرجه الإمام أحمـد من طريق أبي نعـامة قيس بن عبـاية عن مولى لسعد رضي الله عنه[1].

وأخرجه الإمـام أبو داود من طـريق أبي نعامـة عن ابن لسعد أنـه قال: سمعني أبي وأنا أقول . . . ثم ذكر نحوه[2].

وفي هـذين الإسنادين رجـل مجهـول وهـو الـذي روى عن سعـد رضي الله عنه فالحديث على هذا يكون ضعيفاً بهذا الإسناد.

(١٤٤) أمـا ما روي عن عبـد الله بن مغفل رضي الله عنـه فقـد أخـرجـه الإمام ابن ماجه قال حدثنا أبـو بكر بن أبي شيبـة حدثنـا عفان حـدثنا حماد بن سلمة أنبأنا سعيد الجريرى عن أبي نعامة أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألـك القصر الأبيض عن يمين الجنـة إذا دخلتهـا، فقال: أي بني سَـلِ الله الجنة وعُـذْبِهِ من النـار فإنى سمعت رســول الله صلى الله عليـه وسلم يقــول: سيكـون قــوم يعتــدون في الدعاء[3].

---

(١) مسند أحمد ١/١٧٢.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، حديث رقم ١٤٨٠.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب كراهية الاعتداء في الدعاء رقم ٣٨٦٤.

وإسناد هذا الحديث صحيح[1].

ومن هذين الحديثين تبين لنا أن المبالغة في الدعاء كتحديد أنواع النعيم في الجنة من الاعتداء في الدعاء وهو مما يشمله النهي عن الاعتداء في الدعاء المذكور في هذه الآية.

---

(١) بيان هذا الإسناد:

١ ـ أبو بكر بن أبي شيبة هو الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، وهو ثقة حافظ صاحب تصانيف، من الطبقة العاشرة مات سنة خمس وثلاثين ومائتين، أخرج له الشيخان وأبو داود والنسائي وابن ماجة (التقريب ١/٤٤٥ رقم ٥٨٩).

٢ ـ عفان هو ابن مسلم الباهلي، وهو ثقة ثبت تقدم في الحديث رقم (١٣٧).

٣ ـ وحماد بن سلمة ثقة تقدم في الحديث رقم (١٠١).

٤ ـ وسعيد الجريري هو أبو مسعود سعيد بن إياس الجريري البصري وهو ثقة، من الطبقة الخامسة، اختلط قبل موته بثلاث سنين مات سنة أربع وأربعين، وقد أخرج له الجماعة (التقريب ١/٢٩١ رقم ١٢٧).

٥ ـ أبو نعامة هو قيس بن عباية، وهو ثقة من الطبقة الثالثة مات بعد سنة عشر ومائة، أخرج له البخاري في جزء القراءة والأربعة. (التقريب ٢/١٢٩ رقم ١٥٣).

وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض (انظر التهذيب ٧/٢٣٠ رقم ٤٢٣، ٤/٥ رقم ٨، ٨/٤٠٠ رقم ٧١٢).

٣ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ﴾(الأعراف/ ٨٩)

* * *

(١٤٥) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما الفتاح القاضي ﴿ **افتح بيننا** ﴾ اقض بيننا[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ **ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق** ﴾ يقول : اقض بيننا وبين قومنا[٢].

وأخرج ابن جرير أيضاً من طريق قتادة عن ابن عباس قال : ماكنت أدري ما قوله ﴿ **ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق** ﴾ حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول : تعالى أفاتحك يعني : أقاضيك[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأعراف.
(٢) تفسير الطبري ٩/ ٢.
(٣) تفسير الطبري ٩/ ٢.

وقال الجوهري : الفتاحة بالضم الحكم، والفتاحة أن تحكم بين خصمين، وقيل الفتاحة الحكومة، قال الأشعر الجعفي :

ألا من مبلغ عمراً رسولاً   فإني عن فتاحتكم غني

وقال الأزهري : الفتح أن تحكم بين قوم يختصمون إليك كما قال سبحانه مخبراً عن شعيب ﴿ **ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين** ﴾[4]

---

(٤) لسان العرب (مادة فتح).

٤ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ﴾(الأعراف/ ١٣٩)

* * *

(١٤٦) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما : **﴿ متبر ﴾** خسران[1].

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[2].

والإشارة في الآية تعود إلى المذكورين في قوله تعالى قبل هذه الآية **﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ﴾**

فمعنى الآية : إن معتقد هؤلاء اليهود الذين يميلون إلى تقليد الوثنيين في عبادة غير الله تعالى ويسألون رسولهم أن يمكنهم من هذا الشرك خسران ووبال عليهم وسعيهم للوصول إلى هذا الهدف باطل لا خير فيه.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأعراف.

(٢) تفسير الطبري ٩/ ٤٦.

٥ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك ﴾(الأعراف/١٤٣).

* * *

(١٤٧) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ أرني ﴾ أعطني[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

وقوله « ﴿ أرني ﴾ أعطني » يعني أعطني قدرة تمكنني من النظر إليك، وإنما فسرها ابن عباس بذلك لأن الرؤية هي النظر، والمطلوب هو القدرة على النظر.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأعراف، باب رقم ٢ .

(٢) تفسير الطبري ٩/٥٠.

٦ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً ﴾(الأعراف/١٦٠)

* * *

(١٤٨) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ انبجست ﴾ انفجرت[١] .

وقال الحافظ ابن حجر : وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة كذلك[٢] .

وقال أبو عبيدة : ﴿ فانبجست ﴾ أي انفجرت[٣] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب رقم ٢٥ .
(٢) فتح الباري ٦/ ٤٣٠ .
(٣) مجاز القرآن ١/ ٢٣٠ .

٧ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ **وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون** ﴾(الأعراف/١٧١).

* * *

قال الإمام البخاري : قال ابن عباس ﴿ **وإذ نتقنا الجبل** ﴾رفعنا[١]. (١٤٩)

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ **وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة** ﴾ قال : فهو كقوله ﴿ **ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم** ﴾ فقال : ﴿ **خذوا ما آتيناكم بقوة** ﴾ وإلا أرسلته عليكم[٢].

وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق العوفي عن ابن عباس قال : فقال لهم موسى : ﴿ **خذوا ما آتيناكم بقوة** ﴾ يقول : من العمل بالكتاب وإلاَّ خرَّ عليكم الجبل، فقالت بل نأخذ ما آتانا الله بقوة،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء باب رقم ٢٥ .

(٢) تفسير الطبري ٩/١٠٩ .

ثم نكثوا بعد ذلك[1].

وقال أبو عبيدة والفراء : أي رفعنا فوقهم[2]، وقال ابن منظور : النتق الـزعزعـة والهز والجـذب والنفض، ونتق الشيء، يَنتِقـه ويَنتُقـه بالضم نتقاً جذبه واقتلعـه، وفي التنزيـل ﴿ **وإذ نتقنا الجبـل فوقهم** ﴾ أي زعزعناه ورفعناه[3].

---

(١) تفسير الطبري ٩/١٠٨.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٢٣٢، معاني القرآن للفراء ١/٣٩٩.

(٣) لسان العرب (مادة نتق).

« ســورة الأنفــال »[8]

١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فـاتقوا الله وأصلحـوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾(الأنفال/١)

***

(١٥٠) ١ ـ قـال الإمـام البخـاري : قـال ابن عبـاس رضي الله عنهـما : **﴿ الأنفال ﴾** المغانم[1]

وأخـرجـه ابن جـريـر من طـريق عـلي بن أبي طلحـة عن ابن عباس[2].

(١٥١) ٢ ـ قال الإمام أبـو داود السجستاني : حـدثنا وهب بن بقيـة قال أخـبرنا خـالد عن داود عن عكـرمة عن ابن عبـاس قال : قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر « من فعل كـذا وكذا فله من النفـل كذا وكذا » قال : فتقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات فلم يـبرحوهـا، فلما

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنفال.

(٢)تفسير الطبري ٩/ ١٧٥.

فتح الله عليهم قالت المشيخة : كنا ردءا لكم لو انهزمتم لفئتم إلينا فلا تذهبوا بالمغنم ونبقى، فأبى الفتيان وقالوا : جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا، فأنزل الله ﴿ **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله** ﴾ إلى قوله ﴿ **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون** ﴾ يقول فكان ذلك خيراً لهم فكذلك أيضاً فأطيعوني فإني أعلم بعاقبة هذا منكم(١).

بيان الإسناد :

١ ـ وهب بن بقية هو أبو محمد وهب بن بقية بن عثمان الواسطى ويقال له وهبان، وهو ثقة من الطبقة العاشرة مات سنة تسع وثلاثين ومائتين روى له مسلم وأبو داود والنسائي (٢).

٢ ـ خالد هو ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد الطحان الواسطي المزني ولاء، وهو ثقة ثبت من الطبقة الثامنة مات سنة اثنتين وثمانين ومائة، روى له الجماعة(٣).

٣ ـ داود هو ابن أبي هند البصري القشيري ولاء، وهو ثقة متقن كان يهم بأخرة(٤).

٤ ـ عكرمة هو مولى ابن عباس وهو ثقة كما تقدم(٥).

وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض(٦). فإسناده متصل

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في النفل رقم ٢٧٣٧.

(٢) تقريب التهذيب ٢/٣٣٧، الكاشف ٣/٢٤٣، الخلاصة/٤١٨.

(٣) تقريب التهذيب ١/٢١٥، تذكرة الحفاظ ١/٢٥٩، الخلاصة/١٠١.

(٤) انظر الحديث رقم (٤٩).

(٥) انظر الحديث رقم (٥).

(٦) تهذيب التهذيب ١١/١٥٩ رقم ٢٧٠، ٣/١٨٧ رقم ١٨٧ و ٢٠٤ رقم ٣٨٨.

ورجاله ثقات، وعلى هذا فهذا الإسناد صحيح.

وهذا الحديث أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي وأخرجه البيهقي في سننه وابن حبان في صحيحه(١).

بيان المعنى :

قوله « الأنفال المغانم » الأنفال جمع نفل وهو العطاء تفضلاً وتكرماً، قال الراغب : وأصل ذلك من النفل أي الزيادة على الواجب ويقال له النافلة قال تعالى ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك** ﴾ ويقال نفله السلطان أعطاه سلب قتيله نفلاً أي تفضلاً وتبرعاً(٢).

وقال أبو عبيده في كتاب الأموال: فالأنفال أصلها جماع الغنائم إلا أن الخمس منها مخصوص لأهله على ما نزل به الكتاب وجرت به السنة، ومعنى الأنفال في كلام العرب كل إحسان فعله فاعله تفضلاً من غير أن يجب ذلك عليه فكذلك النفل الذي أحله الله للمؤمنين من أموال عدوهم إنما هو شيء خصهم الله به تطولاً منه عليهم بعد أن كانت الغنائم محرمة على الأمم قبلهم فنفلها الله عز وجل هذه الأمة . . .

ثم قال ـ بعد أن ذكر أحاديث في خصوصية هذه الأمة بإباحة الغنائم ـ: فنفل الله هذه الأمة المغانم خصوصية خصهم بها دون سائر الأمم، فهذا أصل النفل وبه سمى ما جعله الإمام للمقاتلة نفلاً وهو تفضيله بعض الجيش على بعض بشيء سوى سهامهم يفعل ذلك بهم

---

(١) المستدرك ٣٢٦/٢ كتاب التفسير، السنن الكبرى للبيهقي ٢٩١/٦، ٣١٥ كتاب قسم الفيء، باب مصرف الغنيمة وباب الوجه الثالث من النفل، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، كتاب التفسير، سورة الأنفال، حديث رقم ١٧٤٣.

(٢) المفردات في غريب القرآن/٥٠٢

على قدر الغناء عن الإسلام والنكاية في العدو[1].

وقوله في الحديث الثاني «من فعل كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا» جاء في رواية الحاكم «أوأتى مكان كذا وكذا» وهذا من باب التحريض على القتال ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه» أخرجه الإمام البخاري[2].

وقوله «فتقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات» ليس مرتباً على قوله «من فعل كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا» حيث إن تقدم الفتيان كان بدافع الرغبه في الجهاد لا بدافع الرغبة في المغنم وإنما هو من باب الإخبار عما جرى في المعركة، فالشباب تقدموا لأنهم أكثر اندفاعاً في القتال والشيوخ لزموا الرايات فقاتلوا تحتها لأنهم أكثر خبرة في الحروب فخافوا أن يكون للعدو كرة على مركز القيادة.

والذي يفهم من هذا الأثر أن اختلاف الصحابة رضي الله عنهم كان فيما وعد به النبي صلى الله عليه وسلم تحريضاً على القتال، وهذا يخالف الروايات الأخرى التي فيها أن الاختلاف كان في الغنيمة التي حازها المسلمون جميعاً في المعركة، فمن ذلك ما جاء في الأثر الأول الذي أخرجه الإمام البخاري عن ابن عباس حيث فسر الأنفال بالغنائم، ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدراً فالتقى الناس فهزم الله تبارك وتعالى العدو فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون فأكَبَّت طائفة على العسكر يحوونه

---

(١) الأموال/٤٢٨ - ٤٣٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب رقم ١٨ حديث رقم ٣١٤٢.

ويجمعونه وأحدقت طائفة برسول الله ى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم: لستم بأحق بها منا نحن أحدقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به، فنزلت ﴿ **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم** ﴾ فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فواق بين المسلمين[١].

وقوله «عن فواق» أي قسمها في قدر فواق ناقة وهو ما بين الحلبتين من الراحة وتضم فاؤه وتفتح[٢].

والمراد بذلك أنه قسمها بسرعة.

وأخرجه الحاكم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه وذكر نحوه وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي[٣].

وما جاء في هذه الروايات من أن الأنفال التي اختلف فيها الصحابة وسألوا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الغنائم هو الظاهر، إذ لا ينبغي أن يصدر من الصحابة رضي الله عنهم اختلاف فيما وعد به النبي صلى الله عليه وسلم تحريضاً على القتال.

---

(١) مسند أحمد ٥/٣٢٣ ـ ٣٢٤.
(٢) النهاية في غريب الحديث ٣/٤٧٩.
(٣) المستدرك ٢/٣٢٦، كتاب التفسير.

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ إن شر الـدواب عـنـد الله الصـم البـكم الـذيـن لا يعـقلون ﴾ (الأنفال/٢٢).

* * *

(١٥٢) قال الإمام البخاري: حدثنا محمد بن يوسف حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس **﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾** قال: هم نفر من بني عبدالدار[١].

بيان المعنى:

قوله «هم نفر من بني عبدالدار» أي نزلت هذه الآية في نفر من بني عبدالدار كان عداؤهم للإسلام شديداً، وقد جاء في رواية الإسماعيلي لصحيح البخاري «نزلت في نفر من بني عبدالدار» كما ذكر ابن حجر[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب **﴿إن شر الدواب عند الله﴾**، حديث رقم ٤٦٤٦

(٢) فتح الباري ٨/٣٠٧.

وأخرجه ابن جرير من طريق شبل بن عباد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قال ابن عباس «الصم البكم الذين لا يعقلون نفر من بني عبدالدار لا يتبعون الحق[1].

والآية تشمل كل من أصر على اتباع الباطل بعد ما تبين له الحق وأظهر العناد وعدم الاستعداد لمعرفة الحق واتباعه.

(١) تفسير الطبري ٩/٢١٢.

٣ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ يـاأيهـا النبي حـرض المؤمنـين عـلى القتـال إن يكن منكم عشرون صـابرون يغلبـوا مائتـين وإن يكن منكم مائـة يغلبوا ألفـاً من الـذين كفـروا بـأنهم قـوم لا يفقهـون. الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صـابرة يغلبـوا مائتـين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله من الصابرين ﴾ (الأنفال/ ٦٥ ـ ٦٦).

* * *

(١٥٣) قـال الإمام البخـاري: حدثنـا يحيى بن عبدالله السلمي أخـبرنـا عبدالله بن المبارك أخبرنا جرير بن حازم قال أخبرني الزبـير بن الخريت عن عكرمة عن ابن عبـاس رضي الله عنهما قـال: «لما نـزلت (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتـين) شق ذلك عـلى المسلمين حـين فرض عليهم أن لا يفِرَّ واحد من عشرةٍ، فجاء التخفيف فقال **﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفـاً فإن يكن منكم مـائـة صـابـرة يغلبوا مائتـين ﴾** قال: فلما خفف الله عنهم من العـدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم»[1].

(١) صحيح البخـاري، كتـاب التفسـير، بـاب **﴿الآن خفف الله عنكم﴾** رقم ٧، حـديث رقم ٤٦٥٣.

وأخـرجه أبـو داود السجستاني من طـريق جريـر بن حـازم بهـذا الإسناد وذكر مثله[1].

وأخرجه البيهقي من طـريقين عن جـرير بن حـازم بهذا الإسنـاد وذكر مثله[2].

وأخرجه الإمام البخاري أيضاً من طريق عمـرو بن دينار عن ابن عباس وذكر نحوه[3].

وأخرجه من هذا الطريق ابن الجارود والبيهقي وذكرا مثله[4].

وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه وفيه: فإن لقي رجل رجلين ففر أو رجلاً ففر فهي كبيرة وإن لقي ثلاثة ففر منهم فلا بأس[5].

وأخرج البيهقي هذه الزيادة بمعناها من طـريق ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما[6].

بيان المعنى:

قوله «شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم أن لا يفر واحـد من عشرة» في هذا تصريح بأن ثبات الواحد من المسلمـين أمام العشرة من الكفار كان فرضاً واجباً في أول الامر، ولعل ابن عباس فهم ذلـك

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب التولي يوم الزحف، حديث رقم ٢٦٤٦.
(٢) سنن البيهقي ٩/٧٦، كتاب السير، باب تحريم الفرار يوم الزحف.
(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنفال حديث رقم ٤٦٥٢.
(٤) المنتقى لابن الجـارود، كتاب الجهـاد، باب العـدد الذي لا يحـرج المرء بـالفـرار منهم. حديث رقم ١٠٤٩.
سنن البيهقي ٩/٧٦، كتاب السّير، باب تحريم الفرار يوم الزحف.
(٥) مصنف عبدالرزاق، كتاب الجهاد، باب الفرار من الزحف (٥/٢٥٢ رقم ٩٥٢٥).
(٦) السنن الكبرى، كتاب السير، باب تحريم الفرار من الزحف ٩/٧٦.

من قوله تعالى ﴿ **الآن خفف الله عنكم** ﴾ إذا أن التخفيف لا يكون إلا من أمـر كان ثقيـلاً والأمر المنـدوب لا يكون ثقيـلاً إذ ليس بلازم عـلى الإنسـان أداؤه، وعـلى هـذا فقـولـه تعـالى ﴿ **إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين** ﴾ وإن كان خبراً فإن معناه الأمر وقـد بين هـذا المعنى ابن جرير الطبري في تفسيره[1].

قـوله «فلما خفف الله عنهم من العـدة نفص من الصبر» قـال ابن حجر: كذا في رواية ابن المبارك وفي رواية وهب بن جرير عن أبيه عند الإسماعيلي «نقص من النصر» وهذا قاله ابن عباس توقيفاً على ما يظهر ويحتمل أن يكون قاله بطريق الاستقراء أهـ[2].

---

(١) تفسير الطبري ١٠/ ٤١.
(٢) فتح الباري ٨/٣١٣.

٤ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير ﴾ (الأنفال/٧٢).

* * *

قوله تعالى **﴿ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم ﴾** (الأنفال/٧٥)

(١٥٤) قال الإمام أبو داود السجستاني: حدثنا أحمد بن محمد حدثنا علي بن حسين عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس: في قوله تعالى **﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا.. ﴾** وقوله **﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا.. ﴾** قال: فكان الأعرابي لايرث المهاجر ولا يرثه

المهاجر، فنسختها هذه الآية ﴿ **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض** ﴾[1].

بيان الإسناد:

هذا الإسناد تقدم الكلام عليه وتبين لنا أن فيه علي بن حسين بن واقد المروزي وهو صدوق يهم[2]، فهو على هذا محتمل للضعف ولكن أخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض** ﴾ يعني في الميراث، جعل الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام، قال الله تعالى ﴿ **والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا** ﴾ يقول: مالكم من ميراثهم من شيء، وكانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله هذه الآية ﴿ **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله** ﴾ في الميراث، فنسخت التي قبلها وصار الميراث لذوي الأرحام[3].

وبهذا الشاهد يرتفع احتمال الوهم من علي بن حسين واقد ويكون الحديث حسن الإسناد، وباعتضاده برواية علي بن أبي طلحة يكون صحيحاً لغيره.

بيان المعنى:

في هذا الأثر بيان ما كان عليه الامر في أول الإسلام من التوارث

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الفرائض، باب نسخ ميراث العقد بميراث الرحم (حديث رقم ٢٩٢٤).

(٢) انظر الحديث رقم (١٣).

(٣) تفسير الطبري ١٠/٥١

بـالأخـوة الإيمـانيـة حيث كـان المهـاجـرون يتـوارثـون فيـما بينهم دون الأعراب، ثم نسخ ذلك بقولـه تعالى ﴿ **وأولـوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله** ﴾ بعدمـا زالت دواعي الحكم السابق، وقـد تقدم بيـان ذلك في تفسـير قولـه تعالى ﴿ **والـذين عقدت أيمـانكم فـآتـوهم نصيبهم** ﴾[1].

(١) انظر ص (٢٣١).

« ســـورة التوبـــة »[٩]

١ ـ ما جاء في تسمية هذا السورة بالفاضحة

(١٥٥) قال الإمام البخاري : حدثنا محمد بن عبدالرحيم حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : سورة التوبة؟ قال : التوبة هي الفاضحة ، ما زالت تنزل (ومنهم ـ ومنهم ـ ومنهم) حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم إلا ذكر فيها ، قال : قلت : سورة الأنفال؟ قال : نزلت في بدر ، قال : قلت سورة الحشر؟ قال : نزلت في بني النضير[١] .

وأخرجه الإمام مسلم من طريق هشيم به وذكر نحوه[٢] .

بيان المعنى :

قوله (التوبة هي الفاضحة) يعني التي فضحت المنافقين وكشفت أسرارهم .

قوله «ما زالت تنزل : ومنهم ومنهم ومنهم» يعني من المنافقين مثل قوله تعالى ﴿ **ومنهم من عاهد الله . . . . ومنهم من يلمزك في**

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الحشر ، حديث رقم ٤٨٨٢ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب التفسير ، الباب الخامس ، حديث رقم ٣٠٣١ .

قوله «حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم إلا ذكر فيها» يعني المنافقين، وقوله «لم تبق» يعني أنهم ظنوا أن ما نزل في وقت التنزيل قد استوعبهم، وجاء في رواية الكشميهني «لن تبقى» وفي رواية الإسماعيلي «انه لا يبقى»[1] ومقتضى هاتين الروايتين أن المنافقين كانوا يظنون أنه سينزل مزيد من الآيات التي تكشف سرائرهم حتى لاتبقي منهم أحداً إلا وقد افتضح أمره، وهذا أبلغ في تصوير مدى خوف المنافقين من نزول القرآن في كشف أمرهم.

وقوله «سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر» يعني في شأن غزوة بدر حيث نزل فيها آيات من هذه السورة.

وقوله في سورة الحشر «نزلت في بني النضير» هم طائفة من اليهود مشهورة أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن المدينة فنزلت سورة الحشر في بيان خبرهم.

(١) فتح الباري ٨/٦٢٩.

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ (التوبة/ ٣٠).

(١٥٦) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما **﴿ يضاهئون ﴾** يشبهون[١].

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

بيان المعنى:

قوله «**﴿ يضاهئون ﴾** يشبهون» أي يشابه هؤلاء اليهود بزعمهم أن عزيراً ابن الله، وهؤلاء النصارى بزعمهم أن المسيح ابن الله قول الذين كفروا من قبلهم من أهل الأوثان الذين نسبوا الولد لله جل وعلا عن ذلك، كما أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة براءة، باب رقم ١.

(٢) تفسير الطبري ١٠/ ١١٢.

في قوله ﴿ **يضاهئون قول الذين كفروا من قبل** ﴾ يقول: قالوا مثل ما قال أهل الأوثان[1].

---

(١) تفسير الطبري ١٠/١١٣.

٣ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ (التوبة/٣٤ ـ ٣٥).

(١٥٧) قال الإمام أبو داود السجستاني: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن يعلى المحاربي حدثنا أبي حدثنا غيلان عن جعفر بن إياس عن مجاهد عن ابن عباس قال: «لما نزلت هذه الآية **﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ﴾** قال: كبر ذلك على المسلمين، فقال عمر رضي الله عنه: أنا أفرج عنكم فانطلق فقال: يانبي الله إنه كبر على أصحابك هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقي من أموالكم، وإنما فرض المواريث لمن بعدكم» فكبر عمر، ثم قال له: «ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة: إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته»[١].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في حقوق المال، حديث رقم ١٦٦٤.

بيان الإسناد:

١ - عثمان بن أبي شيبة هو أبو الحسن عثمان بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي ثقة حافظ شهير وله أوهام من الطبقة العاشرة، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين وله ثلاث وثمانون سنة، روى له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه(١).

٢ - يحيى بن يعلى بن الحارث المحاربي الكوفي، ثقة من صغار الطبقة التاسعة مات سنة ست عشرة ومائتين، روى له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة(٢).

٣ - وأبوه هو يعلى بن الحارث بن حرب المحاربي الكوفي، ثقة من الطبقة الثامنة مات سنة ثمان وستين ومائة، روى له البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة(٣).

٤ - غيلان هو أبو عبد الله غيلان بن جامع بن أشعث البخاري قاضي الكوفة، ثقة من الطبقة السادسة مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، روى له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة(٤).

٥ - جعفر بن إياس أبو بشر بن أبي وحشية قال ابن حجر ثقة من أثبت الناس في سعيد بن جبير، وضعفه شعبة في حبيب بن سالم وفي مجاهد، من الطبقة الخامسة مات سنة خمس وقيل سنة ست وعشرين ومائة(٥).

---

(١) تقريب التهذيب ٢/١٣ رقم ١٠٧، الخلاصة/ ٢٦٢.
تذكرة الحفاظ ١/٤٤٤ رقم ٤٥٠.

(٢) التقريب ٢/٣٦٠ رقم ٢٠٦، الكاشف ٣/٢٧٢، الخلاصة/ ٤٢٩.

(٣) التقريب ٢/٣٧٧ رقم ٤٠٢، الكاشف ٣/٢٩٥، الخلاصة/٤٢٧.

(٤) التقريب ٢/١٠٦ رقم ٢٦، الكاشف ٢/٣٧٧، الخلاصة/٣٠٧.

(٥) التقريب ١/١٢٩ رقم ٧٠، الخلاصة/٦٢.

وقال ابن حجر في التهذيب : قال أحمد : وكان شعبة يقول : لم يسمع أبو بشر من حبيب بن سالم.

وقال أيضاً كان شعبة يضعف حديث أبي بشر عن مجاهد قال : لم يسمع منه شيئاً، وقال ابن معين : طعن عليه شعبة في حديثه عن مجاهد قال : من صحيفة[1].

وبهذا تبين أن سبب تضعيفه في مجاهد كان عدم سماعه منه وإنما أخذ مروياته عنه من صحيفة.

فهذا الإسناد متصل إلى جعفر بن إياس لأن رواته قد سمع بعضهم من بعض[2] لكن لم يسمع جعفر من مجاهد.

٦ ـ ومجاهد ثقة تقدمت ترجمته[3].

فالإسناد على هذا ضعيف لانقطاعه إن كان جعفر بن إياس لم يسمع من مجاهد كما ذكر شعبة، ولكن لهذا الحديث شواهد ذكرها

(١٥٨) الحافظ ابن كثير[4] تشهد لبعضه، منها ما أخرجه عبد الرزاق قال: أخبرنا الثوري قال أخبرني أبو حصين عن أبي الضحى عن جعدة بن هبيرة عن علي رضي الله عنه في قوله ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة** ﴾ الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم : تباً للذهب تباً للفضة يقولها ثلاثاً، قال : فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : فأي مال نتخذ ؟ فقال عمر رضي الله عنه : أنا أعلم

---

(١) التهذيب ٢/٨٣.

(٢) تهذيب التهذيب ٧/١٤٩ رقم ٢٩٨، ١١/٣٠٣ رقم ٥٨٥، ٨/٢٥٢ رقم ٤٦٧، ٢/٨٣ رقم ١٢٩.

(٣) انظر الحديث رقم (٢٤).

(٤) تفسير ابن كثير ٢/٣٧٦.

لكم ذلك، فقال : يارسول الله إن أصحابك قد شق عليهم فقالوا : وأي المال نتخذ ؟ قال : « لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة صالحة تعين أحدكم على دينه ».

وهذا إسناده صحيح(١) فيتقوى به حديث أبي داود السابق.

بيان المعنى :

قوله « إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقي من أموالكم » يعني أن المال الذي تؤدى زكاته يكون حلالاً لصاحبه ولا يعتبر كنزاً، وهذا مقيد بالأدلة الأخرى التي دلت على وجوب حقوق أخرى في المال غير الزكاة كالنفقة الواجبة وقرى الضيف.

وقوله « وإنما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم » يعني أنه لو كان ادخار ما زاد على الحاجة من المال يعتبر من الكنز المحرم لم يبق مال للورثة، وإنما فرض الله سبحانه المواريث لتكون قواماً للورثة تغنيهم عن الحاجة إلى الناس حتى يستطيعوا القيام بأمورهم بأنفسهم، وإذا كان ادخار ما زاد على الحاجة محرماً لم يتحقق هذا المقصود.

---

(١) بيان تراجم رجال هذا الإسناد :
١ - الثوري هو الإمام سفيان وهو ثقة حافظ مضى في الحديث رقم (٦٧).
٢ - وأبو حصين هو عثمان بن عاصم بن حصين الأسدي وهو ثقة ثبت، وربما دلس من الطبقة الرابعة (التقريب ٢/١٠/رقم ٧٧).
٣ - وأبو الضحى هو مسلم بن صبيح الهمداني الكوفي العطار، وهو ثقة فاضل من الطبقة الرابعة (التقريب ٢/٢٤٥ رقم ١٠٨٧)ج
٤ - وجعدة بن هبيرة المخزومي صحابي صغير له رؤية رضي الله عنه، وهو ابن أم هانىء بنت أبي طالب (التقريب ٢/١٢٩ رقم ٦٧).
فهؤلاء الرواة ثقات وقد سمع بعضهم من بعض (انظر تهذيب التهذيب ٤/١١١ رقم ١٩٩، ٧/١٢٦ رقم ٢٦٩، ١٠/١٣٢ رقم ٢٣٥، ٢/٨١ رقم ١٢٦).

وهـذا بيان من النبي صلى الله عليـه وسلم للحلال والحـرام في المال أمـا الأفضل فقـد بينه النبي صلى الله عليـه وسلم في آخر هـذا الحـديث حيث ذكر أن خير مـا يكنزه المـرء هو المـرأة الصالحـة وليس المال، بـل ينبغي أن يتصدق على المحتاجين وأن يعـين بمالـه في النوائب التي تحـل بالمسلمين من غير أن يجحف على نفسه أو من تلزمه مؤنتهم.

٤ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير ﴾(التوبة/ ٣٩).

* * *

(١٥٩) قال أبو داود السجستاني : حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا زيد بن الحباب عن عبد المؤمن بن خالد الحنفي حدثني نجدة بن نفيع قال : « سألت ابن عباس عن هذه الآية **﴿ إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ﴾** قال : فأمسك عنهم المطر، وكان عذابهم »[١].

بيان الإسناد :ـ

١ ـ عثمان بن أبي شيبة ثقة حافظ تقدمت ترجمته[٢].

٢ ـ زيد بن الحباب هو أبو الحسين العكلي أصله من خراسان وكان بالكوفة وقد رحل في طلب الحديث فأكثر منه، صدوق يخطىء في حديث الثوري، من الطبقة التاسعة، مات سنة ثلاث ومائتين، أخرج

---

(١) سنن أبي داود رقم ٢٥٠٦، كتاب الجهاد، باب في نسخ نفير العامة بالخاصة.
(٢) انظر الحديث رقم (٢٢).

له مسلم والأربعة[1].

٣ ـ عبد المؤمن بن خالد الحنفي المروزي القاضي، لا بأس به من الطبقة السابعة أخرج له أبو داود والترمذي والنسائي[2].

٤ ـ نجدة بن نفيع الحنفي، مجهول من الطبقة الرابعة، أخرج له أبو داود[3].

وقال ابن حجر في التهذيب: روى عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً** ﴾ الحديث وعنه عبد المؤمن بن خالد الحنفي المروزي[4].

فالحديث بهذا الإسناد ضعيف لجهالة نجدة بن نفيع وقد أخرجه البيهقي من طريق زيد بن الحباب قال حدثنا عبد المؤمن بن خالد الحنفي حدثنا نجدة بن نفيع عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر حَيًّا من العرب فتثاقلوا فنزلت ﴿ **إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً** ﴾ قال: كان عذابهم حبس المطر عنهم[5].

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق زيد بن الحباب بهذا الإسناد وذكر مثل رواية البيهقي[6].

---

(١) التقريب ١/٢٧٣ رقم ١٦٨، الكاشف ١/٣٧٧، الخلاصة/١٢٧.
(٢) التقريب ١/٥٢٥ رقم ١٣٧٩، الكاشف ٢/٣١٧، الخلاصة/٢٤٦.
(٣) التقريب ٢/٢٩٨ رقم ٤٥، الخلاصة/٤٠٠.
(٤) تهذيب التهذيب ١٠/٤١٩.
(٥) سنن البيهقي ٩/٤٨، كتاب السير، باب النفير.
(٦) تفسير الطبري ١٠/١٣٤.

٥ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليهم بالمتقين. إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ﴾ (التوبة/ ٤٤ ـ ٤٥).

وقوله تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم ﴾ (النور/٦٢).

(١٦٠) قال الإمام أبو داود السجستاني : حدثنا أحمد بن محمد بن ثابت المروزي حدثني علي بن حسين عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال ﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ الآية نسختها التي في النور ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ﴾ إلى قوله ﴿ غفور رحيم ﴾[١].

---

(١) سنن أبي داود رقم ٢٧٧١، كتاب الجهاد، باب في الاذن في القفول بعد النهي.

بيان الإسناد :

تقدم الكلام على رجال هذا الإسناد وفيه علي بن حسين بن واقد المروزي وهو صدوق يهم[1] فالحديث على هذا محتمل للضعف لاحتمال وقوع الوهم من علي بن الحسين.

وقد روى هذا القول من كلام عكرمة والحسن البصري أخرجه ابن جرير قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري . . وذكر مثله[2].

وهذا الإسناد ليس فيه علي بن الحسين وإنما يرويه عن الحسين بن واقد يحيى بن واضح وهو أبو تُمَيْلَة يحيى بن واضح المروزي، وهو ثقة من كبار الطبقة التاسعة[3].

ونظراً لاتهام علي بن الحسين بن واقد بالوهم، وقد خالف في هذا الحديث من هو أوثق منه فإن روايته تكون ضعيفة، وبهذا يكون إسناد هذا الأثر ضعيفاً.

بيان المعنى :

في هذا الحديث بيان أن عدم جواز الاستئذان من النبي صلى الله عليه وسلم في التخلف عن الجهاد المفهوم من قوله تعالى ﴿ **لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾ منسوخ بجواز الاستئذان عند الحاجة المفهوم من قوله تعالى ﴿ **فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم** ﴾.

---

(١) انظر الحديث رقم (١٣).

(٢) تفسير الطبري ١٠/١٤٣.

(٣) التقريب ٢/٣٥٩ رقم ١٩٣، الخلاصة/٤٢٩.

وقد تبين لنا ضعف إسناد هذا الأثر.

والمراد بقوله تعالى ﴿ **إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾ الاستئذان في التخلف عن الجهاد من غير ضرورة تدعو إلى ذلك بدليل قوله تعالى في آخر الآية ﴿ **وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون** ﴾ فالاستئذان في القعود عن الجهاد من غير ضرورة تدعو إليه سلوك لا يصدر إلا من المنافقين، أما الاستئذان في آية النور فهو يصدر من المؤمنين عند الضرورة بدليل قوله تعالى ﴿ **فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم** ﴾ فإذا انتهى الأمر الذي يدعوهم إلى التخلف عادوا إلى مقاعدهم في صفوف المجاهدين.

وبهذا يتبين لنا أنه ليس هناك نسخ بين هذه الآيات، إذ أن لآيتي سورة التوبة معنى غير المعنى المراد من آية سورة النور.

وعلى فرض ثبوت هذا الأثر يكون المراد بالنسخ هنا التخصيص.
وإذا اعتبرنا أن المراد بالنسخ في هذه الرواية التخصيص يكون معنى آية التوبة : لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر في التخلف عن الجهاد إلا عند الضرورة التي تمنعهم من مواصلة الجهاد.

٦ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ قـل هل تـربصون بنـا إلا إحدى الحسنيـين ونحن نـتربص بكم أن يصيبكم الله بعـذاب من عنـده أو بـايـدينـا فـتربصـوا إنـا معكم متربصون ﴾ (التوبة/٥٢).

(١٦١) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : **﴿ إحدى الحسنيين ﴾** : فتحاً أو شهادة[١].

وأخرجه ابن جرير الـطبري من طريق عـلي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله **﴿ هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ﴾** يقول : فتـح أو شهـادة، وقـال مـرة أخـرى : يقـول القتـل فهي الشهـادة والحيـاة والرزق، وإما يخزيكم بأيدينا[٢].

وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق العـوفي عن ابن عباس قـال : يقول قتل فيه الحياة والـرزق، وإما أن يغلب فيؤتيـه الله أجراً عـظيماً، وهو مثل قوله **﴿ ومن يقاتل في سبيل الله . . . ﴾** إلى قولـه **﴿ فيقتل أو**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي باب رقم ١٠.
(٢) تفسير الطبري ١٠/١٥١.

يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾[1].

بيان المعنى :

يبين الله سبحانه للمنافقين الذين ينتظرون العاقبة السيئة بالمؤمنين أن ما ينتظرونه بالمؤمنين من الشر هو خير كله ﴿ **قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين** ﴾ أي هل تنتظرون بنا في خروجنا لقتال الأعداء من النتائج إلا أن نظفر بإحدى النتيجتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى النتائج في مجالي الحياة والموت، فإما حياة عزيزة بالنصر على الأعداء وإما موت كريم في الظفر بالشهادة وكلاهما خير وسعادة.

﴿ **ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا** ﴾ أي ونحن ننتظر بكم ما دمتم على حالكم هذه ولم تؤمنوا إيمان صدق أن يصيبكم الله بعذاب يرسله عليكم كما أرسله على المكذبين من الأمم الماضية فيهلككم أو يصيبكم بالقتل والتشريد على أيدينا إن أنتم أظهرتم كفركم ﴿ **فتربصوا** ﴾ فانتظروا بنا هذه العاقبة ما شئتم أن تنتظروا ﴿ **إنا معكم متربصون** ﴾ منتظرون بكم العاقبة السيئة لكم، أما ما تنتظرونه بنا فهو خير كله لنا على كلا الاحتمالين.

---

(١) تفسير الطبري ١٥١/١٠

٧ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴾ (التوبة/٦١).

(١٦٢) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما : **﴿ أذن ﴾** يُصَدق[١].

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله **﴿ ويقولون هو أذن ﴾** قال : يسمع من كل أحد، وفي قوله **﴿ يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ﴾** قال : يعني يؤمن بالله ويصدِّق المؤمنين[٢].

ورواية الطبري هذه تبين لنا أن قوله « يصدق » في رواية البخاري تفسير لقوله تعالى **﴿ يؤمن ﴾** وليست تفسيراً لقوله **﴿ أذن ﴾**.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة التوبة، الباب الأول.
(٢) تفسير الطبري ١٠/١٦٨ ـ ١٦٩.

بيان المعنى :

قوله تعالى ﴿ **ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن** ﴾ أي ومن المنافقين الذين سبق ذكرهم في هذه السورة ﴿ **الذين يؤذون النبي** ﴾ بانتقاده والسخرية منه فيما إذا خلا بعضهم إلى بعض ﴿ **ويقولون** ﴾ عندما يحذر بعضهم بعضاً من اطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على ما يسرونه من ذلك ﴿ **هو أذن** ﴾ أي يصدق كل ما يسمع من غير وزن ولا تقدير فإذا اطلع علينا ذهبنا إليه فاعتذرنا منه فصدقنا بما نقول فلا يهمكم اطلاعه ما يجري منا .

والأذن في الأصل هي الجارحة ، ويستعار لمن كثر استماعه وقبوله لما يسمع من غير تدبر ، سمى بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة(١) .

وقد جرأهم على هذا السلوك المنحرف تسامح النبي صلى الله عليه وسلم معهم وقبوله ما يظهر له من أمرهم من غير تحقيق معهم أو تعنيف لهم .

ثم أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يجيبهم ببيان حقيقة مقامه وقيمة وجوده بينهم فقال ﴿ **قل هو أذن خير لكم** ﴾ أي هو أذن في الخير والحق وفيما يشرع سماعه وقبوله وليس بأذن في غير ذلك .

﴿ **يؤمن بالله** ﴾ يعني : يصدق بوجود الله ووحدانيته . وهذا تفسير لقوله تعالى ﴿ **أذن خير لكم** ﴾ المعنى : إنما كان خيراً لكم بإيمانه بالله عز وجل لأنه ما دام كذلك فلن يأمركم إلا بما فيه خيركم ، ولن يحذركم إلا عما فيه شركم .

---

(١) تفسير الزمخشري ٢/١٩٩ ، المفردات في غريب القرآن (مادة أذن) .

﴿ **ويؤمن للمؤمنين** ﴾ أي يصدقهم، وقد عدى الفعل هنا باللام بينما عدى بالنسبة لله عز وجل بالباء لأن المقصود من الإيمان بالله التصديق بوجوده ووحدانيته بينما المقصود من الإيمان للمؤمنين تصديقهم فيما يقولون والتسليم لهم، ونظيره قوله تعالى ﴿ **فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه** ﴾ (يونس/٨٣) وقوله حكاية عن أبناء يعقوب عليه السلام ﴿ **وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين** ﴾ (يوسف/١٧)[١].

---

(١) تفسير الزمخشري ٢/١٩٩.

٨ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم** ﴾ (التوبة/١٠٣).

قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ **تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ ونحوها كثير، والزكاة الطاعة والإخلاص[١]. (١٦٣)

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : جاءوا بأموالهم ـ يعني أبا لبابه وأصحابه حين أطلقوا ـ فقالوا : يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا، قال : ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً، فأنزل الله ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ يعني بالزكاة : طاعة الله والإخلاص ﴿ **وصل عليهم** ﴾ يقول : استغفر لهم[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة التوبة، الباب الأول

(٢) تفسير الطبري ١١/١٦.

بيان المعنى :

قوله تعالى ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ الضمير في قوله ﴿ **أموالهم** ﴾ يعود على المذكورين في قوله تعالى قبل هذه الآية ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم** ﴾ والمقصود بهؤلاء جماعة من الصحابة تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك كما أخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً** ﴾ قال : كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فلما حضر رجوع النبي صلى الله عليه وسلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد وكان ممر النبي صلى الله عليه وسلم إذا رجع في المسجد عليهم فلما رآهم قال : من هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسواري ؟ قالوا هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله وحلفوا أنهم لا يطلقهم أحد حتى تطلقهم وتعذرهم ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذي يعذرهم ، رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين ! فلما بلغهم ذلك قالوا : ونحن والله لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله يطلقنا ، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم** ﴾ ـ وعسى من الله واجب ـ فلما نزلت أرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فأطلقهم وعذرهم[١] .

---

(١) تفسير الطبري ١١/١٢ وإسناده حسن كما تقدم في الحديث رقم (٢) .

وقول ابن عباس « والـزكاة الـطاعة والإخـلاص » ليس من باب التفسير اللفظي للآية وإنما أراد أن تزكية النفوس بالصدقة يوصلهـا إلى التحلي بطاعة الله عز وجل والإخلاص له.

قال ابن جريـر ﴿ **وتزكيهم بهـا** ﴾ يقول : وتنميهم وتـرفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها إلى منازل أهل الإخلاص(١).

وقوله « ونحوها كثير » يعني كثير ورود الـزكاة بهـذا المعنى، وذلك مثل قوله تعالى ﴿ **قد أفلح من زكاهـا** ﴾ (الشمس/٩) يعني طهر نفسـه من الإثم بـطاعة الله تعـالى، وقولـه تعالى ﴿ **ألم تـر إلى الذين يـزكون أنفسهم بـل الله يزكي من يشـاء** ﴾ (النسـاء/٤٩) وقـولـه تعـالى ﴿ **كـما أرسلنا منكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم** ﴾ (البقرة/١٥١) وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم.

---

(١) تفسير الطبري ١١/١٦.

٩ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ (التوبة/١١٤).

(١٦٤) قال الإمام عبد الرزاق الصنعاني : أخبرنا ابن عيينة عن أبي سنان عن سعيد بن جبير قال : توفي أبو رجل وكان يهودياً فلم يتبعه ابنه فذكر ذلك لابن عباس، فقال ابن عباس وما عليه لو غسله واتبعه واستغفر له ما دام حياً ـ يقول دعا له ما كان الأب حياً ـ قال : ثم قرأ ابن عباس **﴿ فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴾** يقول : لما مات على كفره[١].

بيان الإسناد :ـ

١ ـ ابن عيينة هو الإمام أبو محمد سفيان بن عيينة، وهو ثقة إمام فقيه حجة، وقد تقدمت ترجمته[٢].

٢ ـ أبو سنان هو ضرار بن مرة الكوفي الشيباني الأكبر، وهو ثقة ثبت، من الطبقة السادسة، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، أخرج له

---

(١) مصنف عبد الرزاق، وكتاب أهل الكتاب (٦/ ٤٠ رقم ٩٩٣٧).

(٢) انظر الحديث رقم (١٧).

الإمام البخاري في الأدب المفرد ومسلم وأبو داود في مراسيله والترمذي والنسائي[1].

٣ ـ سعيد بن جبير ثقة ثبت كما تقدم[2].

وقد سمع هؤلاء الرجال بعضهم من بعض[3].

فالحديث صحيح بهذا الإسناد

وأخرجه ابن جرير من طريقين عن أبي سنان الشيباني عن سعيد بن جبير . . وذكر نحوه[4].

بيان المعنى :ـ

في هذا الأثر يبين ابن عباس رضي الله عنهما جواز الدعاء للكافر ما دام حياً على أمل أن يهتدي فيختم له بالسعادة أما بعد الموت فإنه يصبح من أهل النار المخلدين فيها فلا ينفعه الاستغفار له .

وقد فسر ابن عباس قوله تعالى ﴿ **فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه** ﴾ بقوله « يقول : لما مات على كفره » أي أنه لما كان حياً كان هناك أمل في هدايته أما بعد موته فلا أمل في ذلك لأنه قد خرج من دار التكليف إلى دار الجزاء .

والمراد بالعداوة في الآية على هذا العداوة الأبدية التي تبينت بموت والد إبراهيم عليه السلام على الكفر إذ أن الكافر عدو لله حتى وهو على قيد الحياة ولكن لا يتبين كونه ممن كتبت عليه الشقاوة واستمرار العداوة لله إلا بعد موته على الكفر .

---

(١) التقريب ١/٣٧٤ رقم ٢٢ ، الكاشف ٢/٣٧، الخلاصة/١٧٧ .

(٢) انظر الحديث رقم (١١) .

(٣) انظر تهذيب التهذيب ٤/١١٧ رقم ٢٠٥ ، ٤٥٧ رقم ٧٨٩ .

(٤) تفسير الطبري ١١/١٤

١٠ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين. ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون. وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾
(التوبة/ ١٢٠ ـ ١٢٢).

* * *

(١٦٥) قال الإمام أبو داود السجستاني : حدثنا أحمد بن محمد المروزي حدثني علي بن الحسين عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال : ﴿ **إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً** ﴾ ﴿ **وما كان لأهل المدينة** ﴾ إلى قوله ﴿ **يعلمون** ﴾ نسختها الآية التي تليها ﴿ **وما كان**

المؤمنون لينفروا كافة ﴾[1].

بيان الإسناد :

تقدم الكلام على رجال هذا الإسناد، وفيه علي بن الحسين بن واقد المروزي وهو صدوق يهم[2]، فالحديث بهذا السند محتمل للضعف لاحتمال وقوع الوهم فيه.

وقد روى هذا الأثر من كلام الحسن البصري وعكرمة أخرجه ابن جرير الطبري قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري . . . وذكر مثله.

وهذا الإسناد ليس فيه علي بن الحسين وإنما يرويه عن الحسين بن واقد أبو تُمَيْلة يحيى بن واضح المروزي وهو ثقة كما تقدم[3].

وبمخالفة علي بن الحسين بن واقد لمن هو أوثق منه تكون روايته ضعيفة، فيكون إسناد هذا الأثر ضعيفاً.

بيان المعنى :

يفهم من ظاهر قوله تعالى ﴿ **إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً** ﴾ وقوله ﴿ **ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله** ﴾ أن الخروج للجهاد واجب على المؤمنين جميعاً، وقد بين ابن عباس في هذا الأثر أن ذلك منسوخ بانتفاء مشروعية خروج المؤمنين جميعاً المستفاد من قوله تعالى ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة** ﴾. وقد تبين لنا ضعف هذا الأثر.

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في نسخ نفير العامة رقم ٢٥٠٥.

(٢) انظر الحديث رقم (١٣).

(٣) انظر الحديث رقم (١٦٠).

وقد جاء قوله تعالى ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة** ﴾ بعد قوله تعالى ﴿ **ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله** ﴾ فالظاهر من سياق هذه الآيات أن نهي المؤمنين عن الخروج جميعاً مبين للمقصود من الأمر به.

فالمعنى : وما صح ولا استقام للمؤمنين أن يخرجوا جميعاً للجهاد في سبيل الله لأن في ذلك تعطيلاً للعمران وتعريضاً للنساء والذرية للخطر من مداهمة الأعداء فهلا خرج من كل قبيلة طائفة مع النبي صلى الله عليه وسلم ليتفقهوا في الدين بما يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم وما يشاهدونه من سلوكه ومن إنزال النصر عليه وما يُجْرِيه الله على يديه من المعجزات فيبينوا ذلك لقومهم إذا رجعوا إليهم ويخوفوهم من عذاب الله ﴿ **لعلهم يحذرون** ﴾ فيقوى ايمانهم بالله تعالى ويقلعوا عما هم عليه من المعاصي !

« سورة يونس »

ماجاء في قوله تعالى

﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ (يونس/ ٢٤).

(١٦٦) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ فاختلط ﴾ فنبت بالماء من كل لون[١].

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ﴾ قال : اختلط فنبت بالماء من كل لون ﴿ مما يأكل الناس ﴾ كالحنطة والشعير وسائر حبوب

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة يونس.

الأرض والبقول والثمار، وما يأكله الأنعام والبهائم من الحشيش والمراعي[1].

بيان المعنى :

يبين الله سبحانه لنا في هذه الآية حقارة الحياة الدنيا وهَوَان أمرها بما فيها من جمال وزينة، حيث ضرب لنا المثل لهذه الحياة في إقبالها بما تحمله من بهاء وجمال ثم إدبارها فجأة وانقطاعها، بماء أنزله الله جلا وعلا من السماء على الأرض فأنبتت به نباتاً مختلفاً ألوانه، حتى إذا استوى هذا النبات على الأرض وأصبح بهيج النظر يرجى خيره ونفعه أرسل الله عليه آفة تهلكه وتقتلعه من جذوره حتى إذا نظر إليه الناظر لا يتصور أنه كان هناك بالأمس نبات بهيج المنظر زاهي الألوان.

والباء في قوله تعالى ﴿ **فاختلط به نبات الأرض** ﴾ سببية يعني فاختلط بسبب الماء نبات الأرض، كما جاء في قول ابن عباس « فنبت بالماء من كل لون ».

(١) تفسير الطبرى ١١/١٠١.

« ســورة هــود »(١١)

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه إله عليم بذات الصدور ﴾ (هود/٥).

(١٦٧) قال الإمام البخاري: حدثنا الحسن بن محمد بن صباح حدثنا حجاج قال قال ابن جريج أخبرني محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس يقرأ ﴿ ألا إنهم تثنوني صدورهم ﴾ قال سألته عنها فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم».

وفي رواية أخرى للبخاري عن عمرو بن دينار قال: قرأ ابن عباس ﴿ ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم ﴾ وقال غيره عن ابن عباس ﴿يستغشون ﴾ يغطون رءوسهم (١).

بيان المعنى:

قوله «سمع ابن عباس يقرأ ﴿ ألا إنهم تثنوني صدورهم ﴾

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم﴾ حديث رقم (٤٦٨١، ٤٦٨٢، ٤٦٨٣).

﴿ تثنوني ﴾ مضارع اثنونى كاحلولى فوزنه تَفْعَوعِل بتكرير العين وهو من أبنية المزيد الموضوعة للمبالغة، وهذه القراءة في معنى قراءة الجمهور إلا أن المبالغة ملحوظة فيها فيكون المعنى مثلاً: إلا أنهم تنحرف صدوهم انحرافاً بليغاً[1].

وقد بين ابن عباس في هذا الحديث أن الآية نزلت في أناس كانوا يستخفون عند قضاء الحاجة وعند مجامعة النساء حتى لا يفضوا بعوراتهم إلى السماء حياء من الله تعالى.

وبناء على هذا تكون هذه الآية قد نزلت في المسلمين لأن الكفار لا يصدر منهم مثل هذا العمل غالباً.

(١٦٨) وقد روى عن ابن عباس في معنى الآية تفسير آخر وهو ما أخرجه ابن جرير قال: حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا محمد بن ثور عن معمر قال: أخبرت عن عكرمة أن ابن عباس قرأ ﴿ **ألا إنهم تثنوني صدورهم** ﴾ وقال ابن عباس ﴿ **تثنوني صدورهم** ﴾ الشك في الله وعمل السيئات ﴿ **يستغشون ثيابهم** ﴾ يستكبر أو يستكن من الله والله يراه ﴿ **يعلم ما يسرون وما يعلنون** ﴾[2] وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه[3].

---

(١) روح المعاني للألوسي ١١/٢١٠.
(٢) تفسير الطبري ١١/١٨٥.
(٣) بيان هذا الإسناد:

١ ـ محمد بن عبدالأعلى هو الصنعاني، وهو ثقة من الطبقة العاشرة (التقريب ٢/١٨٢ رقم ٤٣٤، الخلاصة/٢٤٧).
٢ ـ محمد بن ثور هو الصنعاني أبو عبدالله العابد، وهو ثقة من الطبقة التاسعة (التقريب ٢/١٤٩ رقم ٩٤، الكاشف ٣/٢٧).
٣ ـ معمر هو ابن راشد الأزدي، وهو ثقة تقدمت ترجمته (انظر ص ٢٠). =

وبناء على هذا القول تكون الآية نازلة في الكفار.

والقول الأول أرجح من حيث الإسناد حيث رواه الإمام البخاري، والقول الثاني أقرب إلى سياق الآية.

والظاهر أن ابن عباس لم يرد أن الآية نزلت بسبب هؤلاء الذين يستحيون من الإفضاء إلى السماء ولعله أراد أن هؤلاء الذين يسلكون هذا المسلك وهم يعتقدون أن الله لا يراهم يشبهون الكفار الذين نزلت فيهم الآية حيث كانوا يحنون صدورهم ويغطون رءوسهم بثيابهم ليستخفوا من الله حينما يسمعون كلامه الذي يشتمل على ردعهم وزجرهم.

ومما يدل على ذلك أن الإمام البخاري روى عن ابن عباس بعد هذا الحديث أنه فسر قوله تعالى ﴿ يستغشون ﴾ بقوله «يغطون رءوسهم» وهذا لا يكون في حال الاستخفاء عند قضاء الحاجة، وإنما يكون عند سماع الكلام الشديد الذي يشتمل على التأنيب والتقريع والتهديد.

= ٤ ـ عكرمة مولى ابن عباس وهو ثقة ثبت تقدمت ترجمته (انظر حديث رقم ٥).
فرجال هذا الإسناد ثقات إلا أن فيه انقطاعا ما بين معمر وعكرمة حيث قال معمر «أخبرت عن عكرمة» ولم يبين من أخبره.

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ (هود/٧)

(١٦٩) أخرج عبدالرزاق عن معمر عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال: سألت ابن عباس عن قوله تعالى **﴿ وكان عرشه على الماء ﴾** قلت: على أي شيء كان الماء قبل أن يخلق شيء؟ قال: على متن الريح، قال ابن جريج قال سعيد بن جبير: فقال ابن عباس: فكان يصعد إلى السماء بخار كبخار الأنهار فاستصبر فعاد صبيراً، فذلك قوله **﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾**[١].

بيان الإسناد:

١ ـ معمر هو ابن راشد الأزدي وهو ثقة ثبت[٢].

٢ ـ الأعمش هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، وهو ثقة حافظ عارف بالقراءة ورع، لكنه يدلس، وهو من الطبقة الخامسة[٣].

---

(١) مصنف عبدالرزاق، كتاب الحج، باب بنيان الكعبة حديث رقم ٩٠٨٩.

(٢) انظر الحديث رقم (٨).

(٣) التقريب ١/٢٣١ رقم ٥٠٠، تذكرة الحفاظ ١/١٥٤، الخلاصة/١٥٥.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن تدليسه من النوع الذي لا يؤثر على روايته حيث ذكره من الطبقة الثانية من المدلسين وهم من احتمل الأئمة تدليسهم وأخرجوا لهم في الصحيح لإمامتهم وقلة تدليسهم في جنب ما رووا أو لأنهم لا يدلسون إلا عن ثقة[1].

٣ ـ المنهال بن عمرو الأسدي بالولاء الكوفي، صدوق ربما وهم، من الطبقة الخامسة[2].

٤ ـ وسعيد بن جبير ثقة ثبت[3].

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[4].

فرجال هذا الإسناد ثقات ما عدا المنهال بن عمرو فهو صدوق ربما أخطأ، ولكنه لم يخطىء في هذا الحديث لأن الإمام ابن جرير أخرجه بإسناد صحيح عن الأعمش عن سعيد بن جبير وليس بينهما المنهال بن عمرو، قال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبدالأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن الأعمش عن سعيد بن جبير قال سئل ابن عباس وذكر نحوه[5].

ورجال هذا الإسناد ثقات تقدمت تراجمهم[6] والأعمش قد سمع من سعيد بن جبير[7].

---

(١) طبقات المدلسين ص ٩.
(٢) التقريب ٢/٢٧٨ رقم ١٤٠٢.
(٣) انظر الحديث رقم (١١).
(٤) تهذيب التهذيب ١٠/٣١٩ رقم ٥٥٥، تهذيب الكمال (ترجمة معمر).
(٥) تفسير الطبري ١٢/٥.
(٦) انظر الحديث رقم (١١) و(١٦٨) و(١٦٩).
(٧) تهذيب التهذيب ٤/١٢.

وبناء على هذا يكون هذا الحديث صحيحاً.

بيان المعنى:

قوله «فكان يصعد إلى السماء بخار كبخار الأنهار فاستصبر فعاد صبيراً» قال ابن الاثير: الصبير سحاب أبيض متراكب متكاثف، يعني تكاثف البخار وتراكم فصار سحاباً[1].

---

(١) النهاية لابن الأثير (مادة صبر).

٣ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون ﴾ (هود/٢٢)

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ لا جرم ﴾[1] بلى. (١٧٠)

وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[2].

بيان المعنى:

قوله «﴿ لا جرم ﴾ بلى» يعني أن هذه الصيغة تستعمل للإثبات والتحقيق.

قال الفراء: لا جرم: كلمة كانت في الأصل بمنزلة: لابد أنك قائم ولا محالة أنك ذاهب، فجرت على ذلك وكثر استعمالهم إياها حتى صارت بمنزلة «حقاً» ألا ترى أن العرب تقول: لا جرم لآتينك، لا جرم قد أحسنت، وكذلك فسرها المفسرون بمعنى الحق، وأصلها

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة هود.

(٢) فتح الباري ٨/٣٤٨.

من جرمت أي كسبت الذنب وجرمته[1].

والضمير في قوله تعالى ﴿ **أنهم في الآخـرة هم الأخسرون** ﴾ يعود على الكفار المذكورين في الآيات السابقة.

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/٨.

٤ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ﴾ (هود/٢٧).

(١٧١) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما **﴿ بادي الرأي ﴾** ما ظهر لنا[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس[٢].

بيان المعنى :

المعنى : فقال الكبراء من قوم نوح الذين كفروا بدعوته **﴿ مانراك إلا بشراً مثلنا ﴾** فما الذي فضلك علينا حتى تكون رسولاً من الله إلينا وما نرى اتبعك إلا ضعفاؤنا وسفلتنا **﴿ بادي الرأي ﴾** أي ظاهر الرأي الذي يظهر لنا عند المقارنة بين من اتبعوك ومن خالفوك.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة هود.
(٢) تفسير الطبري ١٢/٢٨.

٥ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل ﴾ (هود/ ٤٠).

(١٧٢) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما **﴿ وفار التنور ﴾** نبع الماء[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى **﴿ حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور ﴾** قال: إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء فإنه هلاك قومك[٣].

بيان المعنى:

وعلى هذا التفسير المراد بالتنور في الآية التنور الذي يخبز فيه،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة هود.
(٢) تفسير الطبري ١٢/ ٤٠.
(٣) تفسير الطبري ١٢/ ٣٩.

فيكون الله سبحانه قد جعله علامة لنوح عليه السلام.

وقيل إن المراد بالتنور وجه الأرض وقيل هو تنوير الصبح وقيل هو أشرف الأرض وأعلاها، ذكر ذلك ابن جرير ورجح كون المراد تنور الخبز لأنه هو المشهور بهذا الاسم عند العرب والقرآن نزل بلغتهم[1].

---

(١) تفسير الطبري ١٢/٣٨ - ٤٠.

٦ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ **وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين** ﴾ (هود/٤٤).

(١٧٣) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ **اقلعي** ﴾أمسكي[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ **اقلعي** ﴾ : يقول: أمسكي ﴿ **وغيض الماء** ﴾ يقول: ذهب الماء[٢].

وقد نزلت هذه الآية ضمن آيات من سورة هود في شأن الطوفان الذي أهلك الله به قوم نوح لما كذبوا رسولهم نوحاً عليه السلام، حيث أمر الله سبحانه السماء فأمطرت وأمر الأرض ففجرت عيونها فالتقى ماء السماء وماء الأرض وأغرق الله الكافرين وأنجى نوحاً ومن معه في السفينة التي أمره الله بصنعها قبل ذلك.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة هود.
(٢) تفسير الطبري ١٢/٤٧.

ثم أمر الله سبحانه السماء فأمسكت وأمر الأرض فـابتلعت الماء في جوفها حتى جف الماء الذي فـوق الأرض واستوت السفينـة على جبـل يقـال له «الجـودي» كما أخـرج ابن جـريـر من طـريق العـوفي عن ابن عبـاس في قولـه تعالى ﴿ واستـوت على الجـودي ﴾ يقول: عـلى الجبل واسمه الجودي(١).

---

(١) تفسير الطبري ١٢/٤٨.

٧ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب. وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد. قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد. قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد. قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ﴾ (هود/٧٧ ـ ٨١).

(١٧٤) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ سيء بهم ﴾ ساء ظنه بقومه ﴿ وضاق بهم ﴾ بأضيافه ﴿ عصيب ﴾ شديد، ﴿ يهرعون ﴾ مسرعين ﴿ بقطع من الليل ﴾ بسواد[1].

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً ﴾

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة هود عليه السلام في المقدمة والباب الأول وسورة الحجر.

يقول: ساء ظناً بقومه وضاق ذرعاً بأضيافه ﴿ **وقال هذا يوم عصيب** ﴾ أي يوم شديد، وفي قوله ﴿ **يهرعون إليه** ﴾ يقول مسرعين، وفي قوله ﴿ **بقطع من الليل** ﴾ قال: بطائفة من الليل[1].

بيان المعنى:

قوله ﴿ **ولما جاءت رسلنا لوطاً** ﴾ المراد بالرسل الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى لإهلاك قوم لوط وكانوا على هيئة بشر فأراد بهم قومه شراً وسوءاً.

قوله تعالى ﴿ **وجاءه قومه يهرعون إليه** ﴾ قال ابن عباس: «مسرعين» وقال أبو عبيدة: أي يستحثون إليه[2] وقال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: وجاء لوطاً قومه يستحثون إليه يرعدون مع سرعة المشي مما بهم من طلب الفاحشة يقال: «أهرع الرجل» من برد أو غضب أو حمى إذا أرعد، «وهو مهرع» إذا كان معجلاً حريصاً كما قال الراجز:

بمعجلات نحوه مهارع

ومه قول مهلهل:

فجاؤوا يهرعون وهم أسارى ... نقودهم على رغم الأنوف[3]

قوله ﴿ **بقطع من الليل** ﴾ بسواد. قال ابن منظور: والقطع ظلمة آخر الليل، ومنه قوله تعالى ﴿ **فأسر بأهلك بقطع من الليل** ﴾ قال

---

(١) تفسير الطبري ١٢/٨١، ٨٤، ٩٣.

(٢) مجاز القرآن ١/٢٩٤.

(٣) تفسير الطبري ١٢/٨٣ لسان العرب (مادة هرع).

الأخفش: بسواد من الليل، قال الشاعر:

افتحي البـاب فـانـظري في النجـوم   كم علينـا من قـطع لـيـل بهيـم[1]

وقال الفراء: وقوله ﴿ **بقطع** ﴾ : بظلمة من آخر الليل[2].

---

(١) لسان العرب (مادة قطع).

(٢) معاني القرآن للفراء ٢ / ٢٤.

٨ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ **فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق** ﴾ (هود/ ١٠٦).

(١٧٥) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس ﴿ **زفير وشهيق** ﴾ صوت شديد وصوت ضعيف[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

بيان المعنى :

قوله ﴿ **لهم فيها زفير وشهيق** ﴾قيل إن الزفير إخراج النفس والشهيق رده، وقال الزجاج : الزفير والشهيق من أصوات المكروبين، قال : والزفير من شديد الأنين وقبيحه، والشهيق الأنين الشديد المرتفع جداً[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق. باب رقم (١٠).
وكتاب التفسير، سورة هود باب رقم (٥).

(٢) تفسير الطبري ١٢/١١٦.

(٣) لسان العرب (مادة شهق).

وعلى هذا فقول ابن عباس: «صوت شديد» يقصد به الشهيق، وقوله «وصوت ضعيف» يقصد به الزفير.

وقال الراغب الأصفهاني: فالزفير تردد النفس حتى تنتفخ الضلوع منه، وازدفر فلان كذا إذا تحمله بمشقة فتردد فيه نفسه، وقبل للإماء الحاملات للماء زوافر[1].

---

(١) مفردات الراغب الأصفهاني (مادة زفر).

« ســـورة يوســـف »[١٢]

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون ﴾ (يوسف/ ٩٤).

* * *

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿ **تفندون** ﴾ تجهلون[١]. (١٧٦)

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

بيان المعنى:

قوله تعالى ﴿ **ولما فصلت العير** ﴾ يعني ولما خرجت القافلة التي تحمل إخوة يوسف عليه السلام من عند يوسف في مصر ﴿ **قال أبوهم** ﴾ هو يعقوب عليه السلام وهو في الشام ﴿ **إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون** ﴾ يعني لولا أن تنسبوني إلى الجهل وضعف

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة يوسف عليه السلام.

(٢) تفسير الطبري ١٢/ ٩٥.

الرأي لصدقتموني فيما أقول لكم، فجواب لولا محذوف دل عليه سياق الكلام.

والفند يطلق على الفساد كما في قوله النابغة:

إلا سليمان إذ قال الإله له   قم في البرية فاحددها عن الفند

ويطلق على ضعف الرأي والجهل والخرف من الكبر[1].

وقال الفراء في معنى قوله ﴿ **لولا أن تفندون** ﴾ يقول: تكذبون وتعجزون وتضعفون[2].

---

(١) تفسير الطبري ١٣/٦١، تفسير الالوسى ١٣/٥٣، لسان العرب (مادة فند).
(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٥٥.

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴾ (يوسف/ ١١٠).

* * *

(١٧٧) قال الإمام البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام عن ابن جريج قال سمعت ابن أبي مليكة يقول قال ابن عباس رضي الله عنهما: **﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا ﴾** خفيفة، ذهب بها هناك وتلا **﴿ حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾** فلقيت عروة بن الزبير فذكرت له ذلك»[١]

بيان المعنى:

قوله «**﴿ وظنوا أنهم قد كذبوا ﴾** خفيفة» أي قرأها بتخفيف الذال وهي قراءة أبي جعفر والكوفيين وقرأ الباقون بالتشديد[٢].

قوله في رواية البخاري «ذهب بها هناك وتلا **﴿ حتى يقول**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة يوسف، حديث رقم ٤٥٢٤.

(٢) النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٩٦.

الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ﴾ الإشارة في قوله «هناك» تعود إلى السماء كما جاء في رواية أخرى أخرجها النسائي والإسماعيلي من هذا الوجه بلفظ «ذهب ههنا ـ وأشار إلى السماء ـ وتلا ﴿ **حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله** ﴾»[1] وما أبهم في هذه الرواية جاء مصرحاً به في رواية الطبري عن ابن جريج قال أخبرني ابن أبي مليكة عن ابن عباس قرأ ﴿ **وظنوا أنهم قد كذبوا** ﴾ خفيفة، قال ابن جريج: أقول كما يقول: أخلفوا، قال عبدالله ـ يعني ابن أبي مليكة ـ قال لي ابن عباس: كانوا بشراً، وتلا ابن عباس ﴿ **حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب** ﴾ قال ابن جريج: قال ابن أبي مليكة: ذهب بها إلى أنهم ضعفوا فظنوا أنهم أخلفوا[2].

وعلى هذا التفسير فالضمير في قوله تعالى ﴿ **وظنوا** ﴾ يحتمل أن يعود على الرسل وأن يعود على أتباع الرسل من المؤمنين وهذا هو الظاهر لأنه لا يجوز على الرسل أن يظنوا أن الله يخلف وعده، وإنما قد يحصل الضعف من بعض المؤمنين.

وقد روى عن ابن عباس ما يدل على أن الضمير في الآية يعود على الكفار من أتباع الرسل، من ذلك ما أخرجه ابن جرير من طرق كثيرة عن سعيد بن جبير وعمران بن الحارث السلمى وعلي بن أبي طلحة وغيرهم عن ابن عباس أنه قال: أيس الرسل من قومهم أن يصدقوهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم[3].

---

(١) فتح الباري ٨/٣٦٨.
(٢) تفسير الطبري ١٣/٨٦.
(٣) تفسير الطبري ١٣/٨٤ ـ ٨٥.

وقد ذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» وصححه[1].

وقد اختار ابن جرير القول بأن الضمير في قوله ﴿ **وظنوا** ﴾ يعود على الكفار من الأمم السابقة واستدل على ذلك بأن هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** ﴾ قال: فكان ذلك دليلاً على أن اياس الرسل كان من إيمان قومهم الذين أهلكوا وأن المضمر في قوله ﴿ **وظنوا أنهم قد كذبوا** ﴾ إنما هو من ذكر من الذين من قبلهم من الأمم السابقة وزاد ذلك وضوحاً أيضاً اتباع الله في سياق الخبر عن الرسل وأممهم قوله ﴿ **فنجي من نشاء** ﴾ إذ الذين أهلكوا هم الذين ظنوا أن الرسل قد كذبتهم فكذَّبوهم ظناً منهم أنهم قد كذَبوهم[2].

وقال الحافظ ابن حجر في شرح رواية البخاري: ولا يظن بابن عباس أنه يجوز على الرسول أن نفسه تحدثه بأن الله يخلف وعده بل الذي يظن بابن عباس أنه أراد بقوله «كانوا بشراً» إلى آخر كلامه من آمن من أتباع الرسل لا نفس الرسل وقول الراوي عنه «ذهب بها هناك أي إلى السماء» معناه أن أتباع الرسل ظنوا أن ما وعدهم به الرسل على لسان الملك تخلف ولا مانع أن يقع ذلك في خواطر بعض الأتباع[3].

ثم ذكر الرواية الأخيرة عن ابن عباس التي تنسب الظن إلى أقوام

---

(١) فتح الباري ٨/ ٣٦٩.

(٢) تفسير الطبري ١٣/ ٨٥.

(٣) فتح الباري ٨/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩.

الرسل وقال: فليكن هو المعتمد في تأويل ما جاء عن ابن عباس في ذلك وهو أعلم بمراد نفسه من غيره[1].

أقول والرواية الأولى التي أخرجها الإمام البخاري عن ابن عباس مبهمة لم يبين فيها مرجع الضمائر في الآية أما الرواية الأخيرة التي أخرجها ابن جرير فهي واضحة حيث بين فيها مرجع الضمائر ونوع التكذيب فهي المعتمدة في بيان تفسير ابن عباس، وكلتا الروايتين قد نقلتا نقلاً صحيحاً.

أما رواية ابن جريج التي أخرجها ابن جرير فيحمل قوله ابن عباس فيها «كانوا بشراً» الخ على أتباع الرسل من المؤمنين لا على الرسل كما ذكر ابن حجر.

---

(١) فتح الباري ٨/٣٦٩.

« سـورة الرعـد »(١٣)

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ﴾ (الرعد/٧).

* * *

قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ **هاد** ﴾ داع[1]. (١٧٨)

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[2].

بيان المعنى :

قوله ﴿ **ولكل قوم هاد** ﴾ المراد بالهداية هنا الدلالة إلى الخير والدعوة إلى الطريق المستقيم.

واصل الهداية التقدم ومنه قيل للعنق هادي لتقدمه على سائر الجسد وهوادي الوحش متقدماتها الهادية لغيرها ويقال للدليل : الهادي لأنه يتقدم القوم[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة إبراهيم عليه السلام.

(٢) تفسير الطبري ١٣/١٠٨.

(٣) لسان العرب، المفردات في غريب القرآن، مقاييس اللغة (مادة هدى).

والهادي يحتمل أن يكون المراد به النبي صلى الله عليه وسلم فيكون المعنى إنما أنت منذر وداع لجميع الأقوام تدعوهم إلى الله عز وجل ويحتمل أن يكون المراد بالهادي كل نبي أرسله الله تعالى فيكون المعنى إنما أنت منذر لهذه الأمة، ولكل قوم من الأمم السابقة نبي يدعوهم إلى الله عز وجل[1].

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٣/١٠٦.

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ لـه دعوة الحق والـذين يـدعـون من دونـه لا يستجيبـون لهم بشيء الإكباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ﴾ (الرعد/١٤).

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: **﴿ كبـاسط** (١٧٩)
كفيه ﴾ مثل المشرك الذي عبد مع الله إلهاً غيره كمثل العـطشان الـذي ينظر إلى ظل خياله في الماء من بعيد وهو يريد أن يتناوله ولا يقدر[١].

وأخرجه ابن جرير الـطبري من طريق عـلي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

بيان المعنى:

يبين ابن عباس في هذا الحديث أن مثل من يعبد الأوثان من دون الله وهي لا تمد يدها لعابديها بنفع ولا تدفـع عنهم أي ضرر كمثل من يمد يديه إلى خياله في الماء ليتناوله ولا يستطيع ذلك.

وقد روى عن ابن عباس في بيان معنى المثل في الآية قول آخر وهو

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الرعد.
(٢) تفسير الطبري ١٣/١٣٠.

ما أخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس أنـه قال في هـذه الآية: يقول: مثل الأوثان الذين يعبدون من دون الله كمثل رجل قـد بلغه العطش حتى كربه الموت وكفَّاه في الماء قد وضعهما لا يبلغان فـاه، يقـول الله: لا تستجيب الآلهة ولا تنفـع الذين يعبـدونها حتى يبلغ كفَّا هذا فاه وما هما ببالغتين فاه أبداً.

وهذا القول أقرب إلى ظاهر الآية لأن الله جـل وعلا ذكـر في هذا المثل الذي ضربه لبيان عجز الأصنام عن نفع عابـديها أن الـذي بسط يديه إلى الماء أراد من ذلك أن يـرتفع المـاء حتى يبلغ فاه، وهـذا المعنى ينطبق على ما جاء في الرواية الثانية ولا ينطبق على الرواية الأولى.

وقـد روى عن علي رضي الله عنـه تفسير الآيـة بنحـو مـا جـاء في الرواية الثانية حيث قال في تفسير الآية: كالرجل العطشان يمـد يده إلى البئر ليرتفع الماء إليه وما هو ببالغه. أخرجه ابن جرير.

وأخرج نحو ذلك عن مجاهد وقتادة(١).

وقوله تعالى ﴿ **له دعوة الحق** ﴾ هي كلمة التـوحيد لا إلـه إلا الله كما فسرها بذلك ابن عباس رضي الله عنهما.

أخرجه ابن جرير عنـه من طريق عكـرمة ومن طـريق علي بن أبي طلحة(٢).

---

(١) تفسير الطبري ١٣/١٢٩ ـ ١٣٠.
(٢) تفسير الطبري ١٣/١٢٨.

« ســورة إبراهــيم »(١٤)

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ **ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار** ﴾ (إبراهيم/٢٨ ـ ٢٩).

(١٨٠) قال الإمام البخاري: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ **الذين بدلوا نعمة الله كفراً** ﴾ قال: هم والله كفار قريش[١].

بيان المعنى:

قوله تعالى ﴿ **ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً** ﴾ المراد بنعمة الله ما أنعم به عليهم من إرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم يدعوهم إلى الطريق المستقيم.

وقد بين ابن عباس في هذا الحديث أن المراد بالذين بدلوا نعمة الله كفراً كفار قريش، وقد جاء في بعض الروايات التي أخرجها الطبري من طريق عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قال: هم المشركون من أهل بدر[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة بدر، حديث رقم ٣٩٧٧.
(٢) تفسير الطبري ١٣/٢٢٢.

أقول والمراد بهم قادتهم وزعماؤهم لأنهم هم الـذين أوردوا قومهم موارد الهلاك حيث صدوهم عن الدخول في الإسلام.

وقد أخرج ابن جـرير من طـريق العوفي عن ابن عبـاس أن المراد بالذين بدلوا نعمة الله كفراً «جَبَلَةُ بن الأيهم» والذين اتبعوه من العرب فلحقوا بالروم[1].

وهذا الإسناد ضعيف كما تقدم فيقدم عليه ما جاء في الصحيح.

هذا من ناحية الإسناد، أمـا من ناحيـة المتن فهذا الأثـر باطـل لا يعتـبر لأن التـاريـخ يثبت أن جبلة بن الأيهم آخـر ملوك الغسـاسنـة لم يسلم إلا في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد كان مع الروم في معركة اليرموك، ثم أسلم وارتد عن الإسلام ولحق بالروم في عهد عمر رضي الله عنه، وذلك حينما لطم رجلاً فأراد عمر أن يقيد ذلك الرجـل منه فأخذته العزة وداخله الشك فارتد عن الإسلام[2].

وقوله تعالى ﴿ **وأحلوا قومهم دار البـوار** ﴾ البوار الهـلاك من بار يبـور بوراً وبـواراً[3] والمراد بـدار البوار جهنم لقـوله تعـالى بعد ذلـك ﴿ **جهنم يصلونها وبئس القرار** ﴾.

---

(١) تفسير الطبري ١٣/ ٢٢٣.
(٢) أنظر فتوح البلدان للبلاذري ١٤١ و١٤٢ وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٢٨١.
(٣) لسان العرب، مادة (بور).

« ســورة الحجـر »(١٥)

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ولقـد علمنـا المستقـدمين منكم ولقـد علمنـا المستـأخـرين ﴾ (الحجر/٢٤).

(١٨١) قال الإمام الترمذي: حدثنا قتيبة أخبرنا نوح بن قيس الحُدَائي عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: «كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حسناء من أحسن الناس، وكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطه فأنزل الله تعالى ﴿ **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين** ﴾[1]

* * *

بيان الإسناد:

١ ـ قتيبة هو ابن سعيد بن جميل البغلاني، وهو ثقة ثبت تقدمت ترجمته.

---

(١) سنن الترمذي، رقم ٥١٢٨، كتاب التفسير، سورة الحجر.

٢ ـ نوح بن قيس بن رباح الأزدي أبو روح البصري صدوق رمي بالتشيع وهو من الطبقة الثامنة، مات سنة ثلاث أو أربع وثمانين ومائة أخرج له الإمام مسلم والأربعة(١).

٣ ـ عمرو بن مالك النُّكْرِي بضم النون البصري، صدوق له أوهام من الطبقة السابعة مات سنة تسع وعشرين ومائة، روى له البخاري في أفعال العباد والأربعة(٢).

٤ ـ أبو الجوزاء هو أوس بن عبدالله الربعي بفتح الباء ثقة يرسل كثيراً من الطبقة الثالثة مات سنة ثلاث وثمانين ومائة(٣).

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض(٤).

لكنه ضعيف لأن فيه عمرو بن مالك النكري وقد اتهم بالوهم في الحديث، ونقل الحافظ ابن حجر في ترجمة أبي الجوزاء شيخ عمرو بن مالك عن ابن عدي قال: حدث عنه عمرو بن مالك قدر عشرة أحاديث غير محفوظة(٥).

وقد أخرج هذا الحديث الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه وأبو داود الطيالسي وابن حبان والحاكم والبيهقي كلهم من طريق نوح بن

---

(١) التقريب ٢/٣٠٨، رقم ١٦٨.
(٢) التقريب ٢/٧٧، الميزان ٤/٢٧٩.
(٣) التقريب ١/٨٦ رقم ٦٥٦، الكاشف ١/١٤٢.
(٤) تهذيب التهذيب ٨/٣٥٨ رقم ٦٣٩، ١٠/٤٨٥ رقم ٨٧٥، ٨/٩٦ رقم ١٥٤، ١/٣٨٣ رقم ٧٠٢.
(٥) تهذيب التهذيب ١/٣٨٤.

قيس الحُدَائي عن عمرو بن مالك النكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس(١).

وقال الإمام الترمذي بعد رواية هذا الحديث: وروى جعفر بن سليمان هذا الحديث عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح.

أقول: وقد أخرج الطبري هذا الحديث من طريق عبدالرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمان قال أخبرني عمرو بن مالك قال سمعت أبا الجوزاء يقول في قوله الله ﴿ **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين** ﴾ قال: المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة والمستأخرين(٢).

(١٨٢) وقد روى عن ابن عباس في الآية تفسير آخر وهو ما أخرجه الإمام ابن جرير قال: حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة: قوله ﴿ **ولقد علمنا المستقدمين منكم** ﴾ قال: كان ابن عباس يقول: آدم صلى الله عليه وسلم ومن مضى من ذريته ﴿ **ولقد علمنا المستأخرين** ﴾ من بقى في اصلاب الرجال. (٣)

---

(١) مسند الإمام أحمد ١/٣٠٥.
سنن النسائي ٢/١١٨.
كتاب الإمامة، باب المنفرد خلف الصف.
سنن ابن ماجه رقم ١٠٤٦ كتاب إقامة الصلاة، باب الخشوع.
مسند الطيالسى ٢/٢٠ رقم ١٩٦٠
موارد الظمآن، كتاب التفسير رقم ١٧٤٩.
المستدرك ٢/٣٥٣، كتاب التفسير، سورة الحجر.
سنن البيهقي ٣/٩٨، كتاب الصلاة، باب الرجل يقف في آخر الصفوف.
(٢) تفسير الطبري ١٤/٢٦.
(٣) تفسير الطبري ١٤/٢٤.

وإسنـاده ضعيف لانقـطاعـه حيث لم يسمـع قتـادة مـن ابن عباس (١).

ولكن معنـاه مناسب لسيـاق الآيات لأن الله جـل وعلا قـال قبل هذه الآية ﴿ **وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثـون** ﴾ وقال بعـدها ﴿ **وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم** ﴾ فكونه جل وعلا هو الذي يحيي خلقـه ويميتهم وهو الآخـر الـذي يبقى بعـدمـا تفنى الخـلائق ثم يحشرهم جميعاً يستلزم أن يكون عالماً بالأولين والآخـرين فجميع الخلق خاضعون لسنة الإحياء والإماتة ثم الحشر بعد ذلك لأنه تعالى عالم بهم جميعاً لا تخفى عليه خافية.

فهذا هو المعنى المناسب لسياق الآيات أما المعنى المذكور في حديث الباب فمع أنه مما يستبعد وقوعه في عصر النبي ى الله عليه وسلم فهـو بعيد عن سياق الآيات.

---

(١) بيان هذا الإسناد:

١ ـ بشر هو ابن معاذ العقدي وهو صدوق من الطبقـة العاشرة (التقـريب ١/١٠١ رقم ٧٤).

٢ ـ ويزيد هو ابن زريع وهو ثقة ثبت مضى في الحديث رقم ٤٩.

٣ ـ وسعيد هو ابن أبي عروبة وهو ثقة حافظ مضى في الحديث رقم ١١.

٤ ـ وقتادة هو السدوسي وهو ثقة ثبت مضى في الحديث رقم ١١.

وهذا الإسناد متصـل إلى قتادة (انـظر سماع هؤلاء الـرواية بعضهم من بعض في تهـذيب التهـذيب ١/٤٥٨ رقم ٨٤٣، ١١/٣٢٥ رقم ٧٢٦، إلا أن قتـادة لم يسمـع من ابن عباس، انظر تهذيب ٨/٣٥١ رقم ٦٣٥).

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون ﴾ الحجر/٦١ ـ ٦٢).

* * *

(١٨٣) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ قوم منكرون ﴾ أنكرهم لوط[١].

وقال الحافظ ابن حجر: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

وقوله «أنكرهم لوط» أي لم يعرف لوط عليه السلام أن الذين نزلوا عليه من الملائكة لكونهم جاءوا في صورة البشر.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الحجر.

(٢) فتح الباري ٨/ ٣٧٩.

٣ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾ (الحجر/٧٢).

* * *

(١٨٤) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ **لعمرك** ﴾ لعيشك[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ **لعمرك** ﴾ يقول لعيشك ﴿ **إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾ قال: يتمادون[٢].

وأخرجه أبو يعلى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل ﴿ **لعمرك** ﴾ قال: لحياتك. ذكره الهيثمي وقال: إسناده جيد[٣].

بيان المعنى:

هذه الآية جاءت ضمن آيات تتحدث عن قوم لوط عليه السلام

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الحجر.
(٢) تفسير الطبرى ١٤/٢٤.
(٣) مجمع الزوائد ٧/٤٦.

والخطاب في قوله تعالى ﴿ **لعمرك** ﴾ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومما يدل على ذلك ما أخرجه ابن جرير من طريق أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال الله تعالى ذكره ﴿ **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾[١].

وأخرجه الحارث بن أبي اسامة في مسنده[٢].

وقوله ﴿ **لفي سكرتهم** ﴾ قال قتادة: أي في ضلالتهم[٣] يعني وهم في ضلالتهم وغوايتهم التي أذهبت عقولهم فلم يدركوا الحق الذي دعاهم إليه نبيهم لوط عليه السلام حتى داهمهم العذاب وهم غافلون عما يراد بهم.

وقوله ﴿ **يعمهون** ﴾ العمه هو الحيرة والتردد، والعمه في البصيرة كالعمى في البصر[٤]، وفسره ابن عباس بالتمادي لأن مما يترتب على الحيرة وعمى البصيرة التمادي في الضلال والغواية.

---

(١) تفسير الطبري ١٤/٤٤.

(٢) المطالب العالية رقم ٣٦٦٣.

(٣) تفسير الطبري ١٤/٤٤.

(٤) لسان العرب مادة (عمه).

٤ - ما جاء في قوله تعالى

﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾ (الحجر/٨٧).

* * *

(١٨٥) قال الإمام النسائي: أخبرني محمد بن قدامة قال حدثنا جرير عن الأعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أوتي النبي صلى الله عليه وسلم سبعاً من المثاني، السبع الطوال[١]

بيان الإسناد:

١ - محمد بن قدامة بن اعين المصيص الهاشمي بالولاء، ثقة من الطبقة العاشرة، مات سنة خمسين ومائتين تقريباً. أخرج له أبو داود والنسائي[٢].

٢ - جرير هو ابن عبدالحميد الضبي، وهو ثقة صحيح الكتاب وقيل كان في آخر عمره يهم إذا حدث من حفظه[٣].

---

(١) سنن النسائي، كتاب الافتتاح، باب تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾ ٢/١٣٩.

(٢) التقريب ٢/٢٠١ رقم ٦٣٥، الكاشف ٣/٩٠، الخلاصة/ ٣٥٦.

(٣) انظر الحديث رقم ٢٢.

٣ ـ والأعمش هو سليمان بن مهران وهو ثقة حافظ لكنه يدلس ولكن تدليسه من النوع الذي لا يؤثر على صحة روايته كما تقدم[١].

٤ ـ ومسلم هو ابن عمران البطين أبو عبدالله الكوفي، وهو ثقة من الطبقة السادسة، أخرج له الجماعة[٢].

٥ ـ وسعيد بن جبير ثقة ثبت[٣].

فهؤلاء الرواة ثقات وقد سمع بعضهم من بعض[٤]وعلى هذا فالإسناد صحيح وصححه الحافظ ابن حجر[٥].

وأخرجه الإمام أبو داود السجستاني من طريق عثمان بن أبي شيبة بهذا الإسناد وذكر مثله. وزاد «وأوتي موسى عليه السلام ستاً فلما ألقى الألواح رفعت اثنتان وبقي أربع»[٦].

وأخرجه الإمام النسائي أيضاً من طريق أبي إسحاق السبيعي عن مسلم البطين بهذا الإسناد وذكر مثل الرواية الأولى[٧].

بيان المعنى:

من هذه الرواية تبين لنا أن السبع المثاني في الآية هي السور السبع الطوال ولم يبين الراوي في هذه الآية المراد بالسبع الطوال ولكن جاء

---

(١) أنظر الحديث رقم ١٦٩.

(٢) التقريب ٢/٢٤٦ رقم ١٠٩٤.

(٣) انظر الحديث رقم ١١.

(٤) تهذيب التهذيب ٩/٤٠٩ رقم ٦٦٥، ٢/٧٥ رقم ١١٦، ١٠/١٣٤ رقم ٢٤٤

(٥) فتح الباري ٨/١٥٨.

(٦) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب رقم ٣٥١، حديث رقم ١٤٥٩.

(٧) سنن النسائي، كتاب الافتتاح، باب تأويل قوله تعالى **﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني﴾** ٢/١٤٠.

بيانها في رواية الحاكم من طريق أبي إسحاق السبيعي عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **ولقد آتيناك سبعاً من المثاني** ﴾ قال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف وسورة الكهف.

ثم قال «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي(١).

وأخرجه الطبراني كذلك عن ابن عباس ذكره الحافظ الهيثمى وقال: ورجاله رجال الصحيح(٢).

وقد روى عن ابن عباس في تفسير الآية قول آخر وهو ما أخرجه أبو عبدالله الحاكم من طريق ابن جريج قال: أخبرني أبي أن سعيد بن جبير أخبره قال ﴿ **ولقد آتيناك سبعاً من المثاني** ﴾ قال: هي أم القرآن، قال أبي: وقرأ على سعيد بن جبير (بسم الله الرحمن الرحيم) الآية السابعة، قال سعيد بن جبير: وقرأها على ابن عباس كما قرأتها عليك، ثم قال: (بسم الله الرحمن الرحيم) الآية السابعة قال ابن عباس: فأخرجها الله لكم وما أخرجها لأحد قبلكم.

ثم قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي(٣).

وأخرجه الإمام الشافعي في مسنده والبيهقي في سننه(٤).

---

(١) المستدرك ٢/٣٥٥ كتاب التفسير.
(٢) مجمع الزوائد ٧/٤٦ كتاب التفسير.
(٣) المستدرك كتاب فضائل القرآن ١/٥٥٠.
(٤) بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن ص ٧٤، سنن البيهقي كتاب الصلاة باب الدليل على أن البسملة آية ٢/٤٤، ٤٥.

وأخرجه الحاكم أيضاً من طريق آخر عن ابن جريج عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ **ولقد آتيناك سبعاً من المثاني** ﴾ قال: فاتحة الكتاب، ثم قال (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين) فقلت لأبي: لقد أخبرك سعيد أن ابن عباس قال: بسم الله الرحمن الرحيم آية قال: نعم.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي على تصحيحه[١].

فعلى هذا التفسير يكون المراد بالسبع المثاني فاتحة الكتاب، وتكون البسملة آية منها، وهذا التفسير أرجح لما أخرجه الإمام البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ألم يقل الله ﴿ **استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم** ﴾ (الأنفال/٢٤)؟ ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدى فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته[٢].

ومما يرجح هذا التفسير أيضاً أن بعض السور الطوال لم تنزل الا في المدينة وهذه الآية من سورة الحجر وهي مكية وقد يكون البعض الآخر نزل بعدها في مكة كما أخرج ابن جرير من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية في قوله الله تعالى ﴿ **ولقد آتيناك**

---

(١) المستدرك ٢/٢٥٧ كتاب التفسير.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، رقم ٤٤٧٤ و٤٧٠٣.

سبعاً من المثاني ﴾ قال: فاتحة الكتاب ـ سبع آيات، قلت للربيع: إنهم يقولون السبع الطوال فقال: لقد أنزلت هذه وما أنزل من الطوال شيء[1].

وقد قيل إن سبب تسمية الفاتحة «مثاني» هو كونها تثنى في كل ركعة من الصلاة أي تكرر وتعاد، وقد روى ذلك عن الحسن البصري وقتادة[2].

---

(١) تفسير الطبري ١٤/ ٥٥.
(٢) تفسير الطبري ١٤/ ٥٦.

٥ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وقل إني أنا النذير المبين. كما أنـزلنا عـلى المقتسمين. الـذين جعلوا القـرآن عضـين. فـوربـك لنسـألنهم أجمعـين عـما كـانـوا يعملون ﴾ (الحجر/ ٨٩ ـ ٩٣)

(١٨٦) قال الإمام البخـاري: حدثنـا يعقوب بن ابـراهيم حدثنـا هشيم أخـبرنـا أبـو بشر عن سعيـد بن جبـير عن ابن عبـاس رضي الله عنهـما ﴿ الـذين جعلوا القرآن عضـين ﴾ قال: هم أهـل الكتـاب، جـزءوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه.

وفي روايـة أخرى للبخـاري عن أبي ظبيان عن ابن عبـاس رضي الله عنهـما ﴿ كما أنـزلنا عـلى المقتسمين ﴾ قـال: آمنـوا ببعض وكفـروا ببعض: اليهود والنصارى[١].

وأخرجه الـطبري والحاكم كـما أخرجـه الطبراني في الأوسط ذكـره الهيثمي[٢].

---

(١) صحيـح البخاري رقم ٤٧٠٥، ٤٧٠٦، كتـاب التفسير بـاب قولـه: ﴿ الـذين جعلوا القرآن عضين ﴾ ورقم ٣٩٤٥ كتاب مناقب الأنصـار باب إتيـان اليهود النبي صـلى الله عليه وسلم.

(٢) المستدرك ٢/ ٣٥٥، كتاب التفسير سورة الحجر
مجمع الزوائد ٧/ ٤٦ كتاب التفسير تفسير الطبري ١٤/ ٦٢.

بيان المعنى:

من تفسير ابن عباس السابق الذي أخرجه الإمام البخاري تبين لنا أن المراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وأن معنى اقتسامهم أنهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه.

وقد روى عن ابن عباس في بيان المراد بالمقتسمين قول آخر وهو ما أخرجه محمد بن إسحاق وابن أبي حاتم وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سِنٍّ فيهم، وقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، فقالوا: أنت فقل وأقم لنا به رأياً نقول به، قال: لا بل أنتم قولوا لأسمع، قالوا: نقول كاهن، قال: ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكهان[1] ولا بسجعهم، قالوا: فنقول مجنون، قال: ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا تخالجه[2] ولا وسوسته، قالوا: فنقول شاعر، قال: ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه، وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر، قالوا: فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا بعقده، قالوا: فماذا نقول؟ قال: والله إن لقوله حلاوة وإن عليه طلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناء فما أنتم بقائلين من هذا

---

(١) الزمزمة الكلام من غير تحريك الشفتين واللسان بحيث يكون الفم مطبقاً ومنه زمزمة الأعاجم وهي تراطنهم عند الأكل وهم صموت لايستعملون اللسان ولا الشفة في كلامهم ـ اللسان مادة زمم ـ.

(٢) أي تحركه يميناً وشمالاً يقال تخلج المجنون إذا تمايل في مشيته كأنما يجتذب يمنة ويسرة ـ اللسان مادة خلج.

شيئاً إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول أن تقولوا هو ساحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فأنزل الله في الوليد وذلك من قوله ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيداً** ﴾ إلى قوله ﴿ **سأصليه سقر** ﴾ وأنزل الله في أولئك النفر الذين كانوا معه ﴿ **الذين جعلوا القرآن عضين** ﴾ أي أصنافاً ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** ﴾[1].

أقول: لا شك أن رواية البخاري السابقة أصح من هذه الرواية ولكن هذه الرواية أنسب لسياق الآيات حيث جاء في هذه الآيات ﴿ **الذين جعلوا القرآن عضين** ﴾ وهذا ينطبق على كفار مكة الذين وصفوا القرآن بأنه كهانة وسحر وشعر وقت نزول هذه الآيات، أما اليهود والنصارى فإن كان المراد بهم الذين سبقوا بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينطبق عليهم أنهم جزءوا القرآن فآمنوا ببعضه وكفروا ببعض فلابد من تأويل كلمة (القرآن) بالمقروء حتى ينطبق على كتبهم وهذا خلاف الظاهر من الآية، وان كان المقصود اليهود والنصارى المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم فلا تنطبق الآية عليهم لأنها مكية ولم يحصل الجدل مع اليهود والنصارى إلا في المدينة.

ومما يؤيد كون الآيات في المشركين قوله تعالى بعد هذه الآيات ﴿ **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين. إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون** ﴾ فقد نزلت هذه الآيات في جماعة من كفار قريش كما روى ذلك عن ابن عباس.

قال السيوطي: وأخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي وأبو نعيم

---

(١) الدار المنثور ١٠٦/٤، سيرة ابن هشام ٢٦٨/١.

كلاهما في الدلائل وابن مردويه بسند حسن والضياء في المختارة عن ابن عباس في قوله ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ قال: المستهزءون: الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب والحارث بن عيطل السهمي والعاصي بن وائل، فأتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أرني إياهم، فأراه الوليد فأومأ إلى أَكْحَلِه، فقال: ما صنعت شيئاً، قال: كفيته، ثم أراه الأسود بن عبد يغوث فأومأ إلى رأسه، فقال: ما صنعت شيئاً، قال: كفيته، ثم أراه الحارث فأومأ إلى بطنه، فقال: ما صنعت شيئاً، فقال كفيته، ثم أراه العاصي بن وائل فأومأ إلى أخمصه، فقال ما صنعت شيئاً، فقال كفيته، فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً فأصاب أكحله فقطعها، وأما الأسود بن المطلب فنزل تحت سمرة فجعل يقول يا بني ألا تدفعون عني قد هلكت فطعن بالشوك في عيني فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه، وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها، وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منه، وأما العاصي فركب إلى الطائف فريض على شبرقة[١] فدخل في أخمص قدمه شوكة فقتلته[٢].

والظاهر أن المستهزئين هؤلاء هم المقتسمون المذكورون في الآية السابقة لأن سياق الآيات واحد ولأن الوليد بن المغيرة الذي كان زعيماً للمقتسمين كما جاء في الرواية السابقة عن ابن عباس هو زعيم

---

(١) الشبرق نوع من النبات له ثمر فيه شوك واحدته شبرقه ويسمى شبرق مادام رطباً فإذا يبس يسمى الضريع ـ اللسان مادة شبرق ـ.

(٢) الدر المنثور ٤/١٠٧.

المستهزئين أيضاً كما جاء في رواية أخرى أخرجها الطبري من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن رجل عن ابن عباس: أن المستهزئين كان رأسهم الوليد بن المغيرة وهو الذي جمعهم(١).

فهذا مما يؤيد كون المقتسمين جماعة من مشركي مكة.

وقد تبين من خبر المستهزئين أن العذاب الذي أنزله الله على المقتسمين كان عقوبة من الله لهم في الدنيا فأصيبوا جميعاً بعاهات وأوجاع مؤلمة قبل أن يموتوا.

فقوله تعالى ﴿ **كما أنزلنا على المقتسمين** ﴾ معناه كالعذاب الذي أنزلناه على المقتسمين، والمشبه محذوف يفهم من الكلام، والمعنى: وقل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الذين أصروا على كفرهم وعنادهم أنا النذير الذي ابان إنذاره لكم أن يحل بكم عذاب من الله كالذي أنزله على المقتسمين.

وقوله تعالى ﴿ **الذين جعلوا القرآن عضين** ﴾ أي الذين فرقوا القول في القرآن فجعلوه أصنافاً فبعضهم قال عنه كهانة وبعضهم قال إنه سحر وبعضهم قال إنه شعر وبعضهم قال إنه هذيان جنون، فقوله ﴿ **عضين** ﴾ جمع عضو من قولهم عَضَّيْت الشيء تَعْضِيَةً إذا فرقته كما قال رؤبة:

وليس دين الله بالمُعَضَّى

---

(١) تفسير الطبرى ١٤/ ٧٠.
وإسناد هذه الرواية ضعيف لأن فيه رجلاً مجهولاً كما أن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت غير معروف كما تقدم.

يعنى بالمفرق[1].

وقيل إنه جمع عِضَة وأصله عِضَهَة ذهبت هاؤها الأصلية كما نقصوا الهاء من الشفة وأصلها شفهة ومن الشاة وأصلها شاهة، يقال منه عضهت الرجل أعضهه عضهاً إذا بهتّه وقذفته ببهتان فيكون معنى الآية على هذا: الذين عضهوا القرآن فقالوا هو سحر أو شعر أو كهانة ذكر ذلك ابن جرير ونسب هذا المعنى إلى قتادة[2].

وسواء كان أصل الكلمة من التعضية بمعنى التفرقة أو من العضه بمعنى الكذب والبهتان فإن معنى الآية لا يختلف لأن المقتسمين من المشركين حصل منهم التفرق في الحكم على القرآن كما حصل منهم الكذب والبهتان في حكمهم عليه.

---

(١) تفسير الطبري ١٤/٦٤، اللسان مادة (عضا).

(٢) تفسير الطبري ١٤/٦٥.

« ســورة النحــل »

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ﴾ (النحل/١٠)

(١٨٧) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ تسيمون ﴾ ترعون[١].

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق عكرمة ومن طريق علي بن أبي طلحة ومن طريق العوفي عن ابن عباس[٢].

بيان المعنى:

قوله «﴿ تسيمون ﴾ ترعون» يقال: أَسَامَ الماشية وسَوَّمَها جعلها ترعى وسَامَت بنفسها فهي سائمة وسَوَام رعت حيث شاءت، وأصل ذلك على ما قال الزجاج السُّومَة وهى كالسِّمَة العلامة لأن المواشي تؤثر علامات في الأرض والأماكن التي ترعاها[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النحل.

(٢) تفسير الطبري ١٤/٨٦.

(٣) تفسير الالوسى ١٤/١٠٦، لسان العرب (مادة سوم).

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ **أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين** ﴾ (النحل/٤٥ ـ ٤٦)

(١٨٨) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ **في تقلبهم** ﴾ اختلافهم[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

والمعنى أو يأخذهم في اختلافهم في الأرض وترددهم في الاسفار كما أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿ **أو يأخذهم في تقلبهم** ﴾ قال: إن شئت أخذته في سفر[٣].

وقوله تعالى ﴿ **أفأمن الذين مكروا السيئات** ﴾ هم كفار أهل مكة الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وحاولوا صد أصحابه

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير، سورة النحل.

(٢) تفسير الطبري ١٤/١١٢

(٣) تفسير الطبري ١٤/١١٢

عن الإيمان به واتباعه وأساؤا سمعته عند العرب وقوله ﴿ **الذين مكروا السيئات** ﴾ أي الذين مكروا المَكَراتِ السيئات التي قُصَّت عنهم، على أن ﴿ **السيئات** ﴾ نعت لمصدر محذوف[1].

(١) تفسير البيضاوي ٢٩٢

٣ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ أولم يروا إلى ما خلق الله من شيءٍ يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون ﴾ (النحل/٤٨).

(١٨٩) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: **﴿ يتفيأ ﴾** يتميل[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

بيان المعنى:

أصل الفيء الرجوع يقال فاء الظل إذا رجع[٣]، وتفسير ابن عباس التفيؤ بالتميل لتنقل الظل بين اليمين والشمال في الصباح والمساء، فهو يرجع من موضعه أول النهار ليعود إلى موضع آخر من آخر النهار.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النحل.
(٢) تفسير الطبري ١٤/١١٥
(٣) المفردات في غريب القرآن (مادة فيأ).

وسجود الكائنات لله تعالى هو خضوعها التام لله تعالى حيث لا تخرج قيد شعره عن النظام الذي سنه الله تعالى لها.

وقوله ﴿ **وهم داخرون** ﴾ أي صاغرون متذللون، قال أبو عبيدة: أي صاغرون، يقال: فلان دخر لله أي ذل وخضع[1].

وبهذا المعنى فسره مجاهد وقتادة أخرجه ابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد ومن طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة[2].

---

(١) مجاز القرآن ١/٣٦٠.

(٢) تفسير الطبري ١٤/١١٦.

٤ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إنَّ في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾ (النحل/٦٧).

(١٩٠) قال الإمام البخاري، قال ابن عباس: السكر ما حرم من ثمرتها، والرزق الحسن ما أحل الله[1].

وقد وصله ابن جرير من عدة طريق عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس وذكر مثله[2].

ووصله أيضاً من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس وذكر مثله[3].

وأخرج البيهقي والطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى **﴿ تتخذون منه سكراً ﴾** قال: فحرم الله بعد ذلك السكر مع تحريم الخمر لأنه منها، قال **﴿ ورزقاً**

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النحل.
(٢) تفسير الطبري ١٤/١٣٤.
(٣) تفسير الطبري ١٤/١٣٥.

حسناً﴾ فهو حلاله من الخل والرّب والنبيذ وأشباه ذلك فأقره الله وجعله الله حلالاً للمسلمين[1].

ومن هذه الرواية يتبين لنا ان هذه الآية نزلت قبل تحريم الخمر، وهو كذلك لأن سورة النحل مكية وتحريم الخمر نزل بعد ذلك في المدينة.

(١) السنن الكبرى ٨/٢٩٧، كتاب الأشربة، باب ما يحتج به من رخص في المسكر إذا لم يشرب منه ما يسكر والجواب عنه ـ تفسير الطبري ١٤/١٣٧.

٥ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً ﴾ (النحل/٦٨ ـ ٦٩)

(١٩١) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ سبل ربك ذللاً ﴾ لايتوعر عليها مكان سلكته[١].

وأخرجه ابن جرير عن مجاهد وذكر مثله[٢].

وعلى هذا التفسير فقوله تعالى ﴿ ذللاً ﴾ وصف للسبل أي سبلاً ميسرة مسهلة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النحل.
(٢) تفسير الطبري ١٤/١٤٠.

٦ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ﴾ (النحل/٧٢).

(١٩٢) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما **﴿ حفـدة ﴾** من ولد الرجل[1].

وأخـرجه ابن جـرير قـال حـدثنـا محمـد بن المثنى قـال: حـدثنـا عبدالصمد قـال حدثنـا شعبة عن أبي بشر عن سعيـد بن جبير عن ابن عباس **﴿ وحفدة ﴾** قال: هم الولد وولد الولد[2].

وذكره ابن حجر في الفتح وقال إسناده صحيح[3].

بيان المعنى:

قوله تعالى **﴿ وحفدة ﴾** أي مسارعين في خدمة الآبـاء من الأولاد وأولادهم من حفد يحفد حفداً وحفدانـاً بمعنى خف وأسرع في العمل،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النحل.
(٢) تفسير الطبري ١٤/١٤٦.
(٣) فتح الباري ٨/٣٨٦.

ومنه ما روى في الدعاء «وإليك نسعى ونحفد» أي نسرع في العمل[1].

وقول ابن عباس «من ولد الرجل» بيان للمراد من الحفدة وهم أولاد الرجل.

وروى عن ابن عباس أن المراد بالحفدة الأصهار، أخرج ذلك ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ **وحفدة** ﴾ قال: الأصهار.

وأخرجه ابن جرير من عدة طرق عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه[2].

وروى عن ابن عباس أن المراد بالحفدة بنو امرأة الرجل من غيره أخرجه ابن جرير عنه من طريق العوفي[3].

أقول وإذا نظرنا إلى كلمة (حفدة) في اللغة نجد أنها جمع حافد وهو المتخفف السريع في الخدمة والعمل. وهي في الآية معطوفة على البنين فيقتضي ذلك أن الحفدة من جملة ما مَنَّ الله به على الرجال من أزواجهم ليكونوا أعواناً لهم وهذا يشمل أولاد الزوج وأولادهم وأولاد الزوجة من غير الزوج وأقاربها.

---

(١) لسان العرب مادة (حفد).
(٢) تفسير الطبري ١٤/١٤٤.
(٣) تفسير الطبري ١٤/١٤٦.

٧ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بـالإيمان ولكن من شرح بـالكفر صـدراً فعليهم غضب من الله ولهم عـذاب عـظيم . ذلك بأنهم استحبـوا الحياة الـدنيا عـلى الآخرة وأن الله لا يهـدي القوم الكـافرين . أولئـك الذين طبـع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصـارهم وأولئك هم الغافلون . لا جرم أنهم في الآخرة هم الخـاسرون . ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ (النحل/١٠٦ ـ ١١٠)

(١٩٣) قـال الإمـام النسـائي : أخـبرنـا زكـريـا بن يحيى قـال : حـــدثنـا إسحاق بن إبراهيم قال أنبأنا علي بن الحسـين بن واقد قـال أخبرني أبي عن يزيد النحـوي عن عكرمـة عن ابن عباس قـال : في سورة النحـل **﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بـالإيمان ﴾** إلى قوله **﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾** فنسـخ واستثنى من ذلك فقـال **﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفـور رحيم ﴾** وهو عبـدالله بن سعد بن أبي سرح الـذي كان عـلى مصر كان يكتب لـرسول الله صلى الله عليـه وسلم فأزلـه الشيـطان

فلحق بالكفار فأمر به أن يقتل يوم الفتح فاستجار له عثمان بن عفان فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

بيان الإسناد:

١ ـ زكريا بن يحيى هو أبو عبدالرحمن زكريا بن يحيى بن إياس السِّجْزي، وهو ثقة حافظ.

٢ ـ إسحاق بن إبراهيم هو أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، المعروف بابن راهويه، وهو ثقة حافظ مجتهد.

٣ ـ علي بن الحسين بن واقد المروزي، صدوق يهم.

٤ ـ وأبوه هو الحسين بن واقد المروزي، وهو ثقة له أوهام.

٥ ـ ويزيد النحوي ثقة عابد.

٦ ـ وعكرمة ثقة ثبت.

وقد تقدمت تراجم هؤلاء الرواة وتبين لنا سماع بعضهم من بعض.

وبهذا تبين لنا أن هذا الإسناد فيه علي بن الحسين وأبوه قد اتهما بالوهم.

وقد رواه ابن جرير الطبري من طريق أبي تُمَيلة يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري على انه من قولهما.

ويحيى بن واضح ثقة كما تقدم فروايته مقدمة على رواية علي بن

(١) سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، باب توبة المرتد ١٠٧/٧.

الحسين بن واقد، وبمخالفة علي بن الحسين لمن هو أوثق منه تكون روايته ضعيفة ولعل رفع هذا إلى ابن عباس من أوهام علي بن الحسين.

بيان المعنى:

في هذه الآيات تبين لنا أن من ارتد عن الإسلام فكفر بالله من بعد إيمانه غير مُكْرَه على الكفر بل قد شرح بالكفر صدراً فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم.

وإنما عاقبه الله بهذه العقوبة العظيمة لفداحة جرمه، وشناعة ذنبه حيث فضل الكفر على الإيمان والضلال على الهدى، فاختار لنفسه أن يسير في الظلمات بعدما عرف النور وسار في طريقه وأدرك مزاياه البالغة، فسلوكه طريق الباطل بعدما عرف طريق الحق دليل على انطماس بصيرته وجنوحه إلى إشباع شهواته المنحرفة، ولذلك قال تعالى في هذه الآيات ﴿ **أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون** ﴾.

ومع فداحة هذا الذنب وفظاعة هذا الجرم فإن الله جل وعلا لم يجعل مرتكبه في يأس من رحمته فيما إذا راجع نفسه وفكر تفكيراً سليماً فأراد الدخول في الإسلام مرة أخرى، بل فتح له باب الأمل، وأدخله في رحمته الواسعة حيث قال تعالى ﴿ **ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم** ﴾.

أما من أكره على الكفر فنطق به وقلبه مطمئن بالإيمان فلا جناح عليه، لأن المسلم قد يتعرض لأنواع من الأذى هي فوق احتماله

وطاقته، ولذلك قال تعالى في هذه الآيات ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾.

هـذا وقد جـاء في حديث هـذا الباب المنسـوب إلى ابن عباس أن قوله تعالى ﴿ **ثم إن ربك للذين هاجروا من بعـدما فتنـوا ثم جاهـدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم** ﴾ ناسخ لقوله تعالى في هـذه الآيات ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمانه** ﴾ الآيـة، وأن المراد بهـذا النسخ التخصيص لقوله «واستثنى من ذلك».

وقد تبين لنا من بحث إسناد هذا الأثر أنه ضعيف، وأن الصحيح هو أن هذا الكلام من قول عكـرمة والحسن البصري كـما في رواية ابن جرير الطبري.

والآيـات ليس فيها نسـخ ولا تخصيص، وذلـك لأن الآيـة الأولى وهي قوله تعالى ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمانه** ﴾ عامة في كـل من صدر منه هذا الكفر، فهي محكمة غـير منسوخـة، أما قـوله تعـالى ﴿ **ثم إن ربـك للذين هاجـروا من بعد مـا فتنـوا** ﴾ فهي فيمن تـاب من كفـره ورجع إلى الإيمان وان الله يتوب عليه، فلا يقال إن هذا الحكم مستثنى من حكم الآية الأولى، بل الآيـة الأولى فيمن كفر بعـد إيمانـه، والآية الثانية فيمن تاب من هذا الكفر.

والصحيـح عن ابن عباس في سبب نـزول قـولـه تعـالى ﴿ **ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا** ﴾ هو ما أخرجه ابن جرير قـال: حـدثنا أحمـد بن منصور قـال: حدثنـا أبو أحمـد الزبـيري قال حـدثنـا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عكـرمة عن ابن عبـاس قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بـالإسلام، فـأخرجهم

المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم وقتل بعضٌ فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم** ﴾ إلى آخر الآية، قال وكُتِبَ إلى من بقى بمكة من المسلمين بهذه الآية: ان لا عذر لهم، قال: فخرجوا فلحقهم المشركون فاعطوهم الفتنة فنزلت هذه الآية ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله** ﴾ إلى آخر الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك فخرجوا وأيسوا من كل خير، ثم نزلت فيهم ﴿ **ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم** ﴾ فكتبوا إليهم بذلك: إن الله قد جعل لكم مخرجاً فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم ثم نجا من نجا وقتل من قتل(١).

وإسناد هذا الحديث صحيح كما تقدم(٢).

---

(١) تفسير الطبري ١٤/١٨٤.

(٢) انظر الحديث رقم (٩١).

« ســـورة الاســـراء »[17]

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وآت ذا القـربى حقه والمسكـين وابن السبيـل ولا تبـذر تبـذيـراً ﴾ (الإسراء/٢٦).

* * *

(١٩٤) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ لاتبذر ﴾ لا تنفق بالباطل[1].

وأخـرجه ابن جـرير من طـريق عطاء الخـراساني عن ابن عبـاس قال: لا تنفق بالباطل فإن المبذر هو المسرف في غير حق[2].

وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق عكرمة ومن طـريق العوفي عن ابن عباس قال: المبذر المنفق في غير حقه[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الاسراء، باب رقم ٣.

(٢) و (٣) تفسير الطبري ١٥/ ٧٣ ـ ٧٤

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً ﴾ (الإسراء/ ٥٠ ـ ٥١).

* * *

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما **﴿ فسينغضون إليك رءوسهم ﴾** يهزون[١]. (١٩٥)

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة وعطاء الخراساني وعطية العوفي عن ابن عباس قال: يحركون رءوسهم يستهزءون ويقولون متى هو[٢]؟

بيان المعنى:

قوله تعالى **﴿ كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأسراء، الباب الأول.
(٢) تفسير الطبري ١٥/ ١٠٠.

صدوركم ﴾ يعني إذا كنتم قد استنكرتم البعث بعد الموت واستبعدتم وقوعه فافرضوا أن أجسامكم خلقت من مادة أصلب مما هي عليه الآن، فكونوا حجارة فإن الحجارة أصلب من أجسامكم أو كونوا حديداً، فإن الحديد أصلب من الحجارة، أو كونوا خلقاً آخر مما يخطر ببالكم أنه أكبر من الحجارة والحديد فإن الله جل وعلا قادر على إعادة الحياة إلى اجسامكم بعد الموت.

والخطاب في قوله **﴿ كونوا ﴾** يعود على الكفار الذين كانوا يجادلون رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الكفار من أهل مكة.

وقوله **﴿ فسينغضون إليك رءوسهم ﴾** يعنى يحركونها استهزاء كما قال ابن عباس، والنغض في كلام العرب إنما هو حركة ارتفاع ثم انخفاض أو انخفاض ثم ارتفاع، ولذلك سمى الظليم نغضاً لأنه إذا عجل المشي ارتفع وانخفض رأسه. والظليم ذكر النعام[1].

(١) تفسير الطبري ١٥/ ١٠٠ ولسان العرب (مادة نغض).

٣ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ﴾ (الإسراء/٥٩).

* * *

(١٩٦) قال الإمام أحمد: حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير قال: سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا، فقيل له إن شئت أن تستأني بهم وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم من الأمم، قال: لا بل أستأني بهم، فأنزل الله عز وجل هذه الآية **﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة ﴾**[1].

بيان الإسناد:

١ ـ عثمان بن محمد هو أبو الحسن بن أبي شيبة صاحب المسند،

---

(١) مسند أحمد ١/٢٥٨

وهو ثقة حافظ شهير.

٢ ـ جرير هو ابن عبد الحميد الضبي، وهو ثقة صحيح الكتاب، وكان في آخر عمره يهم من حفظه.

٣ ـ الأعمش هو سليمان بن مهران الأسدي، وهو ثقة حافظ.

٤ ـ جعفر بن إياس بن أبي وحشية، ثقة من أثبت الناس في سعيد بن جبير. وقد تقدمت تراجمهم.

فهؤلاء الرواة كلهم ثقات وقد سمع بعضهم من بعض[1]، فإسناد الحديث على هذا صحيح.

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً من طريق أبي الحكم عمران بن الحارث عن ابن عباس قال: قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم: أدع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم، قال: فدعا فأتاه جبريل فقال: إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة، قال: بل باب الرحمة والتوبة[2].

وقد ذكر الهيثمي هاتين الروايتين في مجمع الزوائد ثم قال:

---

(١) انظر تهذيب التهذيب ١٤٩/٧ رقم ٢٩٨، ٧٥/٢ رقم ١١٦، ٨٣ رقم ١٢٩.
(٢) مسند أحمد ٢٤٢/١.

ورجال الروايتين رجال الصحيح إلا أنه وقع في أحد طرقه عمران بن الحكم وهو وهم وفي بعضها عمران أبو الحكم وهو ابن الحارث وهو الصحيح، ورواه البزار بنحوه»[1].

أقول: وأخرجه الحاكم من طريق جرير بن عبد الحميد بهذا الإسناد الذي أخرجه به الإمام أحمد وذكر مثله.. ثم قال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الإمام الذهبي[2].

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق جرير بن عبدالحميد بهذا الإسناد وذكر مثله[3].

بيان المعنى:

قوله تعالى ﴿ **وآتينا ثمود الناقة مبصرة** ﴾ أي وآتينا قبيلة ثمود الناقة آية واضحة على صحة نبوة صالح عليه السلام يبصر كونها آية من الله كل من نظر إليها.

قال ابن جرير: جعل الإبصار للناقة كما تقول للشجة موضحة وهذه حجة مبينة، وإنما عنى بالمبصرة المضيئة البينة التي من يراها يكون أهل بصر بها لأنها لله حجة[4].

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ **وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا** ﴾ (يونس/٦٧).

---

(١) مجمع الزوائد، كتاب التفسير ٧/٥٠

(٢) المستدرك، كتاب التفسير ٢/٣٦٢

(٣) تفسير الطبري ١٥/١٠٨

(٤) تفسير الطبري ١٥/١٠٩

٤ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً ﴾ (الإسراء/٦٠).

(١٩٧) قال الإمام البخاري: حدثنا علي بن عبدالله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما **﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾** قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به **﴿ والشجرة الملعونة في القرآن ﴾** قال: هي شجرة الزقوم[1].

وأخرجه الحاكم والترمذي وأخرج منه الإمام أحمد تفسير الرؤيا فقط[2].

---

(١) صحيح البخاري رقم ٤٧١٦ كتاب التفسير باب **﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾** ورقم ٣٨٨٨ كتاب مناقب الانصار باب المعراج، ورقم ٦٦١٣ كتاب القدر باب **﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾**.

(٢) المستدرك ٢/٣٦٢، كتاب التفسير، سورة الإسراء ـ مسند أحمد ١/٢٢١، سنن الترمذي كتاب التفسير سورة الإسراء حديث رقم ٣١٣٤.

بيان المعنى:

قوله ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ الرؤيا في الأصل ما يراه الإنسان في منامه وتطلق على الرؤية في اليقظة كما قال الراعي:

فكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر نفساً كان قبل يلومها[1]

وعلى هذا المعنى فسر ابن عباس الرؤيا في الآية بأنها ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به، وقوله «هي رؤيا عين» أراد بذلك أنها ليست رؤيا في المنام، وقد جاء ذلك مصرحا به في إحدى روايات هذا الحديث التي أخرجها الطبري من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به وليست رؤيا منام[2].

وهذا من الأدلة التي تؤيد القول بأن الإسراء كان بالروح والجسد وليس من الرؤيا في المنام.

والمراد بالفتنة في الآية الابتلاء والاختبار بهذا الأمر الخارق للعادة، وهو الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ورجوعه في ليلة واحدة، فالمؤمنون حقاً يصدقون بذلك فيزداد إيمانهم حيث صدقوا بأمر لم تدركه عقولهم وإنما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم فصدقوه، أما ضعفاء الإيمان والمتأرجحون بين الإيمان والكفر فإن مثل هذا الحدث يبين حقيقة معتقدهم وما تستقر عليه آراؤهم فلا ينخدع بهم المسلمون بعد ذلك، كما يعتبر هذا الحدث فتنة للكفار حيث يزيد من إصرارهم على الكفر.

---

(١) لسان العرب مادة (رأى)

(٢) تفسير الطبري ١٥/ ١١٠.

وقد روى عن ابن عباس في تفسير الرؤيا في الآية قول آخر وهو ما أخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ قال: يقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرِى أنه دخل مكة هو وأصحابه وهو يومئذ بالمدينة، فعجل رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى مكة قبل الأجل فرده المشركون فقالت أناس: قد رد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد حدثنا أنه سيدخلها فكانت رجعته فتنتهم[(١)].

وهذا إسناد ضعيف كما تقدم[(٢)] فيرجح عليه الحديث السابق الذي أخرجه الإمام البخاري وغيره.

كما أن سورة الإسراء مكية والرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم وهي أنه سيدخل مكة هو وأصحابه كانت في العام السادس من الهجرة وقد نزل فيها قوله تعالى من سورة الفتح ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون** ﴾ (٢٧)

قوله تعالى ﴿ **والشجرة الملعونة في القرآن** ﴾ قال ابن عباس في هذا الحديث «هي شجرة الزقوم» وقد ذكرها الله سبحانه في سورة الواقعة فقال تعالى ﴿ **ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجرٍ من زقوم فمالئون منها البطون** ﴾ (٥١ - ٥٣) وفي قوله تعالى في سورة الدخان ﴿ **إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم** ﴾ (٤٣ - ٤٦) وبينها الله سبحانه بقوله في سورة

---

(١) تفسير الطبري ١١٢/١٥

(٢) انظر الحديث رقم (٣٥).

الصافات ﴿ **أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم إنا جعلناها فتنة للظالمين. إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رءوس الشياطين** ﴾ (٦٢ ـ ٦٥) وقوله ﴿ **والشجرة** ﴾ معطوف على «الرؤيا» فهي تدخل معها في كونها فتنة للناس وإنما كانت هذه الشجرة فتنة للناس لأن المشركين حاولوا زعزعة إيمان المؤمنين بالإسلام وصد الناس عن الدخول فيه وذلك بقولهم: إن محمداً يزعم أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر، فقد أخرج ابن جرير من طريق سعيد بن أبي عَروبة عن قتادة أنه قال في هذه الآية: وهي شجرة الزقوم خوف الله بها عباده فافتتنوا بذلك حتى قال قائلهم، أبو جهل بن هشام: زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر وإنا والله ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد فتزقموا فأنزل الله تبارك وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرة ﴿ **إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رءوس الشياطين** ﴾: إني خلقتها من النار وعذبت بها من شئت من عبادي.

وأخرج ابن جرير نحوه عن الحسن البصري[1].

---

(١) تفسير الطبري ١١٣/١٥، ١١٤

٥ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ إن عبـادي ليس لـك عليهم سلطان وكفى بـربـك وكيـلاً ﴾ (الإسراء/٦٥).

* * *

(١٩٨) قـال الإمـام البخـاري : قـال ابن عبـاس رضي الله عنهـما: كــل سلطان في القرآن فهو حجة [١].

وقال الحافظ ابن حجر: وصله ابن عيينة في تفسيره عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس، وهذا على شرط الصحيح [٢].

بيان المعنى:

قـوله «كـل سلطان في القرآن فهـو حجة» يعنى إذا جـاءت كلمـة «سلطان» في القـرآن فالمـراد بها الحجـة، وذلك مثـل قولـه تعالى **﴿ إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمـون ﴾** (يونس/٦٨) وقوله **﴿ ولقد أرسلنا موسى بآيـاتنا وسلطان مبـين ﴾** (هود/٩٦) وقـوله

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الإسراء، باب رقم ٢.
(٢) فتح الباري ٨/ ٣٩٠.

﴿ أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين ﴾ (الصافات/ ٣٠)

وما جاء من الآيات مما ظاهره أن المراد بالسلطان القوة والملك كقوله تعالى **﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾** (الرحمن/٣٣) فإن المراد به على تفسير ابن عباس الحجة كما أخرج ذلك ابن جرير عنه من طريق العوفي في تفسير هذه الآية[1].

وقد ذكر ابن جرير القول بأن المراد بالسلطان في هذه الآية الحجة والقول بأن المراد به الملك ثم رجح القول الأول حيث قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك: إلا بحجة وبينة لأن ذلك هو معنى السلطان في كلام العرب وقد يدخل الملك في ذلك لأن الملك حجة[2].

وقد ذكر الإمام البخاري هذا الأثر في تفسير قوله تعالى **﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً ﴾** لأن ظاهر هذه الآية يفهم منه ان المراد بالسلطان القوة والهيمنة فبين الإمام البخاري بإخراج هذا الأثر عن ابن عباس أن المراد بالسلطان الحجة والبرهان.

وقال الإمام ابن جرير في تفسير هذه الآية: يقول تعالى ذكره لإبليس: إن عبادي الذين أطاعوني فاتبعوا أمري وعصوك يا إبليس ليس لك عليهم حجة[3].

وقال ابن منظور في بيان معنى السلطان: والسلطان الحجة

---

(١) تفسير الطبري ٢٧/ ١٣٧.
(٢) تفسير الطبري ٢٧/ ١٣٨.
(٣) تفسير الطبري ١٥/ ١٢١.

والبرهان ولا يجمع لان مجراه مجرى المصدر، وقيل إنه مشتق من السليط وهو ما يضاء به ومنه قبل للزيت سليط، وسمى السلطان الحاكم بذلك لأنه حجة الله في أرضه[1].

---

(١) لسان العرب (مادة سلط).

٦ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً ﴾ (الإسراء/ ٦٩).

* * *

قال الإمام البخاري : قال ابن عبـاس رضي الله عنهما **﴿ تبيعـاً ﴾** نصيراً[١]. (١٠٩)

وأخـرجـه ابن جـريـر من طـريق عـلي بن أبي طلحـة عن ابن عباس[٢].

بيان المعنى :

قوله **﴿ تبيعاً ﴾** والتبيع هو التابع الذي يتبع المعتدى ليـأخذ بثـأره منه، والعرب تقـول لكل طـالب بدم أو دين أو غـيره تبيع ، ومنـه قول الشاعر:

عَـدَوا وعَـدَت غـزلانهم فـكـأنها ضـوامِـن غُـرم لَـزَّهُـنَّ تـبـيـع[٣]

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الاسراء، باب رقم ٤ .

(٢) تفسير الطبري ١٥/ ١٢٥ .

(٣) تفسير الطبري ١٥/ ١٥٤ ، لسان العرب (مادة تبع)، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣٨٥ .

ومن هذا المعنى فسر ابن عباس التبيع في الآية بالنصير.

وضمير الغيبة في قوله تعالى ﴿ أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى ﴾ يعود على البحر المذكور في قوله تعالى في الآيات السابقة ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً. أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لاتجدوا لكم وكيلاً أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى ﴾ يعني في البحر مرة أخرى بعد أن نجاكم الله منه ﴿ فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ﴾ يعني نصيراً ينتصر لكم.

٧ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ (الإسراء/٧٨).

* * *

(٢٠٠) أخرج الإمام مالك عن داود بن الحصين قال: أخبرني مخبر أن عبدالله بن عباس كان يقول: دلوك الشمس إذا فاء الفيء وغسق الليل اجتماع الليل وظلمته[١].

بيان الإسناد:

أخرج الإمام مالك هذا الأثر عن أبي سليمان داود بن الحصين المدني الأموي بالولاء، وهو ثقة إلا في روايته عن عكرمة[٢]. لكنه قد أبهم شيخه في هذا الإسناد فلم يذكر الراوي عن ابن عباس فالإسناد منقطع، ويكون هذا الأثر ضعيفاً بهذا الإسناد.

---

(١) الموطأ ١/١١، كتاب وفوت الصلاة، باب ما جاء في دلوك الشمس.

(٢) التقريب ١/٢٩٩ رقم ٥، الكاشف ١/٢٨٧، الخلاصة / ١٠٩.

وأخرجه ابن أبي شيبة والبيهقي من طريق الإمام مالك بهذا الإسناد(1).

(٢٠١) لكن أخرجه ابن جرير الطبري من طريق آخر، قال: حدثني يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **أقم الصلاة لدلوك الشمس** ﴾ قال: دلوكها زوالها(2).

بيان هذا الإسناد:

١ - يعقوب بن إبراهيم هو أبو يوسف الدورقي العبدي بالولاء، وهو ثقة حافظ، من الطبقة العاشرة، مات سنة اثنتين وخمسين ومائتين وله ست وتسعون سنة، وقد أخرج له الجماعة(3).

٢ - هشيم هو أبو معاوية هشيم بن بشير بن أبي خازم قاسم بن دينار الواسطي، وهو ثقة ثبت حافظ لكنه كثير التدليس والإرسال الخفي، وهو من المرتبة الثالثة في التدليس، ومن الطبقة السابعة بالنسبة لتاريخ الرواة، مات سنة ثلاث وثمانين ومائة وقد قارب الثمانين، وقد أخرج له الجماعة(4).

٣ - مغيرة هو ابن مقسم الضبي بالولاء، أبو هشام الكوفي الأعمى، وهو ثقة متقن إلا انه كان يدلس ولا سيما عن إبراهيم

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة كتاب الصلاة ٢/١٣٥، سنن البيهقي كتاب الصلاة، باب أول فرض الصلاة ١/٣٦٤.

(٢) تفسير الطبري ١٥/١٣٥.

(٣) تذكرة الحفاظ ١/٥٠٥ رقم ٥٢١، التقريب ٢/٣٧٤ رقم ٣٧٠.

(٤) تذكرة الحفاظ ١/٢٤٨ رقم ٢٣٥، التقريب ٢/٣٢٠ رقم ١٠٣، طبقات المدلسين المرتبة الثالثة ص ١٦.

النخعي، وهو من المرتبة الثالثة، من مراتب المدلسين، ومن الطبقة السادسة بالنسبة لتاريخ الرواة، مات سنة ست وثلاثين ومائة على الصحيح، وقد أخرج له الجماعة(١).

٤ ـ الشعبي هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري، منسوب إلى «شعب» بطن من همدان، وهو ثقة فقيه فاضل مشهور، أثنى عليه كبار العلماء، قال مكحول: ما رأيت أفقه منه، وكان سريع الحفظ، قال ابن شبرمة: سمعت الشعبي يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته ولا حدثنى بحديث فأحببت أن يعيده علي، مات بعد المائة وله نحو من ثمانين سنة(٢).

وهذا الاسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض(٣).

ومن هذا تبين لنا أن رجال هذا الإسناد ثقات إلا أن فيه راويين متهمين بالتدليس هما هشيم والمغيرة بن مقسم ولم يصرحا بالسماع وهما من الطبقة الثالثة من طبقات المدلسين، وهذه الطبقة قد اختلف العلماء في قبول أحاديث من لم يصرح بالسماع منهم كما ذكر الحافظ ابن حجر(٤).

إلا أنه يعتبر مقوياً لحديث الإمام مالك السابق فيصبح الحديث حسن الإسناد.

---

(١) التقريب ٢/٢٧٠ رقم ١٣٢٨، تذكرة الحفاظ ١/١٤٣ رقم ١٣٦، طبقات المدلسين المرتبة الثالثة ص ١٦.

(٢) التقريب ١/٣٨٧ رقم ٤٦، تذكرة الحفاظ ١/٧٩ رقم ٧٦، اللباب في تهذيب الأنساب ٢/١٩٨، تهذيب التهذيب ٥/٦٥ رقم ١١٠.

(٣) تهذيب التهذيب ١١/٣٨١ رقم ٧٤٢، ١١/٥٩ رقم ١٠٠، ١٠/٢٦٩ رقم ٤٨٢، ٥/٦٥ رقم ٢١٠.

(٤) طبقات المدلسين لابن حجر ص (١).

بيان المعنى:

تبين لنا من هذا الأثر أن ابن عباس يرى أن المراد بدلوك الشمس زوالها.

(٢٠٢) وقد روى عنه أن المراد به غروبها وذلك فيما أخرجه ابن جرير قال: حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس قال: دلوكها غروبها[١].

وإسناد هذا الأثر حسن[٢].

واسناد القول الأول حسن لغيره كما تقدم فهما متقاربان من حيث القوة.

(٢٠٣) ولكن مما يؤيد القول بأن الدلوك هو الزوال ما أخرجه ابن جرير قال: حدثنا أبو كريب قال حدثنا خالد بن مخلد قال حدثني محمد بن جعفر قال حدثني يحيى بن سعيد قال حدثني أبو بكر بن عمرو بن حزم الأنصاري عن أبي مسعود عقبة بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله

---

(١) تفسير الطبري ١٥/١٣٤.

(٢) بيان هذا الإسناد:

١ - الحسن بن يحيى هو الجعدى أبو علي بن أبي الربيع الجرجاني وهو صدوق من الطبقة الحادية عشرة (التقريب ١/١٧٢ رقم ٣٢٥).

٢ - عبدالرزاق ثقة حافظ تقدمت ترجمته.

٣ - والثوري ثقة حافظ تقدمت ترجمته.

٤ - ومنصور هو ابن المعتمر بن عبدالله السلمى، وهو ثقة ثبت مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، أخرج له الجماعة (التقريب ٢/٢٧٦ رقم ١٣٩٢).

ومجاهد ثقة تقدمت ترجمته.

وبهذا تبين لنا أن رجال هذا الحديث ثقات ما عدا الحسن بن يحيى العبدي فهو صدوق، وعلى هذا يكون هذا الحديث حسن الإسناد.

عليه وسلم «أتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر»[1].

وإسناد هذا الحديث حسن لأن فيه خالد بن مخلد القطواني وهو صدوق، وقد نسب إليه التشيع ولكنه لم يرو هنا ما يؤيد بدعته[2].

فهذا الحديث يؤيد قول ابن عباس الأول في أن المراد بدلوك الشمس زوالها.

وأصل الدلوك في اللغة الميل وهو يطلق على ميل الشمس عن كبد السماء بعد الظهر ويطلق على ميلها نحو الغروب ذكر ذلك ابن منظور

---

(١) تفسير الطبري ١٥/١٣٧

(٢) بيان إسناد هذا الحديث

١ - أبو كريب هو محمد بن العلاء الهمداني وهو ثقة حافظ، تقدمت ترجمته.

٢ - خالد بن مخلد هو القطواني أبو الهيثم البجلي بالولاء الكوفي، وهو صدوق يتشيع، من كبار الطبقة العاشرة مات سنة ثلاث عشرة ومائتين وقيل بعدها. أخرج له الشيخان وغيرهما (التقريب ١/٢١٨ رقم ٧٩).

٣ - محمد بن جعفر هو ابن أبي كثير المدني الأنصاري بالولاء، وهو ثقة من الطبقة السابعة، أخرج له الجماعة (التقريب ٢/١٥٠ رقم ١٠٥).

٤ - يحيى بن سعيد هو يبو سعيد يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو الأنصاري النجاري وهو ثقة حافظ أجمع علماء الجرح والتعديل على توثيقه من الطبقة الخامسة، أخرج له الجماعة.

(التقريب ١١/٢٢١ رقم ٣٦٠، تذكرة الحفاظ ١/١٣٧ رقم ١٣٠).

وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ثقة عابد، من الطبقة الخامسة (التقريب ٢/٣٩٩ رقم ٦٩).

وأبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري صحابي جليل شهد بدراً رضي الله عنه (التقريب ٢/٢٧ رقم ٢٤٩).

وإسناد هذا الحديث متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض (انظر تهذيب التهذيب ٣/١١٦ رقم ٢٢١، ٩/٩٤ رقم ١٢٦، ١٢/٣٨ رقم ١٥٤).

ثم نقل عن الأزهرى أنه قال: والقول عندى أن دلوك الشمس زوالها نصف النهار لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس، والمعنى والله أعلم: أقم الصلاة يامحمد أي أدها من وقت زوال الشمس إلى غسق الليل فيدخل فيها الأولى والعصر، وصلاتا غسق الليل هما العشاءان، والخامسة قوله ﴿ **وقرآن الفجر** ﴾، المعنى: وأقم وصلاة الفجر فهذا خمس صلوات فرضها الله على نبيه ى الله عليه وسلم وعلى أمته، وإذا جعل الدلوك الغروب كان الأمر في هذه الآيات مقصوراً على ثلاث صلوات[1].

قوله «وغسق الليل اجتماع الليل وظلمته» يعني بقوله «اجتماع الليل» اجتماع ظلامه بعد نور النهار كما أخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: «غسق الليل: بُدُوُّ الليل»[2] قال الفراء «غسق الليل» أول ظلمته للمغرب والعشاء[3].

وقال ابن جرير: غسق الليل هو إقباله ودنوه وظلامه كما قال الشاعر:

آب هذا الليل إذ غسقا[4].

وعلى هذا فالمراد بالصلاة التي تقام في غسق الليل هي صلاة المغرب والعشاء.

وقوله ﴿ **وقرآن الفجر** ﴾ يعنى صلاة الفجر كما أخرج ابن جرير

---

(١) لسان العرب (مادة دلك).
(٢) تفسير الطبري ١٥/ ١٣٨ وإسناده حسن كما تقدم في ص ٢.
(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٢٩.
(٤) تفسير الطبري ١٥/ ١٣٨.

من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **وقرآن الفجر** ﴾ انه قال: يعني صلاة الصبح[(١)].

قوله ﴿ **إن قرآن الفجر كان مشهوداً** ﴾ يعنى تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، كما أخرج ابن جرير قال حدثني عبيد بن أسباط بن محمد القرشي قال حدثني أبي عن الأعمش عن ابراهيم عن ابن مسعود، وعن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ى الله عليه وسلم في هذه الآية ﴿ **وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً** ﴾ قال تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار[(٢)].

وأخرجه ابن ماجة بهذا الإسناد وذكر مثله[(٣)].

وأخرجه الترمذي بهذا الإسناد إلى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ى الله عليه وسلم وذكر مثله، ولم يذكر رواية الأعمش عن إبراهيم النخعى عن ابن مسعود[(٤)].

فهذا الحديث رواه هؤلاء الأئمة بإسناد واحد عن عبيد بن أسباط بن محمد القرشي عن أبيه عن الأعمش.

(٢٠٤) ثم رواه الأعمش عن النبي ى الله عليه وسلم من طريقين الأول عن إبراهيم النخعى عن ابن مسعود رضي الله عنه. والثاني عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه[(٥)].

---

(١) تفسير الطبري ١٥/١٤٠ وإسناد هذا الأثر ضعيف كما تقدم في الحديث رقم (٣٥).
(٢) تفسير الطبري ١٥/١٣٩.
(٣) سنن ابن ماجة، كتاب الصلاة، باب وقت صلاة الفجر، حديث رقم ٦٧٠.
(٤) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الاسراء، حديث رقم ٣١٣٥.
(٥) بيان هذا الإسناد:
١ - عبيد بن اسباط هو أبو محمد عبيد بن اسباط الكوفي القرشي بالولاء وهو صدوق من الطبقة الحادية عشرة، مات سنة خمسين ومائتين، أخرج له الترمذي وابن ماجة =

ومن تـراجم هذا الإسنـاد تبين لنـا أن هذا الأثـر منقطع الإسنـاد حيث لم يسمع إبراهيم النخعي من ابن مسعـود ولم يسمع أبـو صالـح من أبي هريرة فيكون هذا الأثر على هذا ضعيفاً إلا أن الأئمـة صححوا مـرسلات النخعي وخص البيهقي ذلـك بمـا أرسله عن ابن مسعـود، وقال الأعمش قلت لإبراهيم أسند لي عن ابن مسعود فقال إبراهيم إذا حـدثتكم عن رجـل عن عبـدالله فهـو الـذي سمعت وإذا قلت قـال عبدالله فهو عن غير واحد عن عبدالله[1].

ورجـال هذا الإسنـاد من طريق النخعي ثقـات ما عـدا عبيد بن أسباط فهو صدوق فيكون الإسناد على هذا حسناً.

= والبخاري في جزء القراءة (التقريب ١/٤٥١ رقم ١٥٣١)

٢ ـ وأبوه اسباط بن محمد بن عبدالـرحمن القرشي بـالولاء، ثقـة ضعف في الثوري، من الطبقة التاسعة مات سنة مائتين أخرج له الجماعة (التقريب ١/٥٣ رقم ٣٦١).

٣ ـ والأعمش سليمان بن مهران ثقة يدلس، وقد سبقت ترجمته.

٤ ـ وإبراهيم هو ابن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي أبو عمران الكوفي وهو ثقة فقيـه إلا أنه يرسل كثيراً، من الطبقة الثانية مات سنة ست وتسعـين، وهو ابن خمسـين أو نحوها، أخرج له الجماعة (التقريب ١/٤٦ رقم ٣٠١).

٥ ـ وأبو صالح هو عبـدالله بن صالـح كاتب الليث وهـو صدوق كثـير الغلط وقد مضى وهذا الإسناد متصل إلى إبراهيم النخعي وأبي صالح (انظر تهذيب التهذيب ٧/٥٨ رقم ١١٨، ١/٢٢١ رقم ٣٩٥، ٤/٢٣٢ رقم ٣٧٦) ولكن إبـراهيم النـخعـي لم يسمـع من ابن مسعود (انـظر تهذيب التهـذيب ١/١٧٧ رقم ٣٢٥) وأبا صـالح لم يسمع من أبي هريرة (تهذيب التهذيب ٥/٢٥٦ رقم ٤٤٨).

(١) تهذيب التهذيب ١/١٧٧.

٨ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾ (الإسراء/ ٨٠).

* * *

(٢٠٥) قال الإمام الترمذي: حدثنا أحمد بن منيع أخبرنا جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال: «كان النبي ی الله عليه وسلم بمكة ثم أمر بالهجرة فنزلت عليه **﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾**.

هذا حديث حسن صحيح[1].

بيان الإسناد:

١ ـ أحمد بن منيع هو أبو جعفر أحمد بن منيع بن عبدالرحمن البغوي الأصم، صاحب المسند وهو ثقة حافظ من الطبقة العاشرة،

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الاسراء، حديث رقم ٣١٣٩.

مات سنة أربع وأربعين ومائتين وله أربع وثمانون سنة، وقد أخرج له الجماعة[1].

٢ - جرير بن عبدالحميد بن قرط الضبعي، ثقة صحيح الكتاب، وقيل كان في آخر عمره يهم من حفظه، مات سنة ثمان وثمانين ومائة، وله سبعون سنة، وقد أخرج له الجماعة[2].

٣ - قابوس بن أبي ظبيان الجنبي، فيه لين، وذكره الإمام الذهبي مع الضعفاء، وهو من الطبقة السادسة، أخرج له الإمام البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وابن ماجه[3].

٤ - وأبوه هو حصين بن جندب بن الحارث الجنبي وهو ثقة من الطبقة الثانية مات سنة تسعين وقيل غير ذلك وقد أخرج له الجماعة[4].

وهذا الإسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[5] إلا أن فيه ضعفاً لضعف قابوس بن أبي ظبيان ولكنه صالح للاعتبار، ولم أجد له شاهداً يقويه.

وقد أخرجه الإمام أحمد والحاكم والبيهقي من طريق جرير بن عبدالحميد عن قابوس بن أبي ظبيان بهذا الإسناد وصححه الحاكم ووافقه الذهبي[6].

---

(١) التقريب ١/٢٧ رقم ١٢٨، تذكرة الحفاظ ١/٤٨١ رقم ٤٩٦.
(٢) التقريب ١/١٢٧ رقم ٥٦، الخلاصة/٦١.
(٣) التقريب ٢/١١٥ رقم (١)، المغني في الضعفاء للذهبي رقم ٤٩٧٥، ديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي رقم ٣٤٠٢.
(٤) التقريب ١/١٨٢ رقم ٤٠٧، الخلاصة/٨٥.
(٥) تهذيب التهذيب ١/٨٤ رقم ١٤٤، ٨/٣٠٥ رقم ٥٥٣، ٢/٣٧٩ رقم ٦٥٤.
(٦) مسند أحمد ١/٢٣٣ - المستدرك ٣/٣ كتاب الهجرة.
سنن البيهقي ٩/٩ كتاب السير باب الاذن بالهجرة.

وأبو عبدالله الحاكم قد عرف عنه التساهل في التصحيح رحمه الله ولكن في موافقة الإمام الذهبي إياه غرابة لأنه يضعف قابوس بن أبي ظبيان كما سبق في ترجمته، فحديثه لا يرتفع إلى الصحة ولو اعتضد بالشواهد، وانما لو وجد شاهد له يرتفع إلى الحسن فقط.

بيان المعنى :-

تبين لنا مما جاء في الحديث أن سبب نزول قوله تعالى ﴿ **وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق** ﴾ كان هجرة النبي ى الله عليه وسلم إلى المدينة فيكون المراد بقوله ﴿ **مدخل صدق** ﴾ دخوله إلى المدينة وقوله ﴿ **مخرج صدق** ﴾ خروجه من مكة.

وقد روى عن ابن عباس في تفسير الاية قول آخر وهو ما أخرجه ابن جرير من طريق عطيه العوفي عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية يعني بالإدخال : الموت والإخراج : الحياة بعد الموت[1].

هذا الإسناد ضعيف كما تقدم[2]، والقول الأول أنسب لسياق الآيات لقوله تعالى قبل هذه الآية بثلاث آيات ﴿ **وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلاً** ﴾ فإن هذه الآية نزلت في مشركي قريش لما أرادوا إخراج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة كما روى ذلك عن مجاهد وقتادة وما بعد هذه الآية توجيهات من الله **جل** وعلا لنبيه صلى الله عليه وسلم لتثبيته على الحق، وجاء من ضمن هذه التوجيهات قوله تعالى ﴿ **وقل**

---

(١) تفسير الطبري ١٥/١٤٨.

(٢) أنظر الحديث رقم (٣٥).

رب أدخلني مدخل صدق ﴾.

وقد اختار ابن جرير هذا القول ووجهه بمناسبته لسياق الآيات[1].

وقوله تعالى ﴿ واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾ أمر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بالرغبة إليه في أن يهيىء له القوة التي ينتصر بها للحق من الباطل.

---

(١) تفسير الطبري ١٥/١٥٠.

٩ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمـر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾(الإسراء/ ٨٥).

* * *

(٢٠٦) قال الإمام الـترمذي حـدثنا قتيبـة أخبرنـا يحيى بن زكريـا بن أبي زائدة عن داود بن أبي هند عن عكـرمة عن ابن عبـاس قال : « قـالت قريش ليهود أعـطونا شيئـاً نسأل عنـه هذا الـرجل فقـالوا : سلوه عن الروح، فسألوه عن الروح فأنزل الله تعالى **﴿ ويسألـونك عن الـروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلاً ﴾**، قالوا : أوتينا علماً كبيراً، أوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كبيراً فأنـزلت **﴿ قل لو كـان البحر مـداداً لكلمات ربي لنفد البحـر ﴾** الى آخر الآيـة « هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه »[1].

بيان الإسناد :ـ

١ ـ قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي أبو رجاء البغلاني،

---

(١) سنن الترمذي، كتب التفسير، سورة الإسراء، حديث رقم ٣١٤٠.

وهـو ثقة ثبت، من الـطبقة العـاشرة، مات سنـة أربعين ومـائتين عن تسعين سنة، وقد أخرج له الجماعة[1].

والبغلاني منسوب إلى بغلان وهي بلدة بنواحي بلخ[2].

٢ ـ يحيى بن زكريا بن أبي زائدة أبو سعيد الهمداني الكـوفي، وهو حافظ ثقة متقن فقيه، من كبار الـطبقة التـاسعة، مـات سنة ثـلاث أو أربـع وثـمانـين ومـائـة، ولـه ثـلاث وتسعـون سنـة، وقـد أخـرج لـه الجماعة[3].

٣ ـ داود بن أبي هند، ثقة متقن، وقد تقدمت ترجمته[4].

٤ ـ عكرمة مولى ابن عباس ثقة ثبت تقدمت ترجمته[5].

فهؤلاء الرواة كلهم ثقات، وقد سمع بعضهم من بعض[6].

وبناء على هذا يكون هذا الإسناد صحيحاً.

وقـد أشار الحـافظ ابن حجر إلى روايـة الإمام الـترمذي هـذه ثم قال: ورجاله رجال مسلم[7].

وقد أخرجه الإمام أحمد بهذا الإسناد وذكر مثله[8].

وأخـرجه أبـو عبـد الله الحـاكم من طـريق قتيبـة بن سعيـد بهـذا الإسناد وذكر مثله، وقد صححه ووافقه الإمام الذهبي[9].

---

(١) القريب ٢/١٣٢ رقم ٨٥.
(٢) اللباب في تهذيب الأنساب ١/١٦٤.
(٣) تذكرة الحفاظ ١/٢٦٧ رقم ٢٥٢، التقريب ٢/٣٤٧ رقم ٦٣.
(٤) انظر الحديث رقم (٤٩).
(٥) انظر الحديث رقم (٥٠).
(٦) انظر تهذيب التهذيب ٨/٣٥٨ رقم ٦٣٩، ١١/٢٠٨ رقم ٣٤٩، ٣/٣٠٤ رقم ٣٨٨.
(٧) فتح الباري ٨/٤٠١.
(٨) مسند أحمد ١/٢٥٥.
(٩) المستدرك، كتاب التفسير، سورة القدر ٢/٥٣١.

بيان المعنى :

من هذا الحديث تبين لنا أن قوله تعالى ﴿ **ويسألونك عن الروح** ﴾ نزلت بسبب طلب قريش من اليهود شيئاً يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقالوا لهم : سلوه عن الروح فسألوه فنزلت هذه الآية .

ولكن أخرج الإمام البخاري من طريق علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : بينا أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث - وهو متكىء على عسيب - إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح، فقال : ما رابكم إليه[1]، وقال بعضهم : لا يستقبلنكم بشيء تكرهونه، فقالوا : سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئاً فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾[2] .

فهذه الرواية يفهم منها أن هذه الآية نزلت في المدينة بسبب سؤال اليهود، وهذا يتعارض مع ما يفهم من الرواية السابقة حيث كان السؤال من مشركي قريش في مكة .

---

(١) قوله « مارابكم إليه » قال ابن حجر : كذا للأكثر بصيغة الفعل الماضي من الريب ويقال فيه رابه كذا وأرابه كذا بمعنى، قال وقال الخطابي : الصواب مأربكم - بتقديم الهمزة وفتحتين - من الأرب وهو الحاجة، قال ابن حجر : وهذا واضح المعنى لو ساعدته الرواية، نعم رأيته في رواية المسعودي عن الأعمش عند الطبري كذلك - فتح الباري ٨/٤٠٢ .

أقول : والذي جاء في رواية الطبري التي أشار إليها ابن حجر «فقالوا : مأربكم إلى أن تسمعوا ما تكرهون ؟ » تفسير الطبرى ١٥/١٥٥ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الإسراء، باب رقم ١٣ .

وقد أجاب الحافظ ابن حجر عن هذا التعارض بقوله : « ويمكن الجمع بأن يتعدد النزول بحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك، وإن ساغ هذا وإلا فما في الصحيح أصح[1].

وذهب ابن كثير أيضاً إلى الجمع بينهما بتعدد النزول[2] وهذا الذي ذهب إليه الحافظ ابن حجر وابن كثير هو الظاهر حتى يمكن الأخذ بالحديثين معاً ما داما صحيحين.

وقد اختلفت الروايات عن ابن عباس في المراد بالروح في الآية فروى عنه أن المراد بها الروح التي في الجسد وقد أخرج ابن جرير في ذلك من طريق عطية العوفي عن ابن عباس أنه قال : وذلك أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا ما الروح ؟ وكيف تعذب الروح التي في الجسد وإنما الروح من الله عز وجل ؟[3].

وروى عنه أن المراد بها ملك من الملائكة، وقد اخرج ابن جرير في ذلك من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال في هذه الآية : الروح ملك[4].

والظاهر أن القول الأول أرجح لأن المتبادر عند إطلاق كلمة الروح أنها التي في الجسم ولا تخرج إلى معنى آخر إلا إذا دل السياق على ذلك كقوله تعالى في جبريل عليه السلام ﴿ **نزل به الروح الأمين** ﴾ (الشعراء/١٩٣).

---

(١) فتح الباري ٨/٤٠١.
(٢) تفسير ابن كثير ٣/٦٥.
(٣) تفسير الطبري ١٥/١٥٦.
(٤) تفسير الطبري ١٥/١٥٦.

وقوله تعـالى عن الوحي إلى رسله عليهم السـلام ﴿ **يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده** ﴾ (غافر/١٥).

وقـولـه تعـالى عن القـرآن ﴿ **وكـذلـك أوحينـا اليـك روحـاً من أمرنا** ﴾(الشورى/٥٢).

١٠ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً ﴾(الإسراء/٩٧).

(٢٠٧) قال الامام البخاري : قال ابن عباس ﴿ خبت ﴾ طفئت[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ كلما خبت ﴾ قال : سكنت[٢].

وأخرجه أيضاً من طريق العوفي عن ابن عباس قال : كلما أحرقتهم تسعر بهم حطباً، فإذا أحرقتهم فلم تبق منهم شيئاً صارت جمراً تتوهج فذلك خُبُوُّها فإذا بدلوا خلقاً جديداً عاودتهم.

وقال الراغب الأصفهاني في معنى هذه الكلمة : خبت النار تخبو سكن لهبها وصار عليها خباء من رماد أي غشاء، وأصل الخباء الغطاء الذي يتغطى به[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الإسراء، باب رقم ٤.

(٢) تفسير الطبري ١٥/١٦٨.

(٣) المفردات في غريب القرآن / ١٤٢.

١١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ (الإسراء/١١٠)

* * *

(٢٠٨) قال الإمام البخاري : حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ قال : نزلت ورسول الله مختف بمكة، كان اذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ﴿ ولا تخافت بها ﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾[1].

---

(١) صحيح البخاري، رقم ٤٧٢٢، كتاب التفسير، باب ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ ورقم ٧٤٩٠، كتاب التوحيد باب قوله تعالى ﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به ﴾ ورقم ٧٥٤٧، كتاب التوحيد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم « الماهر بالقرآن ».

وأخرجه الإمام مسلم والترمذي والنسائي وأبو عوانة والبيهقي من طريقين(١).

بيان المعنى :

تبين لنا من هذا الحديث أن قوله تعالى ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** ﴾ نزل في وقت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفي دعوته عن قريش وأنه كان إذا رفع صوته بالقرآن سمع ذلك المشركون فسبوا القرآن ومن أنزله، واذا أسر بقراءته لم يسمعه أصحابه فأمره الله تعالى بالقراءة بين ذلك حتى يسمعه أصحابه ولا يسمعه المشركون.

وليس المقصود بقول ابن عباس « نزلت ورسول الله مختف بمكة » أنها نزلت في الفترة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام فيها سراً لأن المشركين في تلك الفترة لم يكونوا يسمعون القرآن بل نزلت بعد ذلك حينما استحكمت عداوتهم للإسلام، وإنما يقصد ابن عباس بقوله هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن وهو في مكة يستطيع الظهور التام بدعوته في جميع أحواله.

ولم يكن الناس يستطيعون الاتصال به بالشكل الذي أصبح عليه بعد هجرته إلى المدينة.

ومن سبب النزول هذا تبين لنا أن حكم الآية مرتبط بفترة من

---

(١) صحيح مسلم، رقم ٤٤٦، كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة.
سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة بني إسرائيل، حديث رقم ٣١٤٥.
سنن النسائي ٢/١٧٧، كتاب الافتتاح، باب قوله عز وجل ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** ﴾.
مسند أبي عوانة ٢/١٢٣، باب النهي عن رفع الإمام صوته.
السنن الكبرى ٢/١٨٤، كتاب الصلاة، باب الاختيار للإمام والمأموم في أن يخفيا الذكر و٢/١٩٥ كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في صلاة الصبح.

فترات الإسلام وأن الأمر بالقراءة في الصلاة بين الجهر والإخفاء متعلق بغرض من أغراض الدعوة إلى الله فيبقى حكم الآية سارياً فيما يماثل تلك الفترة، أما في فترات الأمن من الأعداء فيعمل بالأدلة الأخرى التي تحدد كيفية القراءة في الصلاة.

ومما يدل على ان حكم الآية لا يطلب تطبيقه في جميع الأوقات ما أخرجه ابن جرير قال: حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** ﴾ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالصلاة بالمسلمين بالقرآن شق ذلك على المشركين إذا سمعوه... ثم ذكر الحديث السابق وفي آخر، ﴿ **وابتغ بين ذلك سبيلاً** ﴾ يقول: اطلب بين الإعلان والجهر وبين التخافت والخفض طريقاً لا جهراً شديداً ولا خفضاً لا تسمع أذنيك فذلك القدر، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سقط هذا كله، يفعل الآن أي ذلك شاء[1].

وهذا الإسناد تقدم الكلام عليه وتبين لنا أن فيه بشر بن عمارة الخثمي وهو ضعيف[2].

فقول ابن عباس « فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سقط هذا كله » دليل على ان حكم هذه الآية مقيد بالدواعي التي دعت إليه فلما زالت هذه الدواعي زال هذا الحكم.

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ١٨٥.

(٢) انظر رقم ٤، وقد ذكر اسمه في تفسير ابن جرير المطبوع «بشر بن عمار» وهو خطأ صوابه «بشر بن عمارة» كما تقدم في سورة البقرة.

وقوله « يفعل الآن أي ذلك شاء » مقيد بالأدلة الأخرى التي تبين مشروعية الجهر في بعض الصلوات والاسرار في البعض الآخر.

وقد روى عن ابن عباس في بيان سبب نزول الآية قول آخر وهو
(٢٠٩) ماأخرجه ابن جرير قال : حدثنا أبو كريب قال حدثنا يونس قال حدثنا محمد بن إسحاق قال حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرقوا وأبوا أن يسمعوا منه، فكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقاً منهم فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع فإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته لم يستمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً فانزل الله عليه ﴿ **ولا تجهر بصلاتك** ﴾ فيتفرقوا عنك ﴿ **ولا تخافت بها** ﴾ فلا تسمع من اراد أن يسمعها ممن يسترق السمع ذلك دونهم لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به ﴿ **وابتغ بين ذلك سبيلاً** ﴾(١).

وإسناده حسن(٢).

ففي هذه الرواية بيان أن سبب نزول هذه الآية هو أن بعض

---

(١) تفسير الطبري ١٥/١٨٥.

(٢) بيان إسناد هذا الحديث :

١ - أبو كريب هو محمد بن العلاء بن كريب الهمداني، وهو ثقة حافظ كما تقدم انظر ص ٩ رقم ١.

٢ - يونس بن بكير بن واصل الشيباني، صدوق يخطىء أحياناً، من الطبقة التاسعة (التهذيب ١١/٤٣٤ رقم ٨٤٤).

٣ - ومحمد بن اسحاق هو صاحب المغازى وهو صدوق يدلس كما تقدم - انظر ص ١٩ = رقم ٢.

المشركين كانوا يحبون سماع القرآن من رسول الله ى الله عليه وسلم ولكنهم كانوا يخشون من قومهم فإذا رفع رسول الله ى الله عليه وسلم صوته بقراءة القرآن سمعه زعماء قريش الذين يحاربون الإسلام ويصدون الناس عن الدخول فيه فيتفرق أولئك الذين يريدون سماع القرآن خوفاً من هؤلاء الزعماء فأمر الله تعالى نبيه صلى الله ى الله عليه وسلم بالقراءة بين الجهر والإخفاء حتى لا يسمعه من يتصدى لحربه ويسمعه من قصد السماع منه من قومه.

وهذا يخالف المعنى المستفاد من الحديث الأول ولكن يمكن الجمع بينهما بالقول بامكان حصول الأمرين من كفار مكة ونزول الآية فيهما معاً إذ أن هؤلاء الكفار كانوا يهاجمون القرآن الكريم ويصفونه بأشنع الصفات ولا يتأدبون مع الله جل وعلا كما كانوا ايضا يصدون قومهم عن سماع القرآن أو الاتصال بالنبي ى الله عليه وسلم.

وأخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** ﴾ قال: لا تصل مراءاة الناس ولا تدعها مخافة(١).

واسناده حسن كما تقدم(٢).

= ٤ - داود بن الحصين ثقة الا في عكرمة كما تقدم.

٥ - عكرمة هو مولى ابن عباس وهو ثقة ثبت كما تقدم.

وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض (انظر تهذيب التهذيب ١١/ ٤٣٤ رقم ٨٤٤، ٩/ ٣٨ رقم ٥١، ٣/ ١٨١ رقم ٣٤٥).

فهذا اسناد متصل وفيه محمد بن اسحاق متهم بالتدليس وقد صرح هنا بالسماع فانتفى عنه التدليس، لكن فيه يونس بن بكير قد اتهم بالخطأ ولم يظهر منه خطأ في هذا الحديث فيكون هذا الأسناد حسناً.

(١) تفسير الطبري ١٥/ ١٨٧.

(٢) انظر الحديث رقم (٢).

وهـذا المعنى الذى ذكـره ابن عباس ليس هـو المعنى المقصـود من الآيـة اذ انه يتعـارض مع المعنى المستفـاد من الروايتـين السابقتـين كما يتعارض مع سياق الآية حيث جاءت هذه الآية ضمن آيات نـزلت في مجادلة المشركين وصدر هذه الآية قوله تعـالى ﴿ **قل ادعـوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعـو فله الاسماء الحسنى** ﴾ نـزل حينما قـال المشركون، هذا يزعم أنه يدعو واحداً وهو يدعـو مثنى مثنى وقد كـان النبي ى الله عليه وسلم يقول في سجوده يارحمن يارحيم كما روى عن ابن عبـاس، أخرجه عنه ابن جرير من طريق أبي الجوزاء[١].

وانما ذكر ابن عباس هذا المعنى وهو قوله « لا تصل مـراءاة الناس ولا تدعها مخافة » من باب بيان المعـاني التي تستفاد من الآيـة حيث أن الجهر بالصلاة قد يكون الدافع اليه الرياء، واخفـاء الصلاة قـد يكون الدافع إليه الخوف من الأعداء.

(١) تفسير الطبري ١٥/١٨٢ وإسناده ضعيف لأن فيه الحسين بن داود المصيصى «سنيد» وهو ضعيف كما تقدم.

« سورة الكهف » - ١٨ -

١ - ماجاء في قوله تعالى

﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾ (الكهف/ ٩).

* * *

(٢١٠) قال الإمام البخاري : قال سعيد[١] عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ الرقيم ﴾ اللوح من رصاص، كتب عاملهم أسماءهم ثم طرحه في خزانته فضرب الله على آذانهم فناموا[٢].

قال الحافظ ابن حجر : وصله عبد بن حميد من طريق يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير مطولاً وإسناده صحيح على شرط البخاري[٣].

وقال الحافظ ابن حجر في موضع آخر : وقد روى عبد بن حميد بإسناد صحيح عن ابن عباس قصة أصحاب الكهف مطولة غير مرفوعة . . . ثم ذكر ملخصاً لهذه القصة[٤].

---

(١) يعني سعيد بن جبير كما ذكر الحافظ ابن حجر - الفتح ٨/٤٠٧.
(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الكهف.
(٣) فتح الباري ٨/٤٠٧.
(٤) فتح الباري ٦/٥٠٥، كتاب أحاديث الأنبياء.

وقد ذكرها السيوطي من رواية ابن ابي شيبة وابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابن عباس قال : غزونا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف الذي ذكر الله في القرآن فقال معاوية : لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس : ليس ذلك لك قد منع الله ذلك عمن هو خير منك فقال ﴿ **لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً** ﴾ فقال معاوية : لا أنتهي حتى أعلم علمهم، فبعث رجالاً فقال : إذهبوا فادخلوا الكهف فانظروا فذهبوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأخرجهم، فبلغ ذلك ابن عباس فأنشأ يحدث عنهم فقال : إنهم كانوا في مملكة ملك من الجبابرة فجعلوا يعبدون الأوثان، وهؤلاء الفتيان في المدينة فلما رأوا ذلك خرجوا من تلك المدينة فجمعهم الله على غير ميعاد فجعل بعضهم يقول لبعض : أين تريدون أين تذهبون ؟ فجعل بعضهم يخفي على بعض لأنه لا يدري هذا على ما خرج هذا ولا يدري هذا، فأخذوا العهود والمواثيق أن يخبر بعضهم بعضاً فإن اجتمعوا على شيء وإلا كتم بعضهم بعضاً فاجتمعوا على كلمة واحدة فقالوا ﴿ **ربنا رب السموات** ﴾ إلى قوله ﴿ **مرفقا** ﴾، قال : فقعدوا فجاء أهلهم يطلبونهم لا يدرون أين ذهبوا، فرفع أمرهم إلى الملك فقال : ليكونن لهؤلاء القوم بعد اليوم شأن، ناس خرجوا لا يدرى أين ذهبوا في غير خيانة ولا شيء يعرف، فدعا بلوح من رصاص فكتب فيه أسماءهم ثم طرح في خزانته، فذلك قول الله ﴿ **أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم** ﴾ والرقيم هو اللوح الذي كتبوا فيه، فانطلقوا حتى دخلوا الكهف فضرب الله على آذانهم فناموا فلو أن الشمس تطلع عليهم لأحرقتهم ولولا أنهم يقلبون لأكلتهم الأرض

وذلـك قول الله ﴿ **وتـرى الشمس إذا طلعت تـزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال** ﴾ .

قـال : ثم إن ذلك الملك ذهب وجـاء ملك آخر فعبـد الله وتـرك تلك الأوثان وعدل في الناس فبعثهم الله لما يريد، فقـال قائـل منهم : كم لبثتم ؟ فقال بعضهم يوماً، وقال بعضهم يومين وقـال بعضهم أكثر من ذلك، فقال كبيرهم : لا تختلفوا فإنه لم يختلف قوم قط إلا هلكوا، فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة، فرأى شارة أنكرها ورأى بنياناً أنكـره ثم دنا إلى خبـاز فرمى إليـه بـدرهم وكـانت دراهمهم كخفـاف الرُّبَعِ - يعني ولد الناقة - فأنكر الخباز الدرهم فقال : من أين لك هذا الدرهم ؟ لقد وجدت كنزاً لتدلني عليه أو لأرفعنك إلى الأمير، فقال : أو تخوفني بالأمير ؟ وأتى الدهقان الأمير قـال : من أبوك ؟ قـال فلان، فلم يعـرفه، قـال فمن الملك ؟ قال : فـلان، فلم يعرفـه، فـاجتمـع عليهم الناس، فرفـع الى عالمهم فسـأله فـأخبره، فقـال عليَّ بـاللوح، فجيء به، فسمى أصحابه فلاناً وفلاناً وهم مكتوبون في اللوح، فقال للنـاس : إن الله دلكم عـلى إخـوانكم، وانـطلقـوا وركبـوا حتى أتـوا الكهف فلما دنوا من الكهف قال الفتى : مكـانكم أنتم حتى أدخل أنـا عـلى أصحابي ولا تهجمـوا فيفزعـون منكم وهم لا يعلمون أن الله قـد أقبل بكم وتاب عليكم، فقالوا : لتخرجن علينا، قـال : نعم إن شاء الله، فدخل فلم يدروا أين ذهب وعمى عليهم فطلبـوا وحرصـوا فلم يقدروا على الـدخول عليهم، فقـالوا لنتخـذن عليهم مسجداً فـاتخذوا عليهم مسجداً فجعلوا يصلون عليهم ويستغفرون لهم[1] .

---

(١) الدر المنثور ٤/٢١٣ .

وقد روى عن ابن عباس في المراد بالرقيم قولان آخران : الأول أنه إسم للوادي ، أخرج ذلك ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس أنه قال : الرقيم واد بين عسفان وأَيْلة دون فلسطين وهو قريب من أيلة [١].

وهذا الإسناد ضعيف كما تقدم [٢].

والثاني انه اسم للجبل، أخرج ذلك ابن جرير الطبري من طريق الحسين بن داود عن حجاج بن محمد عن ابن جريح عن ابن عباس قال « الرقيم الجبل الذي فيه الكهف » [٣].

وهذا إسناد ضعيف لأن فيه الحسين بن داود المصيصي المعروف بـ «سنيد » وهو ضعيف كما تقدم .

فالمعتمد عن ابن عباس في تفسير الرقيم هو ماجاء في حديث الامام البخاري السابق من أن المراد به اللوح الذي كتبت فيه أسماء أصحاب الكهف .

---

(١) تفسير الطبري ١٥/ ١٩٨ .
(٢) انظر الحديث رقم (٣٥) .
(٣) تفسير الطبري ١٥/ ١٩٩ .

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً ﴾ (الكهف/٣٣).

* * *

(٢١١) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما **﴿ أكلها ولم تظلم ﴾** لم تنقص[١].

قال الحافظ ابن حجر : وصله ابن أبي حاتم من طريق عطاء عن ابن عباس[٢].

بيان المعنى :ـ

قوله تعالى **﴿ كلتا الجنتين آتت أكلها ﴾** المراد بالجنتين الجنتان المذكورتان في الآية السابقة وهي قوله تعالى **﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً ﴾**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورةالكهف.

(٢) فتح الباري ٨/٤٠٧.

المعنى : كلتا الجنتين آتت ثمرتها كاملة ﴿ **ولم تظلم منه شيئاً** ﴾ يعني ولم تنقص من إنتاجها شيئاً، على خلاف العادة في البساتين الأخرى حيث تتعرض في الغالب للنقص أو الفساد.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : ﴿ **ولم تظلم منه شيئاً** ﴾ ولم تنقص ويقال : « ظلمني فلان حقي » أي نقصني، وقال رجل لابنه :

تَظَلَّمني ما لي كذا وَلَوى يدي   لَوَى يده الله الذي هو غالبه[1]

وقوله ﴿ **فجرنا خلالهما نهرا** ﴾ هذا من كمال الجنتين حيث يتوفر لهما الإرواء الكافي بالماء فيزيد ذلك من إنتاجهما، ومن كمال الراحة لصاحبهما حيث لا يجد مشقة في الحصول على الماء الذي فيه حياة الجنتين وبهاؤهما.

---

(١) مجاز القرآن ١٠٢/١.
وهذا البيت لفرعان بن الاعرف يقوله في ولده منازل ـ انظر ديوان الحماسة لأبي تمام ٢٦١/٢.

٣ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقباً. فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً. فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذه سبيله في البحر عجباً قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً. فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً. قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً، قال إنك لن تستطيع معي صبراً. وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً، قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً. قال فإن اتبعتنى فلا تسألني عن شيءٍ حتى أحدث لك منه ذكراً، فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً. قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً. فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً. قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً. قال إن سألتك عن شيء

بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنى عذرا. فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لا تخذت عليه أجراً. قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً. أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً. وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً. فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً. وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ومافعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً ﴾ (الكهف/ ٦٠ ـ ٨٢).

* * *

(٢١٢) قال الإمام البخاري : حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال أخبرني سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس : إن « نوفا البكالى » يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني اسرائيل، فقال ابن عباس : كذب عدو الله، حدثني «أبي بن كعب» أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه : أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى : يارب فكيف لي به ؟ قال : تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم، فأخذ حوتا فجعله في مِكْتل ثم انطلق وانطلق معه بفتاه «يوشع بن نون» حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما، واضطرب

الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبر بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه ﴿ **آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً** ﴾ قال : ولم يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذي أمر الله به، فقال له فتاه : ﴿ **أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً** ﴾ قال : فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا ـ فقال موسى : ﴿ **ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا** ﴾، قال : رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى ثوبا، فسلم عليه موس فقال الخضر : أَنَّى بأرضك السلام ؟ قال : أنا موسى، قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً، قال إنك لن تستطيع معي صبراً. يا موسى إنى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه، فقال موسى : ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً. فقال له الخضر ﴿ **فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً** ﴾ فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلماهم أن يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نَوْل، فلما ركبا في السفينة لم يُفْجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً ﴿ **قال ألم اقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً. قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً** ﴾ قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وكانت الأولى من موسى

نسياناً » قال : وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر : ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة فبينا هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى : ﴿ **أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً. قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبراً** ﴾ قال : وهذه أشد من الأولى ﴿ **قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدني عذراً فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض** ﴾ قال : مائل - فقام الخضر فأقامه بيده. فقال موسى : قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا. قال هذا فراق بيني وبينك - إلى قوله - ﴿ **ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً** ﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما »

قال سعيد بن جبير : فكان ابن عباس يقرأ : « وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً » وكان يقرأ « وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين »[(١)].

وأخرجه مسلم في صحيحه من عدة طرق[(٢)]

وأخرج أبو داود في سننه أجزاء منه[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الكهف، باب رقم ٢، حديث رقم ٤٧٢٥، ٤٧٢٦، ٤٧٢٧ كتاب العلم رقم ٧٤، ٧٨، ١٢٢. كتاب أحاديث الأنبياء رقم ٣٤٠٠، ٣٤٠١، كتاب التوحيد رقم ٧٤٧٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر عليه السلام، رقم ٢٣٨٠.

(٣) سنن أبي داود، كتاب السنن، باب في القدر، حديث رقم ٤٧٠٥، ٤٧٠٦، ٤٧٠٧.

وأخرجه الترمذي في سننه من عدة طرق[(١)]

بيان المعنى :

قوله « ان نوفا البكالى » قال الحافظ ابن حجر في «البكالي» هو بكسر الموحدة مخففاً وبعد الألف لام، ووقع عند بعض رواة مسلم بفتح أوله والتشديد والأول هو الصواب، واسم أبيه فضالة بفتح الفاء وتخفيف المعجمة ـ وهو منسوب إلى بني بكال . . بطن من حمير، ويقال إنه ابن امرأة كعب الأحبار وقيل ابن أخيه وهو تابعي صدوق[(٢)].

قوله «يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل » هذه المقالة مأخوذة من أهل الكتاب، قال ابن إسحاق في « المبتدأ » كان موسى بن ميشا قبل موسى بن عمران نبياً في بني إسرائيل، ويزعم أهل الكتاب أنه الذي صحبه الخضر. ذكره ابن حجر[(٣)].

وقد جاء سبب تسمية الخضر بهذا الاسم في حديث أخرجه الإمام البخاري من طريق همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء »[(٤)].

قال ابن الاثير بعد أن ذكر هذا الحديث : الفروة الأرض اليابسة وقيل : الهشيم اليابس من النبات، وذكر ابن حجر هذين القولين في

---

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الكهف ٥٨٨/٨ .

(٢) فتح الباري ٤١٣/٨ .

(٣) فتح الباري ٤١٣/٨ .

(٤) صحيح البخارى، كتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم ٢٧ .

شرح هذا الحديث وكذلك ذكرهما ابن منظور في لسان العرب[١].

قوله «فقال ابن عباس : كذب عدو الله » قال الحافظ ابن حجر : قوله «كذب» وقوله «عدو الله » محمولان على المبالغة في الزجر والتنفير عن تلك المقالة[٢].

أقول : وهذ المبالغة في الزجر من ابن عباس لأن نوفا البكالي أخذ عن أهل الكتاب ما يخالف الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

والظاهر أن ابن عباس أراد بالكذب هنا الخطأ وذلك لأن نوفا لم يختلق هذا الخبر وإنما هو مروي عن أهل الكتاب فأخطأ حينما نقل عنهم ما يخالف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله « واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق » في هذا آية من آيات الله جل وعلا حيث أحيا الحوت بعد موته وأبقى فيه الحياة وهو خارج المياه على خلاف المعتاد من حياة السمك حيث يموت بعد إخراجه من الماء، ثم أمسك الله جلا وعلا الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وهو مايعقد من الأبنية على الأبواب ونحوها[٣] ليكون آية لموسى عليه السلام إذا رجع فيعرف مكانه.

قوله « وأنى بأرضك السلام » الاستفهام للاستبعاد أي وكيف يوجد هذا اللفظ من التحية بهذه الأرض ؟ وهذا دليل على أن أهل

(١) فتح الباري ٦/٤٣٣ ، النهاية في غريب الحديث، لسان العرب (مادة فرا).
(٢) فتح الباري ٨/٤١٣ .
(٣) انظر لسان العرب (مادة طوق)

تلك البلاد لم يكونوا مسلمين[1]

قوله « فحملوهم بغير نول » أي بغير أجرة كما جاء في بعض روايات البخاري فقالوا : عبد الله الصالح لا نحمله بأجر »[2].

قوله « فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً » أي ارتكبت شيئاً عظيماً وفعلت منكراً، والإمر بكسر الهمزة قيل هو الأمر العظيم الشنيع وقيل هو الأمر العجيب، وقال الأخفش يقال أمر أمره إمراً إذا اشتد قال الراجز :

قد لقى الأقران مني نكرا داهية دَهْياء إدًّا إمرا[3].

قوله « ما علمي وعلمك من علم الله إلامثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر » هذا التشبيه لتقريب المعنى الذي أراده الخضر عليه السلام وهو بيان سعة علم الله تعالى وليس المراد تشبيه علم الله تعالى بالبحر لأن علم الله تعالى ليس له حدود، قال تعالى ﴿ **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً** ﴾ (الكهف/١٠٩) ـ وقال : ﴿ **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ (لقمان/٢٧).

قوله « قال سعيد بن جبير : فكان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا » وكان يقرأ « وأما الغلام فكان

(١) فتح الباري ٨/٤١٧

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الكهف، باب رقم ٣.

(٣) لسان العرب (مادة أمر)،

كافراً وكان أبواه مؤمنين ».

هـذه القراءة لم يـذكرهـا ابن الجـزري من القـراءات العشر وهي شـاذة لمخالفتهـا للرسم العثماني فـإن فيها زيـادة كلمة أو إبـدال كلمـة بأخرى، وهي من حيث المعنى لا تختلف مع القراءة المشهورة بل تعتـبر تفسيراً لها.

فقوله تعالى ﴿ **وكان وراءهم ملك** ﴾ أي أمامهم كما جاء في قراءة ابن عبـاس، وهـذه الكلمـة من أسـماء الأضـداد وتـطلق عـلى الخلف والأمام.

وقوله ﴿ **يـأخذ كـل سفينة غصبـاً** ﴾ المقصود كـل سفينة صـالحة سليمة من العيوب إذ لـو كان الملك يـأخذ كـل سفينة عـلى الإطلاق لم يكن لتعييب الخضر سفينة المساكين معنى. وهذا هو المذكور في القراءة المنسوبة إلى ابن عباس.

وقـوله تعـالى ﴿ **وأما الغـلام فكان أبـواه مؤمنين** ﴾ المقصـود أنـه سيئول أمره إلى الكفـر إذا كبر فلذلـك قتله الخضر كما يـدل عليه قـوله ﴿ **فخشينا أن يرهقهـما طغيانـاً وكفرا** ﴾ وفي القـراءة المنسوبـة إلى ابن عباس التصريح بأنه كان كافرا.

٤ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً ﴾ (الكهف/٩٦).

* * *

(٢١٣) ١ ـ قال الإمام البخاري ﴿ حتى إذا ساوى بين الصدفين ﴾ يقال عن ابن عباس : الجبلين[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ بين الصدفين ﴾ يقول : بين الجبلين[٢].

وإسناده حسن كما تقدم[٣].

(٢١٤) ٢ ـ قال الإمام البخاري : ﴿ أفرغ عليه قطراً ﴾ قال ابن عباس : النحاس[٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الانبياء، باب رقم ٧.
(٢) تفسير الطبري ١٦/ ٢٥.
(٣) انظر الحديث رقم (٢).
(٤) صحيح البخاري، كتاب الانبياء، باب رقم ٧.

وأخرجه ابن جرير من طريق عطية العوفي عن ابن عباس قال : القطر النحاس[١] .

وإسناده ضعيف كما تقدم[٢] .

وقال الحافظ ابن حجر : وصله ابن ابي حاتم بإسناد صحيح إلى عكرمة عن ابن عباس قال : ﴿ **أفرغ عليه قطراً** ﴾ قال : النحاس[٣] .

بيان المعنى :

يقول تعالى حكاية عن ذي القرنين حينما بلغ مشرق الأرض فطلب منه أهلها أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج ردماً ﴿ **آتونى زبر الحديد** ﴾ يعني قطع الحديد كما أخرج ابن جرير من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس[٤] . فأتوه به فجعله بين الجبلين ﴿ **حتى إذا ساوى بين الصدفين** ﴾ يعني أعلى الجبلين فساواهما بالحديد ﴿ **قال انفخوا** ﴾ أي انفخوا النار على هذا الحديد حتى يتحول إلى نار ﴿ **فلما جعله ناراً** ﴾ من شدة الإيقاد عليه ﴿ **قال آتوني أفرغ عليه قطراً** ﴾ يعني نحاساً مذاباً حتى يزيد من صلابته واستوائه فلا يستطيعون اختراقه ولا الظهور فوقه ﴿ **فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً** ﴾ .

---

(١) تفسير الطبرى ١٦/٢٤ .

(٢) انظر الحديث رقم (٣٥) .

(٣) فتح الباري ٦/٣٨٥ .

(٤) تفسير الطبري ١٦/٢٤ ، وإسناده حسن كما تقدم في ص ٢ .

« سـورة مريـم »ـ ١٩ ـ

١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً ﴾ (مريم/٧).

* * *

(٢١٥) قال الإمام البخاري في قوله تعالى **﴿ لم نجعل له من قبل سمياً ﴾** قال ابن عباس : مثلاً[1].

قال الحافظ ابن حجر : وصله ابن ابي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله **﴿ لم نجعل له من قبل سمياً ﴾** يقول : هل تعلم له مثلاً أو شبهاً، ومن طريق سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله **﴿ لم نجعل من قبل سميا ﴾** قال : لم يسم يحيى قبله غيره [2].

وأخرجه أبو عبد الله الحاكم في حديث طويل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب رقم ٤٣.
(٢) فتح الباري ٦/٤٦٨.

ولم يخرجاه » ووافقه الإمام الذهبي[1].

بيان المعنى :

قوله ﴿ **لم نجعل له من قبل سمياً** ﴾ يفسره ما جاء في بعض الروايات « لم يسم يحي قبله غيره » أي أن هذا الاسم قد اختاره الله جل وعلا عليه السلام ولم يكن معروفاً عند الناس قبله.

وقد روى عن ابن عباس في الآية تفسير آخر وهو ما أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **لم نجعل له من قبل سمياً** ﴾ قال: لم تلد العواقر مثله ولداً قط[2].

والقول الأول أرجح من حيث الإسناد لأنه روى من طريقين، ومن حيث المتن لأن مدلول الأثر الثاني أن يحي عليه السلام قد اختص بكونه ولد من أم عاقر، وهذا منتقض بإسحاق عليه السلام حيث ولد من أم عاقر أيضاً كما قال تعالى حكاية عن أمه سارة ﴿ **فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم** ﴾ (الذاريات/٢٩) وذلك حينما بشرت الملائكة بولادته أباه إبراهيم عليه السلام.

---

(١) المستدرك ٢ / ٥٩٠، كتاب التاريخ، باب ذكر يحي عليه السلام.
(٢) تفسير الطبرى ١٦/ ٤٩.

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضـلال مبين ﴾ (مريم/٣٨).

* * *

(٢١٦) قال الإمام البخـاري : قال ابن عبـاس رضي الله عنهما ﴿ أسمـع بهم وأبصر ﴾ الله يقوله وهم اليوم لا يسمعون ولا يبصرون في ضـلال مبـين يعني قولـه ﴿ أسمـع بهم وأبصر ﴾ الكفـار يـومئـذ أَسْمَـعُ شيء وأبصره[1].

وقـال الحـافظ ابن حجـر : وصله ابن أبي حـاتم من طـريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس[2].

بيان المعنى :

هـذا تعجيب من الله تعالى لعبـاده من هؤلاء الكفار حـين يبعثون يوم القيامة وهم أشد ما يكونون سمعاً وأحـد ما يكـونون بصـراً حيث

---

(١) صحيح البخاري كتاب، التفسير، مقدمة سورة مريم.
(٢) فتح الباري ٨/٤٢٧.

يستفيدون من كل ما يسمعونه ومن كل ما يبصرونه فيدركون به عظمة الله جل وعلا ووحدانيته وقد كانوا في الدنيا في ضلال مبين حيث لم يستفيدوا مما يسمعونه ولا مما يبصرونه من آيات الله الدالة على وحدانيته وعظمته جل وعلا، فمن رآهم وهم على هذه الحال تعجب من حالهم حيث أصبحوا يسمعون ويبصرون في وقت لا ينفعهم فيه سمعهم ولا بصرهم، بينما عطلوا حواسهم في الوقت الذي كان ينفعهم فيه إدراكهم.

٣ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا ﴾ (مريم/٤٦).

* * *

(٢١٧) قــال الإمـام البخــاري : قــال ابن عبــاس رضي الله عنهــما : **﴿ لأرجمنك ﴾** لأشتمنك[1].

وقــال الحــافظ ابن حجـر : وصله ابن أبي حـاتم من طــريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس[2].

والرجم في الأصل الـرمي بالـرجام وهي الحجـارة الصغيرة ومنـه قـوله تعـالى حكايـة عن قوم نـوح **﴿ لئن لم تنتـه يـا نـوح لتكـونن من المـرجومـين ﴾** (الشعراء/١١٦) ويستعـار للسب والشتم كما في قـوله في هذه الآية **﴿ لأرجمنك ﴾** أي لأشتمنك وأقولن فيك ماتكره[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة مريم.

(٢) فتح الباري ٨/٤٢٧.

(٣) لسان العرب، المفرادت في غريب القرآن، مادة (رجم).

٤ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً ﴾ (مريم/٥٩)،

* * *

(٢١٨) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : **﴿ غياً ﴾** خسرانا[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

وأصل الغي الضلال والفساد، وفسره ابن عباس بالخسران لأنه جاء في الآية مترتباً على إضاعة الصلاة واتباع الشهوات الذي هو الضلال والفساد، والتعبير عن الخسران بالغي من باب التعبير عن الشيء بسببه لأن الغي سبب للخسران وسوء العاقبة[٣].

وقوله **﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾** الخَلْف بإسكان اللام

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، مقدمة سورة مريم، وكتاب بدء الخلق باب رقم ١٠.

(٢) تفسير الطبري ١٦/١٠٠.

(٣) انظر مفردات الراغب ولسان العرب مادة (غوى).

المتخلفون عن الأولين الباقون بعدهم، فهو بمعنى التخلف عن تقدم أما الخَلَف بفتح اللام فهو بمعنى البدل والخلافة[1].

والضمير في قوله ﴿ بعدهم ﴾ يعود على الأنبياء عليهم السلام الذين ذكرهم الله تعالى في هذه السورة.

---

(١) لسان العرب (مادة خلف).

٥ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً. رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً ﴾ (مريم/٦٤ ـ ٦٥).

* * *

(٢١٩) قال الإمام البخاري : حدثنا أبو نعيم حدثنا عمر بن ذر قال : سمعت أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : ما يمنعك أن تزورنا اكثر مما تزورنا ؟ فنزلت **﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا ﴾**[1].

وأخرجه الترمذي وأحمد والحاكم[2].

وأحرجه الطبري من عدة طرق وفي إحدى رواياته عن ابن عباس

---

(١) صحيح البخاري رقم ٤٧٣١، كتاب التفسير، باب **﴿ وما نتنزل الا بأمر ربك ﴾** ورقم ٣٢١٨، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ورقم ٧٤٥٥، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى **﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾**.

(٢) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة مريم، حديث رقم ٣١٥٨.
مسند أحمد ١/٢٣٣، المستدرك ٢/٦١١ كتاب التاريخ.

قال : احتبس جبرائيل عن النبي صلى الله عليه وسلم فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وحزن . . . فنزلت هذه الآية [١].

بيان المعنى :

قوله ﴿ **له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك** ﴾ أي لله جل وعلا ما بين أيدينا من المستقبل الذي نحن صائرون أليه وما خلفنا من الماضي الذي خلفناه وما بين ذلك من الحاضر الذي نعيش فيه.

وقد أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال : ﴿ **وما بين أيدينا** ﴾ الآخرة ﴿ **وما خلفنا** ﴾ الدنيا [٢].

ويفهم من هذا أن ما بين ذلك هو إلى قيام الساعة.

وقوله ﴿ **وما كان ربك نسياً** ﴾ أي وما كان ربك تاركاً أنبياءه عليهم السلام ولا متخلياً عن نصرتهم وتأييدهم، فتأخر نزول الوحي عليهم ليس لأن الله تعالى قد ترك نبيه صلى الله عليه وسلم كما يقول الكفار وإنما لحكمة يعلمها الله جل وعلا.

---

(١) تفسير الطبري ١٠٣/١٦.

(٢) تفسير الطبري ١٠٤/١٦ وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد في رقم ٣٥ وتبين لنا أنه ضعيف.

٦ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئياً ﴾ (مريم/٧٤).

* * *

(٢٢٠) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ أثاثاً ﴾ مالاً ﴿ ورئياً ﴾ منظراً[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي ومن طريق علي بن أبي طلحة ومن طريق أبي ظبيان عن ابن عباس قال : الرئي المنظر والأثاث المتاع[٢].

قال الأخفش الاوسط : فالرئي من الرؤية، وفسروه بالمنظر، فذلك يدل على أنه من رأيت[٣].

والقرن الأمة تأتى بعد الأمة، واختلف في مدته، وهو مقدار التوسط في أعمار أهل الزمان[٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة مريم.

(٢) تفسير الطبري ١٦/١١٧.

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/٤٠٤.

(٤) لسان العرب (مادة قرن).

والضمير في قولـه ﴿ **قبلهم** ﴾ يعود عـلى كفار مكـة المذكـورين في قوله تعالى قبل هـذه الآية ﴿ **وإذا تتـلى عليهم آياتنـا بينات قـال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا** ﴾ .

و«الندي» المجلس، كما أخـرج ابن جريـر من طريق عـلي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **وأحسن نديا** ﴾ يقول : مجلسا .

قال ابن جرير : يقال منه : ندوت القوم أندوهم ندواً إذا جمعتهم في مجلس (1)

(1) تفسير الطبري ١٦/١١٥ - ١١٦ .

٧ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾ (مريم/٨٦).

* * *

(٢٢١) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس ﴿ ورداً ﴾ عطاشاً[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

وأصل الورد قصد الماء للشرب، قال الألوسى : وإطلاقه على العطاش مجاز لعلاقة اللزوم لأن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش[٣].

والتعبير بالسوق وبالورد لإهانة الكفار وإذلالهم حيث يساقون كالبهائم العطاش، وقد جاء هذا التعبير في مقابل قوله تعالى قبل هذه الآية عن المؤمنين ﴿ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ﴾ أي مكرمين معززين بوفادتهم على الرحمن جل وعلا.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب رقم ١٠، كتاب التفسير، سورة مريم.
(٢) تفسير الطبري ١٦/١٢٧.
(٣) تفسير الالوسى ١٦/١٣٦.

٨ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً. لقد جئتم شيئاً إداً. تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، أن دعوا للرحمن ولداً ﴾

(مريم/٨٨ ـ ٩١)

* * *

قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ إدّاً ﴾ قولاً عظيماً، ﴿ هداً ﴾ هدماً[1]. (٢٢٢)

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[2].

وقوله « ﴿ إدًّا ﴾ قولاً عظيماً » أي عظيم النكارة، قال ابن منظور : الإدُّ والادة العجب والأمر الفظيع العظيم والداهية[3].

وقال الراغب : أي أمراً منكراً يقع فيه جلبة من قولهم أدَّت الناقة تَئِدُّ أي رجّعت حنينها ترجيعاً شديداً[4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة مريم، وباب رقم ٦ .

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ١٢٩ ـ ١٣٠ .

(٣) لسان العرب (مادة أدد).

(٤) المفرادت في غريب القرآن/ ١٤ (مادة أدد).

٩ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ﴾ (مريم/٩٨).

* * *

(٢٢٣) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ ركزاً ﴾ صوتاً(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(٢).

وقوله « ﴿ ركزاً ﴾ صوتاً » قال الراغب الأصفهاني : الرِّكز الصوت الخفي قال تعالى ﴿ هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ﴾ وركزت كذا أي دفنته دفناً خفياً ومنه الركاز للمال المدفون.

وقال ابن منظور : والركز الصوت الخفي وقيل هو الصوت ليس بالشديد قال : وفي التنزيل العزيز ﴿ أو تسمع لهم ركزاً ﴾ قال

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة مريم.

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ١٣٤.

الفراء : الركز الصوت، والركز صوت الإنسان تسمعه من بعيد نحو ركز الصائد إذا ناجى كلابه[1].

(١) مفرادت الراغب، لسان العرب (مادة ركز)، معاني القرآن للفراء ٢/١٧٤ .

« ســـورة طـــه »ـ ٣٠ ـ

١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ وهل أتاك حديث موسى . إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى . فلما أتاها نودي ياموسى . إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ﴾
(طه/ ٩ ـ ١٢)

* * *

(٢٢٤) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما **﴿ بقبس ﴾** : ضلوا الطريق وكانوا شاتين فقال : إن لم أجد عليها من يهدي الطريق آتكم بنار توقدون .

وفي قوله **﴿ المقدس ﴾** قال : المبارك **﴿ طوى ﴾** : اسم الوادى[١] .

واخرجه ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس . . وذكر نحوه[٢] .

وأخرجه ابن جرير ايضا من طريق السدى عن أبي مالك وعن أبي

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، مقدمة سورة (طه) ، كتاب أحاديث الأنبياء .
(٢) تفسير الطبري ١٦/ ١٤٣ .

صالح عن ابن عباس قال : لما قضى موسى الأجل سار بأهله فضل الطريق، قال عبد الله بن عباس : كان في الشتاء ورفعت لهم نار، فلما رآها ظن أنها نار وكانت من نور الله ﴿ **قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً** ﴾[1]

وقوله ﴿ **المقدس** ﴾ المبارك ﴿ **طوى** ﴾ اسم الوادى « أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس »[2].

وقوله تعالى ﴿ **بقبس** ﴾ أي بشعلة مقتبسة من النار وقال تعالى في موضع آخر ﴿ **أو آتيكم بشهاب قبس** ﴾ والقبس والاقتباس طلب ذلك[3].

---

(١) تفسير الطبري ١٦/١٤٢.

(٢) تفسير الطبري ١٦/١٤٥، ١٤٦.

(٣) مفردات الراغب (مادة قبس).

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ وما تلك بيمينك ياموسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى قال ألقها يا موسى. فألقاها فإذا هي حية تسعى. قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى ﴾ (طه/١٧ ـ ٢١).

* * *

(٢٢٥) ١ ـ قال الإمام البخاري : قال ابن عباس **﴿ مآرب ﴾** حاجة، **﴿ سيرتها ﴾** حالتها[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

وأخرجه أيضاً من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله **﴿ ولي فيها مآرب أخرى ﴾** قال : حوائج اخرى قد علمتها[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب رقم ٢٣. كتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم ٢٢. وكتاب التفسير صورة (طه).

(٢) تفسير الطبري ١٦/١٥٥، ١٥٧.

٣ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى ﴾ (طه/ ٤٠).

* * *

(٢٢٦) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ على قدر ﴾ على موعد[1].

وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿ ثم جئت على قدر يا موسى ﴾ يقول : لقد جئت لميقات يا موسى[2].

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة (طه).
(٢) تفسير الطبري ١٦/ ١٦٧.

٤ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري ﴾ (طـه/٤٢)

* * *

(٢٢٧) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ لا تنيا ﴾ لا تضعفا[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس. وأخرجه أيضاً من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ ولا تنيا ﴾ يقول : لا تبطئا[٢].

ففي الرواية الأولى قال : « لا تضعفا » وفي هذه الرواية قال « لا تبطئا » والابطاء ناتج من الضعف فالمعنيان متقاربان

وفي هذه الآية يرشد الله جل وعلا موسى وهارون عليهما السلام الى استدامة ذكره جل وعلا لأن ذكر الله هو زاد المؤمن الذي يتقوى به على اعدائه كلما ذكر أن الله معه ولن يخذله ما دام ملتزماً بطاعته.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة طه.

(٢) تفسير الطبرى ١٦/١٦٨.

٥ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾ (طه/٨١)

* * *

(٢٢٨) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس ﴿ **هوى** ﴾ شقى[١]

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢]

وقوله تعالى ﴿ **فقد هوى** ﴾ معناه فقد سقط وتردى في الشقاء فتفسيره بالشقاء بيان للشيء الذي تردى فيه.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم ٢٢. كتاب التفسير، سورة طه.

(٢) تفسير الطبري ١٦/١٩٤.

٦ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ﴾ (طه/٨٧)

* * *

قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ بملكنا ﴾ بأمرنا[١] .

(٢٢٩) وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن ابى طلحة عن ابن عباس[٢] .

والضمير في قوله ﴿ قالوا ﴾ يعود على قوم موسى عليه السلام، المعنى : قالوا لموسى عليه السلام : ما أخلفنا موعدك الذي أعطيناك إياه بأن نثبت على دينك في حال غيبتك بأمرنا الذي نملكه وإرادتنا وإنما أخلفنا موعدك بشيء فوق طاقتنا وقدرتنا .

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة طه .
(٢) تفسير الطبري ١٦/١٩٧ .

٧ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴾ (طه/١٠٥ ـ ١٠٧).

* * *

(٢٣٠) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما **﴿ عوجاً ﴾** واديا **﴿ ولا أمتاً ﴾** رابية[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

العوج في اللغة هو الميل، والأمت في اللغة هو الارتفاع[٣]، ولذلك فسر ابن عباس العوج بالوادي لأنه لا يكون مستقيماً وفسر الأمت بالرابية لأنها مرتفعة.

وقوله **﴿ صفصفاً ﴾** أي مستوياً كما أخرج ابن جرير من طريق

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة طه.

(٢) تفسير الطبري ١٦/٢١٢.

(٣) اللسان، مادة (أمت).

علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **قاعاً صفصفاً** ﴾ يقول مستوياً لاثبات فيه[1].

(١) تفسير الطبري ١٦/٢١٢، واسناده حسن كما تقدم في الحديث رقم ٢ .

٨ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ (طه/١١٢)

* * *

(٢٣١) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ هضماً ﴾ لا يظلم فيهضم من حسناته[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ لا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ قال : لا يخاف ابن آدم يوم القيامة أن يظلم فيزاد عليه في سيئاته ولا يظلم فيهضم في حسناته[٢].

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة طه.
(٢) تفسير الطبري ١٦/٢١٨.

٩ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ (طه/١٢٤).

* * *

(٢٣٢) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ ضنكاً ﴾ الشقاء[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

والضنك هو الضيق والشدة[٣]. وتفسيره بالشقاء من التفسير باللازم لأن الشقاء لازم للضيق وناتج عنه.

وقد اختلف المفسرون في تحديد وقت هذه المعيشة الضيقة التي جعلها الله سبحانه عقوبة لمن أعرض عن ذكره فقيل إنها المعيشة في الدنيا والمقصود بذلك ما يصيب الكافر في الدنيا من فوات المحبوبات أو الوقوع في المكروهات لعدم إيمانه بقضاء الله وقدره ولفقده النعيم

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة طه.

(٢) تفسير الطبري ١٦/٢٢٦.

(٣) مفردات الراغب اللسان (مادة ضنك).

الروحي الذي يحصل عليه المؤمن من اتصاله بالله جل وعلا بينما يبقى الكافر في ظلمة وحيرة ويصبح ضحية تقلبات الدنيا التي عاش من أجلها واعتبرها هدفه الأسمى الذي يحاول بلوغ الكمال فيه وصيانته من الانهيار.

وقد اخرج ابن جرير في هذا المعنى من طريق العوفي عن ابن عباس قال في معنى الآية : كل ما أعطيته عبداً من عبادي قل أو كثر لا يتقيني فيه، وهو الضنك في المعيشة[1].

وقيل إن المراد بالمعيشة الضنك عذاب جهنم، وقد نقل ابن جرير القول بذلك عن قتادة والحسن البصري وعبد الرحمن بن زيد[2].

وقيل إن المراد بها عذاب القبر وبهذا قال أبو سعيد الخدري وأبو هريرة رضي الله عنهما، أخرجه عنهما ابن جرير[3].

وهذا القول هو الراجح لما أخرجه البزار قال حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ﴿ **فإن له معيشة ضنكاً** ﴾ قال : « عذاب القبر » ذكره ابن كثير وقال : إسناد جيد[4].

أقول : وليس هناك ما يمنع من الجمع بين القول الأول وهذا القول فيكون الله جل وعلا قد عاقب من أعرض عن ذكره بالشقاء في

---

(١) تفسير الطبري ١٦/٢٢٧، وهذا إسناد ضعيف تقدم الكلام عليه في ص ٩٠.
(٢) تفسير الطبري ١٦/٢٢٦.
(٣) تفسير الطبري ١٦/٢٢٧.
(٤) تفسير ابن كثير ٣/١٧٩.

الحياة الدنيا والعذاب في القبر.

أما القول بأن المراد عـذاب جهنم فهو بعيـد لقولـه تعالى في هـذه الآيـة ﴿ **ونحشره يوم القيـامة أعمى** ﴾ وقـولـه في آخـر هـذه الآيـات ﴿ **ولعـذاب الآخرة أشـد وأبقى** ﴾ فهذا ظـاهر في أن المـراد بالمعيشـة الضنك غير عذاب الآخرة.

١٠ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولى النهى ﴾ (طه/١٢٨).

* * *

قال الإمام البخاري : قال ابن عباس ﴿ النهى ﴾ التقى[١]. (٢٣٣)

وأخرجه ابن جرير من طريق ابن ابي طلحة عن ابن عباس[٢].

بيان المعنى :

قوله ﴿ افلم يهد لهم ﴾ الضمير يعود على المشركين من أهل مكة، ومعنى ﴿ يهد لهم ﴾ يبين لهم[٣]. ﴿ كم أهلكنا قبلهم ﴾ يعنى الأمم الكثيرة التي أهلكناهم قبلكم لما كفروا بالله وكذبوا رسله ﴿ يمشون في مساكنهم ﴾ يعني يمشي قومك هؤلاء في مساكن الأمم التي أهلكت، كما أخرج ابن جرير من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : لأن قريشاً كانت تتجر إلى الشام فتمر بمساكن عاد وثمود ومن أشبههم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم ٢٢، وكتاب التفسير، سورة طه.

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ٢٣١.

(٣) معاني للقرآن للفراء ٢/ ١٩٥.

فترى آثار وقائع الله تعالى بهم[1].

قوله ﴿ إن في ذلك لآيات لأولى النهى ﴾ يعني أن فيما يشاهده هؤلاء الكفار من آثار عذاب الأمم السابقة لعبر وعظات لأصحاب العقول الراجحة.

والنُّهَى جمع نُهْية، والنهية العقل الراجح الناهي عن الوقوع في القبائح[2].

وفسره ابن عباس بالتقى، وذلك من باب التفسير باللازم لأن من لازم الاتصاف بالعقل الراجح أن يكون صاحبه من المتقين حيث أن عقله ينهاه عن الوقوع في المآثم.

---

(١) تفسير الطبري ١٦/٢٣١.

(٢) مفردات الراغب (مادة نهى).

١١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ﴾ (طه/ ١٣٠).

* * *

انظر معنى قوله ﴿ آناء الليل ﴾ في تفسير الآية الثالثة عشرة بعد المائة من سورة آل عمران.

« ســورة الأنبيــاء » - ٣١ -

١ - ماجاء في قوله تعالى

﴿ أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون ﴾ (الأنبياء/٤٣).

* * *

(٢٣٤) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ **يصحبون** ﴾ يمنعون[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ **يصحبون** ﴾ قال : يجارون[٢].

وأخرجه أيضاً من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿ **ولا هم منا يصحبون** ﴾ يقول : ولا هم منا يجارون وهو قوله ﴿ **وهو يجير ولا يجار عليه** ﴾ (المؤمنون/٨٨) يعنى الصاحب، وهو الإنسان يكون له خفير مما يخاف، فهو قوله ﴿ **يصحبون** ﴾[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنبياء.
(٢) تفسير الطبري ١٧/٣١.
(٣) تفسير الطبري ١٧/٣١.

بيان المعنى :

هذه الآية جاءت ضمن آيات نزلت في المشركين الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعجلوا عذاب الله تعالى استكباراً منهم وجحوداً، وقد بين الله تعالى ذلك بقوله ﴿ **ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين** ﴾ إلى أن قال ﴿ **أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا** ﴾ والاستفهام هنا للنفي والإنكار أي بل ألهؤلاء الكفار الذين يستعجلون نزول عذاب الله بهم آلهة تمنعهم من عذاب الله إذا حل بهم ؟ !

يعني ليس لهم آلهة تستطيع ذلك لأن آلهتهم لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً.

وإذا كان الأمر كذلك فهل يستطيع هؤلاء الكفار أن ينصروا أنفسهم فيمنعوا عنها عذاب الله ؟ ! أم ألهم من يجيرهم من عذاب الله فيمنعهم منه ؟ !

قال تعالى ﴿ **لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون** ﴾ أي لا يستطيعون أن يمنعوا عن أنفسهم عذاب الله تعالى لأنهم عاجزون، وليسوا مصحوبين بمن يجيرهم من عذاب الله تعالى ويمنعهم منه.

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً ﴾ (الأنبياء/٧٨ ـ ٧٩).

* * *

(٢٣٥) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس ﴿ **نفشت** ﴾ رعت ليلاً[١].

وقال الحافظ ابن حجر: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس بهذا: قال: وهو قول أهل اللغة: نفشت إذا رعت ليلاً بلا راع، وإذا رعت نهاراً بلا راع قيل هملت[٢].

وكذلك قال قتادة كما أخرجه ابن جرير عنه[٣].

وقد أخرج ابن جرير في معنى هاتين الآيتين من طريق العوفي عن ابن عباس قال: يقول كنا لِمَا حَكَما شاهدين وذلك أن رجلين دخلا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنبياء.
(٢) فتح الباري ٨/٤٣٦.
(٣) تفسير الطبري ١٧/٥٣.

على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الحرث : إن هذا أرسل غنمه في حرثي فلم يبق من حرثي شيئاً فقال له داود : اذهب فإن الغنم كلها لك فقضى بذلك داود ومر صاحب الغنم بسليمان فأخبره بالذي قضى به داود فدخل سليمان على داود فقال : يا نبي الله إن القضاء سوى الذي قضيت فقال : كيف قال سليمان إن الحرث لا يخفى على صاحبه ما يخرج منه كل عام فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها حتى يستوفي ثمن الحرث فإن لها نسل في كل عام فقال داود : قد أصبت، القضاء ما قضيت، ففهمها الله سليمان[١].

وإسناد هذا الحديث ضعيف كما تقدم[٢].

ففي هذه الرواية بيان القضية التي ذكرها الله سبحانه بقوله ﴿ **إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم** ﴾.

وقد تبين لنا أن داود عليه السلام حكم على أصحاب الغنم أن يسلموا غنمهم إلى أصحاب الحرث بدلاً من حرثهم الذي أفسده عليهم أصحاب الغنم، ولعله فهم أن قيمة الغنم تعادل قيمة ما أفسدوه من الحرث، أما سليمان عليه السلام ففهم بما ألهمه الله أن أصل مال صاحب الحرث لايزال باقياً وهو الأرض وأصول الشجر وبالإمكان اصلاح حرثه فقضى على أصحاب الغنم بما يقابل ما أفسدته غنمهم من الحرث من غير أن يذهب عليهم أصل مالهم حيث قضى عليهم بأن يعطوا أصحاب الحرث من نتاج أغنامهم ما يقابل ما فسد

---

(١) تفسير الطبري ١٧/٥١.

(٢) أنظر رقم (٣٥).

من حرثهم إلى أن يستوفي أصحاب الحرث، وبهذا يرجع الحرث لأصحابه كاملا وتبقى الغنم لاصحابها من غير إجحاف على الفريقين.

وقد جاء في إحدى هذه الروايات ما يبين هذا المعنى وذلك فيما أخرجه ابن جرير عن شريح انه قال: كان النفش ليلاً وكان الحرث كرماً، قال: فجعل داود الغنم لصاحب الكرم قال: فقال سليمان: إن صاحب الكرم قد بقى له أصل أرضه وأصل كرمه فاجعل له أصوافها وألبانها قال: فهو قول الله ﴿ **ففهمناها سليمان** ﴾[1].

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٥٢.

٣ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ إن هذه أمتكم أمةً واحدةً وأنا ربكم فاعبدون ﴾ (الأنبياء/٩٢).

* * *

(٢٣٦) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ أمتكم أمة واحدة ﴾ دينكم دين واحد[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

وقال ابن منظور : الأمة الطريقة والدين يقال فلان لا أمة له أي لا دين ولا نحلة له، قال الشاعر :

وهل يستوى ذو أمة وكفور[٣]

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة الأنبياء

(٢) تفسير الطبرى ٩٧/٨٥.

(٣) لسان العرب (مادة أمم).

« سـورة الحـج »(٢٢)

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ومن النـاس من يجادل في الله بغـير علم ولا هدى ولا كتـاب منير. ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خـزي ونذيقـه يوم القيـامة عذاب الحريق ﴾ (الحج/٨ ـ ٩).

* * *

(٢٣٧) قـال الإمـام البخـاري؛ قـال ابن عبـاس: ﴿ ثـاني عـطفـه ﴾ مستكبراً[١].

وأخرجه ابن جرير الـطبري من طريق عـلي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ ثاني عطفه ﴾ يقول: مستكبراً في نفسه[٢].

بيان المعنى:

يخبرنا الله تعـالى ذكره عن حـال نوع من النـاس ليسوا أهـل علم بالله ولا أصحاب هداية من الله إلى الـطريق المستقيم، ولا يستضيئون بنور الكتاب الذي أنزله الله على رسـوله صلى الله عليـه وسلم إلى الناس

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الحج.
(٢) تفسير الطبري ١٧/٢١.

ليستفيدوا من نوره وهداه، ومع هذا يجادلون في الله تعالى فينسبون له ما لا يليق بجلاله من الشرك وصفات النقص، يجادلون بذلك أهل العلم بالله تعالى والإيمان الصادق به وبما جاء عنه من الهدى والحق ليصدوا الناس بما معهم من الباطل الذي يزينونه في أعين الناس عن اتباع الحق الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى ﴿ **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** ﴾.

﴿ **ثاني عطفه** ﴾ يعني لاوياً عنقه استكباراً واعتزازاً بباطله الذي يدعو إليه حتى يوهم الناس بأنه صاحب الغلبة والعلو ﴿ **ليضل عن سبيل الله** ﴾ حتى يصد الناس عن الإقبال على دعوة الحق ومحاولة تفهمها بإيهامه الناس بأن دعاة الحق ضعفاء مغلوبون على أمرهم وأن القوة والسلطان بيد خصومهم فيحول بذلك بين عامة الناس وبين محاولة الاقتراب من دعاة الحق والاستفادة منهم.

﴿ **له في الدنيا خزي** ﴾ أي عار وفضيحة بما يبتلى به في المستقبل من انكشاف أمره وهتك ستره بما يحصل له ولآرائه الباطلة من هزيمة واندحار أمام الحق وأهله.

﴿ **ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق** ﴾ وذلك في نار جهنم، جزاء ما قدمت يداه من الانحراف عن الطريق المستقيم وإضلال الناس عن سلوك هذا الطريق.

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾ (الحج / ١١).

* * *

(٢٣٨) قال الإمام البخاري: حدثني إبراهيم بن الحارث حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا إسرائيل عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف ﴾** قال: كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاماً ونتجت خيله قال: «هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء»[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى **﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف ﴾** إلى قوله **﴿ انقلب على وجهه ﴾** قال: الفتنة البلاء، كان أحدهم إذا قدم المدينة وهي أرض

---

(١) صحيح البخاري رقم ٤٧٤٢، كتاب التفسير، سورة الحج باب رقم ٢.

وبيئة فإن صح بها جسمه ونتجت فرسه مهراً حسناً وولدت امرأته غلاماً رضي به واطمأن إليه وقال: ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلا خيراً، وإن اصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان فقال: والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا الاشرا، وذلك الفتنة[1].

وهذا الإسناد ضعيف كما تقدم[2].

بيان المعنى:

المعنى: ومن الناس من يقدم على الدخول في هذا الدين إقدام المتشكك في امره المتخوف من عاقبة مسلكه يجذبه إلى الدين ما يراه من انتصار أهله الملتزمين به وما يترتب على انتصارهم من خير الدنيا ويمنها ويبعده عنه ما يراه من الصعوبات والأهوال التي يواجهها أهله المدافعون عنه الملتزمون بالجهاد في سبيله.

فيقدم على الدخول فيه في حال الأمن والرخاء، وتسكن نفسه لهذا الدين لما يرى من محبة المؤمنين وايثارهم على انفسهم ولما ينتظره من المستقبل المادي في حال هيمنة القائمين على هذا الدين.

فإذا حلت بالمؤمنين نازلة وابتلوا ببلية تتطلب منهم الجهاد بالأنفس والأموال ارتد عن هذا الدين الذي أصبح لا يحقق له مطالبه التي من أجلها اعتنقه ثم التحق بمعسكر أهل الكفر والضلال ووالاهم ورجا منهم تحقيق ما كان يؤمله من المؤمنين.

---

(١) تفسير الطبري ١٧/١٢٢.

(٢) انظر رقم ٣٥.

﴿ **خسر الـدنيا** ﴾ التي كـان يؤملها من الـتزامه بـالإسلام والـطمأنينـة والسعادة المترتبة على ذلك .

﴿ **والآخرة** ﴾ حيث كفر بـالله والتجأ إلى مخلوق مثله لا يملك لـه ضراً ولا نفعاً .

﴿ **ذلك هو الخسران المبـين** ﴾ البين الـواضح لكـل متأمـل متجرد من هوى النفس، وإنها الخسارة الكبرى لأن كل أمر يخسره الإنسـان يمكن تعويضه أما الخسارة بالضلال عن دين الله القـويم فهي خسارة الـدنيا والآخرة التي لا يمكن تعويضها .

٣ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخـرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ﴾ (الحج/ ١٥).

* * *

قال الإمام البخاري: ﴿ **بسبب** ﴾ بحبل إلى سقف البيت[١]. (٢٣٩)

وقـال الحـافظ ابن حجـر: وصله عبـد بن حميــد من طـريق أبي إسحاق عن التميمي عن ابن عباس بلفظ «من كـان يظن أن لن ينصر الله محمـداً في الدنيـا والأخرة ﴿ **فليمـدد بسبب** ﴾ بحبل إلى سـماء بيته ليختنق به»[٢].

وأخرج أبو عبدالله الحاكم من طريق أبي اسحاق عن التميمى عن ابن عباس قال: أي من كـان يظن ان لن ينصر الله محمـداً صلى الله عليه وسلم.

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الحج.
(٢) فتح الباري ٨/ ٤٤١.

قال أبو عبدالله: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الإمام الذهبي(١).

وقد جاء في المستدرك وتلخيصه «عن أبي اسحاق عن التيمي» وهو خطأ صوابه «عن التميمي» وهو أربدة أو أربد التميمي، راوي التفسير عن ابن عباس ذكره ابن حجر في التهذيب وقال: تفرد عنه أبو إسحاق السبيعي وحده فيما ذكر غير واحد(٢).

وقد جاء هذا الإسناد على الصواب في رواية ابن جرير الطبري(٣).

بيان المعنى:

بعد أن ذكر الله سبحانه قبل هذه الآية أن من الناس من يدخل في هذا الدين عن شك وحيرة لتوقعهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لن ينتصر على اعدائه لكثرتهم وقلة أتباعه وأن نور الإيمان سيخبو وأن دولة الباطل ستعلو على دولة الحق، قال سبحانه وتعالى ﴿ **من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ** ﴾ يعنى من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ **في الدنيا** ﴾ بالتمكن في الأرض ﴿ **وفي الآخرة** ﴾ بتحقق ما وعد به أهل الإيمان من الثواب وما أوعد به أهل الكفر من العقاب فليأت بما في وسعه من الوسائل والحيل لمنع نصر الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم!!

(١) المستدرك ٢/٣٨٦، كتاب التفسير.
(٢) تهذيب التهذيب ١/١٩٧.
(٣) تفسير الطبري ١٧/١٢٦.

واذا لم يتمكن من ذلك ـ ولن يتمكن ـ فليمدد بحبل وليختنق به فلينظر هل يذهبن ذلك غيظه وحقده؟!

ولكن هل سيتمكن بعد موته من النظر؟!

لا أنه لن يتمكن من ذلك، وليس الأمر على الحقيقة، وانما هو مثل ضربه الله لهؤلاء المتشككين الحيارى لتقريعهم وتأييسهم مما أملوا به من أفول نجم الإسلام وانحسار ظله من الأرض، فالمراد من ذلك: إذا كنتم تظنون أن الله لن ينصر رسوله فاعلموا ان الله ناصره ومؤيده فموتوا غيظاً وكمداً.

٤ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴾
(الحج/٢٧ ـ ٢٨)

* * *

(٢٤٠) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: **﴿ ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ﴾** أيام العشر والأيام المعدودات أيام التشريق[١].

قال الحافظ ابن حجر: وقد وصله عبد بن حميد من طريق عمرو بن دينار عنه وفيه «الأيام المعدودات أيام التشريق والأيام المعلومات أيام العشر» قال: وروى ابن مردويه عن طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «الأيام المعلومات التي قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة، والمعدودات أيام التشريق» إسناده صحيح[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب رقم ١١.
(٢) فتح الباري ٢/٤٥٨.

بيان المعنى:

قوله ﴿ **يأتوك رجالاً** ﴾ يعني يمشون على أرجلهم ﴿ **وعلى كل ضامر** ﴾ أي كل بعير قد أتعبه طول السفر فضمر جسمه وهزل ﴿ **يأتين من كل فج عميق** ﴾ من كل طريق بعيد.

وذلك كما أخرج ابن جرير من طريق ابن جريج قال قال ابن عباس ﴿ **يأتوك رجالا** ﴾ قال: مشاة، ﴿ **وعلى كل ضامر** ﴾ قال: الإبل، ﴿ **من كل فج عميق** ﴾ قال: بعيد.

وكذلك أخرجه الطبري من طريق قتادة والعوفي عن ابن عباس(١).

قوله ﴿ **ليشهدوا منافع لهم** ﴾ يعني منافع الدنيا كالتجارة ومنافع الآخرة بالعمل الصالح الذي يتضاعف أجره في مكة المكرمة، كما أخرج ابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ **ليشهدوا منافع لهم** ﴾ قال: التجارة وما يرضى الله من أمر الدنيا والآخرة(٢).

وقوله ﴿ **ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام** ﴾ الأيام المعلومات هي أيام عشر ذي الحجة على ما ذهب إليه ابن عباس في هذا الحديث ونهايتها يوم النحر، وعلى هذا فليس المراد بذكر الله في الآية التسمية على الذبيحة لأن وقت النحر في الحج يبدأ من يوم العيد، ويكون المراد بذكر الله حمده وشكره على ما رزقهم من بهيمة الأنعام.

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ١٤١.
(٢) تفسير الطبري ١٧/ ١٤٧.

وقد روى عن ابن عباس أن المراد بالأيام المعلومات أيام التشريق، أخرج ذلك ابن جرير عنه من طريق العوفي[1].

وهذا إسناد ضعيف كما تقدم[2].

وعلى هذا فيكون المراد بذكر اسم الله التسمية على ذبائح الهدى في أيام التشريق ويوم النحر يكون منها. ولكن إسناد الحديث الأول أصح من هذا.

﴿ **فكلوا منها** ﴾ يعنى من بهيمة الأنعام التي أهديتموها في الحج، والأمر هنا للندب وليس للوجوب عند الجمهور فيستحب للرجل أن يأكل من هديه وأضحيته[3].

﴿ **وأطعموا البائس الفقير** ﴾ البائس الذي اصابه البؤس وهو الشدة[4]، وذلك من شدة الفقر والحاجة.

---

(١) تفسير الطبري ١٧/١٤٨.
(٢) انظر الحديث رقم ٣٥.
(٣) تفسير القرطبي ١٢/٤٤.
(٤) لسان العرب (مادة بأس).

٥ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ (الحج/ ٣٩).

* * *

(٢٤١) قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق حدثنا سفيان عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر: اخرجوا نبيهم! انا الله وانا إليه راجعون، ليهلكن، فنزلت **﴿ أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾** قال: فعرف انه سيكون قتال، قال ابن عباس: هي أول آية نزلت في القتال[١].

بيان الإسناد:

١ ـ إسحاق شيخ الإمام أحمد هو ابن يوسف بن مرداس المخزومي الواسطي، المعروف بالأزرق، وهو ثقة عابد من الطبقة

---

(١) مسند أحمد ١/٢١٦.

التاسعة، مات سنة خمس وتسعين ومائتين وله ثمان وسبعون سنة أخرج له الجماعة[1].

٢ ـ وسفيان هو الثورى وهو ثقة إمام تقدمت ترجمته[2].

٣ ـ والأعمش هو سليمان بن مهران وهو ثقة تقدمت ترجمته[3].

٤ ـ ومسلم البطين ثقة تقدمت ترجمته[4].

٥ ـ وسعيد بن جبير ثقة تقدمت ترجمته[5].

فهؤلاء الرواة كلهم ثقات وعليه يكون هذا الإسناد صحيحاً.

وقد أخرج هذا الحديث الإمام النسائي من طريق إسحاق الأزرق بهذا الإسناد وذكر مثله[6].

وأخرجه الإمام الترمذي من طريق محمد بن بشار قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا سفيان. . . بهذا الإسناد وذكر نحوه[7].

وأخرجه الحاكم من طريق إسحاق بن يوسف الأزرق وذكر نحوه وقال «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي[8].

---

(١) التقريب ١/٦٣ رقم ٤٥٠، الكاشف ١/١١٥.
(٢) انظر الحديث رقم (٦٧).
(٣) انظر الحديث رقم (٥٥).
(٤) انظر الحديث رقم (١٨٥).
(٥) انظر الحديث رقم (١١).
(٦) سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد ٦/٢.
(٧) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الحج حديث، رقم ٣١٧١.
(٨) المستدرك، كتاب الجهاد ٢/٦٦، وكتاب التفسير، سورة الحج ٢/٣٩٠.

وأخرجه البيهقي في سننه عن شيخه الحاكم من طريق إسحاق بن يوسف الأزرق بند الإمام أحمد وذكر نحوه (١).

بيان المعنى:

قوله تعالى ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا** ﴾ أي أذن الله جل وعلا بالقتال للمؤمنين الذين يقاتلهم المشركون بسبب أنهم ظلموا من قبل المشركين ﴿ **وإن الله على نصرهم** ﴾ على اعدائه المشركين ﴿ **لقدير** ﴾ لا يعجزه شيء جلا وعلا.

(١) سنن البيهقي ٩/ ١٠ ـ ١١ كتاب السير باب مبتدأ الأذن بالقتال.

« ســورة المؤمنــون »[٢٣]

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ولقد خلقنا الإنسـان من سلالـة من طين ثم جعلنـاه نطفـة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾

(المؤمنون/١٢ ـ ١٤).

* * *

(٢٤٢) ١ ـ أخـرج عبـدالـرزاق عن الثـوري عـن الأعـمش عـن عبـدالملك بن ميسرة عن مجاهـد قـال: سـألنـا ابن عبـاس عن العـزل فقال: أؤجلكم أن تسألوا، قالوا: فسألنـا نحن بيننا فـرجعنا إليـه فتلا علينا **﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾** حتى **﴿ ثم انشأنـاه خلقـا آخـر ﴾** فقـال: كيف تكـون من المـوءودة حتى تمر عـلى هـذا الخلق[١].

وأخرجه البيهقي من طريق الثوري بهذا الإسناد وذكر مثله[٢].

---

(١) مصنف عبدالرزاق، باب العزل ٧/١٤٥، رقم ١٢٥٧٠.

(٢) سنن البيهقي ٧/٣٣٠، كتاب النكاح، باب العزل.

(٢٤٣) ٢ ـ وأخرج عبدالرزاق أيضاً عن ابن جريج عن عـطاء أن رجلاً قال لابن عباس: إن ناسا يـرون أنها الموءودة الصغـرى ـ يعنى العزل ـ فقـال: سبحان الله تكـون نطفـة ثم تكون علقـة ثم تكون مضغـة ثم تكـون عظامـا ثم تكسى العظام لحـما، فقال بيـده فجمع اصـابعـه ثم مـدها في السـماء وقال: العـزل قبل هـذا كله، كيف يكون مؤودة؟ ثم ينفخ فيه الروح، فيكون العزل قبل هذا كله[١].

(٢٤٤) ٣ ـ وأخرجه أيضا عبدالرزاق قال: أخبرنا ابن جرير قال أخبرني عبيد الله بن أبي يزيد وهو جالس من عطاء أن ابن عبـاس سألـه رجل وهـو جالس عنـده عن عـزل النسـاء فقـال: ليس بـه بـأس.. وذكـر مثله[٢].

بيان هذه الإسانيد:

الإسناد الأول:

١ ـ الثوري ثقة حافظ فقيه تقدمت ترجمته[٣].

٢ ـ الأعمش ثقة حافظ تقدمت ترجمته[٤].

٣ ـ عبدالملك بن ميسرة الهلالى أبو زيد العامرى الكوفي الزراد، ثقة من الطبقة الرابعة أخرج له الجماعة[٥].

٤ ـ ومجاهد ثقة إمام في التفسير وقد تقدمت ترجمته[٦].

---

(١) مصنف عبدالرزاق ٧/١٤٥، رقم ١٢٥٧١، باب العزل.
(٢) مصنف عبدالرزاق ٧/١٤١، رقم ١٢٥٥٣، باب العزل عن الإماء.
(٣) انظر الحديث رقم (٦٧).
(٤) انظر الحديث رقم (٥٥).
(٥) التقريب ١/٥٢٤ رقم ١٣٥٧، الكاشف ٢/٢١٥، الخلاصة / ٢٤٦.
(٦) انظر الحديث رقم (٢٤).

وبهذا تبين لنا أن رواة الحديث كلهم ثقات وقد سمع بعضهم من بعض[1] فيكون إسناده صحيحاً.

بيان الإسنادين الأخيرين:

١ - ابن جريج ثقة فقيه فاضل تقدمت ترجمته[2] وهو يدلس ولكنه هنا يروي عن عطاء وقد لقيه.

٢ - وعطاء هو ابن أبي رباح وهو ثقة فقيه فاضل وهو كثير الارسال، لكنه في هذا الحديث يروى عن ابن عباس وقد التقى به، وقد تقدمت ترجمته[3].

٣ - وعبيد الله بن أبي يزيد الذي روى عنه ابن جريج في الرواية الثانية هو مولى آل قارظ بن شيبة المكي، وهو ثقة كثير الحديث من الطبقة الرابعة[4].

وقد سمع من ابن عباس وسمع منه ابن جريج[5].

وبناء على هذا فالحديث صحيح الإسناد من هذين الطريقين كليهما.

---

(١) تهذيب التهذيب ٣٣٢/٤ رقم ٣٧٦، ٤٢٦/٦ رقم ٨٨٦، تهذيب الكمال (ترجمة سليمان الأعمش).

(٢) انظر الحديث رقم (٢٩).

(٣) انظر الحديث رقم (٦٦).

(٤) التقريب ٥٤٠/١ رقم ١٥٢٢، الخلاصة/ ٢٥٤.

(٥) تهذيب التهذيب ٥٦/٧ رقم ١٠٩.

بيان المعنى :

تبين لنا من هذا الحديث أن ابن عباس يرى جواز العزل عن المرأة، وقد أجاب على من رأى أن العزل هو الموءودة الصغرى بأن الوأد لا يكون إلا بعد نفخ الروح وذلك بعد أن تتكون النطفة ثم تكون علقة ثم تكون مضغة ثم تكون عظاماً ثم تكسى العظام لحماً كما جاء في هذه الآيات .

وقد جاء ذكر العزل في أحاديث مرفوعة منها ما أخرجه الإمام البخاري من حديث جابر رضي الله عنه قال : كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي رواية للبخاري ومسلم عنه « كنا نعزل والقرآن ينزل » ولمسلم « كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا » ولهما من حديث أبي سعيد الخدري قال : « أصبنا سبياً فكنا نعزل فسألنا رسول الله ى الله عليه وسلم فقال : أو أنكم تفعلون ؟ ـ قالها ثلاثاً ـ ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا هي كائنة »[1] .

وهذا الحديث الأخير يشعر بكراهة النبي صلى الله عليه وسلم للعزل ويبين أن الأولى عدم فعله .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب العزل ٩/٣٠٥.
صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب العزل ص ١٠٦١ .

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ هيهات هيهات لما توعدون ﴾ (المؤمنون/٣٦).

* * *

(٢٤٥) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ هيهات هيهات ﴾ بعيد بعيد [١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

وقوله تعالى ﴿ هيهات هيهات لما توعدون ﴾ هو مما حكاه الله تعالى من كلام الكافرين، وقبل هذه الآية قوله تعالى ﴿ أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون ﴾ وبعدها قوله ﴿ إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ﴾ فالشيء الذي استبعده المشركون هو بعث الأجسام بعد موتها.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المؤمنون.
(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٢٠.

وقال ابو حيان في بيان هذه الكلمة : هيهات اسم فعل لا يتعدى يرفع الفاعل ظاهراً أو مضمراً وهنا جاء التركيب : هيهـات هيهات لمـا تـوعدون، لم يـظهر الفـاعل فـوجب أن يعتقد إضـمار تقديـره هـو أي إخراجكم، وجاءت اللام للبيان أي أعنى لما توعدون[1].

---

(١) تفسير أبي حيان ٦/٤٠٥.

٣ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ وان الـذين لا يؤمنـون بـالآخـرة عن الصراط لـنـاكبـون ﴾ (المؤمنون/ ٧٤).

* * *

(٢٤٦) قـال الإمـام البخـاري : قـال ابن عبـاس : ﴿ لناكبـون ﴾ لعادلون[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : عن الحق عادلون[٢].

قـال ابن منـظور : نَكَب عن الشيء وعن الـطريق ينكُب نَكْباً ونُكُوباً ونَكِب نَكْباً ونَكَّب وتَنكَّب : عدل[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المؤمنون.
(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٤٤.
(٣) لسان العرب (مادة نكب).

٤ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ﴾ (المؤمنون/١٠٤).

* * *

(٢٤٧) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ كالحون ﴾ عابسون[(١)]

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[(٢)].

وقال ابن جرير : والكلوح أن تتقلص الشفتان عن الأسنان حتى تبدو الأسنان، واستشهد على ذلك بما أخرجه من طريق أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال : ألم تر إلى الرأس المشيط بالنار وقد قلصت شفتاه وبدت أسنانه[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المؤمنون.
(٢) تفسير الطبري ١٨/٥٦.
(٣) تفسير الطبري ١٨/٥٦.

« ســـورة النـــور »(٢٤)

١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ سـورة أنزلنـاهـا وفـرضنـاهـا وأنـزلنـا فيهـا آيـات بينـات لعلكم تذكرون ﴾ (النور/١)

* * *

(٢٤٨) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس **﴿ أنزلنـاها وفـرضناهـا ﴾** بيناها[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله **﴿ وفرضناها ﴾** يقول : بيناها[٢].

وقوله « بيناها » أي بينا ما فيهـا من الأحكام عـلى سبيل الإيجـاب والإلزام.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورةالنور.

(٢) تفسير الطبري، ١٨/ ٦٦.

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ والـذين يرمـون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهـادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبـين. ويدرأ عنهـا العذاب أن تشهـد أربع شهـادات بـالله إنه لمن الكـاذبـين. والخـامسـة أن غضب الله عليهـا إن كـان من الصادقين ﴾ (النور/٦ ـ ٩)

* * *

(٢٤٩) قال الإمام البخاري : حدثني محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن هشام بن حسان حدثنا عكرمة عن ابن عباس « أن هلال بن أميـة قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشَرِيك بن سحماء[١]، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : البينة أو حَدٌّ في ظهرك، فقال : يارسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة، فجعـل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : البينة وإلا حَدٌّ في ظهرك، فقال هلال : والذي

(١) سحماء بفتح السين وسكون الحاء وهي أمة واسم أبيه عبدة بن مغيث بن الجد بن العجلان البلوى حليف الأنصار ذكره ابن حجر في الإصابة ٢ /٦٤٧.

بعثك بالحق إني لصادق، فلينزلن الله ما يبرىء ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه ﴿ والذين يرمـون أزواجهم ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ إن كـان من الصـادقـين ﴾، فـانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فـأرسـل إليهـا، فجاء هـلال فشهـد والنبي صلى الله عليـه وسلم يقـول : إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب ؟ ثم قـامت فشهدت فلما كـان عند الخامسة وقفوها وقالوا : إنها موجبـة، قال ابن عبـاس : فتلكأت ونكصت حتى ظننـا أنها سترجـع، ثم قالت : لا أفضـح قومي سـائـر اليوم فمضت، فقال النبي صلى الله عليـه وسلم : ابصروها فـإن جاءت بـه أكحل العينـين سابـغ الاليتين خَـدَلَّج السـاقـين فهـو لشريـك بن سحماء، فجاءت بـه كذلـك فقال النبي صلى الله عليـه وسلم : لولا مـا مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن »[1].

وأخرجه أبو داود والترمذي والبيهقي[2].

بيان المعنى :-

في هذا الحديث بيان أن هذه الآيات نزلت بسبب قـذف هلال بن أميـة زوجته بـالزنـا، ولما كـان قذف الـزوج زوجتـه محتمـلاً للصـدق والكـذب، وكان إيقـاع الحد عـلى أحدهمـا يعتبر تكـذيباً لـه وتشـويهـاً لسمعته أنزل الله عـز وجل هـذه الآيات التي شرع فيهـا التلاعن بـين

(١) صحيح البخاري رقم ٤٧٤٧، كتاب التفسير سورة النور رقم ٢٦٧١، كتاب الشهادات بـاب إذا ادعى وقـذف فله أن يلتمس البينـة، ورقم ٥٣٠٧ كتـاب الـطلاق بـاب يبـدأ الرجل بالتلاعن.

(٢) سنن أبي داود رقم ٢٢٥٤، كتاب الطلاق باب اللعان. سنن الـترمذي ٢٦/٩، كتـاب التفسير، سورة النور.
السنن الكبرى ٣٩٣/٧ ـ ٣٩٤ ـ ٣٩٥ كتاب اللعان، باب الزوج يقذف امـرأته وبـاب من يلاعن من الأزواج.

الزوجين على ما ذكره الله في هذه الآيات حماية لأعراض المسلمين أن تنتهك بغير حق.

وجاء في إحدى روايات الإمام البخاري أن هذه الآيات نزلت في عويمر العجلاني، وقد جاء في هذه الرواية « فجاء عويمر فقال يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك » الحديث.

وقد اختلف الأئمة في ذلك فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضاً فنزلت في شأنهما معاً في وقت واحد.

ذكر ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني ونسب الجمع المذكور إلى الخطيب والنووي، ثم قال: ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال فلما جاء عويمر ولم يكن علم بما وقع لهلال، أعلمه النبي صلى الله عليه وسلم بالحكم ولهذا قال في قصة هلال « فنزل جبريل » وفي قصة عويمر « قد أنزل الله فيك » فيؤول قوله « قد أنزل الله فيك » أي وفيمن كان مثلك، وبهذا أجاب ابن الصباغ في الشامل[1] قال: نزلت الآية في هلال وأما قوله لعويمر « قد نزل فيك وفي صاحبتك فمعناه ما نزل في قصة هلال ويؤيده أن في حديث أنس عند أبي يعلى قال: « أول لعان

(١) ابن الصباغ هو أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ، فقيه شافعي من أهل بغداد ألف كتاب « الشامل » في الفقه و «تذكرة العالم » و « العدة » في أصول الفقه ـ أنظر الأعلام للزركلي ١٣٢/٤.

في الإسـلام أن شريك بن سحـماء قـذفـه هـلال بن أميـة بـامـرأتـه » الحديث[1].

---

(١) فتح الباري ٩/٤٥٠.

٣ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ (النور/ ٣١).

﴿ **والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليهم** ﴾ (النور/ ٦٠).

* * *

(٢٥٠) قال أبو داود : حدثنا أحمد بن محمد المروزي حدثنا علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** ﴾ الآية، فنسخ واستثنى من ذلك ﴿ **والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً** ﴾ الآية[١].

بيان الإسناد :ـ

تقدم الكلام على هذا الإسناد وتبين أنه فيه علي بن الحسين بن

---

(١) سنن أبي داود رقم ٤١١١، كتاب اللباس، باب قوله تعالى ﴿ **قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** ﴾.

واقد المروزي وهو صدوق يهم[1] ولكن لم يظهر منه وهم في هذا الأثـر فيكون إسناده على هذا حسناً.

وأخرجه البيهقي من طريق أبي داود بهذا الإسناد وذكر مثله[2].

بيان المعنى :

قوله «فنسـخ واستثنى من ذلك » المـراد بالنسـخ هنا التخصيص، لقوله « واستثنى من ذلـك » أي أن الله سبحانـه استثنى حكم القواعـد من النساء من عموم النساء.

والمستثنى منه في الآية الأولى قوله تعالى ﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ يعني الخمار الذي تستر به المرأة شعـر رأسها إلى نحـرها فـلا جناح على القواعد من النساء وهن اللاتي قعدن من الكبر فـلا يتعرض من رآهن للفتنـة بهن، وليس لهن رغبة في الـزواج، أن يضعن ثيـابهن الظاهرة التي تلبس عادة للتستر من غير المحارم، إذا لم تقصد من وضع ثيابها الظاهرة إظهار زينتها للرجال.

﴿ **وأن يستعففن** ﴾ يعنى عن وضع الثياب فيلبسن خمـرهن وجلابيبهن ﴿ خير لهن ﴾ من وضعها.

وقـولـه تعـالى في الآيـة الأولى ﴿ **ولا يبـدين زينتهن إلا مـا ظهـر منهـا** ﴾ قيل إن المـراد بما ظهـر منها مـا يظهـر من الثياب، وبهـذا قـال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أخرجه ابن جرير عنه قال : حدثنـا (٢٥١)
ابن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال حـدثنا شعبـة عن أبي إسحاق

(١) انظر رقم ١٣.
(٢) السنن الكبرى ٧/٩٣، كتاب النكاح، باب ماجاء في القواعد من النساء.

عن أبي الأحـوص عن عبد الله قـال ﴿ ولا يبدين زينتهن إلا مـا ظهـر منها ﴾ قال : الثياب[1] .

وإسناده صحيح[2] .

وأخرجه ابن جرير أيضاً من طرق أخـرى عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود[3] .

وقيل إن المراد بما يظهر من الزينة الكحل والخضاب والخاتم، وقد روى ذلك عن ابن عباس كـما أخرج ابن جـرير من طـريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قـوله تعـالى ﴿ ولا يبدين زينتهن إلا مـا ظهر منها ﴾ قال : والزينة الظاهرة : الوجه وكحـل العين وخضـاب الكف والخاتم، فهذه تظهر في بيتها لمن دخل من الناس عليها[4] .

وإسناده حسن كما تقدم[5] .

---

(١) تفسير الطبري ١٨/١١٧ .

(٢) بيان هذا الإسناد :

١ ـ ابن المثنى هو محمد بن المثنى العنزي وهو ثقة كما تقدم .

٢ ـ محمد بن جعفر هـو المدني المعـروف بغندر وهـو ثقة صحيـح الكتاب إلا أن فيـه غفلة (التقريب ٢/١٥١ رقم ١٠٨) .

٣ ـ شعبة هو ابن الحجاج، وهو ثقة ثبت تقدمت ترجمته انظر ص ٩٥ رقم ٧ .

٤ ـ أبـو إسحاق السبيعي هـو عمرو بن عبـد الله السبيعي وهو ثقـة تقدمت تـرجمته

٥ ـ وأبـو الأحوص هـو عوف بن مـالك بن نضلة الجشمي وهـو ثقة، من الـطبقة الثـالثة (التقريب ٢/٩٠ رقم ٧٩٦) .

وقـد سمـع هؤلاء الـرواة بعضهم من بعض (انـظر تهـذيب التهـذيب ٩/٤٢٥ رقم ٦٩٦، ٩/٩٦ رقم ١٢٩، ٤/٣٣٨ رقم ٥٨٠، ٨/١٦٩ رقم ٣٠٥) فإسناده متصل ورجاله ثقات .

(٣) تفسير الطبرى ١٨/١١٧ .

(٤) تفسير الطبرى ١٨/١١٨ .

(٥) انظر الحديث رقم ٢ .

٤ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ﴾ (النور/٣٣).

(٢٥٢) أخرج عبد الرزاق الصنعاني عن ابن جريج قال: بعد ما ذكر في تفسير عطاء وعمرو بن دينار للخير في الآية ـ وبلغني عن ابن عباس قال: **﴿ إن علمتم فيهم خيرا ﴾** الخير: المال[١].

بيان الإسناد:

ابن جريج ثقة تقدمت ترجمته[٢]، ولكنه لم يذكر الراوي عن ابن عباس فيكون في الإسناد انقطاع وعلى هذا فهذا الإسناد ضعيف لانقطاعه.

وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس[٣] وإسناده ضعيف كما تقدم[٤].

---

(١) مصنف عبد الرزاق، كتاب المكاتب، الباب الأول (٨/٣٦٨ حديث رقم ١٥٥٧٠).
(٢) انظر الحديث رقم (٢٩).
(٣) تفسير الطبري ١٨/١٢٨.
(٤) انظر الحديث رقم (٣٥).

وروى عن ابن عباس أن المراد بالخير في الآية القدرة على الاحتراف والكسب أخرج ذلك ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ **فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً** ﴾ يقول : إن علمتم لهم حيلة ولا تلقوا مؤونتهم على المسلمين(١).

وإسناده حسن كما تقدم(٢).

وهذا هو المناسب لمعنى الآية وقد اختاره ابن جرير وأضاف إلى القدرة على اكتساب المال الوفاء بما التزم به وصدق اللهجة، ثم قال : وذلك أن هذه المعاني هي الأسباب التي بمولى العبد الحاجة إليها إذا كاتب عبده، مما يكون في العبد، فأما المال وإن كان من الخير فإنه لا يكون في العبد وإنما يكون عنده أَوْلَه لا فيه، والله انما أوجب علينا مكاتبة العبد إذا علمنا فيه خيراً لا إذا علمنا عنده أوْلَه، فلذلك لم نقل إن الخير في هذا الموضع معنيٌّ به المال(٣).

وقال الطحاوي : وقول من قال إنه المال لا يصح عندنا لأن العبد مال لمولاه فكيف يكون له مال، والمعنى عندنا إن علمتم فيهم الدين والصدق وعلمتم أنهم يعاملونكم على أنهم متعبدون بالوفاء لكم بما عليهم من الكتابة والصدق في المعاملة فكاتبوهم(٤).

(١) تفسير الطبري ١٨/ ١٢٧.
(٢) انظر رقم (٢).
(٣) تفسير الطبري ٨/ ١٢٩.
(٤) تفسير القرطبي ١٢/ ٢٤٥.

٥ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم، وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴾ (النور/٥٨ ـ ٥٩).

* * *

(٢٥٣) ١ ـ قال الإمام أبو داود السجستاني : حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا عبد العزيز ـ يعنى ابن محمد ـ عن عمرو بن أبي عمر عن عكرمة أن نفراً من أهل العراق قالوا : يا ابن عباس كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا فيه بما أمرنا ولا يعمل بها احد قول الله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا

عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم ﴾ قرأ القعنبي إلى ﴿ عليم حكيم ﴾ قال ابن عباس : إن الله حليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر، وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجال[1] فربما دخل الخادم أو ولد الرجل أو يتيمة الرجل والرجل على أهله فأمرهم الله بالاستئذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم أر أحداً يعمل بذلك بعد »

قال أبو داود : حديث عبيد الله وعطاء يفسد هذا[2].

بيان الإسناد :

١ ـ عبد الله بن مسلمة هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبى الحارثي ، ثقة عابد، كان ابن معين وابن المديني لا يقدمان عليه أحداً في الموطأ، من صغار الطبقة التاسعة مات في أول سنة إحدى وعشرين ومائتين بمكة، روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي[3].

٢ ـ عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي أبو محمد الجهنى بالولاء المدني، صدوق كان يحدث من كتب غيره فيخطىء قال النسائي : حديثه عن عبيد الله العمرى منكر، من الطبقة الثامنة مات سنة ست أو سبع وثمانين ومائة، روى له الجماعة[4].

(١) الحجال جمع حجله وهو بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار ـ اللسان مادة حجل ـ.

(٢) سنن أبي داود كتاب الأدب، باب الاستئذان في العورات الثلاث، حديث رقم ٥١٩٢.

(٣) التقريب ١/٤٥١ رقم ٦٣٨، تذكرة الحفاظ ١/٣٨٣ رقم ٣٨٢.

(٤) التقريب ١/٥١٢ رقم ١٢٤٨، الميزان ٢/٦٣٣ رقم ٥١٢٥.

وقال ابن حجر في هدى الساري : وقال أحمد : كان معروفاً بالطلب وإذا حدث من كتابه فهو صحيح وإذا حدث من كتب الناس وهم وكان يقرأ من كتبهم فيخطىء، وربما قلب أحاديث عبد الله بن عمر يرويها عن عبيد الله بن عمر.

قال ابن حجر : روى له البخاري حديثين قرنه فيهما بعبد العزيز بن أبي حازم وغيرهم وأحاديث يسيرة أفرده لكنه أوردها بصيغة التعليق في المتابعات واحتج به الباقون[1].

٣ ـ عمرو بن أبي عمرو ميسرة مولى المطلب المدني أبو عثمان، ثقة ربما وهم من الطبقة الخامسة، مات بعد الخمسين ومائة، روى له الجماعة[2].

٤ ـ عكرمة مولى ابن عباس ثقة تقدمت ترجمته[3]

وهذا الإسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[4].

ومن هذا يتبين لنا أن رجال هذا الإسناد ثقات ماعدا عبد العزيز الدراوردي فهو صدوق وحديثه عن عبيد الله العمرى منكر ولكنه هنا لا يروي عن عبيد الله العمري فيكون الإسناد حسناً.

ولكن أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الربيع بن سليمان قال حدثنا ابن وهب أخبرنا سليمان بن بلال عن عمر بن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس.

---

(١) هدى الساري / ٤٢٠.

(٢) التقريب ٢ / ٧٥، الخلاصة/٢٩٢.

(٣) انظر الحديث رقم (٥).

(٤) تهذيب التهذيب ٦ / ٣١ رقم ٥١، ٦ / ٣٥٣ رقم ٦٧٧، ٨ / ٨٢ رقم ١٢٢.

ذكره ابن كثير وقال: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس[1].

وأخرجه البيهقي في سننه من طريق الربيع بن سليمان بهذا الإسناد وذكر مثله[2].

فعلى هذا يكون إسناد أبي داود المتقدم صحيحاً لأنه يتقوى بهذا الإسناد.

(٢٥٤) ٢ ـ قال الإمام أبو داود السجستاني: حدثنا ابن السرح قال حدثنا (ح)[3] وحدثنا ابن الصباح بن سفيان وابن عبدة وهذا حديثه قالا: أخبرنا سفيان عن عبيد الله بن ابي يزيد سمع ابن عباس يقول: لم يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن وإني لآمر جاريتي هذه تستأذن علي.

قال أبو داود: وكذلك رواه عطاء عن ابن عباس يأمر به[4].

بيان الإسناد:

١ ـ ابن السرح هو الحافظ الفقيه أبو طاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن السرح الأموي بالولاء المصري، مصنف شرح الموطأ، وهو ثقة من الطبقة العاشرة، مات سنة خمس وخمسين ومائتين، أخرج له الإمام مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة[5].

٢ ـ ابن الصباح هو أبو جعفر التاجر محمد بن الصباح بن سفيان الجُرجُرائى، وهو صدوق من الطبقة العاشرة مات سنة أربعين

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٣١٧.

(٢) سنن البيهقي ٧/٩٧، كتاب النكاح، باب استئذان المملوك والطفل.

(٣) هذه الحاء هي علامة تحويل الإسناد من طريق إلى طريق آخر.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب الاستئذان في العورات الثلاث رقم ٥١٩١.

(٥) تذكرة الحفاظ ١/٥٠٤ رقم ٥١٩، التقريب ١/٢٣ رقم ٩٧.

ومـائتين، أخـرج له أبـو داود وابن ماجـة. قال ابن معـين: «يحدث بحـديث منكر» وهـو «صنفان ليس لهـما في الإسلام نصيب المـرجئـة والقدرية»(١).

٣ ـ وابن عبده هو أبو جعفر أحمد بن عبدة الآمُـلي، وهو صـدوق من الطبقة الحادية عشرة أخرج له البخاري وأبو داود(٢).

وقد روى أبو داود هذا الحديث عن هؤلاء الشيوخ الثلاثـة وفصل روايـة شيخه ابن السرح عن روايـة ابن الصباح وابن عبـدة لأن رواية ابن السرح عن سفيـان بصيغة التحـديث أما روايـة ابن الصباح وابن عبـدة فهي بصيغة الإخبـار، وهذا دليـل عـلى دقـة المحـدثـين في أداء الحديث كما سمعوه.

٤ ـ وسفيان هو ابن عيينة وهو ثقة حافظ وقد تقدم(٣).

٥ ـ وعبيد الله بن أبي يزيد هو المكي مولى آل قارظ بن شيبـة وهو ثقة كثير الحديث(٤).

وهذا الإسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض(٥).

وبهذا تبين لنا أن رجال هذا الحديث في احدى طرقه ثقات فيكون الحديث صحيح الإسناد.

---

(١) التقريب ٢/١٧١ رقم ٣١٧، الخلاصة/٣٤٢.
(٢) التقريب ١/٢١ رقم ٨٦، الكاشف ١/٦٤.
(٣) انظر الحديث رقم (١٧).
(٤) انظر الحديث رقم (٢٤٣).
(٥) تهذيب التهذيب ٢٢٨/٩ رقم ٣٦٠، ١/٥٩ رقم ١٠٠، ٥٦/٧ رقم ١٠٩.

بيان المعنى :

في هذه الآيات يرشدنا الله سبحانه إلى أدب من آداب الإسلام وهو استئذان المماليك والأطفال على أولياء أمورهم في الأوقات الثلاثة . . من قبل صلاة الفجر وبعد الظهر ومن بعد صلاة العشاء، وإنما خصت الأوقات الثلاثة لأنها مظنة اجتماع الرجل بأهله، أما فيما عدا الأوقات الثلاثة فلا بأس من عدم الاستئذان نظراً لاحتياج بعضهم إلى بعض ومشقة الاستئذان في كل وقت.

وأما من بلغ الحلم من الاطفال فانه يجب عليهم أن يستأذنوا في جميع الأوقات لقوله تعالى في هذه الآيات ﴿ **وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم** ﴾ أي كما استأذن الأطفال الذين بلغوا الحلم من قبلهم.

وفي الحديث الأول بين ابن عباس السبب في عدم التزام الناس بهذا الأدب فذكر أن الناس في عهد التنزيل لم تكن لبيوتهم ستور فشرع الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة فلما مَنَّ الله على الناس بالخير وسكنوا في بيوت مسترة لم يروا داعياً لأمر اطفالهم ومماليكهم بالاستئذان عليهم.

وقوله فى الحديث الثاني « لم يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن » أي لم يعملوا بها للسبب الذي تقدم ذكره، وقد جاء في بعض نسخ سنن أبي داود « لم يؤمر » وهو خطأ لأن الآية ليس فيها تخصيص لبعض الناس، وقد جاء هذا اللفظ على الصواب في بعض النسخ وفي رواية البيهقي وفيما نقله ابن كثير من سنن أبي داود[1].

---

(١) سنن البيهقي ٩٧/٧، كتاب النكاح، باب استئذان المملوك. تفسير ابن كثير ٣١٧/٣.

وقوله « وإني لآمر جاريتي هذه تستأذن علي » أي مع ما مَنَّ الله به علينا من الستور والأبواب فإني آمر جاريتى بالاستئذان في الأوقات الثلاثة التزاماً بأمر الله تعالى في هذه الآية.

٦ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ليس على الأعمى حرج ولا على المريض حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ (النور/٦١).

* * *

(٢٥٥) قال الإمام أبو داود السجستاني : حدثنا أحمد بن محمد المروزي حدثني علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى **﴿ لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ﴾** (النساء/٢٩) قال : فكان الرجل يحرج أن يأكل عند أحد من الناس بعد ما نزلت هذه الآية فنسخ ذلك الآية التي في النور قال **﴿ ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم ﴾** إلى قوله **﴿ أشتاتاً ﴾** كان الرجل الغني يدعو

الرجل من أهله إلى الطعام قال : إني لأجنح أن آكل منه - والتجنح الحرج - ويقول : المسكين أحق به مني فأحل في ذلك أن يأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وأحل طعام أهل الكتاب »[1].

وأخرجه البيهقي من طريق أبي داود بهذا الإسناد وذكر مثله[2].

بيان الإسناد :

هذا الإسناد تقدم الكلام عليه وتبين لنا أن فيه علي بن الحسين بن واقد المروزي وهو صدوق يهم[3]، فالإسناد على هذا محتمل للضعف، ولكن أخرجه الإمام ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس . . وذكر نحوه[4].

وهذا إسناد حسن كما تقدم فيتبين به أن هذا الحديث ليس مما وهم فيه علي بن الحسين بن واقد فيكون هذا الحديث باعتضاده برواية ابن جرير صحيحاً لغيره في الجملة حيث إن في سياق الروايتين بعض الاختلاف كما سيأتي.

بيان المعنى :

قوله تعالى ﴿ **لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل** ﴾ يعني بغير حق، ويدخل في ذلك جميع أنواع المال الحرام كالربا والميسر وأنواع البيوع الباطلة.

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأطعمة، باب رقم ٦، حديث رقم ٣٧٥٣.
(٢) السنن الكبرى ٧/ ٢٧٤، كتاب الصداق، باب نسخ الضيق في الأكل من مال الغير.
(٣) انظر الحديث رقم ١٣.
(٤) تفسير الطبري ١٨/ ١٦٨.

وقوله ﴿ **إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم** ﴾ يعني لكن إذا كان المال من طريق تجارة عن تراض منكم فكلوه لأنه حلال لكم، فالاستثناء على هذا منقطع[1].

وقوله تعالى ﴿ **ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم** ﴾ إلى آخر الآية. نزل لرفع الحرج عن المسلمين في أمور كانوا يتحرجون منها في أول الإسلام.

وذلك أن المسلمين كانوا إذا خرجوا للجهاد فتحوا بيوتهم للمتخلفين من الفقراء ذوي العاهات ليأكلوا منها فكان هؤلاء يتحرجون من دخول هذه البيوت وأهلها غائبون عنها، فرفع الله عنهم الحرج بهذه الآية، وقد روى ابن جرير هذا القول عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود[2].

وعندما نزل قوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ تحرج بعضهم من الأكل في بيت غيره خوفاً من أن يكون داخلاً في مضمون هذه الآية فنزلت هذه الآية لرفع هذا الحرج كما يفهم من حديث الباب.

وكان بعضهم يتحرج من أن يأكل وحده فكان يبحث عن ضيف يأكل معه، وقد اخرج ابن جرير في ذلك من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كانوا يأنفون ويتحرجون أن يأكل الرجل الطعام

---

(١) تفسير القرطبي ٥/١٥١.
(٢) تفسير الطبري ١٨/١٦٩.

وحده حتى يكون معه غيره فرخص الله لهم فقال : ﴿ **ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً** ﴾[1].

وإسناده حسن كما تقدم[2].

وقوله تعالى ﴿ **أن تأكلوا من بيوتكم** ﴾ يدخل في ذلك بيوت الأبناء لأنهم لم يذكروا بعد ذلك ثم عطف سبحانه على ذلك بيوت سائر الأقارب والأصدقاء.

وقوله تعالى ﴿ **أو ما ملكتم مفاتحه** ﴾ يعني المال الذي أصبحتم فيه وكلاء وأصبحت مفاتيحه في حوزتكم فلا جناح عليكم أن تأكلوا منه بالمعروف، كما أخرج الإمام ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ **أو ما ملكتم مفاتحه** ﴾ قال : وهو الرجل يوَكل الرجل بضيعته فرخص الله له أن يأكل من ذلك الطعام والتمر ويشرب اللبن[3].

وإسناده حسن كما تقدم[4].

والمفاتيح جمع مفتح وهو المفتاح ويجمع على مفاتيح ومفاتح وقيل مفاتيح جمع مفتاح ومفاتح جمع مفتح[5].

وقوله في رواية أبي داود « فنسخ ذلك الآية التي في النور » النسخ هنا غير ظاهر لأن آية النور مبينة لآية النساء لا ناسخة لها لأن النسخ

---

(١) تفسير الطبري ١٨ / ١٧٢ .
(٢) انظر الحديث رقم ٢ .
(٣) تفسير الطبري ١٨ / ١٧٠ .
(٤) انظر الحديث رقم ٢ .
(٥) مفردات الراغب (مادة فتح)، تفسير الالوسي ١٨ / ٢٢٠ .

إزالة الحكم وآية النساء لم ينسخ حكمها بل هي محكمـة، وقد جـاء في رواية ابن جرير « فأنـزل الله بعد ذلـك ﴿ **ليس على الأعمى حـرج** ﴾ الآية » فهذا ظاهر في أن هذه الآية مبينة لآية النساء، ورواية ابن جرير اقوى من رواية أبي داود كما تقدم في بيان الإسناد فهي المعتمدة عن ابن عباس، ولعل التعبير بالنسخ من أوهام بعض الـرواة خصوصـاً وأن في إسناد أبي داود علي بن الحسين بن واقد وهو متهم بالوهم كما تقدم.

« ســـورة الفرقـــان »(٢٥)

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنـين دعوا هنـالك ثبـوراً . لا تدعـوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً ﴾ (الفرقان/١٣ ـ ١٤) .

* * *

(٢٥٦) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ ثبوراً ﴾ ويلاً[١] .

وأخرجه ابن جرير الطبري موصولاً من طريق عـلي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢] .

وقال أبو جعفر بن جرير : والثبور في كـلام العرب أصله انصراف الرجل عن الشيء ، يقال منه : مـا ثبرك عن هـذا الأمر أي مـا صرفك عنه ، وهو في هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالنـدم على انصرافهم عن طاعة الله في الدنيا والإيمان بما جاءهم به نبي الله صـلى الله عليه وسلم حتى استوجبوا العقوبة منه ، كما يقول القائل واندامتـاه واحسرتاه عـلى ما فرطت في جنب الله[٣] .

وقال ابن منظور : الثبور الهلاك والخسران والويل[٤] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير، سورة الفرقان .
(٢) تفسير الطبري ١٨/ ١٨٧ .
(٣) تفسير الطبري ١٨/ ١٨٨ .
(٤) لسان العرب مادة (ثبر) .

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ (الفرقان/٢٣).

* * *

(٢٥٧) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: **﴿ هباءً منثوراً ﴾** ما تسفى به الريح[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس[٢].

وأخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة في قوله **﴿ هباءً منثوراً ﴾** قال: يقال الماء المهراق[٣].

وقال ابن شميل: الهباء التراب الذي تطيره الريح فتراه على وجوه الناس وجلودهم وثيابهم يلزق لزوقاً[٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الفرقان.

(٢) تفسير الطبري ١٩/٤.

(٣) تفسير الطبري ١٩/٥.

(٤) لسان العرب (مادة هبا).

٣ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ألم تـر إلى ربك كيف مـد الظل ولـو شـاء لجعله سـاكنـاً ثم جعلنـا الشمس عليه دليلاً ﴾ (الفرقان/ ٤٥).

* * *

(٢٥٨) قـال الإمام البخـاري : قال ابن عبـاس : ﴿ **مد الـظل** ﴾ ما بـين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. ﴿ **ساكنـاً** ﴾ : دائماً ﴿ **عليـه دليلاً** ﴾ طلوع الشمس[1].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة ومن طريق العوفي عن ابن عباس[2].

بيان المعنى:

قـوله «﴿ **مـد الظل** ﴾ مـا بـين طلوع الفجـر إلى طلوع الشمس» يعني أن المراد بالظل مابين هذين الوقتين.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الفرقان.

(٢) تفسير الطبري ١٩/ ١٨.

وقال الألوسي: وذلك أطيب الأوقات فإن الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع وتسد النظر، وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر[1].

قوله «﴿ عليه دليلاً ﴾ طلوع الشمس» أي جعل الله سبحانه وتعالى طلوع الشمس دليلاً على ذلك الظل، ويحتمل أن تكون دلالته عليه علامة على تقلصه ثم انتهائه، ويحتمل أن تكون علامة على مزيته وأفضليته بالنسبة لسائر الأوقات.

---

(١) تفسير الألوسي ١٩/٢٦.

٤ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ﴾ (الفرقان/٦٢).

* * *

(٢٥٩) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ **خلفة** ﴾ من فاته من الليل عمل أدركه بالنهار أوفاته بالنهار أدركه بالليل[١].

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

بيان المعنى :

هذا المعنى الذي روى عن ابن عباس ليس تفسيراً لقوله تعالى ﴿ **خلفة** ﴾ وإنما هو بيان لفائدة تترتب على امتنان الله علينا بجعل الليل والنهار خلفة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الفرقان.

(٢) تفسير الطبري ١٩ / ٣٠.

ومعنى الآية: وهو الـذي جعل الليـل يخلف النهار والنهـار يخلف الليل ليكون في ذلك علامات لمن أراد أن يعبد الله في الليل أو في النهار إذ لو كان الليل سرمداً أو النهار سرمداً لا نهاية له لما كان هنـاك أوقات للصلاة والصوم.

وقد أخرج ابن جـرير في هـذا المعنى عن عبدالـرحمن بن زيد أنـه قال: لو لم يجعلهما خلفة لم يـدر كيف يعمل، لـو كان الـدهر ليـلاً كله كيف يـدري أحد كيف يصـوم؟ أو كان الـدهر نهاراً كله كيف يـدري أحد كيف يصلي؟ قال: والخلفة مختلفان يذهب هذا ويأتي هـذا جعلهما الله خلفة للعباد وقرأ ﴿ **لمن أراد ان يذكر أو أراد شكوراً** ﴾[1].

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٣١.

٥ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ (الفرقان/٦٨ ـ ٧٠).

(٢٦٠) قال الإمام البخاري: حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال يعلى إن سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا وزنوا وأكثروا فأتوا محمداً صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الذي تقول وتدعوا إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل **﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾** ونزل **﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾**[1].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الزمر، حديث رقم ٤٨١٠.

وأخرجه الإمام مسلم والبيهقي والحاكم[1].

بيان المعنى:

تبين لنا من هذه الآيات ومن قوله تعالى في سورة الزمر ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ (آية/٥٣) أن الله جل وعلا يقبل توبة عباده من جميع الذنوب إذا صدقوا في توبتهم.

وقد بين ابن عباس في هذه الرواية أن هذه الآيات نزلت في أهل الشرك إذا أكثروا من فعل الكبائر كالشرك بالله والقتل والزنا ثم تابوا ودخلوا في الإسلام.

وليس معنى هذا أن هذا الحكم خاص بالمشركين لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فتقبل توبة المسلم الصادقة ولو أكثر من الذنوب.

وقد تقدم في تفسير قوله تعالى من سورة النساء ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها** ﴾ ذكر روايات عن ابن عباس في عدم قبول توبة القاتل عمداً وذكر فيها أن الآيات التي ذكر فيها قبول توبة القاتل قد نزلت في المشركين وقد تقدم الكلام على ذلك.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ٥٤، حديث ١٢٢. السنن الكبرى ٩/٩٨، كتاب السير، باب الكافر الحربي يقتل مسلماً ثم يسلم. المستدرك ٢/٤٠٣، كتاب التفسير سورة الفرقان.

« ســورة الشعــراء »(٢٦)

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ﴾ (الشعراء/١٢٩).

* * *

(٢٦١) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿ لعلكم تخلدون ﴾ كأنكم[1].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[2].

بيان المعنى:

هذه الآية مما حكاه الله جل وعلا من قول هود عليه السلام لقومه، وقبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ أتبنون بكل ريع آية تعبثون ﴾ ينكر عليهم هود عليه السلام أنهم يبنون بكل مكان مرتفع من الطرق بناء حكماً باهراً يفتخرون به ويتخذونه علامة على قوتهم وجبروتهم لعبا ولهوا.

﴿ وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ﴾ أي قصوراً شاهقة وبروجاً عالية كأنكم مخلدون في هذه الحياة الدنيا.

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير، سورة الشعراء.

(٢) تفسير الطبري ١٩/٩٦.

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ (الشعراء/٢١٤).

* * *

(٢٦٢) قال الإمام البخاري: حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثني عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي: يابني فهر يابني عدي ـ لبطون قريش ـ حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿ **تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب** ﴾»[1].

(١) صحيح البخاري رقم ٤٧٧٠، ٤٨٠١، ٤٩٧١، ٤٩٧٢ كتاب التفسير، سورة الشعراء، سورة سبأ، سورة تبت.

وأخرجه الإمام مسلم وأحمد والترمذي وأبو عوانة والبيهقي والطبري[(١)].

بيان المعنى:

قوله تعالى ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ عشيرة الرجل هم بنو أبيه الأدنون يعني أقرب الناس له نسباً من جهة أصله، وقيل إنها تطلق على القبيلة[(٢)] وقال الراغب الأصفهاني: العشيرة أهل الرجل الذي يتكثر بهم، أي يصيرون له بمنزلة العدد الكامل، وذلك أن العشرة هو العدد الكامل[(٣)].

وقوله تعالى ﴿ **الأقربين** ﴾ دليل على أن العشيرة هم أقارب الرجل الأدنون من حيث النسب بعد الآباء والأبناء والإخوان كما في قوله تعالى ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم** ﴾ الآية ـ (التوبة/٢٤)

وجاء في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم خص أقرب بطون قريش إليه نسباً وهم بنو عبد مناف بعد ما دعاهم عموماً ثم خص أفراداً من بني هاشم وذلك فيما أخرجه الإمام البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قام رسول الله صلى الله عليه

---

(١) صحيح مسلم رقم ٢٠٨ كتاب الإيمان باب في قوله تعالى ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة تبت، حديث رقم ٣٣٦٣.
مسند أحمد ١/٣٠٧.
السنن الكبرى ٦/٣٧١، كتاب قسم الفيء، باب إعطاء الفيء على الديوان، ٩/٧ كتاب السير، باب مبتدأ الفرض على النبي صلى الله عليه وسلم، تفسير الطبري ١٩/١٢٠ ـ مسند أبي عوانة ١/٩٢.

(٢) لسان العرب (مادة عشر).

(٣) مفردات الراغب الأصفهاني (مادة عشر).

وسلم حينما أنزل الله ﴿ **وأنذر عشيرتك الاقربين** ﴾ قال: يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً ويا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً[١].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الشعراء، رقم ٤٧٧١.

٣ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تـر أنهم في كل واد يهيمـون، وأنهم يقولون مالا يفعلون. إلا الذين آمنـوا وعملوا الصالحـات وذكروا الله كثيـراً وانتصروا من بعد مـا ظلموا وسيعلم الـذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ (الشعراء/ ٢٢٤ ـ ٢٢٧)

* * *

(٢٦٣) قال الإمام أبو داود: حدثنا أحمد بن محمـد المروزي قـال: حدثني علي بن حسين عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكـرمة عن ابن عبـاس قال: ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ فنسخ من ذلـك واستثنى فقال: «﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً ﴾»[١].

بيان الإسناد:

تقـدم الكلام عـلى هذا الإسنـاد وتبين أن فيـه علي بن حسـين بن واقـد المروزي وهـو صدوق يهم[٢]. لكن أخـرجه الـطبري من طريق

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر، حديث رقم ٥٠١٦.
(٢) أنظر الحديث رقم ١٣.

علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[1].

وهذا إسناد حسن كما تقدم[2].

فيتبين من هذا الطريق الآخر أن علي بن الحسين بن واقد لم يهم في رواية أبي داود فيكون إسناده حسناً وباعتضاده برواية الطبري يكون الأثر صحيحاً لغيره.

بيان المعنى:

قوله تعالى: ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون** ﴾ قال ابن عباس: هم الكفار يتبعهم ضلال الجن والانس، أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة[3].

وإسناده حسن كما تقدم[4].

وقول ابن عباس: «فنسخ من ذلك واستثنى فقال: ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً** ﴾» أي أن الله سبحانه خصص من الشعراء الذين يتبعهم الغاوون من آمن بالله تعالى وعمل صالحاً وذكر الله كثيراً، فالنسخ هنا بمعنى التخصيص كما هو ظاهر من قوله واستثنى.

---

(١) تفسير الطبري ١٩/١٧٩.

(٢) أنظر الحديث رقم ٢.

(٣) تفسير الطبري ١٩/١٧٧.

(٤) أنظر الحديث رقم ٢.

« ســورة النمــل »[٢٧]

١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ أني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيءٍ ولها عرش عظيم ﴾ (النمل/٢٣).

* * *

(٢٦٤) قال الإمام البخاري : قال ابن عبـاس : **﴿ ولها عـرش عظيم ﴾** سرير كريم، حُسْنُ الصنعة وغلاء الثمن[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق عطاء الخـراساني عن ابن عبـاس في قوله **﴿ ولها عرش عظيم ﴾** قال : سرير كريم وقال : حسن الصنعة، وعرشها سرير من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ[٢].

وهذه الآية ممـا قصه علينـا من قصة « سليـمان عليه السـلام » مع «بلقيس» ملكة اليمن.

وقـوله « حسن الصنعـة، وغلاء الثمن » يعني أن المـراد بعـظمتـه كونه حسن الصنعة غالي الثمن لا كونه عظيم الحجم والاتساع.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النمل.
(٢) تفسير الطبرى ١٤٨/١٩.

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ قال ياأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ﴾ (النمل/٣٨).

* * *

(٢٦٥) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : **﴿ مسلمين ﴾** طائعين[1].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[2].

بيان المعنى :

فسر ابن عباس الإسلام في الآية بمعناه اللغوي وهو الانقياد والطاعة، وقد جاءت ملكة اليمن بلقيس إلى سليمان عليه السلام يصحبها عظماء اليمن منقادين طائعين، ثم دخلت بعد ذلك بلقيس في دين الإسلام بعدما شاهدت ملك سليمان عليه السلام الذي لا يمكن

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النمل.
(٢) تفسير الطبري ١٩/١٦١.

أن يكون إلا بتأييد من الله جل وعلا وتسخير منه فعلمت أن سليمان عليه السلام نبي وليس ملكاً فقط، وقد ذكر سبحانه وتعالى دخولها الإسلام بقوله ﴿ **قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين** ﴾ (النمل/٤٤).

٣ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون ﴾ (النمل/٧٢).

* * *

قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ **ردف** ﴾ اقترب[١]. **(٢٦٦)**

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن ابي طلحة والعوفي عن ابن عباس[٢].

بيان المعنى :ـ

قوله ﴿ **قل عسى** ﴾ «عسى» هنا ليست للترجي، لأنها إذا صدرت من الله تعالى فهي لوجوب الوقوع كما تقدم في تفسير ابن عباس.

وقوله ﴿ **ردف لكم** ﴾ يعني اقترب كما قال ابن عباس، وتعديته باللام لتضمينه معنى القرب، قال الفراء : جاء في التفسير : دنا لكم

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النمل.
(٢) تفسير الطبري ٢٠/٩.

بعض الذي تستعجلون، فكأن اللام دخلت إذ كان المعنى : دنا، كما قال الشاعر :

فقلت لها الحاجات يطرحن بالفتى وهَمٌّ تُعَنَّاني مُعَنًّى ركائبه

فأدخل «الباء» في الفتى لأن معنى «يطرحن» يرمين، وأنت تقول : رميت بالشيء وطرحته، وتكون اللام داخلة، والمعنى : ردفكم كما قال بعض العرب «نفذت لها مائة، وهو يريد نفذتها مائة»[1].

وأصل «ردف» بمعنى تبع، يقال : ردفه أمر وأردفه كما يقال : تبعه واتبعه[2].

وقوله تعالى ﴿ **بعض الذي تستعجلون** ﴾ يعني العذاب الذي استعجلوا وقوعه، وقد ذكره الله تعالى في قوله قبل هذه الآية ﴿ **ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين** ﴾

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/٢٩٩.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/١٠.

٤ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيءٍ إنه خبير بما تفعلون ﴾ (النمل/٨٨).

* * *

(٢٦٧) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ **جامدة** ﴾ قائمة[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

بيان المعنى :ـ

قوله « ﴿ **جامدة** ﴾ قائمة » أي واقفة لا تتحرك ﴿ **وهى تمر مر السحاب** ﴾ وذلك يوم القيامة يوم ينفخ في الصور، المذكور في قوله تعالى قبل هذه الآية ﴿ **ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين** ﴾.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النمل.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/٢١.

« ســورة القــصص »[٢٨]

١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين. وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ﴾ (القصص / ١٠ ـ ١١)

* * *

(٢٦٨) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ فارغاً ﴾ إلا من ذكر موسى ﴿ قصيه ﴾ اتبعي أثره وقد يكون أن يُقَصَّ الكلام ﴿ نحن نقص عليك ﴾ ﴿ عن جنب ﴾ عن بعد، وعن جنابة واحد، وعن اجتناب أيضاً[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق سعيد بن جبير وعلي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة القصص، الباب الأول، وكتاب أحاديث الأنبياء باب رقم ٣٣.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/٣٦، ٣٩.

بيان المعنى :

في هاتين الأيتين ذكر الله سبحانه جزءاً من قصة موسى عليه السلام وهو في طفولته، حيث كان فرعون يقتل أولاد بني إسرائيل، فخشيت عليه امه من القتل فأوحى الله إليها أن تضعه في صندوق وتلقيه في النهر كما قال تعالى قبل هاتين الأيتين ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولاتخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين** ﴾.

وقد جرى به النهر إلى بيت فرعون فأخذوه وألقى الله محبته في قلب امرأة فرعون فاستوهبته إياه فأعفاه من القتل وهو لا يدرى أن به سيكون هلاكهم وزوال سلطانهم وفي هذا يقول تعالى ﴿ **فالتقطه آل فرعون ليكن لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون** ﴾

ثم قال تعالى بعد ذلك ﴿ **وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً** ﴾ أي من شدة ولعها به وخوفها عليه أصبح فؤادها خالياً من أي تفكير في شيء إلا من التفكير في أمر موسى ﴿ **إن كادت لتبدي به** ﴾ أي أن كادت من شدة وجدها عليه لتظهر ما في مكنون ضميرها على لسانها فتَنْدُبَه حتى تخفف مما في نفسها من الحزن عليه، كما أخرج ابن جرير من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس : انه قال : « أن تقول : يابنياه »[1]، ولو فعلت لا نكشف أمره، ولكن الله سبحانه الذي قدر لموسى هذه الأسباب الواقية له منذ صغره لينجز أمراً عظيماً في المستقبل قد اختاره

---

(١) تفسير الطبري، ٢٠/٣٧.

الله ثبت فؤاد أمه والقى عليها السكينة والاطمئنان من تحقق ما وعدها الله به ﴿ **لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين** ﴾

ولما أن اطمأن قلبها وتذكرت أن وعد الله بإرجاعه إليها لا يمكن أن يتخلف كتمت ما في نفسها عليه من الوجد، وأصبحت تفكر في معرفة مصيره بعدما ألقته في النهر، قال تعالى ﴿ **وقالت لأخته قصيه** ﴾ أي اتبعي أثره لتعلمي أين يجري به النهر، ﴿ **فبصرت به عن جنب** ﴾ أي أبصرته عن بعد كما قال ابن عباس قال ابن جرير يقال : بصرت به وأبصرته لغتان مشهورتان[1]. المعنى أنها صارت تسير معه محاذية له عن بعد لم تدن حتى لا يعلم أنها تقصده ﴿ **وهم لا يشعرون** ﴾ يعني قوم فرعون لا يعلمون أنها تريد معرفة ما يئول إليه أمره.

---

(١) تفسير الطبري، ٢٠/٣٩، مجاز القرآن ٢/٩٨.

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ قال إني أريد أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أ ن تأجرنى ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين. قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على مانقول وكيل ﴾ (القصص/٢٧ ـ ٢٨)

* * *

(٢٦٩) قال الإمام البخاري : حدثني محمد بن عبد الرحيم أخبرنا سعيد بن سليمان حدثنا مروان بن شجاع عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال : « سألني يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أدرى حتى أقدم على حبر العرب فأسأله ، فقدمت فسألت ابن عباس فقال : قضى اكثرهما وأطيبهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال فعل »(١).

قال الحافظ ابن حجر : زاد الإسماعيلى من الطريق التي أخرجها البخاري « قال سعيد : فلقبني اليهودي فأعلمته بذلك فقال :

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الشهادات ، باب من أمر بإنجاز الوعد حديث رقم ٢٦/١٤ .

صاحبك والله عالم »[1].

وكذلك أخرجه البيهقي بهذه الزيادة[2].

وأخرجه الحميدي في مسنده من طريق عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل: أي الأجلين قضى موسى؟ فقال أتمهما وأكملهما[3].

وأخرجه أبو يعلى من طريق ابن عباس أيضاً مرفوعاً وذكر مثله.

وذكره الهيثمي وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير الحكم بن ابان وهو ثقة ورواه البزار إلا أنه قال عن ابن عباس إن النبي صلى الله عليه وسلم سئل ا هـ.[4]

ورواه الحاكم أيضاً مرفوعاً من طريقين عن ابن عباس ولكن في أحدهما حفص بن عمر العدني قال عنه الإمام الذهبي: حفص واه.

وفي الطريق الأخرى إبراهيم بن يحي رجل من أهل عدن قال الإمام الذهبي: إبراهيم لا يعرف[5].

وأخرجه البيهقي كذلك ولكن من نفس هذين الطريقين[6].

---

(1) فتح الباري ٥/٢٩١.
(2) سنن البيهقي ٦/١١٧، كتاب الإجارة، باب جاز الإجارة.
(3) مسند الحميدى ١/٢٤٥ رقم ٥٣٥.
(4) مجمع الزوائد ٧/٨٧، كتاب التفسير.
(5) المستدرك ٢/٤١٧، كتاب التفسير.
(6) سنن البيهقي ٦/١١٧، كتاب الإجارة، باب جواز الإجارة.

بيان المعنى :

في هاتين الأيتين ذكر الله سبحانه جزءاً من قصة موسى عليه السلام، وذلك حينما انتقل من مصر إلى بلاد مدين، فجرت المحاورة التي ذكر الله تعالى في هاتين الأيتين بينه وبين صاحب مدين، وقد ذكر الله سبحانه قصة خروجه من مصر وسبب ذلك في آيات من هذه السورة.

وقوله ﴿ **على أن تأجرني ثماني حجج** ﴾ يعنى على أن تثيبني من تزويجي إياك إحدى ابنتي رعي ماشيتى ثماني حجج يعني سنوات، من قولهم : آجرك الله بمعنى : أثابك الله، والعرب تقول : آجَرْت الأجير أَجْرَه بمعنى أعطيته ذلك(١).

وقوله في حديث الباب « قضى أكثرهما وأطيبهما » يعنى أن هذا هو اللائق بالأنبياء عليهم السلام في معاملتهم مع الناس أن يوفوهم أكثر من حقهم لا أن ينقصوهم، ولما كان الفرق بين الأجلين ليس واجباً على موسى عليه السلام لم يتركه بل قضاه تطوعاً منه وتكرماً.

وقوله « إن رسول الله صلى عليه وسلم إذا قال فعل » يعني أن من صفات من أرسلهم الله رحمة للناس أن يوفوا إذا وعدوا، وموسى عليه السلام لم يكتف بالوفاء بالواجب بل فعل ما زاد عن الواجب تفضلاً منه.

وهذا الجواب من ابن عباس يدل على سعة علمه وقوة إدراكه، ولذلك قال عنه اليهودي السائل في إحدى الروايات : صاحبك والله عالم.

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/٦٥، معاني القرآن للفراء ٢/٣٠٥.

٣ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ماإنَّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾ (القصص/٧٦).

***

(٢٧٠) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : **﴿ لتنوء ﴾** لتثقل **﴿ أولي القوة ﴾** لا يرفعها العصبة من الرجال **﴿ الفرحين ﴾** المرحين[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

بيان المعنى :

قوله تعالى **﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ﴾** قال ابن جريج هو ابن عم موسى عليه السلام، وقال ابن إسحاق : هو

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير، سورة القصص.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/١٠٧، ١١١.

عم موسى عليه السلام ذكر ذلك ابن جرير الطبري ثم قال : وأكثر أهل العلم في ذلك على ما قاله ابن جريج ثم نقل القول بذلك عن إبراهيم النخعي وقتادة ومالك بن دينار(١) .

وقوله ﴿ **فبغى عليهم** ﴾ يعنى تجاوز الحد في التكبر على قومه لما آتاه الله من المال الكثير.

وقوله ﴿ **وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة** ﴾ المفاتح جمع مِفْتَح وهو الذي تفتح به الأبواب، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : أي مفاتح خزائنه(٢) وبهذا قال ابن جرير وغيره(٣) .

وقيل إن المراد بالمفاتح الخزائن نفسها وبهذا قال الفراء(٤).

وقوله ﴿ **لتنوء بالعصبة اولى القوة** ﴾ تنوء : تثقل كما قال ابن عباس، والعصبة هم الجماعة من الرجال، وأصل « تنوء » تُنِيءُ، المعنى : وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتح خزائنه لتنيء العصبة أي تميلهم من ثقلها، فلما انفتحت التاء أدخلت الباء، كما يقال : هو يذهب بالبؤس ويذهب البؤس(٥) .

وقوله ﴿ **إن الله لا يحب الفرحين** ﴾

فسر ابن عباس الفرح في الآية بالمرح، وقال ابن منظور : المرح شدة الفرح والنشاط حتى يجاوز قدره وقيل المرح التبختر والاختيال،

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/١٠٥ ـ ١٠٦ .
(٢) مجاز القرآن ٢/١١٠ .
(٣) تفسير الطبري ٢٠/١٠٦ ، تفسير القرطبي ١٣/٣١١ .
تفسير ابن كثير ٣/٤١٦ ، تفسير ابو السعود ٤/٣١٩ .
(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٣١٠ .
(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٣١٠ تفسير القرطبي ١٣/٣١٢ .

وفي التنزيل ﴿ **ولا تمش في الأرض مرحاً** ﴾ أي متبختراً مختالاً[١].

وأخرج ابن جرير من عدة طرق عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ **إن الله لا يحب الفرحين** ﴾ قال: المتبذخين الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم[٢].

وقد بين الله سبحانه نهاية قارون بقوله تعالى ﴿ **فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وماكان من المنتصرين** ﴾.

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله سبحانه خسف بقارون لما منع الزكاة وحرض بنى إسرائيل على عصيان موسى عليه السلام واتهامه في عرضه، وقد أخرج الحاكم هذا الخبر من طريق سعيد بن جبير عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أتى موسى قومه أمرهم بالزكاة فجمعهم قارون فقال لهم: جاءكم بالصلاة وجاءكم بأشياء فاحتملتوها فتحملوا أن تعطوه أموالكم، فقالوا لا نحتمل أن نعطيه أموالنا فما ترى ؟ فقال لهم: أرى أن أرسل إلى بَغِيٍّ بني إسرائيل فنرسلها إليه فترميه بأنه أرادها على نفسها، فدعا الله موسى عليهم فأمر الله الأرض أن تطيعه فقال موسى للأرض خذيهم فأخذتهم إلى أعقابهم، فجعلوا يقولون: ياموسى ياموسى، ثم قال للأرض: خذيهم، فأخذتهم إلى ركبهم، فجعلوا يقولون: ياموسى ياموسى، ثم قال للأرض: خذيهم، فأخذتهم إلى أعناقهم فجعلوا يقولون: ياموسى ياموسى، فقال للأرض: خذيهم،

---

(١) لسان العرب (مادة مرح).
(٢) تفسير الطبري ٢٠/١١١.

فأخذتهم فغيبتهم، فأوحى الله إلى موسى : ياموسى سألك عبادي وتضرعوا إليك فلم تجبهم، وعزتي لو أنهم دعوني لأجبتهم، قال ابن عباس : وذلك قول الله عز وجل : ﴿ **فخسفنا به وبداره الأرض** ﴾ فخسف به إلى الارض السفلى.

قال ابو عبد الله الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الإمام الذهبي[١].

(١) المستدرك، كتاب التفسير، سورة القصص ٢/٤٠٨.

٤ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين ﴾ (القصص/ ٨٥).

* * *

(٢٧١) قال الإمام البخاري : حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا يعلى حدثنا سفيان العصفري عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى **﴿ لرادك إلى معاد ﴾** قال : إلى مكة(١).

واخرجه ابن جرير الطبري من طريق يعلى بن عبيد بهذا الإسناد وذكر مثله.

وأخرجه أيضاً من طريق العوفي عن ابن عباس قال : يقول : لرادك إلى مكة كما أخرجك منها(٢).

---

(١) صحيح البخاري، رقم ٤٧٧٣، كتاب التفسير، سورة القصص، باب **﴿ ان الذي فرض عليك القرآن ﴾** الآية.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ١٢٥.

بيان المعنى :

في هذا الأثر تبين لنا أن ابن عباس يرى أن المـراد بالمعـاد في الآية مكة المكرمة.

وروى عن ابن عبـاس أن المراد الجنـة، أخـرجـه ابن جـريـر من طريق عكرمة وسعيد بن جبير[١].

وروى عنـه أن المراد بـالمعاد المـوت، أخرجـه ابن جريـر عنـه من طريق سعيد بن جبير[٢].

وذكر الحافظ الهيثمي هاتين الروايتين وعزاهما إلى الطبراني وقال : رجال إحداهما رجال الصحيح غير خصيف وهو ثقة وفيه ضعف[٣].

وقد جمع ابن كثير بين هـذه الاقوال بقـوله : « ووجـه الجمع بـين هذه الأقوال أن ابن عباس فسر ذلك تارة برجوعه إلى مكـة وهو الفتـح الذي هو عند ابن عباس أمارة على اقـتراب أجل النبي صـلى الله عليه وسلم كما فسر ابن عباس سورة ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ إلى آخر السورة أنه أَجَل رسول الله صـلى الله عليه وسلم نعى إليـه وكان ذلـك بحضرة عمر بن الخطاب ووافقـه عمر عـلى ذلك وقـال : لا أعلم منها غير الذي تعلم، ولهذا فسر ابن عباس تارة قوله ﴿ **لرادك إلى معـاد** ﴾ بالموت، وتارة بيوم القيامة الذي هو بعـد الموت وتـارة بالجنـة التي هي جزاؤه ومصيره على أداء رسالة الله وإبلاغها إلى الثقلين الإنس والجن،

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/١٢٤.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/١٢٥.

(٣) مجمع الزوائد ٧/٨٨.

ولأنــه أكمــل خلق الله وأفـصــح خلق الله وأشرف خـلق الله عــلى الإطلاق[1].

وهذا الرأي جيد لأنه به تجتمع الأقوال السابقة فالقـول بأن المـراد الموت والقول بأن المراد الجنة متقاربان حيث أن الجنة تكون بعد المـوت أما القول بأن المراد مكة المكرمة فمن باب أن فتح مكة مؤذن بدنو أجل النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٤٢٠.

« ســـورة الــروم »(٣٠)

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ألم . غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (الروم/١ ـ ٦) .

* * *

(٢٧٢) قال الإمام أحمد: حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو إسحاق عن سفيان عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى **﴿ ألم غلبت الروم ﴾** قال: غُلِبَت وغَلَبَت، قال: كان المشركون يحبون ان تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على الفرس لأنهم أهل كتاب، فذكروه لأبي بكر فذكره أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما أنهم سيَغلِبون» قال: فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فجعل أجلاً خمس سنين فلم يظهروا فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ألا جعلتها إلى دون

ـ قال: أراه قال ـ العشر»، قال قال سعيد بن جبير: البضع ما دون العشر ثم ظهرت الروم بعد ذلك، قال: فذلك قوله ﴿ **ألم غلبت الروم ـ إلى قوله ـ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله** ﴾(١).

بيان الإسناد:

١ ـ معاوية بن عمرو بن المهلب الأزدي المَعْنِي أبو عمرو البغدادي ويعرف بابن الكرماني، وهو ثقة من صغار الطبقة التاسعة مات سنة أربع عشرة ومائتين على الصحيح وله ست وثمانون سنة، روى له الجماعة(٢).

٢ ـ أبو إسحاق هو الإمام ابراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري وهو ثقة حافظ له تصانيف من الطبقة الثامنة مات سنة خمس وثمانين ومائة وقيل بعدها، روى له الجماعة(٣).

٢ ـ سفيان هو الثوري ثقة تقدمت ترجمته(٤).

٤ ـ حبيب بن أبي عمرة القصاب أبو عبدالله الحماني، ثقة من الطبقة السادسة مات سنة اثنتين وأربعين ومائة روى له الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجة(٥).

٥ ـ سعيد بن جبير ثقة تقدم(٦).

---

(١) مسند أحمد ١/٢٧٦.
(٢) التقريب ٢/٢٦٠ رقم ١٢٣٨، الكاشف ٣/١٥٨، الخلاصة/٣٨٢.
(٣) التقريب ١/٤١ رقم ٢٥٦، تذكرة الحفاظ ١/٢٧٣ رقم ٢٥٩.
(٤) انظر الحديث رقم (٦٧).
(٥) التقريب ١/١٥٠ رقم ١٢٦، الكاشف ١/٢٠٣، الخلاصة/٧١.
(٦) انظر الحديث رقم (١١).

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض(١).

ورجاله ثقات فيكون إسناده صحيحاً.

وأخرجه الإمام الترمذي والحاكم والطبري من طريق أبي إسحاق الفزاري بهذا الإسناد وذكروا مثله، وزادوا في آخره: قال سفيان: وسمعت أنهم ظهروا يوم بدر.

وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي(٢).

بيان المعنى:

قوله تعالى ﴿ **غلبت الروم في أدنى الأرض** ﴾ أي غلب الفرس الروم كما تقدم في الرواية عن ابن عباس ﴿ **في أدنى الأرض** ﴾ قال ابن عباس «في طرف الشام» أخرجه ابن جرير عنه من طريق علي بن أبي طلحة(٣).

وقوله «غُلِبت الروم» يعنى غلبت الروم في الحرب الأولى التي نزلت بعدها هذه الآية حيث انتصر عليهم الفرس وغلبت الروم بعد ذلك الفرس في الحرب الثانية المذكورة في قوله تعالى في هذه الآيات ﴿ **وهم من بعد غلبهم سيغلبون** ﴾ كما يبين ذلك سياق الحديث.

وفي هذه الآية معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبر عن شيء أنه سيقع فوقع كما أخبر به، كما أن فيها دلالة ظاهرة على أن القرآن كلام الله تعالى إذ لا يستطيع بشر أن يخبر عما سيقع في المستقبل ثم يقع كما أخبر به.

---

(١) تهذيب التهذيب ١٠/٢١٥ رقم ٣٩٥، ١/١٥١ رقم ٢٧١، ٢/١٨٨ رقم ٣٤٥.

(٢) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الروم، حديث رقم ٣١٩٣ المستدرك ٢/٤١٠ كتاب التفسير ـ تفسير الطبري ٢١/١٦.

(٣) تفسير الطبري ٢١/٢١.

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون ﴾ (الروم/١٧ ـ ١٨).

* * *

(٢٧٣) أخرج عبدالرزاق عن الثوري عن عاصم عن أبي رزين قال: خاصم نافع بن الأزرق ابن عباس فقال: هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ فقال: نعم ثم قرأ عليه **﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾** المغرب والفجر **﴿ وعشياً ﴾** العصر **﴿ وحين تظهرون ﴾** الظهر، وقال **﴿ ومن بعد صلاة العشاء ﴾** (النور/٥٨)٢ع٢[١].

وأخرجه الإمام ابن جرير من طريقين عن سفيان الثوري بهذا الإسناد عن أبي رزين قال: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن الصلوات الخمس في القرآن. . ثم ذكر مثله[٢].

بيان الإسناد:

١ ـ الثوري هو سفيان الإمام المشهور وهو ثقة حافظ فقيه

---

(١) المصنف رقم ١٧٧٢ كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة، ١/٤٥٤ رقم ١٧٧٢.

(٢) تفسير الطبري ٢١/٢٩.

تقدمت ترجمته .

٢ ـ عاصم هو ابن أبي النجود وهو صدوق له أوهام حجة في القراءة وحديثه في الصحيحين مقرون، وهو من الطبقة السادسة، مات سنة ثمان وعشرين ومائة[١].

٣ ـ أبو رزين هو مسعود بن مالك الأسدي الكوفي، وهو ثقة فاضل، من الطبقة الثانية، مات سنة خمس وثمانين، أخرج له الإمام البخاري في «الأدب المفرد» ومسلم والأربعة[٢].

فهؤلاء الرجال ثقات ما عدا عاصم بن أبي النجود فهو صدوق له أوهام، وقد سمع بعضهم من بعض[٣] فإسناده على هذا متصل.

وبناء على هذا يكون الإسناد حسناً حيث لم يتبين فيه شيء من الوهم الذي اتهم به عاصم بن أبي النجود.

بيان المعنى :

في هذا الأثر بين ابن عباس أن الله جل وعلا ذكر الصلوات الخمس في القرآن، واستدل على ذلك بهاتين الآيتين من سورة الروم حيث ذكر الله تعالى فيها الصلوات الأربع : الفجر والظهر والعصر والمغرب، ثم ذكر آية النور وفيها صلاة العشاء.

وعلى هذا فالتعبير بالتسبيح في الآيتين عن الصلاة من باب إطلاق الجزء على الكل حيث إن الصلاة تشتمل على التسبيح .

---

(١) التقريب ١/٣٨٣ رقم ٣، الكاشف ٢/٤٩، الخلاصة /١٨٢ .

(٢) التقريب ٢/٢٤٣ رقم ١٠٦٦، الخلاصة/ ٣٧٤، الكاشف ٣/١٣٨ .

(٣) انظر تهذيب التهذيب ٥/٣٨ رقم ٦٧، ١٠/١١٨ رقم ٢١٥ .

٣ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ﴾ (الروم/٢٨).

* * *

(٢٧٤) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس **﴿ هل لكم مما ملكت أيمانكم ﴾**: في الالهة وفيه، تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس قال: في الآلهة وفيه، يقول: تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً(٢).

بيان المعنى:

قوله «في الآلهة وفيه» أي نزلت هذه الآية في الأصنام وفي الله عز وجل.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الروم.

(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٣٩.

وقوله تعالى ﴿ تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ﴾ قال ابن عباس: تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً.

ومعنى الآية: ضرب الله لكم أيها المشركون مع الله غيره في العبادة مثلاً من أنفسكم.. هل ترضون لأنفسكم بأن تجعلوا من مماليككم شركاء لكم فيما رزقكم الله من الأموال فأنتم وإياهم فيه سواء حال حياتكم وتخافون أن يرثوكم إذامتم كما يرث بعضكم بعضاً أم لا ترضون لأنفسكم بذلك؟!

إذا كنتم لا ترضون لأنفسكم بهذه المشاركة فكيف ترضون لله عز وجل بمشاركة خلقه له في الألوهية فتتخذوا لأنفسكم أصناماً تعبدونها من دونه؟!

« سـورة السجـدة »(٣٢)

ماجاء في قوله تعالى

﴿ أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القـرون يمشون في مسـاكنهم إن في ذلك لآياتٍ أفلا يسمعون. أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تـأكل منـه أنعامهم وأنفسهم أفـلا يبصرون ﴾ (السجدة/٢٦ ـ ٢٧).

* * *

(٢٧٥) قـال الإمـام البخـاري : قـال ابن عبـاس : ﴿ يهـد ﴾ يبـين ﴿ الجرز ﴾ التي لا تمطر إلا مطراً لا يغني عنها شيئاً[١].

قوله « ﴿ يهد ﴾ يبين » أخـرجه ابن جـرير من طـريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

قـوله « ﴿ الجـزر ﴾ التي لا تمـطر إلا مـطراً لا يغني عنهـا شيئـاً » أخرجه ابن جرير من طريق ابن ابي نجيح عن رجل عن ابن عباس في

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة السجدة.
(٢) تفسير الطبري ٢١/١١٣.

قوله ﴿ إلى الأرض الجرز ﴾ قال : الجرز التي لا تمطر إلا مطراً لا يغني عنها شيئاً إلا ما يأتيها من السيول[1].

بيان المعنى :

قوله تعالى ﴿ **أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم** ﴾ تقدم تفسيرها في سورة «طـه»[2].

وقوله تعالى ﴿ **أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون** ﴾ «الجرز» قال ابن عباس في هذا الاثر : « التي لا تمطر إلا مطراً لا يغني عنها شيئاً » يعني الأرض الخالية من النبات التي لا تنبت من المطر القليل.

قال الفراء : الجُرُز التي لا نبات فيها، ويقال للناقة : إنها لجُرَاز إذا كانت تأكل كل شيء، وللإنسان : إنه لجَرُوز، إذا كان أكولاً، وسيف جُرَاز إذا كان لا يبقى شيئاً إلا قطعه[3].

وقد ضرب الله سبحانه ذلك مثلاً للمشركين الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبرهم به من بعث الأجسام بعد موتها، وقد ذكر الله سبحانه تكذيبهم هذا بقوله في أول هذه السورة ﴿ **وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون** ﴾ (السجدة/١٠).

---

(١) تفسير الطبري ٢١/١١٥.
(٢) انظر باب ١٠.
(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٣٣٣.

ومعنى الآية : أو لم ير هؤلاء الـذين كذبـوا بالبعث بعـد الموت أن الله جل وعلا يجري الماء إلى الأرض اليابسة التي لا نبات فيها فيحييهـا بهذا الماء فتنبت زرعاً يأكل منها الناس وأنعامهم؟

﴿ **أفـلا يبصرون** ﴾ ذلك بـأعينهم فيعلموا أن الـذي قـدر عـلى إعـادة الحيـاة إلى الأرض بعد مـوتها قـادر على إعـادة الحياة إلى الأجسـام بعد الموت ؟ !

« ســورة الأحـزاب »[٣٣]

١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ مـاجعل الله لـرجل من قلبـين في جوفـه وماجعـل أزواجكم اللائي تـظاهرون منهن أمهـاتكم وما جعـل أدعياءكم أبنـاءكم ذلكم قـولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ (الأحزاب/٤).

***

(٢٧٦) قال الإمام أحمـد : حدثنـا حسن حدثنـا زهير عن قـابوس بن أبي ظبيان أن أباه حدثه قال قلنا لابن عباس أرايت قول الله عز وجل **﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾** ماعنى بذلـك ؟ قال قـام نبى الله صلى الله عليه وسلم يـوما فصـلى فخطر خـطرة فقال المنـافقون الـذين يصلون معه : ألا ترون أن له قلبين قلبـاً معكم وقلباً معهم فـأنزل الله **﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾**[١].

بيان الإسناد :ـ

١ ـ حسن هـو ابن موسى الأشيب أبـو علي البغـدادى، وهو ثقـة تقدمت ترجمته.

---

(١) مسند أحمد ١/٢٦٨.

٢ ـ زهير بن معاوية بن خديج أبو خيثمة الجعفي، ثقة ثبت إلا أن سماعه من أبي إسحاق بأخرة، من الطبقة السابعة مات سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع وسبعين ومائة روى له الجماعة(١).

٣ ـ قابوس بن أبي ظبيان. تقدمت ترجمته وتبين لنا أن فيه ضعفاً(٢).

٤ ـ وأبوه حصين بن أبي جنب الجنبي ثقة تقدمت ترجمته(٣).

وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض(٤).

وبهذا تبين لنا أن رجال هذا الإسناد ثقات ماعدا قابوس بن أبي ظبيان ففيه ضعف. وعلى هذا يكون هذا الإسناد ضعيفاً.

وأخرجه الترمذي من طريقين عن زهير عن قابوس بن أبي ظبيان به وذكر مثله(٥).

وكذلك أخرجه الحاكم من طريق زهير عن قابوس وذكر مثله(٦).

بيان المعنى :

قوله « فخطر خطرة » قال ابن منظور : الخاطر ما يخطر في القلب من تدبير أو أمر وقال ابن سيده : الخاطر الهاجس والجمع الخواطر، وقد خطر بباله وعليه يَخطِر ويَخطُر خطورا إذا ذكره بعد نسيان.

---

(١) التقريب ١/٢٦٥ رقم ٨٢، الكاشف ١/٣٢٧، الخلاصة/١٢٣.

(٢) انظر الحديث رقم (٥٢).

(٣) انظر الحديث رقم (٥٢).

(٤) تهذيب التهذيب ٢/٣٢٣ رقم ٥٦٠، ٨/٣٠٥ رقم ٥٥٣.

(٥) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الأحزاب رقم ٣١٩٩.

(٦) المستدرك ٢/١٤٥، كتاب التفسير سورة الأحزاب.

وقال ابن الاثير : وفي حديث سجود السهو « حتى يخطر الشيطان بين المرء وقلبه » يريد الوسوسة، قال : ومنه حديث ابن عباس « قام نبي الله صلى الله عليه وسلم يوماً يصلي فخطر خطرة فقال المنافقون : إن له قلبين »[١].

ويبين هذه الجملة ما اخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فسها فيها فخطرت منه كلمة فسمعها المنافقون فأكثروا فقالوا إن له قلبين ألم تسمعوا إلى قوله وكلامه في الصلاة إن له قلبا معكم وقلباً مع أصحابه فنزلت ﴿ **يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين** ﴾ إلى قوله ﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه** ﴾[٢].

وقوله في رواية الإمام أحمد « وقلباً معهم » يعني مع أصحابه كما تبين من رواية ابن مردويه السابقة.

والكلمة التي نطق بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي كما جاء في هذا الحديث يحتمل أن تكون آية من الآيات التي نزلت في المنافقين تبين دخيلة نفوسهم، ولهذا قالوا إن له قلبين قلباً معكم وقلباً مع أصحابه، والله اعلم.

وقد روى عن ابن عباس في معنى الآية قول آخر وهو ما أخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في هذه الآية : كان رجل من قريش يسمى من دَهْيِه ذا القلبين فأنزل الله

---

(١) لسان العرب والنهاية في غريب الحديث (مادة خطر).
(٢) الدر المنثور ٥/١٨١.

هذا في شأنه[1].

وإسناد هذا الأثر ضعيف كما تقدم[2].

وقد أخذ بهذا القول مجاهد وقتادة وعكرمة والحسن البصرى وقَدَّمَه ابن جرير[3].

وإذا ثبت وقوع هاتين الحادثتين فليس ببعيد أن تكونا قد وقعتا في وقت متقارب فنزلت الآية بعدهما.

---

(١) تفسير الطبري ٢١/١١٨.

(٢) انظر رقم ٣٥.

(٣) تفسير الطبري ٢١/١١٨.

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ يـاأيها النبي إنـا أحللنا لـك أزواجـك الـلاتي آتيت أجـورهن ومـا ملكت يمينـك مما أفـاء الله عليك وبنـات عمك وبنـات عماتـك وبنات خالك وبنات خالاتـك اللاتي هـاجرن معـك وامرأةً مؤمنـةً إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لـك من دون المؤمنين قد علمنا مافرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكـون عليـك حرج وكـان الله غفوراً رحيـماً. ترجى من تشـاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جنـاح عليك ذلـك أدنى أن تقـر أعينهن ولا يحـزن ويـرضـين بمـا آتيتهن كلهن والله يعلم مـا في قلوبكم وكان الله عليماً حليماً. لا يحل لك النساء من بعـد ولا أن تبدل بهن من أزواجٍ ولو اعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكـان الله على كل شيءٍ رقيباً ﴾ (الاحزاب/ ٥٠ ـ ٥٢).

(٢٧٧) قـال الإمـام الترمـذي : حـدثنـا عبـدُ حـدثنـا روح عن عبـد الحميـد بن بهـرام عن شهـر بن حـوشب قـال قـال ابن عبـاس : نُهِي رسـول الله صلى الله عليـه وسلم عن أصنـاف النسـاء إلا مـا كـان من المؤمنات المهاجرات قال ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن**

من أزواج ولـو أعجبـك حسنهن إلا مـا ملكت يمينـك ﴾ فـأحـل الله فتياتكم المؤمنات[1] ﴿ **وامـرأة مؤمنة إن وهبت نفسهـا للنبي** ﴾ وحرم كـل ذات دين غير الاسـلام ثم قال ﴿ **ومن يكفـر بالإيمـان فقـد حبط عمله وهـو في الآخرة من الخـاسرين** ﴾ (المائـدة/٦) وقـال : ﴿ **يـاأيهـا النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللائي آتيت أجورهن ومـا ملكت يمينك مما أفاء الله عليك ـ إلي قوله ـ خالصة لك من دون المؤمنين** ﴾ وحرم ما سوى ذلك من أصناف النساء.

قـال أبو عيسى : هـذا حديث حسن إنمـا نعرفـه من حديث عبـد الحميـد بن بهرام قـال سمعت أحمـد بن الحسن يقـول قـال: أحمـد بن حنبل: لا بأس بحديث عبدالحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب[2].

بيان الإسناد :ـ

١ ـ عبد هو ابن حميـد بن نصر الكشي، وهو ثقـة حافظ تقـدمت ترجمته.

٢ ـ روح هـو ابن عبادة بن العـلاء القيسي، وهو ثقـة فاضـل لـه تصانيف وقد تقدمت ترجمته.

٣ ـ عبد الحميد بن بهرام الفزاري، صدوق تقدمت ترجمته.

---

(١) هكذا في رواية الترمذي وجاء في الروايـة التي ذكرهـا السيوطي في الـدر المنثور ٥/٢١١ « فأحل له الفتيات المؤمنات » وهذا هو الظاهـر لأن الآية خـاصة بـرسول الله صـلى الله عليه وسلم وليست في المؤمنين عامة.

(٢) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الأحزاب، رقم ٣٢١٥.

٤ ـ شهر بن حوشب صدوق كثير الإرسال والأوهام وقد تقدمت ترجمته.

وتقدم سماع بعضهم من بعض.

فهذا الإسناد فيه عبدالحميد بن بهرام وشيخه شهر بن حوشب وهما صدوقان فيكون الحديث حسن الإسناد.

وأخرجه الإمام أحمد من طريق عبدالحميد بن بهرام بهذا الإسناد وذكر مثله[1].

(٢٧٨) ٢ ـ قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿ **ترجى** ﴾ تؤخر[2].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ **ترجى من تشاء منهن** ﴾ يقول: تؤخر[3].

بيان المعنى:

قوله تعالى ﴿ **يأيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن** ﴾ أي مهورهن ﴿ **وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك** ﴾ أي وأحللنا لك إماءك اللواتى ملكتهن مما أفاء الله عليك من أعدائك ﴿ **وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك** ﴾ أما اللواتي أسلمن ولم يهاجرن معه إلى المدينة فلا يحللن له كما أخرج ابن جرير من طريق أبي صالح عن أم هانىء

---

(١) مسند أحمد ١/٣١٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأحزاب، باب رقم٧.

(٣) تفسير الطبرى ٢٣/٢٤.

قالت: خطبني النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذرت له بعذري ثم أنزل الله عليه ﴿ **إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن** ﴾ إلى قوله ﴿ **اللاتي هاجرن معك** ﴾ قالت: فلم أحل له لم أهاجر معه كنت من الطلقاء(١).

﴿ **وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين** ﴾ أي وأحللنا لك امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم بغير صداق، أخرج ابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿ **وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي** ﴾ قال: بغير صداق، فلم يكن يفعل ذلك، وأحل له خاصة من دون المؤمنين(٢).

﴿ **قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم** ﴾ أي ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم إذا أرادوا نكاحهن مما لم نفرضه عليك وما خصصناهم به من الحكم في ذلك دونك، وهو أنا فرضنا عليهم أنه لا يحل لهم عقد نكاح إلا بولي وشاهدين ولا يحل لهم منهن أكثر من أربع، ولا النكاح بدون صداق.

قوله ﴿ **ترجى من تشاء منهن** ﴾ قال ابن عباس ترجى تؤخر كما سبق في رواية الإمام البخاري أي تؤخر من تشاء منهن فلا تقسم لهن ﴿ **وتؤوي إليك من تشاء** ﴾ أي تضمهن إليك فتقسم لهن.

قوله ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد** ﴾ أي من بعد من ذكرهن الله في الآية الأولى من هذه الآيات قال ابن عباس في هذا الحديث «نهى

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/٢٠.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/٢١.

رسـول الله صلى الله عليـه وسلم عن أصنـاف النسـاء إلا مـا كـان من المهاجرات ثم ذكر في آخر الحديث قوله تعالى ﴿ **يا أيها النبي إنا أحللنا لـك أزواجك الـلاتي آتيت أجورهن** ﴾ إلى قـوله ﴿ **خـالصة لـك من دون المؤمنين** ﴾ ثم قال: وحرم ما سوى ذلك من أصناف النساء.

وقوله في الحـديث « **وحرم كـل ذات دين غير الإسـلام** » ليس مما ذكر في هذه الآيـات ولذلـك استدل لـه بقولـه تعالى من سـورة المائـدة ﴿ **ومن يكفـر بـالإيمـان فقـد حـبط عمـله وهـو في الآخـرة من الخاسرين** ﴾.

٣ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ (الأحزاب/٥٦).

* * *

(٢٧٩) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: **﴿ يصلون ﴾** يُبَرِّكون[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله **﴿ يصلون على النبي ﴾** يقول: يباركون على النبي[٢].

وقال أبو العاليه: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء، ذكره الإمام البخاري في صحيحه[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأحزاب، باب ١٠.
(٢) تفسير الطبري ٢٢/٤٣.
(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأحزاب. باب ١٠.

٤ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ﴾ (الأحزاب/ ٦٠).

* * *

(٢٨٠) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: **﴿ لنغرينك ﴾** لنسلطنك(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله **﴿ لنغرينك بهم ﴾** يقول: لنسلطنك عليهم(٢).

بيان المعنى:

قوله تعالى **﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة ﴾** الظاهر أن هذه صفات لطائفة واحدة هم المنافقون، ذكروا أولاً بوصفهم العام وهو النفاق، ثم ذكر قسم منهم وهم الذين اتصفوا بمرض القلب إضافة إلى النفاق، والمراد بمرض

---

(١) صحيح البخاري. كتاب التفسير، سورة الأحزاب، باب ١٠.

(٢) تفسير الطبري، ٤٨/٢٢.

القلب هنا شهوة الـزنا كـما أخرج ابن جـرير عن مجـاهد وعكـرمة وأبي صالح وابن زيد[1] ويدل على ذلك قوله تعالى قبل هـذه الآية ﴿ **يـاأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلـك أدنى أن يعـرفن فـلا يؤذين وكـان الله غفـوراً رحيـماً** ﴾ فـالأذى المـذكور في هـذه الآية هـو محاولـة انتهاك أعـراض المؤمنـات من قبـل المنافقين.

أما المرجفون في المدينة فهم قسم آخر من المنافقين كـانوا ينشرون أخباراً عن أعداء المسلمين يرجفون بها وهي غير صحيحة، كـما أخرج ابن جـرير عن قتـادة قال: الإرجـاف الكذب الـذي كان نـافقه أهـل النفاق، وكانوا يقولون: اتاكم عدد وعدة[2].

وعلى هذا فالعطف هنا من باب ذكـر الخاص بعـد العام لفـظاعة الجرم الذي ارتكبه أفراد القسمين الأخيرين.

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/٤٧.
(٢) تفسير الطبري ٢٢/٤٧.

« سـورة سبـأ »(٣٤)

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ﴾ (سبأ/١٣).

* * *

قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : **﴿ كالجواب ﴾** كالجوبة من الأرض[١]. (٢٨١)

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة[٢].

بيان المعنى :

قوله **﴿ يعملون له ما يشاء ﴾** هذه الآية مرتبطة بالآية التي قبلها وهي قوله تعالى **﴿ ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ﴾**.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة سبأ، وكتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم ٤٠.
(٢) تفسير الطبري ٢٢/٧١.

فالمعنى على هذا: يعمل الجن لسليمان عليه السلام ما يشاء من أنواع المصنوعات ﴿ **من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات** ﴾.

والمحاريب جمع محراب وهو مقدم كل مسجد ومصلى وبيت(١).

وقوله ﴿ **كالجواب** ﴾ قال ابن عباس في هذا الأثر: كالجوبة من الأرض. يعني التي يستنقع فيها الماء، وفي رواية العوفي عن ابن عباس قال: يعني بالجواب: الحياض(٢).

وقوله ﴿ **وقدور راسيات** ﴾ يعني ثابتات في أماكنهن لا يحركن من عظمهن(٣).

وقوله تعالى في الآية الاولى ﴿ **وأسلنا له عين القطر** ﴾ القطر هو النحاس كما أخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس(٤). يعني وأذبنا له عين النحاس وأجريناها له، فالجن يعملون منها بأمره ماذكره الله تعالى في الآية الثانية من المحاريب والتماثيل والجفان وغير ذلك.

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٤٤، تفسير الطبري ٢٢/٧٠.
(٢) تفسير الطبري ٢٢/٧١.
(٣) تفسير الطبري ٢٢/٧٢.
(٤) تفسير الطبرى ٢٢/٦٩

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيءٍ من سدر قليل ﴾ (سبأ/١٦).

* * *

قال الإمام البخارى : قال ابن عباس : ﴿ العرم ﴾ الشديد (٢٨٢)
﴿ الخمط ﴾ الأراك ﴿ الأثل ﴾ الطرفاء[١].

وأخرجه ابن جرير مفرقاً من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

بيان المعنى :

يذكر الله سبحانه أنه امتن على قوم سبأ بنعم وافرة حيث هيأ لهم بلدة طيبة بين جنتين تتوفر فيهما أسباب الحياة السعيدة من غير مشقة سفر ولا عمل، ثم أباح الله تعالى لهم التمتع بهذه النعم مع شكر المنعم بها عليهم جل وعلا والاعتراف بفضله، وذلك في قوله تعالى

(١) صحيح البخارى، كتاب التفسير، سورة سبأ.
(٢) تفسير الطبري ٢٢ / ٨٠.

قبل هذه الآية ﴿ **لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور** ﴾

ولكنهم جحدوا نعمة ربهم فأعرضوا عن شكره وتخلوا عن طاعته وعبادته فأرسل الله عليهم سيلاً عظيماً هدم سدهم الذي كان يحبس لهم الماء فيسقى لهم أشجارهم طول العام وبدلهم تعالى بجنتيهم المليئتين بالأشجار المثمرة جنتين من أشجار الأراك والطرفاء والسدر التي لا تسمن ولا تغنى من جوع ، وذلك جزاء الكافرين الجاحدين نعم الله عليهم .

« سـورة الصافـات »[37]

ماجاء في قوله تعالى

﴿ فبشرنـاه بغلام حليم ، فلما بلغ معـه السعي قـال يـا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمـر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ، فلما أسلما وتلَّه للجبين وناديناه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ، إن هـذا لهو البـلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ﴾ (الصافات/١٠١ ـ ١٠٧).

* * *

قال الإمام أحمد : حدثنا سريج ويونس قالا حدثنا حمـاد يعنى ابن **(٢٨٣)** سلمة عن أبي عاصم الغنوي عن أبي الطفيـل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : « . . . إن إبراهيم لما أمر بالمناسك عرض لـه الشيطان عند السعي فسابقه فسبقه إبراهيم ثم ذهب به جـبريل إلى جمـرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض لـه عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات ، ثم تله للجبين وعـلى اسماعيـل قميص أبيض ، وقـال : يـاأبت إنـه ليس لي ثـوب تكفنني فيـه غـيره فاخلعه حتى تكفنني فيه فعالجه ليخلعه فنودي من خلفه أن يـا إبراهيم

قد صدقت الرؤيا، فالتفت إبراهيم فإذا هو بكبش أبيض أقرن أعين، قال ابن عباس : لقد رأيتنا نتتبع هذا الضرب من الكباش . . .»[1].

بيان الإسناد :

١ ـ سريح هو ابن النعمان بن مروان الجوهرى أبو الحسن البغدادي وهو ثقة يهم قليلاً، من كبار الطبقة العاشرة مات يوم الأضحى سنة سبع عشرة ومائتين أخرج له البخاري والأربعة[2].

٢ ـ يونس هو ابن محمد بن مسلم البغدادي، أبو محمد المؤدب، وهو ثقة ثبت من صغار الطبقة التاسعة، مات سنة سبع ومائتين أخرج له الجماعة[3].

٣ ـ حماد بن سلمة ثقة تقدمت ترجمته[4].

٤ ـ أبو عاصم الغنوي، ثقة، وثقه الإمام يحيى بن معين[5].
ووثقه الحافظ الهيثمى[6].

٤ ـ أبو الطفيل هو عامر بن واثلة الليثى رضي الله عنه، رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب وحفظ عنه أحاديث وروى عن عدد من الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود وابن عباس، وهو آخر من مات من الصحابة وقد اختلف في سنة وفاته فقيل سنة

---

(١) المسند ١/٢٩٧
(٢) التقريب ١/٢٨٥ رقم ٦٢، الكاشف ١/٣٤٩، الخلاصة/١٣٣.
(٣) التقريب ٢/٣٨٦ رقم ٤٨٩، تذكرة الحفاظ ١/٣٦١ رقم ٣٥٣.
(٤) انظر الحديث رقم (١٠١).
(٥) التهذيب ١٢/١٤٣ رقم ٦٨١، الكاشف ٣/٣٥٢، الخلاصة/٤٥٣.
(٦) مجمع الزوائد ٨/٢٠٠

مائة وقيل اثنتين ومائة وقيل عشر ومائة ورجح هـذا الأخير الحـافظ ابن حجر والذهبي[1].

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[2]

وذكر هذا الحديث الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : رجاله رجال الصحيح غير أبي عاصم الغنوي وهو ثقة[3].

وقد سبق أن ابن معين وثقـه ولم يوجـد فيه جـرح من أحد العلماء فعلى هذا يكون إسناد الحديث صحيحاً.

وأخـرجـه ابن جـريـر من طـريق بن سلمـة بهـذا الإسنـاد وذكـر مثله[4].

بيان المعنى :

قـوله تعـالى ﴿ **فبشرناه بغـلام حليم** ﴾ يعني فبشرنا إبـراهيم عليه السلام بغلام يكون متصفاً بالحلم إذا كبر، وهذه البشارة استجـابة من الله جل وعلا لدعاء إبـراهيم الذي ذكـره تعالى بقـوله قبـل هذه الآيـة ﴿ **رب هب لي من الصالحين** ﴾

قوله ﴿ **فلما بلغ معه السعي** ﴾ يعني فوهبناه له ونشأ فلما بلغ السن التي يسعى فيها مع أبيه لعمله وقضاء حـوائجه، كـما أخرج ابن جـرير من طـريق عـلي بن أبي طلحـة عن ابن عبـاس في قـولـه ﴿ **فلما بلغ معـه السعي** ﴾ يقول : العمل[5].

---

(١) الإصابة ٤/١١٣ رقم ٦٧٦، الكاشف ٢/٥٨.
(٢) تهذيب التهذيب ٣/٤٥٧ رقم ٨٥٦، ١١/٤٤٧ رقم ٨٦٣، ١٢/١٤٣ رقم ٦٨١.
(٣) مجمع الزوائد ٨/٢٠٠.
(٤) تفسير الطبرى ٢٣/٨.
(٥) تفسير الطبرى ٢٣/٧٧.

وإسناده حسن كما تقدم[1].

﴿ قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك ﴾ يعني أن الله جل وعلا يأمرني أن أذبحك، وفي هذا دليل على أن رؤيا الأنبياء عليهم السلام وحي إذ لو لم تكن كذلك لم يقدم إبراهيم عليه السلام على ذبح ولده من أجل أنه رأى ذلك في المنام، وهو أمر منكر إذا تجرد عن الأمر الإلهي.

وقوله ﴿ فانظر ماذا ترى ﴾ ليس استشارة يترتب عليها الإقدام على التنفيذ أو عدمه، فهو ماض لأمر الله تعالى وإن عارضه ابنه في ذلك، وإنما قصد اكتساب قوة تعينه على الامتثال فيما لو وافقه على ذلك وهو الذى كان يؤمله منه وليحصل للابن ثواب امتثال أمر الله جل وعلا.

﴿ قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ وبهذا اطمأنت نفس إبراهيم حيث وجد ابنه على هذه الدرجة من الإيمان والانقياد وتقوى بذلك على تنفيذ أمر الله تعالى، وفي قوله ﴿ افعل ما تؤمر ﴾ دليل أن الرؤيا كانت أمراً من الله تعالى لإبراهيم بذبح ولده.

﴿ فلما أسلما ﴾ أي استسلما وانقادا لتنفيذ أمر الله تعالى ﴿ وتله للجبين ﴾ يعني صرعه على شقه فوقع جبينه على الأرض، وأصل التل الرمي على التل وهو التراب المجتمع ثم عمم في كل صرع. والجبين أحد جانبي الجبهة وللوجه جبينان والجبهة بينهما[2].

---

(١) انظر رقم ٢.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٧١، تفسير الالوسي ٢٣/١٣٠، لسان العرب ومفردات الراغب (مادة جن).

﴿ **ونادیناه أن یاإبراهیم قد صدقت الـرؤیا** ﴾ أي فلما أسلما لتنفیـذ أمر الله تعالى وشرعا في ذلك ناداه رب العالمین جـل وعلا ﴿ **ان یـاابراهیم قد صدقت الرؤیا** ﴾ یعنی قد حصل المقصود من اختبار درجـة إیمانـك حیث صدقت الرؤیا فشرعت في تنفیذ أمر الله فیها ﴿ **إنا كذلك نجزي المحسنین** ﴾ أي كتفریجنا عنكما هذه الكربة ورفع هـذا التكلیف الثقیل نكافىء المحسنین الذي یراقبـون الله جل وعـلا بأعـمالهم تمام المـراقبة، وأنتما من أكمل المحسـنین إحسانـاً حیث أقدمتـما على أمـر یصعب على النفوس تنفیذه واحتماله.

وعلى هذا فقوله تعالى ﴿ **ونادیناه** ﴾ جواب قـوله ﴿ **فلما أسلما** ﴾، قال الفراء: ویقال أین جواب قوله ﴿ **فلما أسلما** ﴾؟ وجوابها في قـوله ﴿ **ونادیناه** ﴾ والعرب تدخل الواو في جواب «فلما» و«حتى اذا» وتُلْقِیها فمن ذلك قولـه تعالى ﴿ **حتى إذا جـاءوها فتحت** ﴾ وفي مـوضع آخـر **(وفتحت)** (الزمر/ ٧١ ـ ٧٣) وكل صواب(١).

ثم ذكـر سبحانـه أن ما أمـر بـه إبـراهیم علیـه السـلام من هـذا التكلیف إنما هو اختبار له لبیان شدة حبه وتعظیمه لربه عز وجـل وقوة إیمانه به. حیث قال تعالى ﴿ **إن هذا لهـو البلاء المبـین** ﴾ أي الواضـح لكل من تأمله، وإنما ابتلاه الله بذلك لیكون قدوة صالحة لمن یأتي بعده حیث أقدم على ذبح ولده الوحید الذي لم یولد له إلا بعد كبره طاعة لله عز وجل، فدل ذلك عـلى أن حب الله جل وعـلا في قلبه أكـبر من كل شيء.

قال تعالى ﴿ **وفدیناه بذبح عظیم** ﴾ أي بكبش عظیم كـما جاء في

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٠.

حديث الباب، حيث قال ابن عباس « فالتفت إبراهيم فإذا هو بكبش أبيض أقرن أعين ».

وقال الفراء : والذِّبح الكبش وكل ما أعددته للذبح فهو ذبح[1].

هذا وقد تبين لنا من حديث هذا الباب أن الذي أقدم إبراهيم عليه السلام على ذبحه من بنيه بعد الرؤيا التي رآها هو إسماعيل عليه السلام.

وأخرج ابن جرير من عشرة طرق عن ابن عباس أن المفدى هو
(٢٨٤) إسماعيل عليه السلام، منها ما أخرجه عن شيخه ابن المثنى قال : حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن بيان عن الشعبى عن ابن عباس في الذي فداه الله بذبح عظيم قال : هو إسماعيل[2].

وإسناد هذا الحديث صحيح[3].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٠

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٨٣.

(٣) بيان هذا الإسناد :

١ - ابن المثنى هو محمد بن المثنى العنزي وهو ثقة تقدم في الحديث رقم ١١.

٢ - محمد بن جعفر هو المدني المعروف بغندر وهو ثقة.

٣ - وشعبة هو ابن الحجاج الإمام المشهور وهو ثقة حافظ متقن، تقدم في الحديث رقم (٣٦).

٤ - بيان هو ابن بشر الاحمسي، وهو ثقة ثبت، من الطبقة الخامسة (التقريب ١/ ١١١ رقم ١٦٧)

٥ - والشعبى هو عامر بن شراحيل الإمام المشهور وهو ثقة فقيه فاضل تقدم في الحديث رقم (٢٠١).

فهؤلاء الرجال كلهم ثقات وقد سمع بعضهم من بعض (انظر تهذيب التهذيب ٩/ ٤٢٥ رقم ٦٩٦، ٩/ ٩٦ رقم ١٢٩، ٤/ ٣٣٨ رقم ٥٨٠، ١/ ٥٠٦ ورقم ٩٤١، ٥/ ٦٥ رقم ١١٠).

وقوله في هذه الرواية «ثم تلّه للجبين» معطوف على كلام لم يذكر حيث إن هذه الرواية مختصرة، والمعطوف عليه هو ما ذكر في هذه الآيات وما تقدم في تفسيرها من بيان قصة إبراهيم مع ولده إسماعيل عليهما السلام.

وقد روى عن ابن عباس في تعيين المفدى في الآيات قول آخر وهو أن المراد به إسحاق عليه السلام وقد جاء في ذلك روايات منها ما أخرجه الإمام أحمد قال حدثنا يونس أخبرنا حماد عن عطاء بن سعيد بن جبير عن ابن عباس. . . ثم ذكر نحو حديث هذا الباب إلا أنه قال فيه «فلما أراد إبراهيم أن يذبح ابنه إسحاق[1]».

ولكن في إسناد هذه الرواية عطاء بن السائب قد اختلط في آخر عمره لما قدم إلى البصرة كما سبق[2]، وحماد بن سلمة ممن روى عنه بعد الاختلاط[3]، وقد خالف عطاء في هذه الرواية رواية الثقات السابقة حيث ذكر فيها إسحاق بدلاً من إسماعيل عليهما السلام، فتكون روايته هذه منكرة، وتقدم عليها الرواية الأولى.

ومنها ما أخرجه ابن جرير من عدة طرق عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أن المفدى هو إسحاق، ومن هذه الطرق ما أخرجه عن شيخه ابن المثنى قال حدثنا ابن أبي عدى عن داود عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **وفديناه بذبح عظيم** ﴾ قال: هو إسحاق[4].

---

(١) مسند أحمد ١/٣٠٦.
(٢) انظر الحديث رقم (٢٢).
(٣) انظر تهذيب التهذيب ٧/٢٠٧ ترجمة عطاء بن السائب.
(٤) تفسير الطبري ٢٣/٨١.

ورجال هذه الرواية ثقات تقدمت تراجمهم. إلا أن داود بن أبي هند كان يهم في آخر عمره، وقد خالف الثقات في هذه الرواية فتكون روايته هذه شاذة وتقدم عليها الروايات الأولى التي فيها أن المفدى هو إسماعيل عليه السلام.

وقد روى في القول الثاني حديث مرفوع لو صح لكان مؤيداً لهذا القول وهو ما أخرجه ابن جرير قال: حدثنا أبو كريب قال حدثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبدالمطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره، قال: هو إسحاق[1].

ولكن إسناد هذا الحديث مردود لأن فيه الحسن بن دينار التميمي وقد تركه أكثر أئمة الجرح والتعديل[2] كما أن فيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف[3].

وقال الحافظ ابن كثير بعد ما ساق هذا الحديث: ففي إسناده ضعيفان وهما الحسن بن دينار البصري متروك وعلي بن زيد بن جدعان منكر الحديث[4].

ومما يرجح أن المفدي هو إسماعيل عليه السلام الأمور التالية:

أولاً: ان الله سبحانه وتعالى قال بعد أن ذكر خبر هذا الابتلاء

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٨١.

(٢) ميزان الاعتدال ١/ ٤٨٧ رقم ١٨٤٣، المغني في الضعفاء ١/ ١٥٩ رقم ١٣٩٩.

(٣) التقريب ٢/ ٣٧ رقم ٣٤٢، الميزان ٣/ ١٢٧ رقم ٥٨٤٤.

(٤) تفسير ابن كثير ٤/ ١٩.

والفداء ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين** ﴾ ففي البشارة بمولد إسحاق عليه السلام بعد هذه القصة دليل على أنه ليس هو صاحب القصة وإنما هو أخوه الأكبر إسماعيل عليه السلام.

ثانياً: ان الله سبحانه حينما بشر بإسحاق عليه السلام بشر بولادة يعقوب عليه السلام منه حيث قال تعالى حكاية عن سارة ﴿ **وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ (هود/ ٧١) فلا يتوجه أن يكون إسحاق عليه السلام هو الذبيح وقد أخبر الله سبحانه أنه سيولد له وانه أمر خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ولده بعد ما بلغ معه السعى وأصبح قادراً على العمل وذلك يكون بعد مرحلة الطفولة وقبل السن التي يولد فيها للإنسان غالباً.

وقد أخرج ابن جرير في بيان هذين الوجهين من طريق ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: إن الذي أمر الله إبراهيم بذبحه من بنيه إسماعيل، وإنا لنجد ذلك في كتاب الله في قصة الخبر عن إبراهيم وما أمر به من ذبح ابنه إسماعيل وذلك أن الله يقول حين فرغ من قصة المذبوح من إبراهيم ﴿ **وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين** ﴾ يقول: بشرناه بإسحاق، ﴿ **ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ يقول بابن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الله الموعود: ما وعده الله، وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل(١).

ثالثاً: جاء في الروايات السابقة أن إقدام إبراهيم عليه السلام على تنفيذ أمر الله جل وعلا كان في مكة ومن ذلك أن الشيطان عرض له عند الجمرات ليوسوس له حتى يمنعه من تنفيذ أمر الله تعالى،

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٨٤.

ومعلوم أن الذي كان في مكة هو إسماعيل عليه السلام، فهذا يرجح أنه هو صاحب القصة.

وقد جاءفي بعض الروايات أن القول بأن المفدى هو إسحاق عليه السلام من زعم اليهود وكذبهم حسداً منهم للعرب.

ومن ذلك ما أخرجه ابن جرير قال: حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق عن بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبدالعزيز وهو خليفة إذ كان معه بالشام فقال له عمر: إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه وإني لأراه كما هو ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلم وحسن إسلامه وكان يرى أنه من علماء يهود فسأله عمر بن عبدالعزيز عن ذلك، قال محمد بن كعب: وأنا عند عمر بن عبدالعزيز فقال له عمر: أيَّ بني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذي كان من أمر الله فيه، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم، فالله أعلم أيهما كان، كل قد كان طاهراً طيباً مطيعاً لربه[1].

وإسناد هذا الأثر فيه ضعف لضعف أحد رواته وهو محمد بن حميد الرازي[2]، ولأن ابن إسحاق لم يصرح بالسماع وهو مدلس[3].

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٨٤.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٧).

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

وأخرج ابن جرير في هذا المعنى من طريق ابن وهب عن عمر بن قيس المكي عن عطاء بن رباح عن ابن عباس أنه قال: المفدى إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود[1].

ولكن هذه الرواية مردودة لأن في إسنادها عمر بن قيس المكي وهو متروك[2].

وقال الإمام ابن القيم: وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين من بعدهم وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب مع أنه باطل بنص كتابهم فإن فيه أن الله أمر إبراهيم بذبح ابنه بكره وفي لفظ وحيده، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده، والذي غر أصحاب هذه القول أن في التوراة التي بأيديهم: اذبح ابنك إسحاق، قال: وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم لأنها تناقض قوله «اذبح بكرك ووحيدك» ولكن اليهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف[3].

وقال الحافظ ابن كثير بعدما ذكر الأقوال بأن المفدى هو إسحاق عليه السلام: «وهذه الأقوال والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الاحبار فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضي الله عنه

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/٨٤.
(٢) التقريب ٢/٦٢ رقم ٤٩٨، المغني في الضعفاء للذهبي ٢/٤٧٢ رقم ٤٥٢٦، ديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي ص ٢٢٩ رقم ٣٠٩٢، الميزان ٣/٢١٨ رقم ٦١٨٧.
(٣) زاد المعاد ١/١٥

عن كتبه قديماً، فربما استمع له عمر رضي الله عنـه فترخص النـاس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده غثها وسمينها، وليس لهذه الأمـة ـ والله أعلم ـ حاجة إلى حرف واحد مما عنده» ثم ذكـر أن القول بـأن المفدى هو إسماعيل عليه السلام هو الصحيح المقطوع به[1].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ١٩.

« ســورة ص »[(٣٨)]

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ص والقرآن ذي الذكر . بل الذين كفروا في عزة وشقاق . كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾ (ص ١/ ٥).

* * *

(٢٨٥) قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى عن سفيان حدثني سليمان يعني الأعمش عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: مرض أبو طالب فأتته قريش وأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده وعند رأسه مقعد رجل فقام أبو جهل فقعد فيه فقالوا: إن ابن أخيك يقع في آلهتنا، قال: ما شأن قومك يشكونك؟ قال: يا عم أريدهم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب وتؤدي العجم إليهم الجزية، قال: وما هي؟ قال: لا إله إلا الله، فقاموا فقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ قال: ونزل ﴿ ص والقرآن ذي الذكر ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ إن هذا لشيء عجاب ﴾[(١)].

---

(١) مسند أحمد ١/ ٢٢٧، ٣٦٢.

بيان الإسناد:

١ ـ يحيى شيخ الإمام أحمد هو الإمـام يحيى بن سعيد بن فـروخ القطان وهو ثقة حافظ متقن إمام قدوة، أجمع العلماء على تقديمه والثناء عليه، وهو من كبار الطبقة التاسعة، مات سنـة ثمان وتسعـين ومائتـين وله ثمان وسبعون سنة، وقد أخرج له الجماعة[١].

٢ ـ وسفيان هو الثوري وهو ثقة حافظ تقدمت ترجمته[٢].

٣ ـ وسليمان بن مهران الأعمش ثقة حافظ تقدمت ترجمته[٣].

٤ ـ يحيى بن عـمارة قـال عنـه الحـافظ ابن حجـر في التهـذيب: يحيى بن عمارة ويقال ابن عباد وقيل عبادة، كوفي روى عن ابن عبـاس قصة موت أبي طالب وعنه الأعمش ذكـره ابن حبان في الثقـات وجزم بكونه يحيى بن عمارة وكذا البخاري ويعقوب بن شيبة[٤].

وسعيد بن جبير ثقة ثبت[٥].

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[٦].

وأخرجه الـترمذي وابن حبـان والحاكم والبيهقي والـطبري كلهم من طريق الأعمش بهذا الإسناد، وحسنه الترمذي، وصححـه الحاكم

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/٢٩٨ رقم ٢٨٠، التقريب ٢/٣٤٨ رقم ٧٢.

(٢) انظر الحديث رقم (٦٧).

(٣) انظر الحديث رقم (٥٥).

(٤) التهذيب ١١/٢٥٩ رقم ٥٢١، وانظر الكاشف ٣/٢٦٤ والخلاصة/٤٢٦.

(٥) انظر الحديث رقم (١١).

(٦) تهذيب التهذيب ١١/٢١٦ رقم ٣٥٨، ٤/١١١ رقم ١٩٩، ١١/٢٥٩ رقم ٥٢١.

ووافقه الذهبي على تصحيحه[1].

بيان المعنى:

قوله تعالى ﴿ ص ﴾ أخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ ص ﴾ قال: قسم أقسمه الله، وهو من أسماء الله[2] وهذا إسناد حسن كما تقدم[3].

وقوله «وهو من أسماء الله» يعني أنه رمز لاسم من أسماء الله تعالى، يبين ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ كهيعص ﴾ قال: «كاف من كريم، وهاء من هاد ويا من حكيم وعين من عليم، وصاد من صادق».

قال أبو عبدالله الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الإمام الذهبي[4].

وهذا من الحروف التي يستفتح الله سبحانه بها بعض سور القرآن، وقد قيل في معناها أقوال كثيرة منها أنها إشارة إلى أن هذا القرآن المعجز الذي تحدى به الله سبحانه العرب وهم أهل الفصاحة والبيان أن يأتوا بمثله أو بمثل بعضه فلم يستطيعوا ذلك مكون من هذه الحروف التي تتكون منها لغتهم ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله[5].

---

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة ص رقم ٣٢٣٢. موارد الظمآن، كتاب التفسير، رقم ١٧٥٧، المستدرك كتاب التفسير سورة ص ٢/٤٣٢.
سنن البيهقي، كتاب الجزية، باب، من زعم انها تؤخذ من العجم ٩/١٨٨.
تفسير الطبري ٢٣/١٢٥.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/١١٧.

(٣) انظر الحديث رقم (٢).

(٤) المستدرك، كتاب التفسير، سورة مريم ٢/٣٧١.

(٥) انظر تفسير القرطبي ١/١٥٤ ـ تفسير الطبري ١/٨٧ ـ تفسير الألوسي ١/٩٨.

قوله ﴿ **ذي الذكر** ﴾ أي ذي التذكير، يُذكِّر من سمعه بالله ﴿ **بل الذين كفروا في عزة** ﴾ تكبر وامتناع عن قبول الحق ﴿ **وشقاق** ﴾ أي خلاف ومباينة لأهل الحق المؤمنين بهذا القرآن[1].

قوله ﴿ **كما أهلكنا من قبلهم من قرن** ﴾ أي أهلكنا كثيراً من الأقوام قبلهم ﴿ **فنادوا** ﴾ رفعوا أصواتهم متنادين بالفرار من العذاب ﴿ **ولات حين مناص** ﴾ يعني وليس وقت نزول العذاب بهم بحين فرار منه إذ لا يستطيعون ذلك، كما أخرج ابن جرير من طريق العوفي ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: قال: ليس حين نَزْو ولا فرار[2].

قوله ﴿ **أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب** ﴾ يعني كونه يسمع دعاء الناس جميعاً ويلبي حاجاتهم[3] وذلك أنهم لا يتصورون علم الله تعالى المحيط بجميع الكائنات ولا يقدرونه حق قدره.

---

(١) تفسير القرطبي ١٥/١٤٤ ـ ١٤٥.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/١٢١.

والنّزو نوع من السير السريع (لسان العرب مادة نزا).

(٣) تفسير الطبري ٢٣/١٢٤.

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب. إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد. فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب. ردوها عليَّ فطفق مسحا بالسوق والأعناق ﴾ (ص/ ٣٠ ـ ٣٣).

* * *

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس في قوله تعالى **﴿ فطفق** (٢٨٦)
مسحا بالسوق والأعناق ﴾ ويسمح أعراف الخيل وعراقيبها[١].

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبّاً لها[٢].

بيان المعنى:

قوله تعالى **﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب ﴾** يعني مقبل على طاعة الله تعالى وعبادته، كما أخرج ابن جرير من طريق

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم ٣٩.
(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ١٥٦.

العوفي عن ابن عباس قال: الأواب المسبّح. ومن طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: كان مطيعاً لله كثير الصلاة[1].

وقوله تعالى ﴿ إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد ﴾ يعني الخيل الصافنات جمع صافن، والصافن الذي يجمع بين يديه ويثني طرف سنبك إحدى رجليه، والسنبك مقدم الحافر.

وأنشد ابن الأعرابي في صفة فرس:

ألف الصفون فلا يزال كأنه   مما يقوم على الثلاث كسيرا

والصفون من الصفات المحمودة في الخيل لا تكاد تتحقق إلا في العرب الخلص[2].

والجياد جمع جواد وهو الذي يسرع في عدوه، وصفت بالسكون والطمأنينة في وقوفها وبالسرعة في جريها[3].

قوله: «فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي» الخير يطلق على المال ومن ذلك قوله تعالى: «وإنه لحب الخير لشديد» (العاديات/٨) والمراد به هنا الخيل المذكورة في الآية السابقة.

المعنى: أن محبة الخيل الشديدة عندي حصلت عن ذكر الله تعالى وأمره لا عن الشهوة والهوى[4].

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/١٥٣.
(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٨٢، معاني القرآن للفراء ٢/٤٠٤، لسان العرب (مادة صفن) تفسير الألوسي ٢٣/١٩٠.
(٣) تفسير الطبري ٢٣/١٥٤، تفسير الألوسي ٢٣/١٩٠.
(٤) تفسير الرازي ٢٦/٤١٤.

وقيل: إن المراد بذكر الله هنا صلاة العصر وأن سليمان عليه السلام فاتته صلاة العصر لانشغاله بالخيل[1].

والقول الأول أظهر لأنه يبعد من نبي الله سليمان عليه السلام أن ينشغل عن الصلاة بأي شيء آخر.

وقوله: «حتى توارت بالحجاب» يعني حتى اختفت الخيل وراء الحجاب فلم يعد يراها سليمان عليه السلام.

وقيل: إن الضمير يعود على الشمس يعني حتى غابت الشمس في مغيبها[2].

والقول الأول أظهر لذكر الخيل في الآية وعدم ذكر الشمس في هذه الآيات.

وقوله ﴿ **ردوها علي** ﴾ يعني الخيل ﴿ **فطفق مسحاً بالسوق والأعناق** ﴾ يعني جعل يمسح سوقها وأعناقها بيده كما يدل عليه حديث الباب الذي أخرجه الإمام البخاري عن ابن عباس.

وروي في معنى الآية أن المراد بمسح السوق والأعناق عقرها وضرب أعناقها أخرجه ابن جرير عن الحسن البصري وقتادة والسدى[3].

والقول الأول المروي عن ابن عباس أرجح وقد اختاره ابن جرير وقال في ترجيحه: وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية لأن نبي الله صلى الله عليه وسلم لم يكن إن شاء الله

(١، ٢) تفسير الطبري ٢٣/ ١٥٥.

(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ١٥٦.

ليعذب حيواناً بالعرقبة ويهلك مالاً من ماله بغير سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها[1]. هـذا على القول بأنه اشتغل بها عن صلاته وقد تبين لنا أنه قول مرجوح.

(١) تفسير الطبري ٢٣/١٥٦.

٣ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيـدي والأبصار ﴾ (ص/ ٤٥).

* * *

قـال الإمام البخـاري: قال ابن عبـاس: ﴿ **الأيـدي** ﴾ القـوة في (٢٨٧)
العبادة ﴿ **الأبصار** ﴾ البصر في أمر الله[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قـوله تعـالى ﴿ **أولي الأيدي والأبصـار** ﴾ يقول: أولي القـوة والعبادة، ﴿ **والأبصار** ﴾ يقول الفقه في الدين[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم ٣٩.
(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ١٧٠.

« ســورة فصلت »(٤١)

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ (فصلت/٦، ٧).

* * *

(٢٨٨) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ الذين لا يؤتون الزكاة ﴾ لا يشهدون ان لا إله إلا الله[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ﴾ قال: هم الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله[٢].

بيان المعنى:

فسر ابن عباس الزكاة في هذه الآية بمعناها اللغوي حيث فسرها بتطهير النفس من رذيلة الشرك بشهادة أن لا إله إلا الله.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة براءة.

(٢) تفسير الطبري ٩٢/٢٤.

وذهب بعض التابعين إلى تفسير الزكاة في الآية بالمعنى الشرعي أي الذين لا يخرجون زكاة أموالهم وقد روى هذا القول عن قتادة والسدى وغيرهما واختاره ابن جرير ورجحه بقوله تعالى في هذه الآية ﴿ **وهم بالآخرة هم كافرون** ﴾ قال ابن جرير: فلو كان قوله ﴿ **الذين لا يؤتون الزكاة** ﴾ مراداً به الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله لم يكن لقوله ﴿ **وهم بالآخرة هم كافرون** ﴾ معنى، لأنه معلوم أن من لا يشهد أن لا إله إلا الله لا يؤمن بالآخرة، وفي اتباع الله قوله ﴿ **وهم بالآخرة هم كافرون** ﴾ قوله ﴿ **الذين لا يؤتون الزكاة** ﴾ ما ينبىء عن أن الزكاة في هذا الموضع معنى بها زكاة الأموال[1].

أقول: ولكن المعنى الذي فسر به ابن عباس الزكاة في الآية أنسب لسياق الآيات حيث إن هذه الآية وما قبلها نزلت في المشركين، والمشركون مخاطبون أولاً بالتوحيد فإذا دخلوا في الإسلام خوطبوا بعد ذلك بالتكاليف الشرعية إذ أن الأعمال الصالحة لا تنفع مع الشرك كما قال تعالى ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً** ﴾ (الفرقان/٢٣).

أما قوله تعالى ﴿ **وهم بالآخرة هم كافرون** ﴾ فهو تخصيص لليوم الآخر بالذكر للاهتمام به بعد دخوله في عموم الإيمان بالله تعالى، وقد تكرر ذكر الإيمان باليوم الآخر مع الإيمان بالله في آيات كثيرة.

وقال الطِّيبي[2] في ترجيح قول ابن عباس: والمعنى عليه: فاستقيموا إليه بالتوحيد وإخلاص العبادة له تعالى وتوبوا إليه سبحانه

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/٩٣.

(٢) الطيبي ـ بكسر الطاء وتشديدها هو الحسين بن محمد بن عبدالله شرف الدين الطيبي، =

وتعالى مما سبق لكم من الشرك وويل لكم إن لم تفعلوا ذلك كله فوضع موضعه منع إيتاء الزكاة ليؤذن بأن الاستقامة على التوحيد وإخلاص العمل لله تعالى والتبرى عن الشرك هو تزكية النفس، وهو أوفق لتأليف النظم وما ذهب إليه حبر الأمة إلا لمراعاة النظم[1].

= من علماء الحديث والتفسير والبيان ومن كتبه «التبيان في المعاني والبيان» و «الخلاصة في معرفة الحديث» و «شرح الكشاف» و «مشكاة المصابيح» توفى سنة ٧٤٣هـ - (الأعلام للزركلي ٢ / ٢٨٠).

(١) تفسير الالوسي ٢٤/٩٨.

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواءً للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ﴾ (فصلت/ ٩ ـ ١١).

* * *

(٢٨٩) ١ ـ قال الإمام البخاري: وقال المنهال عن سعيد بن جبير قال قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: إني لأجد في القرآن أشياء تختلف علي، قال: ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ (المؤمنون/ ١٠١) ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ (الصافات/ ٢٧) ﴿ ولا يكتمون الله حديثاً ﴾ (النساء/ ٤٢) ﴿ ربّنا ما كنا مشركين ﴾ (الأنعام/ ٢٣) فقد كتموا في هذه الآية وقال ﴿ أم السماء بناها ـ إلى قوله ـ دحاها ﴾ (النازعات/ ٢٧ ـ ٣٢)، فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال ﴿ أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ـ إلى ـ طائعين ﴾ (فصلت/ ٩ ـ ١٢)، فذكر في هذه خلق الأرض قبل

السماء، وقال تعالى ﴿ **وكان الله غفوراً رحيماً - عزيزاً حكيماً - سميعاً بصيراً** ﴾[1] فكأنه كان ثم مضى، فقال ﴿ **فلا أنساب بينهم** ﴾ في النفخة الأولى ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فلا انساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ثم في النفخة الآخرة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، أما قوله ﴿ **والله ربنا ما كنا مشركين** ﴾ ﴿ **ولا يكتمون الله حديثاً** ﴾ فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم فيقول المشركون، تعالوا نقول لم نكن مشركين فيختم الله على أفواههم فتنطق أيديهم فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثاً وعنده ﴿ **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الأرض، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والأشجار والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها** ﴾ وقوله ﴿ **خلق الأرض في يومين** ﴾ فخلقت الأرض وما فيها من شيءٍ في أربعة أيام وخلقت السماء في يومين، وقوله ﴿ **وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾ سمى نفسه ذلك، وذلك قوله، أي لم يزل كذلك فإن الله لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن فإن كلاً من عند الله.

قال أبو عبدالله: حدثنيه يوسف بن عدي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بهذا[2].

وأخرجه ابن جرير من طريق الضحاك بن مزاحم أن نافع بن

---

(١) انظر مثلاً سورة النساء/ ١٠٠ و ١٣٤ وسورة الفتح/ ٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة فصلت.

الأزرق أتى ابن عباس فقال: يا ابن عباس قول الله تبارك وتعالى ﴿ **يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً** ﴾ وقوله ﴿ **والله ربِّنا ما كنا مشركين** ﴾ فقال له ابن عباس: إنى احسبك قمت من عند أصحابك فقلت: ألقى على ابن عباس متشابه القرآن، فإذا رجعت إليهم فأخبرهم أن الله جامع الناس يوم القيامة في بقيع واحد فيقول المشركون: إن الله لا يقبل من أحد شيئاً إلا ممن وحَّده، فيقولون: تعالوا نجحد، فيسألهم فيقولون ﴿ **والله ربنا ما كنا مشركين** ﴾ قال: فيختم على أفواههم ويستنطق جوارحهم فتشهد عليهم جوارحهم أنهم كانوا مشركين، فعند ذلك تمنوا لو أن الأرض سويت بهم ولا يكتمون الله حديثاً(١).

بيان المعنى:

قوله «فقال رجل لابن عباس» تبين من رواية الإمام ابن جرير السابقة أن السائل هو نافع بن الأزرق، وهو من زعماء الخوارج، وقد جاء في رواية ابن جرير بعض هذه الآيات التي وردت في رواية الإمام البخاري.

(١) تفسير الطبري ٥/٩٤.

وقد أورد هذا السائل في هذا الحديث أربع مسائل :

الأولى : نفي التساؤل يوم القيامة في قوله تعالى ﴿ **فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾ وإثباته في قوله تعالى ﴿ **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون** ﴾ .

وقد أجاب ابن عباس عن هذه بأن نفي تساؤلهم هو في النفخة الأولى وأن إقبال بعضهم على بعض يتساءلون يكون في النفخة الآخرة .

الثانية : كتمان المشركين حالهم في قوله تعالى ﴿ **والله ربنا ماكنا مشركين** ﴾ وإفشاء ذلك في قوله تعالى ﴿ **ولا يكتمون الله حديثاً** ﴾ .

وقد أجاب ابن عباس عن هذه بأن تكتم المشركين على عقيدتهم يكون حينما يغفر الله لأهل الاخلاص فيدعي المشركون عند ذلك براءتهم من الشرك حتى ينالوا مغفرة الله عز وجل فعند ذلك يختم الله جل وعلا على أفواههم فتنطق عليهم جوارحهم فذلك إفشاؤهم لأعمالهم وأقوالهم التي صدرت منهم في الدنيا .

الثالثة : إن الله سبحانه خلق السماء قبل الأرض وذلك هو ما فهمه السائل من قوله تعالى ﴿ **أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها** ﴾ مع أن الله جل وعلا ذكر أنه خلق الأرض قبل السماء وذلك في قوله تعالى ﴿ **قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء**

للسـائلين . ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقـال لها ولـلأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ﴾ .

وقد أجاب ابن عبـاس عن هذه المسـألة بـأن الله جل وعـلا خلق الأرض في يومين غير مدحوة ثم خلق السماء في يـومين ثم دحـا الأرض بعد ذلك في يومين .

و﴿ ثم ﴾ في قوله تعالى ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ ليست للترتيب الزماني وإنما هي للترتيب الذكري .

قال أبو حيان بعدما ذكر أقوال بعض المفسرين : والذي نقوله أن الكفار وبخوا وقرعوا بكفرهم بمن صدرت عنه هذه الأشياء جميعها من غـير تـرتيب زمـاني وأن ﴿ ثم ﴾ لـترتيب الإخبـار لا لـترتيب الـزمـان والمهلة، كـأنه قـال : فالـذي أخـبركم أنـه خلق الأرض وجعـل فيهـا رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقـواتها ثم أخـبركم أنه استـوى إلى السماء فلا تعرض في الآية لترتيب أي ذلك وقـع ، الترتيب الـزماني له ، ولما كان خلق السماء أبدع في القدرة من خلق الأرض أُلِفَ الإخبار فيه بثم ، فصار كقوله ﴿ ثم كـان من الذين آمنـوا ﴾ بعد قـوله ﴿ فـلا اقتحم العقبـة ﴾ ، ومن ترتيب الإخبـار ﴿ ثم آتينا مـوسى الكتـاب ﴾ بعد قوله ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ﴾[1] .

المسألة الرابعة : الاخبار عن صفات الله عز وجل اللازمة لذاته بأفعال المضي كقوله تعالى ﴿ وكان الله غفوراً رحيماً - وكان الله عزيـزاً حكيماً - وكان الله سميعاً بصيراً ﴾ .

(١) تفسير أبي حيان ٧/٤٨٨ .

وقد أجاب ابن عباس عن ذلك بأن الله جل وعلا سمى نفسه بهذه الأسماء منذ الأزل، وهو متصف بما تشتمل عليه من صفات على الدوام، لأن الله جل وعلا لم يرد شيئاً إلا وقع على وفق إرادته، فأفعال المضي على هذا راجعة إلى كون الله عز وجل سمى نفسه بهذه الأسماء منذ الأزل.

(٢٩٠) ٢ ـ قال الإمام البخاري: وقال طاوس عن ابن عباس: ﴿ **ائتيا طوعاً أو كرهاً** ﴾: أعطيا ﴿ **قالتا أتينا طائعين** ﴾ أعطينا[١].

واخرجه ابن جرير قال: حدثني يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا ابن علية عن ابن جريج عن سليمان الأحول عن طاوس عن ابن عباس وذكر مثله[٢].

وقال الحافظ ابن حجر: وصله الطبري وابن أبي حاتم بإسناد على شرط البخاري في الصحة.

بيان المعنى:

قوله ﴿ **أتينا طائعين** ﴾ من الإتيان بمعنى المجيء وفسرها ابن عباس بالإعطاء، وقد وجه العلماء هذا التفسير بتوجيهين ذكرهما الحافظ ابن حجر.

الأول: أنه مخرج على تقريب المعنى وذلك أنهما لما أمرتا بإخراج ما فيهما من شمس وقمر ونهر ونبات وغير ذلك وأجابتا إلى ذلك كان

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة فصلت.

(٢) تفسير الطبري ٢٤/٩٨.

كالإعطاء فعبر بالإعطاء عن المجيء بما أودعتاه. ذكره ابن حجر عن القاضي عياض[1].

الثاني: نقله ابن حجر عن ابن التين قال: لعل ابن عباس قرأها آتينا بالمد ففسرها على ذلك، قال ابن حجر: وقد صرح أهل العلم بالقراءات أنها قراءته وبها قرأ صاحباه مجاهد وسعيد بن جبير[2].

وذكر ابن عطية هذه القراءة ونسبها إلى ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير ثم قال: وذلك بمعنى أعطيا من أنفسكما من الطاعة ماأردته منكما، والإشارة بهذا كله إلى تسخيرها وما قدره الله لها من أعمالها. ذكره ابو حيان في تفسيره[3].

أقول: وهذه القراءة لم يذكرها ابن الجزري في القراءات العشر[4].

وأخرج أبو عبد الله الحاكم من طريق سليمان الأحول عن طاوس عن ابن عباس في قوله ﴿ **فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً** ﴾ قال للسماء أخرجي شمسك وقمرك ونجومك وقال للأرض شققي أنهارك وأخرجي ثمارك فقالتا أتينا طائعين.

---

(١) القاضي عياض هو أبو الفضل ابن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ولد في سبتة من بلاد المغرب عام ٤٧٦ وولي قضاءها ثم قضاء غرناطة وهو من العلماء المشهورين في الحديث واللغة والأنساب، ومن تصانيفه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» و«مشارق الأنوار» في الحديث، توفي عام ٥٤٤ (الأعلام للزركلي ٥/٢٨٢).

(٢) فتح الباري ٨/٥٥٦.

(٣) البحر المحيط ٧/٤٨٧.

(٤) النشر ٢/٣٦٧.

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي[1].

وأخرجه ابن جرير من طريق مجاهد عن ابن عباس وذكر مثله وفي آخره « فقالتا اعطينا طائعين »[2].

وفي هذه الرواية بيان أن الامر المطلوب من السماء والأرض هو أن تسيرا على وفق الأنظمة التي سنها الله تعالى لهما.

---

(١) المستدرك ١/٢٧، كتاب الإيمان.

(٢) تفسير الطبرى ٢٤/٩٨.

٣ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ (فصلت/ ٣٤)

* * *

(٢٩١) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن** ﴾ الصبر عند الغضب والعفو عند الإساءة فإذا فعلوه عصمهم الله وخضع لهم عدوهم ﴿ **كأنه ولي حميم** ﴾[(١)].

وأخرجه ابن جرير الطبري والبيهقي من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن** ﴾ قال : أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة فصلت.

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ١١٩ .
السنن الكبرى ٧/ ٤٥ ، كتاب النكاح، باب ماأمره الله به من أن يدفع بالتي هي أحسن.

« سـورة الشـورى »[42]

١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ذلـك الذي يبشر الله عبـاده الذين آمنـوا وعملوا الصالحـات قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنـة نزد لـه فيها حسناً إن الله غفور شكور ﴾ (الشورى/٢٣).

* * *

(٢٩٢) قـال الإمام البخـاري : حدثني محمـد بن بشار حـدثنا محمـد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال : سمعت طـاوساً عن ابن عبـاس رضى الله عنهما أنـه سئل عن قـولـه تعـالى **﴿ إلا المـودة في القربى ﴾** فقال سعيد بن جبير : قربى آل محمد صـلى الله عليه وسلم، فقال ابن عباس : عجلت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بـطن من قريش إلا كان له فيهم قرابـة فقال : إلا أن تصلوا مـا بيني وبينكم من القرابة »[1].

(١) صحيح البخارى، كتاب التفسير، سورة الشورى، باب رقم ١.

وأخرجه الإمام أحمد والترمذي من طريق شعبة بهذا الإسناد وذكرا مثله[1].

وأخرجه الإمام الطبراني من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله عز وجل ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى** ﴾ قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن في قريش إلا وله فيهم أم حتى كانت له في هذيل أم فقال عز وجل ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً** ﴾ إلا أن تحفظوني في قرابتي ولا تخونوني ولا تكذبوني ولا تؤذوني[2].

وأخرجه أبو عبد الله الحاكم من طريق الشعبي قال : أكثر الناس علينا في هذه الآية ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى** ﴾ فكتبنا إلى ابن عباس نسأله عن ذلك فكتب ابن عباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوسط بيت في قريش ليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده، فقال الله عز وجل: قل لا أسألكم عليه أجراً إلى ما أدعوكم إليه إلا أن تودوني بقرابتي منكم وتحفظوني بها.

قال أبو عبد الله : قال هشيم وأخبرني حصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحو ذلك ثم قال : هذا حديث لم يخرجاه بهذه الزيادة وهو صحيح على شرطهما فإن حديث عكرمة صحيح علي شرط البخاري وحديث داود بن هند صحيح على شرط مسلم ووافقه الإمام الذهبي على ذلك[3].

---

(١) مسند أحمد ١/٢٢٩، ٢٨٦.
سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الشورى رقم ٣٢٥١.

(٢) المعجم الصغير للطبراني ١/٧٦.

(٣) المستدرك، كتاب التفسير ٢/٤٤٤.

بيان المعنى :

قوله تعالى ﴿ **ذلك الذي يبشر الله عباده** ﴾ الإشارة في الآية تعود على النعيم المقيم المذكور في قوله تعالى قبل هذه الآية ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم مايشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير** ﴾.

قوله تعالى ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى** ﴾ الخطاب في قوله ﴿ **لا أسألكم** ﴾ للمشركين من أهل مكة، والضمير في قوله ﴿ **عليه** ﴾ يعود على الأمر الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو إفراد الله سبحانه بالألوهية والإيمان بما جاءهم به من البينات والهدى.

وقوله ﴿ **إلا المودة في القربى** ﴾ بين ابن عباس في هذا الحديث أن المراد بالقربى في الآية قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش حيث إنه لم يكن بطن من بطون قريش إلا وله فيهم قرابة، فالمعنى على هذا : إلا أن تودوني لما بيني وبينهم من صلة القرابة فتطيعوني فيما أمركم به مما فيه صلاح امركم في الدنيا والآخرة.

وروى عن ابن عباس في المراد بالقربى في الآية معنيان آخران :

أولهما: أن المراد التقرب إلى الله بطاعته وقد أخرج الإمام أحمد والطبراني وابن جرير في ذلك عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: إلا أن تتوددوا إلى الله بطاعته.

قال الحافظ الهيثمي : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد فيهم

قـزعة بن سـويـد وثقـه ابن معـين وغـيره وفيـه ضعف وبقيـة رجـالـه ثقات(١).

ثانيهما: أن المراد بالقربى في الآية قرابة رسـول الله صلى الله عليـه وسلم الأدنون وقد أخرج الطبراني في ذلـك عن ابن عباس انـه قال لما نزلت هذه الآيـة ﴿ **قل لا أسـألكم عليه أجـراً إلا المودة في القـربى** ﴾ قالوا: يـا رسول الله من قـرابتك هؤلاء الـذين وجبت علينا مـودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما.

قـال الحافظ الهيثمي: رواه الـطبراني من رواية حـرب بن الحسن الـطحان عن حسـين الأشقـر عن قيس بن الـربيـع وقـد وثقـوا كلهم وضعفهم جماعة، وبقية رجاله ثقات(٢).

والقول الأول وهو أن المراد بالقربى في الآية قرابة رسـول الله صلى الله عليه وسلم لقريش هو الراجح لأمرين:

أولهما أنه أصح إسناداً إلى ابن عبـاس حيث رواه الإمام البخـاري والقولان الآخران في بعض رجالهما ضعف كما تبين لنا من كلام الحافظ الهيثمي.

ثانيهما: أن هذا القول أنسب لسيـاق الآية حيث إن هـذه السورة مكية وهذه الآية جاءت في سياق آيات نزلت في كفار قريش فقبل هذه الآية قولـه تعالى ﴿ **أم لهم شركـاء شرعوا لهم من الـدين ما لم يـأذن به الله** ﴾ وبعدها قوله تعالى ﴿ **أم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشـأ الله يختم عـلى قلبك ويمـح الله الباطـل ويحق الحق بكلماته انـه عليم بذات**

(١) مجمع الزوائد ١٠٣/٧ ـ تفسير الطبري ٢٥/٢٥.
(٢) مجمع الزوائد ١٠٣/٧.

الصدور ﴾ والقول الأول فيه أن الآية نزلت خطاباً لكفار قريش فهو المناسب لسياق الآية.

أما القول بأن المراد قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأدنون فيفهم منه أن الآية خطاب للمؤمنين حيث جاء فيه «قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما».

فهذا القول مخالف لسياق الآية من حيث توجيه الخطاب فيها، كما أنه يَرِد عليه أن الحسن والحسين رضي الله عنهما لم يكونا موجودين وقت نزول الآية حيث لم يولدا إلا في المدينة.

وأما القول بأن المراد التقرب إلى الله بطاعته فغير ظاهر من حيث المعنى لأن التقرب إلى الله بطاعته هو الأمر الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يكون الشيء الذي يدعوهم إليه هو نفس الأجر الذي يطلبه منهم مقابل استجابتهم له، إلا إذا اعتبرنا أن الاستثناء منقطع فيكون المعنى لكن أطلب منكم أن تتقربوا إلى الله بطاعته، وكون الاستثناء يبقى على الأصل وهو الاتصال أولى ما دام سياق الكلام يجيزه.

قوله ﴿ **ومن يقترف حسنة** ﴾ يعني يكتسب حسنة[١]، وذلك بالعمل الصالح ﴿ **نزد له فيها حسنا** ﴾ وذلك بمضاعفة الثواب.

---

(١) مفردات الراغب (مادة قرف).

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ **ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير** ﴾ (الشورى/٥٠).

* * *

(٢٩٣) قال الإمام البخاري: ويذكر عن ابن عباس: ﴿ **عقيماً** ﴾ لا تلد[٢].

قال الحافظ ابن حجر: وذكره باللفظ المعلق بلفظ جويبر عن الضحاك عن ابن عباس وفيه ضعف وانقطاع فكأنه لم يجزم به لذلك[٣].

وقوله «بلفظ جويبر» يعني برواية جويبر وهذا لفظه.

وقوله «فكأنه لم يجزم به لذلك» أي لم يذكره الإمام البخاري بصيغة الجزم التي يذكر بها أغلب تعليقاته عن ابن عباس وهي «قال ابن عباس» لما في سنده من الضعف والانقطاع.

ولكن أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن

---

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الشورى.

(٣) فتح الباري ٨/٥٦٣.

عباس في قوله ﴿ ويجعل من يشاء عقيماً ﴾ يقول: لا يلقح[1].

وهذا الإسناد هو الذي يخرج منه الإمام البخاري في صحيحه كثيراً تعليقاً بصيغة الجزم وهو حسن كما تقدم[2].

وقوله في هذه الرواية «لا يلقح» أولى من قوله في الرواية الأولى «لا تلد» لأن الولادة تختص بالمرأة أما الإلقاح فيشمل المرأة والرجل.

(١) تفسير الطبري ٢٥/ ٤٤

(٢) انظر الحديث رقم ٢.

٣ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا** ﴾ (الشورى/٥٢).

* * *

(٢٩٤) قال الإمام البخاري: ويذكر عن ابن عباس ﴿ **روحاً من أمرنا** ﴾ القرآن[1].

قال الحافظ ابن حجر: وصله أبي أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بهذا[2].

بيان المعنى:

الإشارة في قوله تعالى ﴿ **وكذلك** ﴾ تعود إلى الوحي المفهوم من قوله تعالى قبل هذه الآية ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم** ﴾.

المعنى: وكذلك الوحي الذي أوحينا إلى الرسل من قبلك أوحينا إليك هذا القرآن روحاً من أمرنا، وسمى القرآن روحاً لأنه به تحيا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الشورى.

(٢) فتح الباري ٥٦٣/٨.

القلوب الميتة، فالقلب الذي لا يدرك ما خلق من أجله وهو عبـادة الله وحده يعتبر ميتاً، فالقـرآن يحيي هذا القلب الميت حينـما ينبهه إلى هـذا الهدف السامي، ويرشده إلى الإيمان به ثم يرعاه بعد ذلك بالتربية حتى يتقوى فيه هذا الإيمان.

« ســـورة الزخـــرف »[٤٣]

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا عـلى ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الـذي سخر لنـا هذا وما كنا له مقرنين ﴾ (الزخرف/١٣).

* * *

قال الإمام البخاري : قال ابن عباس ﴿ مقرنين ﴾ مطيقين[١]. **(٢٩٥)**

وأخرجه ابن جـرير من طـريق علي بن أبي طلحـة عن ابن عباس وذكر مثله[٢].

المعنى : ومـا كنا مـطيقـين ولا قـادرين عـلى ضبط هـذه الـدواب والفلك والتحكم في سـيرها. من قـولهم قد أقـرنت لهذا إذا صرت لـه قرنا وأطقته، وفلان مقرن لفلان أي ضابط له ومطيق[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الزخرف.
(٢) تفسير الطبري ٢٥/٥٥.
(٣) تفسير الطبري ٢٥/٥٤.

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون . وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ (الزخرف/٣٣ ـ ٣٥) .

* * *

(٢٩٦) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : **﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ﴾** لولا أن أجعل الناس كلهم كفاراً لجعلت لبيوت الكفار سقفاً من فضة ومعارج من فضة ـ وهي درج ـ وسرر فضة(١) .

وأخرجه ابن جرير مفرقاً من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(٢) .

بيان المعنى :

قوله **﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ﴾** أي جماعة واحدة

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الزخرف .

(٢) تفسير الطبري ٢٥/٧٠

مجتمعين على أمر واحد هو الكفر كما تبين لنا من قول ابن عباس في تفسير الآية «لولا أن أجعل الناس كلهم كفاراً».

وقوله تعالى ﴿ لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ﴾ إلى آخر الآيات معناه: لولا أن يجتمع الناس على الكفر بالله مما يرونه من النعيم الذي يتمتع به الكفار لسخرنا متاع الدنيا وزخارفها للكافرين فتنة لهم.

وقد أخرج ابن جرير في معنى الآية عن الحسن البصري قال: لولا أن يكون الناس كفاراً اجمعون يميلون إلى الدنيا لجعل الله تبارك وتعالى الذي قال، ثم قال: والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما فعل ذلك فكيف لو فعله؟![1].

وقوله «وزخرفاً» قال ابن عباس: هو الذهب أخرجه ابن جرير عنه من طريق علي بن أبي طلحة[2].

---

(١) تفسير الطبري ٦٨/٢٥

(٢) تفسير الطبري ٧١/٢٥.

٣ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قريب ﴾ (الزخرف/٣٦).

* * *

(٢٩٧) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿ **يعش** ﴾ يعم[١].

قال الحافظ ابن حجر: وصله ابن أبي حاتم من طريق شبيب عن بشر عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن** ﴾ قال: يعم.[٢].

بيان المعنى:

قوله ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن** ﴾ فسر ابن عباس العشى بالعمى وذلك على قراءة ﴿ **يعشَ** ﴾ بفتح الشين من عشى يعشى عشيً إذا ذهب بصره ومنه قول الأعشى:

رأت رجلاً غائب الوافدين مختلف الخلق أعشى ضريرا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الزخرف.

(٢) فتح الباري ٨/٥٦٦

وذكـر ذلك ابن جـريـر الـطبري ثم روى هـذا التفسـير عن عبـد الرحمن بن زيد بن أسلم[١].

وذكر الالوسي أن هذه قراءة يحيى بن سلام البصري[٢].

ولم يذكرها ابن الجزري من القراءات العشر[٣].

أمـا على القـراءة المشهورة ﴿ يعشُ ﴾ بضم الشـين فمعناهـا ومن يعـرض عن ذكر الـرحمن، من عشـا يعشـو، قـال الأزهـري والعـرب تقول: عشوت إلى النار اعشو عشـوا، أي قصدتهـا مهتدبـاً، وعشوت عنها أي أعرضت عنها فيفرقون بين الى وعن موصولين بالفعل.

وقال الفراء : معناه : من يعرض عن ذكر الرحمن قال : ومن قرأ ﴿ ومن يعشَ عن ذكـر الـرحمن ﴾ ـ يعني بـالفتـح ـ فمعنـاه من يعم عنه[٤].

---

(١) تفسير الطبري ٢٥/٧٢

وقوله « غائب الوافدين » يعني فاقد البصر، والوافدان العينان، وقـوله « مختلف الخلق » أي قد تغير جسمـه من الكبر، والشـاهد منـه قولـه « أعشى ضريراً » حيث وصفـه يفقد البصر وبالعشى فتبين أن العشى هو فقد البصر (من هامش تفسير الطبري).

(٢) تفسير الالوسي ٢٥/٨٠.

(٣) النشر في القراءات العشر ٢/٣٦٩

(٤) تفسير الطبري ٢٥/٧٢، لسان العرب مادة (عشا) معاني القرآن ٣/٣٢ ويحيى بن سلام البصري تـرجم له ابن الجـزري، في طبقات الفـراء وذكر أنـه سمع القـراءة من الحسن البصري وغـيره قال وكـان ثقة ثبتاً ذا علم بـالكتاب والسنـة ومعرفـة بـاللغـة العـربيـة ـ طبقات القراء ١/٣٧٣ ـ

وهذه القراءة قـد جمعت شروط القراءة المعتبرة حيث صحت إسناداً واستقـامت عربيـة ووافقت الرسم العثماني.

٤ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم اجمعين ﴾(الزخرف/٥٥).

* * *

(٢٩٨) قال الامام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ آسفونا ﴾ أسخطونا[1].

وأخرجه ابن جرير من طريق على بن ابي طلحة عن ابن عباس[2].

بيان المعنى :

هذه الآية جاءت ضمن آيات تحكي قصة فرعون وقومه وتبين موقفهم من دعوة موسى عليه السلام وأول هذه الآيات قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا موسى باياتنا إلى فرعون وملائه فقال إني رسول رب العالمين ﴾.

فالضمير في الآية يعود على فرعون وقومه وقد بين سبحانه في هذه

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة الزخرف.

(٢) تفسير الطبري ٢٥/ ٨٤

الآيات شيئاً من طغيانهم وتجبرهم الذي كان سبباً في انتقام الله تعالى منهم بقوله تعالى ﴿ **ونادى فرعون في قومه قال ياقوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتي أفلا تبصرون. أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين. فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فاطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم أجميعن** ﴾. قال ابن عباس في هذا الأثر: « ﴿ **آسفونا** ﴾ أسخطونا »، وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: يقول: لما اغضبونا[1].

وقال ابو عبيدة: ﴿ **فلما آسفونا** ﴾ اغضبونا، ويقال قد أسفت غضبت[2]. وبهذا فسرها الفراء[3].

والأسف يأتي بمعنى الغضب ويأتي بمعنى الحزن، ولكن المراد به في الآية الغضب[4].

---

(١) تفسير الطبري ٢٥/٨.
(٢) مجاز القرآن لابي عبيدة ٢/٢٠٥.
(٣) معاني القرآن للفراء ٥٣/٣.
(٤) مفردات الراغب (مادة أسف).

٥ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون. وقالوا آآلهتنا خير أو هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون. إن هو إلا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل. ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون وأنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ﴾ (الزخرف/٥٧ ـ ٦١).

* * *

(٢٩٩) قال الامام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم ثنا شيبان عن عاصم عن ابي رزين عن ابي يحيى مولي ابن عقيل الانصاري قال قال ابن عباس: لقد علمت آية من القرآن ماسألني عنها رجل قط فما ادري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لما فيسألوا عنها ثم طفق يحدثنا، فلما قام تلا ومنا أن لا نكون سألناه عنها، فقلت أنا لها إذا راح غدا فلما راح الغد قلت ياابن عباس ذكرت أمس أن أية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط فلا تدرى اعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لها فقلت اخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلها قال: نعم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش: يامعشر قريش أنه ليس

أحد يعبد من دون الله فيه خير وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى بن مريم، وما يقول في محمد، فقالوا : يامحمد ألست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً فلئن كنت صادقاً فإن آلهتهم لكما تقولون، قال : فأنزل الله عز وجل ﴿ **ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون** ﴾ قال : قلت : ما﴿ **يصدون** ﴾ قال : يضجون ﴿ **وأنه لعلم للساعة** ﴾ قال : هو خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة(١).

بيان الأسناد :

١ ـ هاشم بن القاسم هو ابو النضر الليثي، وهو ثقة ثبت، تقدمت ترجمته(٢).

٢ ـ شيبان هو الامام الحافظ الحجة ابو معاوية شيبان بن عبد الرحمن التميمي بالولاء النحوى، قيل أنه منسوب إلى « نحوين شمس » بطن من الأزد لا إلى علم النحو، وهو ثقة صاحب كتاب، من الطبقة السابعة، مات سنة أربع وستين ومائة، وقد أخرج له الجماعة(٣).

٣ ـ عاصم هو ابن بهدلة ـ ابن أبي النجود ـ المقرىء المعروف، وهو صدوق له أوهام حجة في القراءة كما تقدم(٤).

---

(١) مسند أحمد ٣١٧/١

(٢) انظر حديث رقم ٣.

(٣) تذكرة الحفاظ ٢١٨/١ رقم ٢٠٤ التقريب ٣٥٦/١ رقم ١١٥ اللباب في تهذيب الأنساب ٣٠١/٣

(٤) انظر حديث رقم (٢٧٢).

٤ ـ أبو رزين هو مسعود بن مالك الأسدي وهو ثقة فاضل تقدمت ترجمته(١).

٥ ـ وأبو يحيى هو الأعرج المعرقب واسمه مِصْدَع وهو صدوق تكلم فيه(٢).

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض(٣).

فالحديث على هذا ضعيف الإسناد لكنه مؤيد بطرق أخرى منها ما أخرجه ابن جرير الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس وذكر نحوه(٤).

وما أخرجه محمد بن إسحاق في سيرته بسياق طويل وفيه تفصيل لهذا الخبر.

قال ابن إسحاق : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ـ فيما بلغني ـ مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليه وعليهم **﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون . لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون . لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ﴾** (الانبياء / ١٨ ـ ١٠٠)

---

(١) انظر حديث رقم (٢٧٢).
(٢) التقريب ٢ / ٢٥١ رقم ١١٤٧ ، الميزان ٤ / ١١٨
(٣) انظر تهذيب التهذيب ١١ / ١٨ ، رقم ٣٩ ، ٥ / ٣٨ رقم ٦٧ ، ١٠ / ١١٨ رقم ٢١٥ تهذيب الكمال (ترجمة شيبان التميمي)
(٤) تفسير الطبري ٢٥ / ٨٦.

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزِبَعْرى السهمي حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى : والله ماقام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد، وقد زعم محمد أنّا وما نعبد من الهتنا هذه حصب جهنم، فقال عبد الله بن الزبعرى: أما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمدا: أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيراً، والنصارى تعبد عيسى بن مريم، فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزبعرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده إنهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته فأنزل الله تعالى عليه في ذلك ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون. لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون** ﴾ (الانبياء/١٠١ ـ ١٠٢) أي أن عيسى بن مريم وعزيزاً ومن عبدوا من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله . . .

ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون** ﴾ إلى قوله ﴿ **ومن يقل منهم إنى آله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين** ﴾ (الانبياء/٢٦ ـ ٢٩).

ونزل فيما ذكر من أمر عيسى بن مريم أنه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته ﴿ **ولما ضرب ابن**

مريم مثلاً إذا قوم منه يصدون ﴾[١].

وأخرج أبو عبد الله الحاكم من هذا الحديث تفسير قوله تعالى ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ عن ابن عباس قال : خروج عيسى ابن مريم.

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي[٢].

بيان المعنى :

قوله تعالى ﴿ **ولما ضرب ابن مريم مثلاً** ﴾ يفهم من الرواية السابقة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سب آلهة قريش واعتبرها شراً جادلوه بعيسى ابن مريم عليه السلام فقالوا له إن كانت آلهتنا لا خير فيها فإن عيسى يعبد من دون الله فما يقال في آلهتنا يقال فيه. قال تعالى في بيان موقفهم هذا﴿ **إذا قومك منه يصدون** ﴾ يعني يضجون كما قال ابن عباس فرحين بأنهم عثروا على حجة يجادلون بها ﴿ **وقالوا أآلهتنا خير أم هو** ﴾ أي عيسى عليه السلام، ينكرون أن يكون عيسى عليه السلام الذي يعبده النصارى خيراً من آلهتهم التي يعبدونها، وإذا كان الامر كذلك ولم يكن عيسى عليه السلام خيراً من آلهتهم كما يزعمون فلم تكون آلهتهم حصب جهنم كما قال تعالى ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون** ﴾ ؟

قول تعالى ﴿ **ماضربوه لك إلا جدلاً** ﴾ أي لم يقصدوا بضرب المثل لك الوصول إلى الحقيقة ومعرفة الحق من الباطل بل أرادوا بذلك نصر ما يعتقدونه وإن كان باطلاً وصرف الناس عما تدعو إليه وإن

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٣٧٤.

(٢) المستدرك ٢ / ٤٤٨، كتاب التفسير.

كانوا يعتقدون أنه هو الحق ﴿ **بل هم قوم خصمون** ﴾ شداد في الخصومة يحاولون تأييد باطلهم بكل ما يرون أنه يصرف اليهم ضعاف العقول من الناس.

وقوله تعالى ﴿ **إن هو إلا عبد أنعمنا عليه** ﴾ أي ليس عليه السلام إلا عبد كسائر عباد الله أنعمنا عليه بالنبوة وغيرها من النعم ﴿ **وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل** ﴾ أي وجعلنا خلقه أمراً عجيبا حيث خلق من غير أب، وفي هذا آية على قدرة الله تعالى وعبرة لبني إسرائيل ليرجعوا إلى الله تعالى فيفردوه بالعبادة لا ليجعلوا عيسى عليه السلام إلهاً مع الله تعالى.

وقوله ﴿ **ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون** ﴾ أي ولو نشاء لجعلنا بدلاً منكم ملائكة في الأرض يعمرونها بعبادة الله تعالى يخلف بعضهم بعضاً، كما أخرج ابن جرير من طريق علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال : يخلف بعضهم بعضا(١).

وإسناده حسن كما تقدم(٢).

وفي الآية إنكار على المشركين الذين يعبدون الملائكة ببيان أن الملائكة ليسوا إلا عبيداً من عبيد الله تعالى ولو شاء لأنزلهم في هذه الأرض بدلاً من بني آدم.

قوله ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ أي نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة علامة على قرب قيام الساعة كما تقدم في حديث ابن عباس.

---

(١) تفسير الطبري ٢٥/٨٩.

(٢) انظر حديث رقم ٢.

« ســورة الدخــان »(٤٤)

ماجاء في قوله تعالى

﴿ إن شجــرة الـزقــوم طعـام الأثيم كــالمهـل يغــلي في البــطون ﴾ (الدخان/٤٣ ـ ٤٥)

* * *

(٣٠٠) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس ﴿ **كالمهـل** ﴾ أسود كمهـل الزيت[١].

وأخـرجـه ابن جــريـر من طــريق عـلي بن أبي طلحــة عن ابن عباس[٢].

وأخرج ابن جرير من طرق أخرى عن ابن عباس انـه قال : مـاء غليظ كدردى الزيت[٣].

ودردى الزيت ما يبقى في أسفل الإناء[٤].

وقد روى تفسير الآية بهذا المعنى مرفوعـاً إلى النبي صلى الله عليـه

---

(١) صحيح البخارى، كتاب التفسير، سورة الدخان.

(٢) تفسير الطبرى ٢٥/١٣١.

(٣) تفسير الطبرى ٢٥/١٣٢.

(٤) لسان العرب (مادة درد)

(٣٠١) وسلم أخرجه ابن جرير قال : حدثنا أبو كريب قال : حدثنا رِشْدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دَرَّاج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ﴿ بماء كالمهل ﴾ « كعكر الزيت فإذا قربه إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه »(١).

وهذا إسناد ضعيف لضعف بعض رواته(٢).

---

(١) تفسير الطبرى ٢٥/١٣٢.

(٢) أبو كريب هو محمد بن العلاء وهو ثقة حافظ تقدمت ترجمته ورشدين بن سعد المهري ضعيف، تقدمت ترجمته

وعمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري بالولاء أبو أيوب المصرى، ثقة فقيه حافظ، من الطبقة السابعة، مات قبل الخمسين ومائة، أخرج له الجماعة (التقريب ٢ ر ٦٧ رقم ٥٥٥)

ودراج بن سمعان أبو السمح السهمى بالولاء المصرى القاص، صدوق، وفي حديثه عن أبي الهيثم ضعف، من الطبقة الرابعة، مات سنة ست وعشرين ومائة (التقريب ١/ ٢٣٥ رقم ٥٤، التهذيب ٣/٢٠٨ رقم ٣٩٧).

وأبو سعيد هو الخدري رضي الله عنه.

« ســورة الأحقــاف »[٤٦]

١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ قل ماكنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعـل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين ﴾ (الأحقاف/٩)

* * *

(٣٠٢) قال الإمام البخاري : قال ابن عبـاس **﴿ بدعـاً من الرسـل ﴾** : لست بأول الرسل[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة ومن طريق العوفي عن ابن عباس[٢].

بيان المعنى :

قـوله **﴿ لست بـدعاً من الـرسـل ﴾** قـال ابن عبـاس : في معنى الآية : لست بأول الرسل، **المعنى** : لست بأول رسول أرسـل إلى قوم حتى تقابلوا دعوتي بالإنكار فقـد سبقني رسل أرسلهم الله إلى أقـوامهم فدعوهم إلى مثل ما دعوتكم إليه من إفراد الله عز وجل بالعبادة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الأحقاف.

(٢) تفسير الطبري ٢٦/٦.

﴿ **ولا أدري ما يفعل بي ولا بكم** ﴾ يعنى لا أعرف شيئاً عن مصيري ولا عن مصيركم في هذه الحياة الدنيا فقد أخرج أنبياء قبلي من ديارهم وقتل آخرون على يد بعض الكفار من أقوامهم وأهلك أقوام بعذاب الله لما كفروا به وكذبوا رسله وقد يحصل لي ولكم شيء من ذلك.

وهذا كان قبل ان يخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بعصمته من الناس وبما سيفعله بأمته.

وقد أخرج ابن جرير في معنى الآية عن الحسن البصرى رحمه الله أنه قال: أما في الآخرة فمعاذ الله، قد علم أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل، ولكن قال: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا، أُخرَج كما أخرجت الأنبياء قبلي، أو أُقتل كما قتلت الأنبياء من قبلى، ولا أدري ما يفعل بي ولا بكم، أمتي المكذِّبة أم أمتي المصدِّقة أم أمتي المرميَّة بالحجارة من السماء قذفاً أو مخسوف بها خسفا، ثم أُوحِيَ إليه ﴿ **وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس** ﴾ (الإسراء/٦٠) يقول: أحطت لك بالعرب أن لا يقتلوك فعرف أنه لا يقتل، ثم أنزل الله عز وجل ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً** ﴾ (الفتح/٢٨) يقول: اشهد لك على نفسه أنه سيظهر دينك على الأديان، قال له في امته ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ (الآنفال/٣٣) فاخبره الله ما يصنع به وما يصنع بأمته(١).

---

(١) تفسير الطبري ٢٦/٧.

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾ (الأحقاف/١٥).

* * *

(٣٠٣) قال الإمام عبد الرزاق الصنعاني : أخبرنا ابن جريج قال أخبرني عثمان بن أبي سليمان أن نافع بن جبير أخبره أن ابن عباس أخبره قال : إني لصاحب المرأة التي أُتِيَ بها عمرَ وضعت لستة أشهر فانكر الناس ذلك، فقلت لعمر : لِمَ تُظْلَم فقال كيف ؟ قلت له اقرأ **﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾** وقال **﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ﴾** كم الحول ؟ قال : سنة، قلت : كم السنة ؟ قال : اثنا عشر شهراً، قال قلت : فأربعة وعشرون شهراً حولان كاملان ويؤخر من الحمل ماشاء الله ويقدم فاستراح عمر إلى قولي[1].

بيان الإسناد :

١ ـ ابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز وهو ثقة فاضل فقيه

(١) المصنف ٧/رقم ١٣٤٤٩، كتاب الطلاق، باب التي تضع لستة أشهر.

تقدمت ترجمته وكان يدلس إلا أنه هنا صرح بالسماع[1].

٢ ـ عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم القرشي النوفلي قاضي مكة، ثقة من الطبقة السادسة[2].

٣ ـ نافع بن جبير بن مطعم النوفلي هو عم عثمان بن أبي سليمان، الذى روى عنه هذا الحديث، وهو ثقة فاضل، من الطبقة الثالثة[3].

وبهذا تبين لنا أن هؤلاء الرجال كلهم ثقات وقد سمع بعضهم من بعض فإسناده صحيح[4].

وأخرجه عبد الرزاق أيضاً من طريق الزهري عن سعد بن عبيد مولى عبد الرحمن بن عوف ومن طريق الثوري عن الأعمش عن أبي الضحى عن قائد لابن عباس . . . وذكر نحوه إلا أنه فيه أن القصة في عهد عثمان رضي الله عنه فلعل القصة قد تكررت[5].

بيان المعنى :

قوله تعالى ﴿ **وحمله وفصاله ثلاثون شهراً** ﴾ الفصال هو الفطام وقد استخرج ابن عباس أقل مدة الحمل وهو ستة اشهر من الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى ﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن اراد أن يتم الرضاعة** ﴾.

وقد نبه ابن عباس امير المؤمنين عمر بهذا الحديث إلى أنه إذا

---

(١) انظر الحديث رقم ٢٩.
(٢) التقريب ٢/٩ رقم ٦٧، الكاشف ٢/٢٥٠، الخلاصة/٢٥٩.
(٣) التقريب ٢/٢٩٥ رقم ١٥، الكاشف ٣/١٩٦، الخلاصة/٣٩٩.
(٤) تهذيب التهذيب ٦/٤٠٢ رقم ٨٥٥، ٧/١٢٠ رقم ٢٥٨، ١٠/٤٠٤ رقم ٧٢٧.
(٥) المصنف رقم ١٣٤٤٦ و١٣٤٤٧، كتاب الطلاق، باب التي تضع لستة أشهر.

ذهب من هـذه المدة أربعـة وعشرون شهراً للرضـاع يبقى سـتـة أشهـر للحمل.

وقـد روى أن الذي نبـه عمـر رضي الله عنـه إلى هـذا المعنى هـو علي بن أبي طالب وقد استدل بهاتين الآيتين في رواية واستـدل في رواية أخرى بقوله تعالى في سورة لقمان ﴿ **وفصاله في عامين** ﴾ (١٤)[١].

ولعل هذا المعنى قد فهمه كـل من علي وابن عبـاس وذكراه لعمـر من غير أن يعلم أحدهما بما يحدث به الآخر.

---

(١) مصنف عبـد الرزاق رقم ١٣٤٤٣ و ١٣٤٤٤، كتـاب الطلاق، بـاب التي تضـع لستـة أشهر.

٣ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ﴾ (الاحقاف/٢٤).

* * *

قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : **﴿ عارض ﴾** (٣٠٤)
السحاب[1].

قال الحافظ ابن حجر : وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عنه[2].

بيان المعنى :ـ

قوله تعالى **﴿ فلما رأوه ﴾** أي فلما رأى قوم هود عليه السلام العذاب الذي أرسله الله عليهم على هيئة سحاب قد عرض في الأفق استبشروا وقالوا هذا سحاب سيمطرنا وليس عذاباً كما وعدنا هود عليه السلام، قال تعالى حكاية عن كلام هود عليه السلام **﴿ بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ﴾**.

---

(١) صحيح البخارى، كتاب التفسير، سورة الاحقاف، باب رقم ٢.
(٢) فتح الباري ٨/٥٧٨.

وقال ابن جرير : والعرب تسمى السحاب الذى يرى في بعض أقطار السماء عشيا ثم يصبح من الغد قد استوى وحبا بعضه إلى بعض عارضاً وذلك لعرضه في بعض أرجاء السماء حين نشأ كما قال الأعشى :

يامن يرى عارضاً قد بِتُّ أرمقه كأنما البرق في حافاته الشُّعَل[1]

(١) تفسير الطبرى ٢٦/ ٢٥ .

« سورة محمد »[47]

١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ مثـل الجنـة التي وعـد المتقـون فيهـا أنهار من مـاء غـير آسن ﴾ (محمد/١٥)

* * *

قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ آسـن ﴾ متغير[1] . (٣٠٥)

واخـرجـه ابن جـريـر من طـريق عـلي بن ابي طلحـة عن ابن عباس[2] .

وقـال أبو عبيـدة : الآسن المتغـير الـريـح يقـال : قـد أسن مـاء ركيتك[3] .

وقال ابن جرير : يقول الله تعالى ذكره : في هذه الجنة التي ذكرها أنهار من مـاء غير متغـير الريـح ، يقال منـه : أسن ماء هـذه البئـر إذا تغيرت ريح مائها فأنتنت فهو يأسن أسناً[4] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة محمد صلى الله عليه وسلم .
(٢) تفسير الطبري ٢٦/ ٤٩ .
(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢١٥ .
(٤) تفسير الطبري ٢٦/ ٤٩ .

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ أم حسب الـذين في قلوبهم مـرض أن لن يخـرج الله أضغـانهم ﴾ (محمد/٢٩)

* * *

٣٠٦) قـال الإمـام البخـاري : قـال ابن عبـاس ﴿ أضغـانهم ﴾ حسدهم[١].

قال الحافظ ابن حجر : وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس[٢].

وقال الراغب الاصفهاني : الضِّغن والضَّغن الحقد الشديد[٣]

المعنى : أم حسب الذين في قلوبهم مرض من المنافقين أن لن يبرز الله ما في قلوبهم من الحسد والحقد على المؤمنين فيكشفه للمؤمنين ؟

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة محمد صلى الله عليه وسلم.

(٢) فتح الباري ٨/٥٧٩.

(٣) مفردات الراغب (مادة ضغن).

« ســورة الحجـرات »(٤٩)

ماجاء في قوله تعالى

﴿ ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلنـاكم شعوبـاً وقبائـل لتعــارفــوا إن أكــرمكم عــنــد الله أتقــاكـم إن الله عليـم خبــير ﴾
(الحجرات/١٣)

***

(٣٠٧) قال الإمام البخاري : حدثنا خالـد بن يزيـد الكاهـلي حدثنـا أبو بكر عن ابي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عبـاس رضي الله عنهما **﴿ وجعلنـاكم شعوبـاً وقبائـل لتعارفـوا ﴾** قـال : الشعـوب القبـائـل العظام، والقبائل البطون(١).

وأخـرجه ابن جـرير من طـريق سعيـد بن جبـير عن ابن عبـاس قال : الشعوب الجُمَّاع والقبائل البطون(٢).

وقد تبين لنا من تفسير ابن عباس هذا أن المـراد بالشعـوب الجمع الكبير من الناس الذين ينتسبون إلى أصـل واحد، والقبـائل مـا يتفرع

---

(١) صحيح البخاري رقم ٣٤٨٩، كتاب المناقب، بـاب قول الله تعـالى **﴿ إنا خلقنـاكم من ذكر وأنثى ﴾**.

(٢) تفسير الطبري ٢٦/ ١٣٩ .

عن هذه الشعوب من البطون.

وقد ذكر علماء النسب أقساماً أخرى تتفرع من القبيلة، قال الحافظ ابن حجر: وقد قسمها الزبير بن بكار في «كتاب النسب» إلى شعب ثم قبيلة ثم عِمارة بكسر العين ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة[1].

وذكر الالوسي هذا التقسيم ومثل له فقال: فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ، والعباس فصيلة، ثم قال: وهذا هو الذي عليه أكثر أهل النسب واللغة[2].

وفي هذه الآية أبطل الله جل وعلا شعار التفاخر بالأنساب الذي كان من عادات أهل الجاهلية وتقاليدهم المتوارثة، حيث بين جل وعلا أن الناس جميعاً مخلوقون من ذكر وأنثى هما آدم عليه السلام وحواء، ومادام الأمر كذلك فلا تفاضل بينهم بالنسب، وإنما جعلهم الله شعوباً وقبائل ليتعارفوا فيما بينهم فيصل بعضهم بعضاً بصلة القرابة القريبة أولاً ثم بصلة النسب البعيدة التي تربطهم جميعاً بأب واحد وأم واحدة.

ثم بين الله تعالى الصفة التي بها يتفاضل الناس حقاً وبإمكان كل واحد منهم بلوغها حيث قال تعالى ﴿ **إن اكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ فالتقوى هي مقياس الكرامة والرفعة عند الله تعالى ﴿ **إن الله عليم**

---

(١) فتح الباري ٥٢٨/٦.
والزبير بن بكبار هو أبو عبد الله القرشي الأسدي من أحفاد الزبير بن العوام وهو عالم بالأنساب وأخبار العرب، ولد في المدينة وولى قضاء مكة وتوفي فيها سنة ست وخمسين ومائتين وله تصانيف منها « أخبار العرب وأيامها » و «نسب قريش وأخبارها » انظر « الأعلام للزركلي ٧٤/٣، وتاريخ بغداد ٤٦٧/٨ رقم ٤٥٨٥ ».

(٢) تفسير الالوسي ١٦٢/٢٦.

خبير ﴾ بالمتقين حقاً الذين يستحقون هذه الكرامة عنده تعالى، وعليم خبير بالمقياس العادل الذي به صلاح أمر العباد في الدنيا والآخرة.

« ســورة (ق) »[50]

١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . مـا يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد ﴾ (ق/١٧ ـ ١٨)

* * *

(٣٠٨) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : يكتب الخير والشر[١] .

وأخرجه الحاكم من طريق عكرمة عن ابن عبـاس رضي الله عنهما أنه سئل عن هذه الآية **﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾** قال فقـال ابن عباس : إنمـا يكتب الخير و الشر ، لا يكتب يـا غلام اسرج الفرس ويا غلام اسقني الماء إنما يكتب الخير والشر .

قـال الحاكم : « هـذا حديث عـلى شرط البخاري ولم يخـرجـاه » وسكت عنه الذهبي[٢] .

بيان المعنى :

وقوله تعالى **﴿ إذ يتلقى المتلقيان ﴾** يعني الملكين اللذين وكلهما الله

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب رقم ٥٥ .

(٢) المستدرك ٢/٤٦٥ ، كتاب التغير.

جل وعلا بكتابة أعمال بني آدم .

وقوله ﴿ **قعيد** ﴾ يعني كل واحد منهما ملازم لابن آدم .

وقولـه ﴿ **مـا يلفظ من قـول** ﴾ يعني الخـير والشر كـما قــال ابن عباس .

وقوله ﴿ **إلا لديه رقيب** ﴾ أي ملك يراقب أعمال العباد فلا يـترك شيئاً من خير أو شر إلا كتبه ﴿ **عتيد** ﴾ أي معتد أعمال العباد، والعتيد المُعِدُّ والمُعَدّ[1] .

---

(١) مفردات الراغب (مادة عتد) .

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ **ومن الليل فسبحه وأدبار السجود** ﴾ (ق/٤٠)

* * *

(٣٠٩) قال الإمام البخاري : حدثنا آدم حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قال ابن عباس : أمره أن يسبح في أدبار الصلوات كلها يعني قوله ﴿ **وأدبار السجود** ﴾[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قوله ﴿ **وأدبار السجود** ﴾ قال : هو التسبيح بعد الصلاة.

وفي رواية أخرى من طريق آخر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : كان ابن عباس يقول : التسبيح في أثر الصلوات كلها[٢].

وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال : هما السجدتان بعد صلاة المغرب[٣].

---

(١) صحيح البخاري رقم ٤٨٥٢ ، كتاب التفسير، سورة ق.
(٢) تفسير الطبري ١٨٢/٢٦ .
(٣) تفسير الطبري ١٨١/٢٦ .

وهذا الإسناد ضعيف كما تقدم[1].

وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق عكرمة عن ابن عباس وفي إسناده محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف كما تقدم[2].

كما أخرجه عن ابن عباس مرفوعاً وفي إسناده رشدين بن كريب وهو ضعيف كما تقدم[3].

فالتفسير الأول الذي أخرجه الإمام البخاري أصح عن ابن عباس وهو أنسب لسياق الآية حيث إنه ليس في الآية ما يخصص كون التسبيح بعد صلاة المغرب.

---

(١) انظر حديث رقم (٣٥).

(٢) انظر حديث رقم (٣٧).

(٣) انظر حديث رقم (٢٥).

٣ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ **يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج** ﴾ (ق/٤٢).

* * *

(٣١٠) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ **يوم الخروج** ﴾ يوم يخرجون إلى البعث من القبور[1].

قال الحافظ ابن حجر : وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس[2].

والمراد بالصيحة النفخة الثانية لأنها هي التي يقوم الناس فيها من قبورهم كما في قوله تعالى ﴿ **ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون** ﴾ (الزمر/٦٨).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة (ق).
(٢) فتح الباري ٨/٥٩٤.

« سورة الذاريات » (٥١)

١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ **والسماء ذات الحبك** ﴾ (الذاريات/٧)

* * *

قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ **الحبك** ﴾ استواؤها **(٣١١)**
وحسنها[١] .

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . . وذكر مثله .

وأخرجه أيضاً من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : ذات الخلق الحسن .

وكذلك أخرجه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢] .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر هذين الحديثين وصحح إسنادهما .

وبالنسبة للحديث الأول فيه عطاء بن السائب وقد اختلط .

لكن ذكر ابن حجر أن سماع الثوري منه كان قبل الاختلاط[٣] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير، سورة الذاريات .

(٢) تفسير الطبري ٢٦ / ١٨٩ .

(٣) فتح الباري ٨/ ٦٠١ .

بيان المعنى :

تبين لنا من هذا الحديث أن ابن عباس يفسر ﴿ **الحبك** ﴾ في الآية بالاستواء وحسن الخلقة .

وقد روى هذا التفسير عن عكرمة وقتادة والربيع بن أنس وسعيد بن جبير وروى عن مجاهد قال : المتقن البنيان . ذكر ذلك ابن جرير الطبري[1] .

وذكر الالوسي أقوال هؤلاء المفسرين، ثم قال في توجيه هذا التفسير : وكأن الحبك عليها - يعني على هذه الأقوال - من قولهم حبكت الشيء أحكمته وأحسنت عمله وحبكت العقدة أو ثقتها ، وفرس محبوك المعاقم - وهي المفاصل - أي محكمها[2] .

---

(١) تفسير الطبري ٢٦ / ١٨٩ - ١٩٠ .
(٢) تفسير الألوسى ٢٧ / ٤ .

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ **قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون** ﴾ (الذاريات/١٠ ـ ١١)

* * *

قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ **في غمرة** ﴾ في ضلالتهم يتمادون[١]. **(٣١٢)**

وأخرجه ابن جرير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وذكر مثله، ومن طريق العوفي عن ابن عباس قال : في غفلة لاهون [٢].

بيان المعنى :

قوله تعالى ﴿ **قتل الخراصون** ﴾ قال ابن عباس : لعن المرتابون أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة[٣].

والمقصود بهم أصحاب القول المختلف المذكورون في قوله تعالى

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الذاريات.

(٢) تفسير الطبري ٢٦/١٩٢.

(٣) تفسير الطبري ٢٦/١٩٢.

قبل هذه الآيـة ﴿ **إنكم لفي قول مختلف** ﴾ يعني في القـرآن وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله ﴿ **الذين هم في غمرة ساهون** ﴾ قال ابن عباس في الـرواية الأولى : في ضـلالتهم يتمادون. وقـال في الـروايـة الثـانيـة : في غفلة لاهون.

وكلا التفسيرين مناسب للآية فالتفسير الثاني بيان لواقـع تفكيرهم فهم في حيرة وغفلة عن التفكير في الحق الذي يدعوهم إليه رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم، والتفسـير الأول بيـان للنتيجـة التي آل إليهـا تفكـيرهـم المنحرف حيث أوصلهم إلى الضـلال عن طريق الحق، فهم في هذا الضلال يتمادون كلما تقدم بهم الزمن في عداوتهم للإسلام.

فـالمعنى على هـذا : لعن المرتـابون الـذين يتخرصـون في أقوالهم الكاذبة، فيقولون في القـرآن وفي الرسـول صلى الله عليـه وسلم أقوالاً مختلفة . . يقولون عن القرآن شعر وسحر وكهانة ويقولون عن الرسول صلى الله عليه وسلم شاعر وساحر وكاهن افتراء عـلى الله وعلى رسـوله ورجماً بالظن، فهم في هذه الحيرة يتخبطون وفي هذا الضلال يتـمادون، كلما استحكم العـداء بينهم وبـين رســول الله صـلى الله عليـه وسلم ابتكروا وسائل جديدة في حربه ومحاولة القضاء على دعوته.

« سـورة الطـور »(٥٢)

١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم ﴾ (الطور/٢٨)

* * *

(٣١٣) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ **البر** ﴾ اللطيف[١] .

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢] .

وقال ابن الاثير : « البر » هو العطوف على عباده ببره ولطفه والبر والبار بمعنىً ، وإنما جاء في أسماء الله تعالى «البر» دون البار[٣] .

وهذه الآية مما ذكره الله تعالى من قول المؤمنين بعد دخولهم الجنة ومعناه متعلق بقوله تعالى قبل هذه الآية ﴿ **قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين . فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم** ﴾

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير، سورة الطور.

(٢) تفسير الطبري ٢٧ / ٣٠ .

(٣) النهاية في غريب الحديث (مادة بر)

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ **أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون** ﴾ (الطور/ ٣٠)

* * *

(٣١٤) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ **المنون** ﴾ الموت[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة ومن طريق العوفي عن ابن عباس[٢].

بيان المعنى :

قد فسر ابن عباس المنون في الآية بالموت، وجاء إطلاق هذا اللفظ على الموت في شعر العرب، من ذلك قول أبي الغول الطهوي :

هُمْ منعوا حمى الوَقَبى[٣] بضرب   يؤلف بين أشتات المنون

قال القرطبي : أي المنايا، يقول : إن الضرب يجمع بين قوم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الطور.

(٢) تفسير الطبري ٢٧ / ٣١.

(٣) الوَقَبى ـ بفتح الواو والقاف والباء ـ ماء لبني مالك بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم لهم به حصن كانت لهم به وقائع مشهورة على طريق المدينة من البصرة.
ـ معجم البلدان باب الواو والقاف ـ

متفرقي الأمكنة لو أتتهم مناياهم في أماكنهم لأتتهم متفرقة، فاجتمعوا في موضع واحد فأتتهم المنايا مجتمعة، قال: وقال السُّدِّي عن أبي مالك عن ابن عباس: «ريب» في القرآن شك إلا مكاناً واحداً في الطور ﴿ ريب المنون ﴾ يعني حوادث الأمور(١).

وقال ابن جرير الطبري في بيان سبب نزول هذه الآية: حدثني سعيد بن يحيى الأموي قال حدثني أبي قال حدثنا محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أن قريشاً لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم قال قائل منهم: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء.. زهير والنابغة، انما هو كأحدهم فأنزل الله في ذلك من قولهم ﴿ **أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون** ﴾(٢).

وإسناد هذا الحديث حسن(٣)

---

(١) تفسير القرطبي ١٧/٧٢.
(٢) تفسير الطبري ٢٧/٣١.
(٣) بيان هذا الإسناد:
١ ـ سعيد بن يحيى الاموى ثقة ربما أخطأ من الطبقة العاشرة مات سنة تسع وأربعين ومائتين أخرج له الشيخان وغيرهما (التقريب ١/٣٠٨ رقم ٢٧٩).
٢ ـ وأبوه يحيى بن سعيد بن أبان الأموى الملقب بالجمل، صدوق يغرب، من كبار الطبقة التاسعة، مات سنة أربع وتسعين ومائة، أخرج له الجماعة (التقريب ٢/٣٤٨ رقم ٦٩).
٣ ـ ومحمد بن إسحاق هو صاحب المغازي وهو صدوق اتهم بالتدليس كما سبق لكنه إمام معتبر في المغازي والسير (انظر الحديث رقم ٧).
٤ ـ وعبد الله بن أبي نجيح المكي الثقفي بالولاء، ثقة رمى بالقدر وربما دلس وهو من الطبقة السادسة، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة أو بعدها، اخرج له الجماعة (التقريب ١/٤٥٦ رقم ٦٩٠).
٥ ـ ومجاهد ثقة تقدمت ترجمته انظر الحديث رقم ٢٤.

٣ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ وإن يـروا كسفـاً من السـماء سـاقـطاً يقـولـوا سحـاب مـركـوم ﴾ (الطور/ ٤٤)

* * *

(٣١٥) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ كِسفاً ﴾ قطعاً[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

بيان المعنى :

قوله تعالى ﴿ **وإن يروا كسفـاً من السماء سـاقطاً يقـولوا سحـاب مركوم** ﴾ هذه الآية نزلت في المشركين جواباً لقولهم فيما حكاه الله عنهم بقـوله ﴿ **فـأسقط علينـا كسفـاً من السـماء إن كنت من الصـادقـين** ﴾ (الشعـراء/١٨٧) وقـولـه ﴿ **أو تسقط السـماء كـما زعمـت عليـنـا كسفاً** ﴾(الإسراء/٩٢)

المعنى : وإن تحقق لهم ما طلبوه على سبيل التحدي فلن يصدقـوا

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الطور.
(٢) تفسير الطبري ٣٧/٣٥.

بأنه عذاب نزل عليهم من السماء لشدة جحودهم وعنادهم وتماديهم في الضلال بل سيقولون هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض.

٤ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ﴾ (الطور/٤٩)

* * *

(٣١٦) قال الإمام الترمذي : حدثنا أبو هشام الرفاعي حدثنا محمد بن فضيل عن رشدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إدبار النجوم الركعتان قبل الفجر وإدبار السجود الركعتان بعد المغرب .

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه من حديث محمد بن فضيل عن رشدين بن كريب، وسألت محمد بن إسماعيل عن محمد ورشدين بن كريب أيهما أوثق، قال : ماأقربهما ومحمد عندي أرجح .

قال : وسألت عبد الله بن عبد الرحمن عن هذا فقال : ماأقْرَبهما عندي ورشدين بن كريب أرجحهما عندي .

قال : والقول عندى ماقال أبو محمد، ورشدين أرجح من محمد وأقدم، وقد أدرك رشدين ابن عباس ورآه[١] .

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الطور رقم ٣٢٧٥ .

بيان المعنى :

١ ـ ابو هشام الرفاعي هو محمد بن يزيد بن محمد بن كثير العجلي، قاضي المدائن، ليس بالقوى من صغار الطبقة العاشرة، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين، وروى له مسلم والترمذي وابن ماجه(١).

٢ ـ محمد بن فضيل بن غزوان الضبي بالولاء، أبو عبد الرحمن الكوفي، صدوق عارف، رُمي بالتشيع، من الطبقة التاسعة، مات سنة خمس وتسعين ومائة، روى له الجماعة(٢).

٣ ـ رشدين بن كريب بن أبي مسلم الهاشمي بالولاء، أبو كريب المدني، ضعيف من الطبقة السادسة، روى له الترمذي وابن ماجه(٣).

٤ ـ كريب بن أبي مسلم الهاشمي بالولاء، المدني أبو رشدين مولى ابن عباس، ثقة من الطبقة الثالثة، مات سنة ثمان وتسعين ومائة، روى له الجماعة(٤).

وإسناد الحديث على هذا ضعيف وقد روى موقوفاً على ابن عباس أخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿ **فسبحه وإدبار النجوم** ﴾ قال : هما السجدتان قبل صلاة الغداة(٥). وهذا الإسناد ضعيف كما تقدم.

كما روى موقوفاً عن علي رضى الله عنه أخرجه ابن جرير من

---

(١) التقريب ٢/٢١٩ رقم ٢٢٨، المغني في الضعفاء للذهبي ٢/٦٤٤ رقم ٦٠٨٩.
(٢) التقريب ٢/٢٠٠ رقم ٦٢٨.
(٣) التقريب ٢/٢٥١ رقم ٩٣، الميزان ٢/٤٩ رقم ٢٧٨٠، المغنى في الضعفاء ٢/٢٣٢ رقم ٢١٢٤ المجروحين لابن حبان ١/٣٠٣.
(٤) التقريب ٢/١٣٤ رقم ٤٣.
(٥) تفسير الطبري ٢٧/٣٩.

طريق الحسن البصري عن علي رضى الله عنه في قوله ﴿ **وإدبار النجوم** ﴾ قال : الركعتان قبل صلاة الصبح[1].

وقول « ﴿ **وإدبار السجود** ﴾ الركعتان بعد المغرب » سبق في تفسير سورة «ق» أن الأرجح عموم الآية.

---

(١) تفسير الطبري ٢٧ / ٣٩.

« ســورة النجــم »[٥٣]

١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ مـاكذب الفؤاد مـا رأى. أفتمارونـه على مـا يرى. ولقـد رآه نزلـة أخرى عند سدرة المنتهى ﴾ (النجم/١١ ـ ١٤)

* * *

(٣١٧) قال الامام مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو سعيـد الأشج جميعاً عن وكيع، قال الأشج حدثنا وكيع حدثنـا الأعمش عن زياد بن الحصين أبي جهمة عن أبي العـالية عن ابن عبـاس قال : **﴿ مـا كذب الفؤاد ما رأى. ولقد رآه نزلة أخرى ﴾** قال : رآه بفؤاده مرتين[١].

وأخرج هذه الـرواية الإمـام أحمد من طـريق أبي العاليـة عن ابن عباس[٢].

وأخـرج الإمام مسلم من طـريق عطاء عن ابن عبـاس قال : رآه بقلبه[٣].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب رقم ٧٧، حديث ٢٨٥.
(٢) مسند أحمد ٢/٢٢٣.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب رقم ٧٧، حديث رقم ٢٨٤.

وأخرجه الإمام الترمذي من طريق عكرمة عن ابن عباس(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال: رآه بقلبه صلى الله عليه وسلم (٢).

وقال الإمام الترمذي: حدثنا محمد بن عمرو بن نبهان بن صفوان البصري الثقفي حدثنا يحيى بن كثير العنبري أبو غسان. حدثنا مسلم بن جعفر عن الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه، قلت: أليس الله يقول ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ قال: ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقال: أريه مرتين(٣).

بيان الإسناد :-

١ - محمد بن عمرو بن نبهان بن صفوان البصرى الثقفي، مقبول من الطبقة الحادية عشرة أخرج له الترمذي(٤).

٢ - وأبو غسان يحيى بن كثير العنبري ثقة من الطبقة التاسعة، مات سنة ست ومائتين روى له الجماعة(٥).

٣ - سلم بن جعفر البكراوي قال فيه الأزدي: متروك ولكن قال ابن حجر عنه: صدوق تكلم فيه الأزدي بغير حجة، من الطبقة الثامنة روى له أبو داود والترمذي(٦).

---

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة النجم رقم ٣٢٨١.
(٢) تفسير الطبرى ٢٧/٤٨.
(٣) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة النجم رقم ٣٢٧٩.
(٤) التقريب ٢/١٩٦ رقم ٥٨٥، الكاشف ٣/٨٤، الخلاصة/٣٥٤.
(٥) التقريب ٢/٣٥٦ رقم ١٥٥، الكاشف ٣/٢٦٦.
(٦) التقريب ١/٣١٣ رقم ٣٣١، الكاشف ١/ ٣٨٠، الخلاصة/١٤٦.

٤ ـ والحكم بن ابان العدني صدوق عابد وله أوهام من الطبقة السادسة، مات سنة أربع وخمسين ومائة وكان مولده سنة ثمانين روى له الأربعة والبخاري في جزء القراءة[١].

٥ ـ وعكرمة مولى ابن عباس ثقة تقدمت ترجمته[٢]

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[٣].

ففي إسناد هذا الحديث محمد بن عمرو بن نبهان قال عنه ابن حجر: مقبول وقد ذكر ابن حجر ان المقبول هو من ليس له من الحديث إلا القليل ولم يثبت فيه ما يترك حديثه من أجله مع وجود متابع له أما مع عدم وجود متابع له فيكون لين الحديث[٤]. ولم يذكر فيه الحافظ ابن حجر في التهذيب جرحاً ولا تعديلاً.

وفيه أيضا الحكم بن ابان له أوهام.

فإذا اعتبرنا أن المراد بالرؤية هنا رؤية القلب فإن الحديثين السابقين اللذين أخرجهما الإمام مسلم يشهدان له فيكون إسناده حسناً.

أما على اعتبار أن المراد بالرؤية فيه الرؤية البصرية فإن إسناده يكون ضعيفاً لانفراد محمد بن عمرو بن نبهان به وهو ضعيف حيث لم يتابع عليه ولأن الحكم بن ابان متهم بالوهم، وبالتالي يكون منكراً لأنه ضعيف وخالف الروايات الصحيحة.

---

(١) التقريب ١/١٩١ رقم ٤٧٤، الخلاصة/٨٨، الكاشف ١/٢٤٤.

(٢) انظر ص ١١ رقم ٤.

(٣) تهذيب التهذيب ٩/٣٧٧ رقم ٦١٩، ١١/٢٦٦ رقم ٥٣٦، ٤/١٣٧ رقم ٢١٧، ٢/٤٢٣ رقم ٧٣٦.

(٤) تقريب التهذيب ١/٥.

وقد روى هذا المعنى عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً وذلك فيما أخرجه ابن جرير قال : حدثنا ابن حميد قال حدثنا مهران عن موسى بن عبيدة الحميرى عن محمد بن كعب القرظي عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : قلنا يانبي الله هل رأيت ربك ؟ قال : لم أره بعيني ورأيته بفؤادي مرتين، ثم تلا ﴿ **ثم دنا فتدلى** ﴾(١).

وإسناده ضعيف لأن فيه محمد بن حميد الرازي شيخ الطبري وهو ضعيف(٢)، وموسى بن عبيدة الرَّبَذي ـ بفتح الراء والباء ـ وهو ضعيف(٣).

وقد جاء في تفسير ابن جرير « موسى بن عبيد » بدون تاء والصواب بالتاء « موسى بن عبيدة » لأنه هو الذي يروي عن محمد بن كعب ويروي عنه مهران بن أبي عمر العطار الرازي(٤).

بيان المعنى :ـ

تبين لنا من هذه الروايات عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المرئي في هذه الآيات هو الله جل وعلا والذى رآه هو النبي صلى الله عليه وسلم، وقد جاء في رواية عطاء وأبي العالية اللتين أخرجهما الإمام مسلم تقييد الرؤية بكونها في القلب لا في البصر، أما في رواية عكرمة التي أخرجها الإمام الترمذي فقد جاء إطلاق الرؤية من غير تقييد وهي إن ثبتت محمولة على المقيدة برؤية القلب.

---

(١) تفسير الطبري ٢٧ / ٤٦ .
(٢) انظر الحديث رقم (٣٧).
(٣) انظر الحديث رقم (٦٧).
(٤) انظر تهذيب التهذيب ١٠ / ٣٥٦ رقم ٦٣٦ وتهذيب الكمال (ترجمة موسى بن عبيدة).

قال ابن كثير : وفي رواية عنه - يعني عن ابن عباس أنه أطلق الرؤية وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم[1].

وذهب جمهور المفسرين إلى أن الرؤية من محمد صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام رآه مرتين على صورته التي خلقه الله عليها مرة في الأرض ومرة في السماء ليلة أسري به[2].

وقد روي هذا التفسير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كما أخرج الإمام مسلم من طريق زِرّبن حبيش عنه في قوله تعالى ﴿ **ماكذب الفؤاد ما رأى** ﴾ قال : رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح[3].

كما روى هذا التفسير عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً أخرجه الإمام مسلم من طريق الشعبي عن مسروق قال : كنت متكئاً عند عائشة، فقالت : ياأبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت : ماهن ؟ قالت : من زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال : وكنت متكئاً فجلست فقلت : ياأم المؤمنين أَنظِريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل ﴿ **ولقد رآه بالأفق المبين** ﴾ (التكوير/٢٣) ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ (النجم/١٣) فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إنما هو جبريل لم أره على

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٢٦٧.

(٢) انظر مثلاً تفسير الطبري ٢٧/٤٤ - تفسير ابن كثير ٤/٢٦٦ - تفسير الالوسي ٢٧/٤٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب رقم ٧٦، حديث رقم ٢٨١.

صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيتـه منهبطاً من السـماء سادّاً عِظَم خلقه ما بين السماء والأرض » فقالت : أو لم تسمـع ان الله يقول ﴿ **لا تـدركه الأبصـار وهـو يـدرك الأبصـار وهـو اللطيف الخبـير** ﴾ (الأنعام/١٠٣)، أو لم تسمع أن الله يقول ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم** ﴾ (الشورى/٥١) قالت : ومن زعم أن رسول الله صـلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من الـوحي والله يقول ﴿ **يـاأيها الـرسول بلغ مـا أنزل إليك من ربـك وإن لم تفعل فـما بلغت رسالتـه** ﴾ (المائـدة/٦٧)، قالت : ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقـد أعظم عـلى الله الفريـة والله يقـول ﴿ **قل لا يعلم من في السمـوات والأرض الغيب إلا الله** ﴾ (النمل/ ٧٥)[١].

كما أخرج الإمـام مسلم من طريق عـطاء عن أبي هريـرة في قولـه تعالى ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ قال : رأى جبريل[٢].

وهـذا القول أرجـح لـوروده عن النبي صـلى الله عليـه وسلم من طريق صحيح الإسناد، كما أنه أنسب لسياق الآيـات لأن الله سبحانـه قال في أول هذه السورة ﴿ **علَّمه شديد القوى** ﴾ أي علم محمدا صـلى الله عليـه وسلم هذا القـرآن شديـد القوى وهـو جبريـل عليه السـلام بـاتفاق المفسرين، فكـون الضمائـر في قولـه تعالى بعـد ذلك ﴿ **ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ وفي قوله﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ تعود على المذكور في أول هذه الآيات أولى.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب رقم ٧٧، حديث رقم ٢٨٧.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب رقم ٧٧، حديث رقم ٢٨٣.

وقوله تعالى في هذه الآيات ﴿ **فأوحى إلى عبده ماأوحى** ﴾ يعني فأوحى جبريل عليه السلام إلى عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم ماأوحاه إليه من هذا القرآن، وكون الضمير في قوله ﴿ **عبده** ﴾ يعود على الله تعالى ولم يجر له ذكر في الآيات سائغ لكونه في غاية الظهور[1]

---

(١) انظر تفسير الالوسى ٢٧/ ٤٨ .

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ **أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى** ﴾ (النجم/١٩ ـ ٢٠)

* * *

(٣١٨) قال الإمام البخاري : حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا أبو الأشهب حدثنا أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ **اللات والعزى** ﴾ : كان اللات رجلاً يلت سويق الحاج[١].

بيان المعنى :

قوله تعالى ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى** ﴾ «اللات» صنم في الطائف تعبده قبيلة ثقيف، وقد بين ابن عباس في هذا الحديث أصل هذه الصنم حيث قال : كان اللات رجلاً يلت « سويق الحاج ».

وأخرج سعيد بن منصور والفاكهي عن مجاهد قال : كانت اللات رجلاً في الجاهلية على صخرة بالطائف وكان له غنم فكان يأخذ من رسلها[٢] ويأخذ من زبيب الطائف والأقط فيجعل منه حباً ويطعم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النجم، حديث رقم ٤٨٥٩ .

(٢) يعنى من لبنها ـ النهاية في غريب الحديث ـ مادة رسل .

من يمر من الناس فلما مات عبدوه وقالوا هو اللات، ـ وكان يقرأ «اللاتّ» مشددة[١].

وهذا التفسير ظاهر على قراءة تشديد التاء وهي قراءة ابن عباس، وذكر ابن الجزري أنها رواية «رويس»[٢].

أما على قراءة تخفيف التاء وهي قراءة الجمهور فقال بعض المفسرين إن هذا الأسم مأخوذ من اسم الله تعالى كما أن «العزى» من اسم الله «العزيز»[٣].

ويحتمل أن يكون أصل هذا الاسم بالتشديد ثم خفف لكثرة استعماله وقد ذكر ذلك الحافظ ابن حجر[٤].

فعلى هذا يكون تفسير ابن عباس هذا منطبقاً على القراءتين.

وقد أرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب بعدما أسلم أهل الطائف فهدمها المغيرة بن شعبة[٥].

أما العزى فإنها بيت مبني على ثلاث شجرات من السمر في وادي نخلة وكانت قريش تعبدها ويفتخرون بها كما جاء في قول أبي سفيان

---

(١) الدر المنثور ٦/١٢٦.

(٢) النشر في القراءات العشر ٢/٣٧٩
ورويس هو محمد بن المتوكل أبو عبد الله اللؤلؤي البصري، ذكره ابن الجزري في «غاية النهاية في طبقات القراء ٢/٢٣٤» وقال عنه: «مقرىء حاذق ضابط مشهور أخذ القراءة عرضاً عن يعقوب الحضرمي».
ويعقوب الحضرمي أحد القراء العشرة.

(٣) انظر تفسير الطبري ٢٧/٥٨.

(٤) فتح الباري ٨/٦١٢.

(٥) سيرة ابن هشام ٤/٢٤٤.

يوم أحد « لنا العزى ولا عزى لكم » وقد أرسل إليها رسـول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد عام الفتح فهدمها ، كما أخـرج النسائي وابن مردويه عن أبي الـطفيل قـال : لما فتـح رسول الله صـلى الله عليه وسلم مكة بعث خالـد بن الوليـد إلى نخلة ، وكان بهـا العزى فـأتاهـا خالد وكانت على ثـلاث سمرات فقـطع السمرات وهـدم البيت الذي كان عليها ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال ارجع فإنك لم تصنع شيئاً فـرجع خـالد فلما أبصرتـه السدنـة وهم حجبتها أمعنـوا في الجبل وهم يقولون ياعزى ياعزى فأتاها خالد فإذا امرأة عـريانـة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسهـا فعممها بـالسيف حتى قتلها ثم رجـع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : تلك العزى[١].

أما مناة فهو صنم في «قديد» موضع قرب مكة[٢].

وأخـرج الطبراني وابن مـردويه عن ابن عبـاس رضي الله عنهما أن العزى كانت ببـطن نخلة وأن اللات كـانت بالـطائف وأن مناة كـانت بقديد[٣].

المعنى : أخبروني يا من تعظمون هذه الأصنام وتعبـدونها هل لهـا من القدرة والعظمة وصفات الكمال ما لله جـل وعلا ؟ ! وقـد سمعتم في هذه السورة وغيرها من صفـات الله جل ذكـره ما سمعتم ، وعلمتم من قدرته بمشاهدة مخلوقاته العظيمة مـا علمتم ، فهل لأصنـامكم هذه شيء من ذلك ؟ !

---

(١) الدر المنثور ٦/١٢٦ .
(٢) معجم البلدان (مادة قدد) .
(٣) مجمع الزوائد ٧/١١٥ .

٣ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ الـذين يجتنبون كبـائر الإثم والفـواحش إلا اللمم إن ربك واسـع المغفرة ﴾ (النجم/٣٢).

* * *

(٣١٩) قال الإمام البخاري : حدثني محمود بن غيلان حدثنا عبد الرزاق أخـبرنا معمـر عن ابن طاوس عن أبيـه عن ابن عباس قـال : مارأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالـة : فزنـا العين النـظر، وزنا اللسـان المنطق، والنفس تمني وتشتهي، والفـرج يصـدق ذلك ويكذبه[1].

وأخرجه الإمام مسلم وأبو داود والطبري[2]

(١) صحيح البخاري رقم ٦٦١٢، كتاب القدر، بـاب ﴿**وحرام عـلى قريـة أهلكناهـا أنهم لا يرجعون**﴾ ورقم ٦٣٤٣ كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج.

(٢) صحيح مسلم رقم ٢٥٧ كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره.
سنن أبي داود رقم ٢١٥٢، كتاب النكاح، باب مايؤمر به من غض البصر.
تفسير الطبري ٢٧/٦٥.

بيان المعنى :

قوله ﴿ **والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش** ﴾ وصف للمحسنين الذين سبق ذكرهم في قوله تعالى قبل هذه الآية ﴿ **ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾ وكبائر الإثم عظائم الذنوب.

والفواحش ماعظم قبحه من الأقوال والأفعال(١).

وهي من الكبائر وذكرها بعدها من ذكر الخاص بعد العام للتنفير منها.

وقوله ﴿ **إلا اللمم** ﴾ ذكر ابن عباس في هذا الحديث أن أشبه شيء باللمم زنا العين وهو النظر المحرم وزنا اللسان وهو الكلام بالحرام ورغبة النفس في ارتكاب المحرمات.

وعلى هذا فالاستثناء في الآية منقطع لأن المستثنى من غير جنس المستثنى منه فاللمم من صغائر الذنوب وليس من الكبائر والفواحش.

المعنى : لكن اللمم يغفره الله تعالى ولا يخرج صاحبه من المحسنين إذا اجتنب كبائر الذنوب، كما في قوله تعالى ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً** ﴾ (النساء/ ٣١).

وأخرج ابن جرير من عدة طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : اللمم مادون الحدين : حد الدنيا وحد الآخرة(٢).

يعنى أن المراد به صغائر الذنوب لأن الكبائر هي التي يترتب عليها حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة.

---

(١) مفردات الراغب، مادة «فحش».
(٢) تفسير الطبري ٢٧/ ٦٨.

قال الراغب الأصفهاني في بيان معنى اللمم : واللمم مقاربة المعصية ويعبر به عن الصغيرة، ويقال فلان يفعل كذا لمماً أي حيناً بعد حين وكذلك قوله ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم** ﴾ وهو من قولك : ألممت بكذا أي نزلت به وقاربته من غير مواقعة ويقال : زيارته إلمام أي قليلة[1].

وروى عن ابن عباس في معنى الآية قولان آخران : أولهما ما أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **إلا اللمم** ﴾ قال : إلا ما قد سلف.

وبينه ابن جرير بقوله : إلا اللمم الذي ألموا به من الإثم والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام.

الثاني ما أخرجه ابن جرير والحاكم من طريق عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **إلا اللمم** ﴾ قال : هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب.

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الإمام الذهبي[3].

وأخرجه البيهقي من طريق الحاكم بإسناده وذكر مثله[4].

وقال الهيثمي : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح وجاء في روايته ﴿ **إلا اللمم** ﴾ قال : اللمة من الزنا[5].

---

(١) المفرادات في غريب القرآن مادة «لم».

(٢) تفسير الطبري ٢٧/٦٦ وإسناد هذا الأثر حسن كما تقدم ـ انظر ص ٢.

(٣) تفسير الطبري ٢٧/٨٦ ـ المستدرك ٢/٤٦٩ كتاب التفسير.

(٤) سنن البيهقي ١٠/١٨٥، كتاب الشهادات من تجوز شهادته.

(٥) مجمع الزوائد ٧/١١٥، كتاب التفسير.

ومن هذا تبين لنا أن المروي عن ابن عباس في معنى الآية ثلاثة أقوال :

الأول : أن المراد باللمم صغائر الذنوب .

الثاني : أن المراد به كبائر الذنوب التي عملها المسلمون في جاهليتهم .

الثالث : أن المراد به كبائر الذنوب بعد أن يتوب منها مرتكبها .

والقول الأول أرجح لأنه ليس في الآية ما يقيد المغفرة بالتوبة وما دامت الآية مطلقة فإن اللمم ينصرف إلى الصغائر لأنها هي التي يكفرها الله سبحانه بالامتناع عن الكبائر كما تقدم في آية النساء التي تقدم ذكرها .

٤ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ **وأنه هو أغنى وأقنى** ﴾ (النجم/٤٨)

* * *

(٣٢٠) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس ﴿ **أغنى وأقنى** ﴾ أعطى فأرضى[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس[٢].

وقال الحافظ ابن حجر : وصله ابن أبي حاتم من طريق على بن أبي طلحة عنه[٣].

بيان المعنى :

قوله «فأرضى» تفسير لقوله تعالى ﴿ **وأقنى** ﴾ أي رزق عبده الرضا والقناعة وهذا أعظم ما يقتنيه الإنسان.

قال الراغب الأصفهاني في بيان ذلك : قيل : أقنى أرضى،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النجم.

(٢) تفسير الطبرى ٢٧/٧٦.

(٣) فتح الباري ٨/٦٠٦.

وتحقيق ذلك أنه جعل له قنية من الرضا والطاعة أعظم الغناءين[1].

وقيل أن معنى ﴿ أقنى ﴾ أعطى مايقتني من الأموال ويدخر وهي أصول الأموال. وإفراده بالذكر مع دخوله في الإعناء لأن ما يقتنى ويدخر هو أنفس الأموال، وبهذا قال جمهور المفسرين[2].

ويحتمل أن يحمل كلام ابن عباس على أن المعنى : أعطى عباده مما يقتنون من الأموال حتى أرضاهم.

---

(١) مفردات في غريب القرآن مادة «قنى».

(٢) انظر مثلا تفسير الطبري ٢٧ / ٧٥ ـ تفسير الكشاف ٤ / ٣٤ وتفسير الالوسي ٢٧ / ٦٩.

« سـورة القمـر »(٥٤)

ماجاء في قوله تعالى

﴿ أم يقولون نحن جميع منتصر، سيهزم الجمع ويولون الدبر. بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ (القمر/٤٤ ـ ٤٦).

***

(٣٢١) قال الإمام البخاري : حدثنا محمد بن عبد الله بن حوشب حدثنا عبد الوهاب حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس، وحدثني محمد حدثنا عفان بن مسلم عن وهيب حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر : اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم، فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبك يا رسول الله ألححت على ربك ـ وهو يثب في الدرع ـ فخرج وهو يقول **﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر. بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾**[١].

وأخرجه البيهقي[٢].

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة القمر، حديث رقم ٤٨٧٥ و٤٨٧٧.

(٢) السنن الكبرى ٩/٤٦، كتاب السير باب الاختيار في التحرز.

وقال الحافظ ابن حجر : هذا من مرسلات ابن عباس لأنه لم يحضر القصة، وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عكرمة أن عمر قال : لما نزلت ﴿ **سيهزم الجمع** ﴾ الآية فكأن ابن عباس حمل ذلك عن عمر وكأن عكرمة حمله عن ابن عباس عن عمر، وقد أخرج مسلم من طريق سماك بن الوليد عن ابن عباس حدثني عمر ببعضه اهـ[1].

وهذا الحديث الذي رواه عبد الرزاق أخرجه ابن جرير الطبرى قال : حدثنا ابن عبد الأعلى قال حدثنا ابن ثور عن معمر عن أيوب قال : لا أعلمه إلا عن عكرمة أن عمر قال : لما نزلت ﴿ **سيهزم الجمع** ﴾ جعلت أقول : أى جمع يهزم ؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾[2].

بيان المعنى :

هاتان الآيتان مما نزل في مكة ففيهما وعد للمسلمين بأنهم سينتصرون على أعدائهم وأن جمع أعدائهم سيهزم ويولون الدبر فراراً من المسلمين وأن موعدهم يوم القيامة وأهوال يوم القيامة أشد وأنكى من أهوال الدنيا.

وقد تلا النبي صلى الله عليه وسلم هاتين الآيتين في بداية معركة بدر فكان ذلك بشارة للمسلمين بالنصر على عدوهم، حيث أن فيهما وعداً من الله تعالى بدحر المشركين وهزيمتهم ووعد الله جل وعلا لا

---

(١) فتح الباري ٨/٦١٩.
(٢) تفسير الطبري ٢٧/١٠٨.

يتخلف، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم بتلاوته هذه الآية في تلك المعركة أن مدلول هذه الآية سيتحقق في ذلك اليوم فكان هذا مقوياً للمسلمين في الاندفاع نحو عدوهم، ثم توالت بعد ذلك انتصاراتهم واندحار جموع أعدائهم.

« سورة الرحمن »[55]

١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ والأرض وضعها للأنام ﴾ (الرحمن/١٠)

* * *

قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ الأنام ﴾ الخلق.[1] (٣٢٢)

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[2].

وأخرج ابن جرير أيضاً من طريق العوفي عن ابن عباس قال : كل شيء فيه روح[3].

وفي هذه الرواية بيان المراد بالخلق وهم الإنس والجن وجميع ذوات الأرواح لأنهم هم المنتفعون بهذه الأرض.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب في النجوم رقم ٣. وكتاب التفسير، سورة الرحمن.

(٢) تفسير الطبري ٢٧/ ١١٩.

(٣) تفسير الطبري ٢٧/١١٩.

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ﴾ (الرحمن/١٩ ـ ٢٠)

* * *

(٣٢٣) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس **﴿ برزخ ﴾** حاجز[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

بيان المعنى :

قوله **﴿ مرج البحرين يلتقيان ﴾** مرج بمعنى أرسل كما أخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٣].

وإسناده حسن كما تقدم[٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب في النجوم رقم ٣. وكتاب التفسير، سورة الرحمن.
(٢) تفسير الطبري ٢٧/١٢٩.
(٣) تفسير الطبري ٢٧/١٢٨.
(٤) انظر الحديث رقم ٢.

والبحران هما البحر المالح والحلو، فأما المالح فهو المحيطات ومايتصل بها من بحار مالحة، وأما الحلو فإنه الماء المستقر في باطن الأرض والذي يخرج منها أنهارا وعيوناً وآباراً[1].

وقوله تعالى: ﴿ بينهما برزخ لا يبغيان ﴾ يعني بينهما حاجز من الأرض اليابسة تمنع امتزاجهما إلا في الحال التي يشاء الله فيها ذلك حيث يترتب على ذلك صلاح الأرض، فلو امتزج الماءان دائماً لذهبت خصائص الماء العذب فلم يستطع الناس أن يستفيدوا منه بشرب أو زراعة، ولنقصت خصائص المالح التي أودعها الله فيه.

فالله تعالى يرسل العذاب على المالح فيلتقيان في مصاب الأنهار في البحار والينابيع التي تكون في البحار لكن ذلك كله بحكمة عظيمة وقدر معين بحيث يحتفظ كل واحد منهما بخصائصه التي أودعها الله فيه.

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٩١.

٣ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ **فيهما عينان نضاختان** ﴾ (الرحمن/٦٦).

* * *

(٣٢٤) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس « نضاختان » فياضتان[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال نضاختان بالماء[٢].

وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس أنه قال : نضاختان بالخير[٣].

ولا تعارض بين الروايتين لأن الماء هو مصدر الخير كله.

والضمير في الآية يعود على الجنتين في قوله تعالى ﴿ **ومن دونهما جنتان** ﴾.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الرحمن. وكتاب بدء الخلق، باب صفة الجنة رقم ٨.
(٢) تفسير الطبري ٢٧/ ١٥٦.
(٣) تفسير الطبري ٢٧/ ١٥٧.

٤ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ﴾ (الرحمن/٧٨)

***

قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ **ذى الجلال** ﴾ ذو العظمة[١]. **(٣٢٥)**

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : ذو العظمة والكبرياء[٢].

وقد فسرها ابن عباس على قراءة ﴿ **ذو الجلال** ﴾ وهي قراءة ابن عامر، قال ابن الجزري : واختلفوا في﴿ **ذي الجلال** ﴾ فقرأ ابن عامر ﴿ **ذو الجلال** ﴾ بواو بعد الذال نعتاً للاسم وكذلك هو في المصاحف الشامية، وقرأ الباقون ﴿ **ذي الجلال** ﴾ بياء بعد الذال نعتاً للرب وكذلك هو في مصاحفهم[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الرحمن.

(٢) تفسير الطبرى ٢٧/ ١٦٥.

(٣) النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٨٢.

« ســورة الواقعــة »[56]

ماجاء في قوله تعالى

﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ (الواقعة/٨٢)

* * *

(٣٢٦) ١ ـ قال الإمام البخاري: باب قول الله تعالى ﴿ **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾ قال ابن عباس: شكركم[1].

وأخرجه ابن جرير قال: حدثني يعقوب قال حدثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﴿ **وتجعلون رزقكم** ﴾ يقول: شكركم على ما أنزلت عليكم من الغيث والرحمة: تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا، قال: فكان ذلك منهم كفراً بما أنعم عليهم[2].

ورجال هذا الإسناد ثقات قد سمع بعضهم من بعض كما تقدم في تراجمهم، فهو إسناد صحيح.

ويعقوب هو ابن إبراهيم الدورقي

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب رقم ٢٨.

(٢) تفسير الطبري ٢٧/٢٠٨

وهشيم هو ابن بشير السلمي

وأبو بشر هو جعفر بن إياس.

(٣٢٧) ٢ ـ قال الإمام مسلم : حدثني عباس بن عبد العظيم العنبري حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة (وهو ابن عمار) حدثنا أبو زميل قال : حدثني ابن عباس قال : مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي ى الله عليه وسلم « أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا هذه رحمة الله، وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا، قال فنزلت هذه الآية ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم** ﴾ حتى بلغ ﴿ **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾[١].

وأخرجه أبو عوانه من طريق النضر بن محمد بهذا الإسناد وذكر مثله[٢].

وأخرجه البيهقي من طريق عباس بن عبد العظيم بهذا الإسناد وذكر مثله[٣].

بيان المعنى :

قوله « لقد صدق نوء كدا وكذا » قال الإمام النووي : وأما النوء ففيه كلام طويل قد لخصه الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله فقال : النوء في أصله ليس هو نفس الكوكب فإنه مصدرناء النجم ينوء نوءاً أي سقط وغاب وقيل أي نهض وطلع، وبيان ذلك أن ثمانية وعشرين نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها وهي المعروفة بمنازل القمر الثمانية والعشرين يسقط في كل ثلاث عشرة ليلة منها نجم في

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، حديث رقم ١٢٧.

(٢) مسند أبي عوانة ١/٢٧ باب علامات الإيمان.

(٣) سنن البيهقي ٣/٣٥٨، كتاب صلاة الاستسقاء، باب كراهية الاستمطار بالأنواء.

المغـرب مع طلوع الفجـر ويطلع آخـر يقابله في المشرق من ساعتـه، وكان أهل الجاهلية إذا كان عند ذلك مطر ينسبونه إلى السـاقط الغارب منهما، وقال الأصمعي : إلى الطالع منهما[1].

والمـراد بقولهم « لقـد صدق نـوء كذا وكـذا » وقولهم في الـروايـة الأخرى « تقولون مطرنا بنؤكذا وكذا » ماكان يعتقده أهل الجاهلية من أن النجوم لها تأثير في إنزال المطر، أما من يعتقد أن لنزول المطر أوقـاتاً معينة تكون بعد طلوع بعض النجوم من غير أن يعتقد أن لها تأثيـراً في نزوله فلا يدخل في هذا الحكم بل يعتبر أمراً مباحاً ومما يـدل على ذلـك مـاأخرجـه ابن جريـر قال : حـدثني يـونس قـال أخـبرنـا سفيـان عن محمـد بن إسحاق عن محمـد بن إبـراهيم بن الحـارث التيمى . . . ثم ذكر حديثا عن أبي هريرة في الاستسقاء بالأنواء ثم قـال : وقد أخـبرني من شهـد عمر بن الخـطاب رضي الله عنه وهـو يستسقي فلما استسقى التفت إلى العباس فقال : ياعباس ياعم رسول الله صلى الله عليـه وسلم كم بقى من نوء الثريا ؟ فقال : العلماء بها يرون أنها تعـترض في الأفق بعد سقوطها سبعاً قال فما مضت سابعة حتى مطروا[2].

وهذا الحديث في إسناده ضعف لجهالة الراوي الذي شهد القصة كما أن فيه محمد بن إسحاق لم يصرح بالسماع وهو متهم بالتدليس كـما سبق[3].

قوله « فنزلت هذه الآية ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم** ﴾ قال الإمـام

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١ /٦١.

(٢) تفسير الطبري ٢٧ /٢٠٨.

(٣) انظر الحديث رقم ٧.

النـووي : « قال الشيـخ أبو عمـرو رحمه الله ـ يعني ابن الصـلاح ـ : ليس مـراده أن جميع هـذا نزل في قـولهم في الأنواء فـإن الأمر في ذلـك وتفسيره بأبي ذلك وإنما النازل في ذلك قـوله تعـالى ﴿ **وتجعلون رزقكم أنكم تكـذبون** ﴾ والبـاقي نـزل في غـير ذلـك ولكن اجتمعـا في وقت النزول فذكر الجميع من أجل ذلك، قال الشيخ أبو عمرو رحمـه الله : ومما يدل على هذا أن في بعض الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك الاقتصار على هذا القدر اليسير فحسب »(١).

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١/٦٢.
وقد ذكر الإمام السيوطي ثلاث روايات فيهـا ذكر نـزول قولـه تعالى ﴿ **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾ فقط ـ الدر المنثور ٦/١٦٢ ـ ١٦٣.

« ســورة الحديــد »(٥٧)

ماجاء في قوله تعالى

﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون . ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم . لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيءٍ من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ (الحديد/٢٧ ـ ٢٩) .

* * *

(٣٢٨) قال الإمام النسائي : أخبرنا الحسين بن حريث قال أنبأنا الفضل بن موسى عن سفيان بن سعيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت ملوك بعد عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والإنجيل وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة، قيل لملوكهم مانجد شتما أشد من شتم يشتمنا هؤلاء، إنهم يقرءون **﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم**

الكافرون ﴾ وهؤلاء الآيات مع ما يعيبوننا به في أعمالنا في قراءتهم فادعهم فليقرؤا كما نقرأ وليؤمنوا كما آمنا، فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها، فقالوا : ماتريدون إلى ذلك ؟ دعونا، فقالت طائفة منهم : ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا إليها ثم اعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم، وقالت طائفة منهم : دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة منهم : ابنوا لنا دوراً في الفيافي ونحتفر الآبار ونحترث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم، وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم، قال : ففعلوا ذلك فأنزل الله عز وجل ﴿ **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها** ﴾ والآخرون قالوا : نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم إلا قليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله تبارك وتعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته** ﴾ أجرين بإيمانهم بعيسى وبالتوراة والإنجيل وبإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم، وقال ﴿ **ويجعل لكم نوراً تمشون به** ﴾ القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم، قال ﴿ **لئلا يعلم أهل الكتاب** ﴾ الذين يتشبهون بكم ﴿ **ان لا يقدرون على شيء من فضل الله** ﴾ الآية[١] .

---

(١) سنن النسائى ٨/٢٣١ ، كتاب آداب القضاة، باب تأويل قوله عز وجل ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ .

وأخرجه ابن جرير الطبري بهذا الإسناد وذكر مثله[1].

بيان الإسناد :

١ ـ الحسين بن حريث الخزاعي بالولاء أبو عمار المروزي ، ثقة من الطبقة العاشرة ، مات سنة أربع وأربعين ومائتين أخرج له الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي[2] .

٢ ـ الفضل بن موسى السيناني أبو عبد الله المروزي ، ثقة ثبت وربما أغرب من كبار الطبقة التاسعة ، مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، روى له الجماعة وهو منسوب إلى «سينان» بلد في مرو.[3] .

٣ ـ سفيان بن سعيد الثوري ثقة تقدمت ترجمته[4].

٤ ـ عطاء بن السائب صدوق اختلط وقد تقدمت ترجمته[5].

وسعيد بن جبير ثقة ثبت[6].

فهذا الإسناد فيه عطاء بن السائب في اختلط قد آخر عمره ولكن سفيان الثوري سمع منه قبل الاختلاط كما تقدم في ترجمة عطاء . وهو متصل حيث قد سمع بعضهم من بعض[7] فعلى هذا يكون إسناده حسناً .

---

(١) تفسير الطبري ٢٧ / ٢٣٩ .

(٢) التقريب ١ / ١٧٥ رقم ٣٥٣ ، الخلاصه/٨٣ .

(٣) التقريب ٢ / ١١١ رقم ٥٤ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٢٩٦ رقم ٢٧٨ .

(٤) انظر الحديث رقم (٦٧) .

(٥) انظر الحديث رقم (٢٢) .

(٦) انظر الحديث رقم (١١) .

(٧) تهذيب التهذيب ٢ / ٣٣٣ رقم ٥٩٢ ، ٧ / ٢٨٦ رقم ٥٢٥ ، ٧ / ٢٠٣ رقم ٣٨٥ .

بيان المعنى :

قوله ﴿ **ثم قفينا على آثارهم برسلنا** ﴾ الضمير في قوله ﴿ **آثارهم** ﴾ يعود على رسل الله المذكورين في قوله تعالى قبل هذه الآية ﴿ **ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب** ﴾ وأصل التقفية جعل الشيء في القفا، المعنى ثم أرسلنا بعدهم رسلنا رسولاً بعد رسول(١).

قوله ﴿ **ورهبانية ابتدعوها** ﴾ الرهبانية هي ترك الزواج وإيثار العزلة والانقطاع عن الناس، وقد لجأ إليها بعض النصارى حينما حاول الحكام المعاصرون لهم أن يحملوهم على تحريف دينهم - كما في الحديث السابق - فآثروا العزلة في البراري والجبال حتى يحفظوا دينهم ثم ورثها من بعدهم أناس ليسوا في درجتهم من الإيمان فأغواهم الشيطان بالوقوع في المحرمات فوقعوا فيها وأفسدوا دينهم.

وقوله ﴿ **ماكتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله** ﴾ يعني مافرضناها عليهم لكن ابتدعوها وألزموا أنفسهم بها ابتغاء رضوان الله، فالاستثناء منقطع(٢).

قوله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم** ﴾.

تقدم تفسير ابن عباس لهذه الآية وتبين لنا أنه يرى أنها خطاب لمؤمني أهل الكتاب وأنهم يؤتون أجرهم مرتين مرة لإيمانهم برسولهم

---

(١) تفسير الالوسي ٢٧ / ١٨٩ .
(٢) تفسير الالوسي ٢٧ / ١٩١ .

وبكتابهم ومرة لإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وماجاء به من عند الله تعالى .

وقـولـه ﴿ **يؤتكم كفلين من رحمتـه** ﴾ يعني يعـطكم ضعفـين من الأجر، وأصل الكفل مايكتفل به الراكب فيحبسه ويحفظه من السقوط فالكفل من رحمة الله يحصن من عذاب الله كـما يحصن الكفل الـراكب من السقوط. ذكره ابن جرير الطبري(١) .

وقوله ﴿ **لئلا يعلم أهل الكتـاب ألا يقدرون عـلى شيء من فضل الله** ﴾ أي لكى يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضـل الله فيعطونه من شاءوا ويحرمونه من شـاءوا و «لا» في قولـه ﴿ **لئـلا** ﴾ مـزيدة لتـأكيد الإنكـار عليهم في اعتقادهم هـذا. وذكر ابن جـرير أن العرب تجعل «لا» صلة في كلام دخل في أوله أوآخره جحد غير مصرح بـه، ثم مثل لـه بقـولـه تعـالى ﴿ **مـامنعـك ألّا تسجـد إذ أمـرتـك** ﴾ (الأعراف/١٢) يعني أن تسجد وقوله ﴿ **وما يشعركم أنها إذا جـاءت لا يؤمنـون** ﴾ (الأنعام/١٠٩) يعني يؤمنـون وقولـه ﴿ **وحـرام عـلى قـريـة أهلكناها أنهم لا يرجعون** ﴾ (الأنبياء/٩٥) يعني أنهم يرجعون(٢) .

---

(١) تفسير الطبري ٢٧/٢٤٢ .

(٢) تفسير الطبري ٢٧/٢٤٦ .

« ســورة الحشـر »(٥٩)

ماجاء في قوله تعالى

﴿ ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ﴾ (الحشر/٥).

* * *

(٣٢٩) قال الإمام الترمذي : حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني حدثنا عفان بن مسلم حدثنا حفص بن غياث حدثنا حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل : **﴿ ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها ﴾** قال : اللينة النخلة **﴿ وليخزي الفاسقين ﴾** قال : استنزلوهم من حصونهم، قال : وأمروا بقطع النخل فحكَّ ذلك في صدورهم، فقال المسلمون قد قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً فلنسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لنا فيما قطعنا من أجر وهل علينا فيما تركنا من وزر ؟ فأنزل الله عز وجل **﴿ ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها ﴾** الآية.

قال ابو عيسى : هذا حديث حسن غريب(١).

(١) سنن الترمذي ٩/١٩٥، كتاب التفسير، سورة الحشر، رقم ٣٣٠٣.

بيان الإسناد :ـ

١ ـ الحسن بن محمد هو أبو علي الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني البغدادي صاحب الشافعي وقد شاركه في الطبقة الثانية من شيوخه، وهو ثقة، من الطبقة العاشرة، مات سنة ستين ومائتين أو قبلها بسنة، روى له البخاري والأربعة وهو منسوب إلى « الزعفرانية » قرية بقرب بغداد[١].

٢ ـ عفان بن مسلم هو أبو عثمان بن مسلم بن عبد الله الباهلي الصفار البصري وهو ثقة حافظ ثبت، قال ابن المديني : كان إذا شك في حرف تركه وربما وهم، وقال ابن معين : أنكرناه في صفر سنة تسع عشرة ومائتين ومات بعدها بيسير، من كبار الطبقة العاشرة[٢].

٣ ـ حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي أبو عمر الكوفي القاضي ثقة فقيه حافظ تغير حفظه قليلاً في الآخر، من الطبقة الثامنة، مات سنة أربع أو خمس وتسعين ومائة وقد قارب الثمانين، أخرج له الجماعة[٣].

وحبيب بن أبي عمرة القصاب أبو عبد الله الحماني ثقة تقدمت ترجمته[٤].

وسعيد بن جبير ثقة ثبت[٥].

---

(١) التقريب ١/١٧٠ رقم ٣١٥، تذكرة الحفاظ ١/٥٢٥ رقم ٥٤٣، اللباب في تهذيب الأنساب ٢/٦٩.
(٢) التقريب ٢/٢٥ رقم ٢٢٦، تذكرة الحفاظ ١/٣٧٩ رقم ٣٧٨.
(٣) التقريب ١/١٨٩ رقم ٤٦٥، تذكرة الحفاظ ١/٢٩٧ رقم ٢٧٩.
(٤) انظر الحديث رقم (٢٧١).
(٥) انظر الحديث رقم (١١).

فهؤلاء الرجال كلهم ثقات وقد سمع بعضهم من بعض[1] فإسناده على هذا صحيح .

بيان المعنى :

هذه الآية ضمن آيات نزلت في يهود بني النضير وذلك حينما خانوا الله ورسوله وحاولوا الغدر بالنبي صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم رسول الله بأصحابه وحاصرهم حتى رضوا بالجلاء عن المدينة فأجلاهم منها[2] .

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقطع نخيلهم فقطعوا بعضها وتركوا البعض الآخر ثم إنهم تحرجوا من ذلك كما في الرواية السابقة عن ابن عباس فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لهم من أجر فيما قطعوا وهل عليهم من وزر فيما تركوا ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقوله تعالى ﴿ **وليخزي الفاسقين** ﴾ أي أذن عز وجل بقطع بعض النخل وترك بعضها ليذل بذلك اليهود الخارجين عن طاعة الله تعالى ، وإذلالهم بقطع النخل لحسرتهم على ذهابها بأيدي أعدائهم المسلمين ، وبتركها لحسرتهم على بقائها في أيدي أعدائهم[3] .

---

(١) تهذيب التهذيب ٢/٣١٨ رقم ٥٥٢ ، ٧/٢٣٠ رقم ٤٢٣ ، ٢/٤١٥ رقم ٧٢٥ ٢/١٨٨ رقم ٣٤٥ .
(٢) انظر تفصيل ذلك في سيرة ابن هشام ٣/٢١٩ .
(٣) تفسير الالوسي ٢٧/٤٣ .

سـورة الممتحنـة »(٦٠)

ماجاء في قوله تعالى

﴿ ياأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك علـى أن لا يشركن بالله شيئـاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتـان يفترينـه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معـروف فبايعهن واستغفـر لهن الله إن الله غفور رحيم ﴾ (الممتحنة/١٢).

* * *

(٣٣٠) قال الإمام البخاري : حدثنـا عبد الله بن محمـد حدثنـا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت الزبير عن عكـرمة عن ابن عبـاس في قوله تعالى **﴿ ولا يعصينك في معـروف ﴾** قال : إنمـا هو شرط شرطـه الله للنساء[١] .

بيان المعنى :

قوله : إنما هو شرط شرطه الله للنساء « قـال الحافظ ابن حجـر : يعني على النساء »[٢] .

---

(١) صحيح البخارى، كتاب التفسير، سورة الممتحنة، حديث رقم ٤٨٩٣ .

(٢) فتح الباري ٦٣٩/٨ .

وأخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **ولا يعصينك في معروف** ﴾ قال : لا ينحن[1].

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى قال حدثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ﴿ **ولا يعصينك في معروف** ﴾ قال : هو النوح أخذ عليهن لا ينحن ولا يخلون بحديث الرجال إلا مع ذي محرم، قال فقال عبد الرحمن بن عوف : إنا نغيب ويكون لنا أضياف، قال : ليس أولئك عنيت[2].

وهذا إسناد صحيح إلى قتادة ورجاله ثقات تقدمت تراجمهم ولكنه مرسل حيث سقط منه اسم الصحابي الذي رواه.

---

(١) تفسير الطبري ٢٨ / ٦٨.

(٢) تفسير الطبري ٢٨ / ٧٩.

« سورة الصف »(٦١)

ماجاء في قوله تعالى

﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾ (الصف/٤).

* * *

(٣٣١) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : **﴿ مرصوص ﴾** ملصق بعضه ببعض(١).

قال الحافظ ابن حجر : وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن ابن عباس في قوله **﴿ كأنهم بنيان مرصوص ﴾** : مثبت لا يزول ملصق بعضه ببعض(٢).

بيان المعنى :

المعنى : أن الله يحب الذين يقفون للقتال في سبيله صفاً قد التحم بعضهم ببعض كالتحام لبنات البناء فلا يستطيع الأعداء أن ينفذوا من بينهم فيفرقوا شملهم، ولا يكون هذا إلا ممن ابتغى وجه الله تعالى فثبت في وجه أعدائه وكان الموت في سبيل الله أحب إليه من الحياة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الصف.

(٢) فتح الباري ٨/٦٤١

« ســورة التغابــن »(٦٤)

ماجاء في قوله تعالى

﴿ يــاأيهــا الــذين آمنــوا إن من أزواجكـم وأولادكم عــدواً لـكم فـاحذروهم وإن تعفـوا وتصفحوا وتغفـروا فـإن الله غفـور رحيم ﴾ (التغابن / ١٤).

* * *

(٣٣٢) قـال الإمام الـترمذي : حـدثنا محمـد بن يحيى حـدثنـا محمـد بن يـوسف حدثنـا إسرائيل حـدثنا سماك بن حرب عن عكـرمـة عن ابن عباس رضي الله عنهما وسأله رجل عن هذه الآية **﴿ ياأيهـا الذين آمنـوا إن من أزواجكم وأولادكم عـدواً لكم فـاحـذروهم ﴾** قـال : هؤلاء رجال أسلموا من أهـل مكة وأرادوا أن يـأتوا النبي صلى الله عليـه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعـوهم أن يأتـوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليـه وسلم رأوا الناس قـد فقهوا في الـدين همـوا أن يعاقبـوهم فأنـزل الله **﴿ ياأيهـا الذين آمنـوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحـذروهم وإن تعفوا وتصفحـوا وتغفروا فـإن الله غفور رحيم ﴾** .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح[1].

بيان الإسناد :

١ ـ محمد بن يحيى هو الإمام أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلي بالولاء النيسابوري، وهو ثقة حافظ جليل، اعتنى بحديث الإمام الزهري وتعب فيه، وكان الإمام أحمد يجله ويقدره، وهو من الطبقة الحادية عشرة مات سنة ثمان وخمسين ومائتين على الصحيح وله ست وثمانون سنة، أخرج له الإمام البخاري والأربعة[2].

٢ ـ محمد بن يوسف هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن واقد الضبي بالولاء الفريابي، نسبة إلى «فارياب» بليدة بنواحي بلخ، وهو ثقة عابد، يقال أخطأ في شيء من حديث سفيان وهو مقدم فيه مع ذلك عندهم على عبد الرزاق، من الطبقة التاسعة، مات سنة اثنتي عشرة ومائتين وقد أخرج له الجماعة[3].

٣ ـ إسرائيل هو ابن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، ثقة تقدمت ترجمته[4].

٤ ـ سماك بن حرب بن أوس الذهلي أبو المغيرة، صدوق وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة وقد تغير بأخرة فكان ربما يلقن[5].

---

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة التغابن رقم ٣٣١٧
المستدرك ٢/٤٩٠، كتاب التفسير، سورة التغابن.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/٥٣٠ رقم ٥٤٩، التقريب ٢/١١٧ رقم ٨٠٩

(٣) التقريب ٢/٢٢١ رقم ٨٤٤، تذكرة الحفاظ ١/٣٧٦ رقم ٣٧٢.

(٤) انظر الحديث رقم (٥).

(٥) انظر الحديث رقم (٥).

٥ ـ وعكرمة ثقة ثبت كما تقدم[١].

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض[٢].

وبهذا تبين لنا أن في إسناد هذا الحديث سماك بن حرب حيث أن روايته عن عكرمة مضطربة وقد روى هذا الحديث عن عكرمة، ولكن أخرجه الإمام ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس . . وذكر نحوه[٣].

وهذه الرواية ضعيفة الإسناد كما تقدم[٤] ولكنها تقوي رواية سماك بن حرب وتبين أن روايته هذه ليس فيها اضطراب فيكون الإسناد حسناً كما ذكر الإمام الترمذي، وباعتضاده برواية الطبرى يصبح الحديث صحيحاً لغيره.

وأخرجه ابن جرير أيضاً والحاكم من طريق سماك بن حرب عن عكرمة وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الإمام الذهبي[٥].

بيان المعنى :

من هذا الحديث الذي بين لنا سبب نزول الآية تبين لنا أن المقصود من العداوة في الآية عداوة الدين وذلك أن محبة الأزواج والأولاد قد تكون سبباً في فتنة الرجل عن دينه إذا لم يكونوا ملتزمين بالإسلام، وقد أمرنا الله جل وعلا بأن نأخذ الحذر منهم حتى لا يكونوا

(١) انظر الحديث رقم (٥).
(٢) تهذيب التهذيب ٩/٥١١ رقم ٨٤١، ٩/٥٣٥ رقم ٨٧٨، ٤/٢٣٢ رقم ٣٩٥.
(٣) تفسير الطبري ٢٨/١٢٤.
(٤) انظر الحديث رقم (٣٥).
(٥) المستدرك، كتاب التفسير، سورة التغابن ٢/٤٩٠.

سبباً في التقاعس عن تنفيذ التكاليف الشرعية التى أمرنا الله بها .

وقد أرشدنا الله بعد ذلك إلى العفو عنهم وعدم مؤاخذتهم إذا ثابوا إلى رشدهم فإن في ذلك عوناً لهم على الالتزام بدينهم والثبات عليه .

« سـورة الـطلاق »[٦٥]

١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ يـاأيها النبي إذا طلقتم النسـاء فطلقـوهن لعـدتهن وأحصـوا العـدة واتقـوا الله ربكم لا تخرجـوهن من بيـوتهن ولا يخـرجن إلا أن يـأتـين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعـد حدود الله فقـد ظلـم نفسه لا تدري لعلَّ الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾ (الطلاق/١).

* * *

(٣٣٣) ١ ـ قـال الإمام النسـائى : أخبرنـا محمد بن بشـار قال : حـدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن الحكم قال سمعت مجاهـداً يحدث عن ابن عبـاس رضي الله عنهما في قـوله عـز وجـل **﴿ يـاأيهـا النبي إذا طلقتم النساء فطلقـوهن لعدتهن ﴾** قـال ابن عباس رضي الله عنهـما : قُبُلِ عدتهن[١].

وأخرجه ابن جرير بهذا الإسناد وذكر مثله[٢].

---

(١) سنن النسائي ٦/ ١٣٩ ـ ١٤٠، كتاب الطلاق، باب وقت الطلاق للعدة.
(٢) تفسير الطبري ٢٨/ ١٢٩.

بيان الإسناد :

١ ـ محمد بن بشار هو أبو بكر العبدى «بندار» وهو ثقة تقدمت ترجمته[١].

٢ ـ محمد بن جعفر هو أبو عبد الله محمد بن جعفر الهذلي بالولاء المدني البصري، اشتهر بلقبه «غُنْدَر» وكان ابن جريج لقبه به لكونه شغب عليه، وكان أهل الحجاز يسمون المشغب غندرا، وهو حافظ ثقة صحيح الكتاب إلا أن فيه غفلة، من الطبقة التاسعة، مات سنة ثلاث أو أربع وتسعين ومائتين، وقد أخرج له الجماعة[٢].

٣ ـ شعبة هو ابن الحجاج وهو ثقة حافظ متقن، وقد تقدمت ترجمته[٣].

٤ ـ الحكم هو ابن عتيبة أبو محمد الكندي الكوفي، ثقة ثبت فقيه حافظ إلا أنه ربما دلس، وهو من الطبقة الخامسة، مات مابين ثلاث عشرة إلى خمس عشرة بعد المائة وقد أخرج له الجماعة[٤].

٥ ـ مجاهد بن جبر ثقة تقدمت ترجمته[٥].

فهؤلاء الرجال كلهم ثقات وقد سمع بعضهم من بعض[٦] فإسناد الحديث على هذا صحيح.

(٣٣٤) ٢ ـ قال الإمام الدارقطني : حدثنا دعلج حدثنا الحسن بن سفيان

---

(١) انظر الحديث رقم (٣٦).

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٠ رقم ٢٨١، التقريب ٢/ ١٥١ رقم ١٠٨، التهذيب ٩/ ٩٦ رقم ١٢٩.

(٣) انظر الحديث رقم (٣٦).

(٤) التقريب ١/ ١٩٢ رقم ٤٩٤، تذكرة الحفاظ ١/ ١١٧ رقم ١٠٢.

(٥) انظر الحديث رقم (٢٤).

(٦) تهذيب التهذيب ٩/ ٧٠ رقم ٨٧، و ٩٦ رقم ١٢٩، و ٢/ ٤٣٢ رقم ٧٥٦.

حدثنا حِبَّان حدثنا ابن المبارك أخبرنا سيف عن مجاهد قال : جاء رجل من قريش إلى ابن عباس فقال : ياابن عباس إني طلقت امرأتي ثلاثاً وأنا غضبان، فقال : إن ابن عباس لا يستطيع أن يحل لك ماحرم عليك عصيت ربك وحرمت عليك امرأتك إنك لم تتق الله فيجعل لك مخرجا، ثم قرأ ﴿ **إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قُبُلِ عدتهن** ﴾ طاهراً من غير جماع، قال سيف : وليس طاهراً من غير جماع في التلاوة ولكنه تفسيره[1].

بيان الإسناد :

١ ـ دعلج هو أبو إسحاق دعلج بن أحمد بن دعلج السجزي إمام فقيه محدث قال الإمام الدارقطني : لم أر في مشايخنا أثبت منه، وقد صنف «المسند الكبير»[2].

٢ ـ والحسن بن سفيان هو الإمام الحافظ أبو العباس الشيباني النسوي صاحب المسند الكبير والأربعين، قال الحاكم : كان محدث خراسان في عصره متقدماً في الثبت والكثرة والفهم والفقه والأدب، وقال ابن حبان : كان الحسن ممن رحل وصنف وحدث على تيقظ مع صحة الديانة والصلابة في السنة[3].

٣ ـ وحِبَّان بكسر الحاء وتشديد الباء ـ هو ابن موسى بن سوار ـ بفتح أوله وثانيه مشددا ـ السلمى أبو محمد المروزي، وهو ثقة من الطبقة العاشرة، مات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين أخرج له البخاري

---

(١) سنن الدار قطني ٤/١٣ رقم ٢٨ كتاب الطلاق.

(٢) تذكرة الحفاظ ٣/٨٨٢ رقم ٨٥٠.

(٣) انظر تذكرة الحفاظ ٢/٧٠٣ رقم ٧٢٤.

ومسلم والترمذي والنسائي[1].

٤ ـ وابن المبارك هو الإمام عبد الله بن المبارك الروزي، وهو ثقة ثبت عالم جواد مجاهد، جمعت فيه خصال الخير، من الطبقة الثامنة، مات سنة إحدى وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة، أخرج له الجماعة[2].

٥ ـ وسيف هو ابن أبي سليمان المخزومي المكي، وهو ثقة ثبت رمي بالقدر، مات سنة خمسين ومائة، من الطبقة السادسة، روى له البخاري في الأدب المفرد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة[3].

ومجاهد ثقة إمام تقدمت ترجمته[4].

فرجال هذا الحديث ثقات وقد سمع بعضهم عن بعض[5].

وعلى هذا فإسناده صحيح.

(٣٣٥) ٣ ـ قال الإمام أبو داود السجستاني : حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا إسماعيل أخبرنا أيوب عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال : كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال إنه طلق امرأته ثلاثاً قال : فسكت حتى ظننت أنه رادها إليه، ثم قال : ينطلق أحدكم فيركب الحموقة ثم يقول ياابن عباس ياابن عباس وإن الله قال ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً** ﴾ وإنك لم تتق الله فلم أجد لك مخرجاً عصيت ربك

---

(١) الكاشف ١/٢٠١ رقم ٩٠٨ ـ التقريب ١/١٤٧ رقم ٩٩.

(٢) التقريب ١/٤٤٥ رقم ٥٨٣ تذكرة الحفاظ ١/٢٧٤ رقم ٢٦٠.

(٣) الكاشف ١/٤١٥ رقم ٢٢٤٣ ـ التقريب ١/٣٤٤ رقم ٦٣١.

(٤) انظر الحديث رقم ٢٤.

(٥) تذكرة الحفاظ ٣/٨٨٢، ٢/٧٠٣ تهذيب التهذيب ٢/١٧٤ رقم ٣١٥، ٤/٢٩٤ رقم ٥٠٥.

وبـانت منك امـرأتك وإن الله قـال ﴿ يـاأيهـا النبي إذا طلقتم النسـاء فطلقوهن ﴾ في قبل عدتهن[١].

بيان الإسناد :

١ ـ حميد بن مسعدة بن المبارك الباهلي صدوق من الطبقة العاشرة مات سنة أربع وأربعين ومائتين روى له مسلم والأربعة[٢].

٢ ـ إسماعيل هو أبو بشر إسماعيل بن إبـراهيم بن مقسم الأسدي بـالولاء البصري المعـروف بابن عليـة، و«عليـة» هي أمـه، وهـو ثقـة حافظ، من الطبقة الثامنة مات سنة ثلاث وتسعين ومائـة، وقد أخـرج له الجماعة[٣].

٣ ـ أيوب هو الإمام أبو بكر أيوب بن أبي تميمة السجستاني، وهو ثقـة حـافظ ثبت حجـة من كبـار الفقهـاء العبـاد، وهـو من الـطبقـة الخامسة، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة وله خمس وستـون سنة، وقـد أخرج له الجماعة[٤].

٤ ـ عبـد الله بن كثير الـداري أبو معبـد القارىء، أحـد الائمة، صـدوق، من الطبقـة السادسـة، مات سنـة عشرين ومـائـة روى لـه الجماعة[٥] وقد وثقه الإمام الذهبي[٦].

---

(١) سنن أبي داود، كتـاب الطلاق بـاب نسخ المراجعة بعـد التـطليقـات الثـلاث رقم ١٠ حديث رقم ٢١٩٧.

(٢) التقريب ١/٢٠٣ رقم ٦١١ ـ الكاشف ١/٢٥٧ رقم ١٢٦٦.

(٣) تذكرة الحفاظ ١/٣٢٢ رقم ٣٠٢، التقريب ١/٦٥ رقم ٤٧٦.

(٤) تذكرة الحفاظ ١/١٣٠ رقم ١١٧، التقريب ١/٨٩ رقم ٦٨٨.

(٥) التقريب ١/٤٤٢ رقم ٥٦٠.

(٦) الكاشف ٢/١٢١ رقم ٢٩٥٨.

٥ ـ مجاهد بن جبر ثقة تقدمت ترجمته[١].

ورجال هذا الحديث قد سمع بعضهم من بعض[٢] وهم ثقات ماعدا عبد الله بن كثير الداري فهو صدوق على قول الحافظ ابن حجر، وبناء على هذا يكون الحديث حسن الإسناد ولكن يقويه الإسناد السابق فيرتفع إلى الصحة ويكون صحيحاً لغيره وعلى رأي الإمام الذهبي في عبد الله بن كثير الحديث صحيحا لذاته. وما ذكره الحافظ لذاته. وماذكره الحافظ الذهبي أولى بالاعتبار لأن عبد الله بن كثير قد أخرج له الشيخان وقد وثقه ابن المديني وابن سعد ولم يجرحه أحد[٣].

(٣٣٦) ٤ ـ أخرج عبد الرزاق عن ابن عيينة عن محمد بن عمرو بن علقمة عن محمد بن إبراهيم التيمي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **الا أن يأتين بفاحشة** ﴾ قال: هو أن تبذو على أهله[٤].

بيان الإسناد:

١ ـ ابن عيينة ثقة إمام تقدمت ترجمته[٥].

٢ ـ محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي صدوق له أوهام من الطبقة السادسة مات سنة خمس وأربعين ومائة على الصحيح، روى له الجماعة إلا أن البخاري روى له مقروناً بغيره ومسلم روى له

---

(١) انظر الحديث رقم (٢٤).
(٢) تهذيب التهذيب ٣/ ٤٩ رقم ٨٣، ٥/ ٦٣٧ رقم ٦٣٤، ١/ ٢٧٥ رقم ٥١٣، و٣٩٧ رقم ٧٣٣، تذكرة الحفاظ ١/ ١٣٠ ورقم ١١٧.
(٣) انظر التهذيب ٥/ ٣٦٧.
(٤) مصنف عبد الرزاق ٦ رقم ١١٠٢٢.
(٥) انظر الحديث رقم (١٧).

في المتابعات[1].

٣ ـ محمد بن إبراهيم بن الحاديث التيمى، ثقة فقيه، من الطبقة الرابعة، مات سنة عشرين ومائة على الصحيح، وقد أخرج له الجماعة[2].

وقد جاء اسمه في مصنف عبد الرزاق «إبراهيم التيمى» وهو خطأ وصوابه محمد بن إبراهيم التيمي لأن محمد بن إبراهيم التيمى هو الذى يروى عن ابن عباس ويروى عنه محمد بن علقمة بن وقاص، وقد جاء اسمه على الصواب في رواية ابن جرير الطبري حيث أخرج هذا الحديث من طريق شيخه محمد بن العلاء قال حدثنا ابن إدريس حدثنا محمد بن عمرو عن محمد بن إبراهيم عن ابن عباس وذكر مثله[3].

وهذا الإسناد متصل إلى محمد بن إبراهيم التيمي[4] ولكن قيل إنه لم يسمع من ابن عباس[5] فيكون اتصال الإسناد على هذا أمراً مشكوكاً فيه، ويكون الإسناد ضعيفاً حتى يثبت اتصاله، كما أن فيه محمد بن عمرو بن علقمة قد اتهم بالوهم في بعض الأحاديث.

بيان المعنى :

قوله «في قَبُلِ عدتهن» جاءت هذه الرواية ضمن الآية على أنها

---

(١) تقريب التهذيب ٢/١٩٦ رقم ٥٨٣.
(٢) تذكرة الحفاظ ١/١٢٤ رقم ١٠٨، التقريب ١/١٤٠ رقم ٤.
(٣) تفسير الطبري ٢٨/١٣٣.
(٤) تهذيب التهذيب ٤/١١٧ رقم ٢٠٥ ـ ٩/٣٧٥ رقم ٦١٧ و ٥ رقم ٨، تذكرة الحفاظ ١/١٢٤ رقم ١٠٨.
(٥) تهذيب التهذيب ٩/٦.

قراءة أخرى وقد نسبت هذه القراءة لابن عباس أخذاً من هذه الرواية وهي وإن صح سندها قراءة شاذة لمخالفتها لرسم مصحف عثمان رضي الله عنه، وموافقة الرسم العثماني أحد شروط القراءة المعتبرة(١).

وقال ابن الاثير في بيان معنى هذه الجملة : قُبُلُ الشيء ماأقبل منه أي فطلقوهن مستقبلات عدتهن(٢).

وأخرج ابن جرير في بيان معنى الآية من طريق داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس : أنه كان يرى طلاق السنة طاهرا من غير جماع وفي كل طهر، وهي العدة التى أمر الله بها(٣).

وأخرج الإمام مسلم في بيان العدة التي أحل الله أن يطلق لها النساء عن ابن عمر قال : طلقت امرأتي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مره فليراجعها ثم ليدعها حتى تطهر ثم تحيض حيضة أخرى فاذا طهرت فليطلقها قبل أن يجامعها أو يمسكها فإنها العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء »(٤).

وقوله تعالى ﴿ **إلا أن يأتين بفاحشة مبينة** ﴾ قال ابن عباس في الحديث الرابع : « هو أن تبذو على أهله » يعنى أن تستطيل عليهم بلسانها وتسيء معاملتهم، وقوله تعالى ﴿ **مبينة** ﴾ يوضح أن المراد بالإيذاء أن يكون ظاهر الضرر، أما الإيذاء البسيط فإنه لا يدعو إلى خروج المطلقة من بيتها لأنه يقع كثيراً في البيوت.

---

(١) انظر كتاب «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري ١/٩ و «البرهان في علوم القرآن» للزركشي ١/٣٣١.

(٢) جامع الأصول ٢/٣٩٧.

(٣) تفسير الطبري ٨/١٢٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، رقم ٢.

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً ﴾ (الطلاق/٤).

* * *

(٣٣٧) ١ ـ أخرج عبدالرزاق الصنعاني عن ابن جريج عن عطاء قال: كان ابن عباس يقول: إن طلقها حاملاً ثم توفي عنها فآخر الأجلين أو مات عنها وهي حامل فآخر الأجلين، قيل له **﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾** قال: ذلك الطلاق[١].

بيان الإسناد:

١ ـ ابن جريج هو عبدالملك بن عبدالعزيز وهو ثقة فقيه فاضل إلا أنه يدلس ويرسل وقد تقدمت ترجمته[٢].

٢ ـ عطاء هو ابن أبي رباح وهو ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال وقد تقدمت ترجمته[٣].

---

(١) المصنف ٦/رقم ١١٧١٢.

(٢) انظر الحديث رقم ٢٩.

(٣) انظر الحديث رقم ٦٦.

ففي هذا الإسناد ابن جريج وهو مدلس من الطبقة الثالثة من طبقات المدلسين وأكثر العلماء لا يحتجون بأحاديث هؤلاء إلا إذا صرحوا بالسماع ذكره الحافظ ابن حجر(١). وابن جريج لم يصرح هنا بالسماع، ولكن يعضده حديث الإمام البخاري الآتي فيرتفع عنه احتمال الضعف ويكون صحيحاً.

(٣٣٨) ٢ - قال الإمام البخاري: حدثنا سعد بن حفص حدثنا شيبان عن يحيى قال أخبرني أبو سلمة قال: جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس عنده فقال: أفتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة فقال ابن عباس: آخر الأجلين، قلت انا ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي، يعني أبا سلمة، فأرسل ابن عباس غلامه كريباً إلى أم سلمة يسألها فقالت: قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخطبت فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبو السنابل فيمن خطبها.

وأخرجه الإمام مسلم ومالك والنسائي والترمذي وعبدالرزاق الصنعاني(٢).

---

(١) طبقات المدلسين ص ١ و ١٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها رقم ١٤٨٥.
الموطأ كتاب الطلاق، باب عدة المتوفي عنها زوجها اذا كانت حاملا ٢/٥٨٩، ٥٩٠ - رقم (٨٣ و ٨٦).
سنن الترمذي، كتاب الطلاق، باب في الحامل المتوفى عنها زوجها تضع حديث رقم ١١٩٤.
سنن النسائي كتاب الطلاق باب عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ٦/١٩٠ و ١٩١
مصنف عبدالرزاق كتاب الطلاق باب المطلقة يموت عنها زوجها، حديث رقم ١١٧٢٣.

بيان المعنى :

تبين لنا من هـذين الحديثـين أن ابن عباس يـرى أن عدة المتـوفى عنها زوجها آخر الأجلين . . أجل الحامل وهو وضع الحمل وأجل غـير الحامل وهو أربعة أشهر وعشر وإلى هذا ذهب علي رضي الله عنه .

وقال القرطبي في بيان حجة هذا القول : والحجة لما روى عن علي وابن عبـاس رَوْم الجمع بـين قـولـه تعـالى ﴿ **والـذين يتـوفـون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعـة أشهر وعشرا** ﴾ وبـين قولـه تعـالى ﴿ **وألات الأحمـال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ وذلـك أنها إذا قعدت أقصى الأجلين فقد عملت بمقتضى الأيتين ، وإذا اعتدت بوضع الحمل فقد تـركت العمل بـآية عـدة الوفـاة والجمع أولى من الـترجيح باتفاق أهل الاصول ، وهذا نظر حسن لولا ما يعكـر عليه من حـديث سبيعة الأسلمية(١) .

وحديث سبيعة المذكور هـو الذي استشهـدت به أم سلمـة رضي الله عنها في حديث الإمـام البخاري السـابق حيث قالت : «قتـل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى فوضعت بعـد موتـه بأربعـين ليلة فخطبت فانكحها رسول الله ى الله عليه وسلم» .

والـذي عليه جمهـور العلماء أن قـولـه تعـالى ﴿ **وأولات الأحمـال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ عـام في المتـوفى عنهن وفي المـطلقـات وإن هذه الآية مخصصة لعموم قوله تعالى ﴿ **يتربصن بأنفسهن أربعة أشهـر وعشراً** ﴾ .

---

(١) تفسير القرطبي ٣/ ١٧٥ .

واستدلوا بحديث سبيعة المذكور[1] وقد كانت وفاة زوجها سعد بن خولة رضي الله عنه في حجة الوداع على القول المشهور فوفاته متأخرة عن نزول الآيات، ومما يدل على أن وفاته في حجة الوداع ما جاء في إحدى روايات الإمام مسلم لحديث سبيعة الأسلمية حيث جاء فيه: «إنها كانت تحت سعد بن خولة وهو في بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدراً فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل»[2].

وقد روى عن ابن عباس أنه قد رجع عن قوله السابق فقد أخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا** ﴾ قال: فهذه عدة المتوفى عنها زوجها إلا أن تكون حاملاً فعدتها أن تضع ما في بطنها[3] وإسناده حسن كما تقدم[4].

فلم يقل ابن عباس فعدتها آخر الأجلين فيحتمل أنه أراد أن عدتها وضع الحمل مطلقاً ولو كان ذلك أقل من أربعة أشهر وعشرٍ فيكون هذا دليلاً على رجوعه عن قوله السابق بعد اطلاعه على حديث سبيعة الأسلمية.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤/٤٠٥ ـ تفسير القرطبي ٣/١٧٥.
أحكام القرآن للجصاص ١/٤١٥ ـ فتح الباري ٩/٤٧٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب رقم ٨، حديث رقم ٥٦.

(٣) تفسير الطبري ٢/٥١٢.

(٤) انظر الحديث رقم ٢.

« ســورة القلــم »[٦٨]

ما جاء في قوله تعالى

﴿ عُتُلٍّ بعد ذلك زنيم ﴾ (القلم/١٣).

* * *

(٣٣٩) قال الإمام البخاري: حدثنا محمود حدثنا عبيـدالله بن موسى عن إسرائيـل عن أبي حصين عن مجـاهد عن ابن عبـاس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ قال: رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة[١].

بيان المعنى:

قوله تعالى ﴿ عُتُلٍّ ﴾ العتل: الجافي الشديد في كفره، وكل شديد قوى فالعرب تسميه عتلاً ومنه قول ذي الأصبع العدواني:

والدهر بغدو مِعتَلا جذعا

أي شديداً، ذكره أبو عبيدة والطبري[٢].

وقـال الفراء: وقـوله ﴿ عتـل ﴾ في هـذا المـوضـع هـو الشـديـد

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة القلم، حديث رقم ٤٩١٧.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢٦٤ ـ تفسير الطبري ٢٩/٢٣.

الخصومة بالباطل[1].

وقوله ﴿ بعد ذلك زنيم ﴾ فسر ابن عباس الزنيم في هذا الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري بانـه رجل من قـريش له زنمـة مثل زنمـة الشاة، وزنمة الشاة جلدة معلقة في حلق الشاة.

وليس المقصود بهذا وصفـه بسوء الخلقـة لأن هذا ليس ممـا يعاب عليـه الإنسان حيث إنـه ليس مما يختـاره لنفسه. وانمـا وصف بـذلـك ليعرف، كما جاء في رواية أخرى أخرجهـا ابن جريـر قال: حـدثنا ابن المثنى قال حدثنا عبدالأعلى قال حدثنا داود عن عكرمة عن ابن عبـاس أنه قال في الـزنيم: نعت فلم يعرف حتى قبـل زنيم، قال: وكـانت له زنمة في عنقه يعرف بها[2].

وهذا الأثر رجاله ثقات[3].

وقد سمع بعضهم من بعض[4] فإسناده بناء على هذا صحيح.

---

(١) معانى القرآن للفراء ٣/١٧٣.

(٢) تفسير الطبري ٢٩/٢٦.

(٣) بيان هذا الإسناد:

١ - محمـد بن المثنى بن عبيد العنـزي أبو مـوسى البصري، المعروف بـالزمن، ثقـة ثبت تقدمت ترجمته انظر الحديث رقم ١١.

٢ - وعبدالأعلى هو ابن عبدالأعلى البصري الشامى، وهو ثقة من الطبقة الثامنة، مـات سنة تسع وثمانين ومائة، أخرج له الجماعة (التقـريب ١/٤٦٥ رقم ٧٨٤، الكاشف ٢/١٤٦ رقم ٣١١٥).

٣ - وداود هـو ابن أبي هند وهـو ثقة متقن كـان يهم بأخـرة وقد تقـدم - انظر الحديث رقم (٤٩).

٤ - وعكرمة ثقة ثبت تقدمت ترجمته - انظر الحديث رقم (٥).

(٤) تهذيب التهذيب ٩/٤٢٥، ٦/٩٧ رقم ١٩٩، ٣/٢٠٤ رقم ٣٨٨.

وروى عن ابن عباس في معنى الآية أقوال أخرى:

الأول: ما أخرجه الحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ان عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل ﴿ **عتل بعد ذلك زنيم** ﴾ قال: يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي[١].

الثاني: ما أخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس: والزنيم الدّعى[٢].

وهذا الإسناد ضعيف كما تقدم[٣] ولكن أخرج ابن جرير نحوه عن ابن عباس بإسناد صحيح، قال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال في الزنيم: الذي يعرف بِأُبْنَة[٤].

يعني الذي يعرف بعيب في حسبه، قال ابن منظور: والأُبْنَةُ العيب في الخشب والعود، وأصله من ذلك، ويقال: ليس في حسب فلان أُبْنَةٌ كقولك ليس فيه وصمة[٥].

ورجال هذا الإسناد ثقات تقدمت تراجمهم.

---

(١) المستدرك ٢/٤٩٩، كتاب التفسير.
(٢) تفسير الطبري ٢٩/٢٥.
(٣) انظر حديث رقم ٣٥.
(٤) تفسير الطبري ٢٩/٢٦.
(٥) لسان العرب (مادة أبن).

الثالث: ما اخرجه ابن جرير قال: حدثنا تميم بن المنتصر قال حدثنا إسحاق عن شريك عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﴿ **عتل بعد ذلك زنيم** ﴾ قال: زنيم: المريب الذي يعرف بالشر(١).

وهذا إسناد حسن(٢).

الرابع: أخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ **زنيم** ﴾ قال: ظلوم(٣).

وهذا الإسناد تقدم وتبين أنه حسن(٤).

---

(١) تفسير الطبري ٢٩/٢٥ ـ ٢٦.

(٢) بيان رجال الإسناد:

١ ـ تميم بن المنتصر بن تميم بن الصلت الهاشمي بالولاء الواسطي، ثقة ضابط، مات سنة أربع أو خمس وأربعين ومائتين وله ست وسبعون سنة، (التقريب ١/١١٣ رقم ١١٥ التهذيب ١/٥١٤ ورقم ٩٥٨).

٢ ـ وإسحاق هو ابن يوسف الأزرق وهو ثقة تقدم.

٣ ـ وشريك هو ابن عبدالله النخعي الكوفي القاضي، وهو صدوق يخطئ كثيراً، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة وكان عادلاً عابداً فاضلاً شديداً على أهل البدع، من الطبقة الثامنة مات سنة سبع أوثمان وسبعين ومائة أخرج له البخاري تعليقاً ومسلم والأربعة (التقريب ١/٣٥١ رقم ٦٤).

٤ ـ وأبو إسحاق هو السبيعي عمرو بن عبدالله، وهو ثقة عابد، تقدمت ترجمته في ص ٥٥ رقم ٤ وقد اختلط في آخر عمره لكن قد سمع منه شريك قديما قبل الاختلاط ذكره الإمام أحمد (انظر تهذيب التهذيب ٤/٣٣٤ ترجمة شريك).

٥ ـ وسعيد بن جبير ثقة ثبت تقدم في الحديث رقم ١١.

وهذا إسناد متصل قد رواته بعضهم من بعض (انظر تهذيب التهذيب ١/٥١٤ ورقم ٩٥٨، ١/٢٥٧ رقم ٤٨٦، ٤/٣٣٣ رقم ٥٧٧، ٨/٦٣ رقم ١٠٠، الكاشف ١/١٦٨ رقم ٦٨٤).

(٣) تفسير الطبري ٢٩/٢٦.

(٤) انظر حديث رقم ٢.

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال بأن يقال إن الرجل الذي نزلت فيه هذه الآيات كان جامعاً لهذه الصفات جميعها باعتبار أنـه كان بـه عيب جسمي يعرف به وعيب في حسبه يعرف بـه حيث كان دعيـاً في قريش وليس من أصلهم وكان مع هذا ظلوماً للناس يعرف بالشر، مع اعتبار أن هذه الكلمة تحتمـل هذه المعـانى كلها حيث أن أصـل هذه الكلمـة العلامة وتطلق على الجلدة المتدلية من حلق الشاة وعلى الجلدة المتـدلية من اذن البعير بعد قطعها[1]، فعلى القول الأول المعنى ظـاهر لانطباق هذه الكلمة على من وصف بها.

أما الدعي فسمى زنيـما لأنه ليس من أصـل القوم بـل هو ملصق فيهم زائـد عنهم فكأنـه فيهم زنمة كـما قال حسـان بن ثـابت رضي الله عنه:

زنـيـم تـداعـاه الـرجـال زيـادة كـما زيد في عـرض الأديم الأكارع[1]

أمـا الظلوم والمعـروف بالشر فسمى زنيـما لأنه يعـرف بـالشر كـما تعرف الشاة بزنمتها كما تقدم عن ابن عباس.

---

(١) لسان العرب (مادة زنم).

« ســورة الحاقــة »(٦٩)

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ **إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية** ﴾ (الحاقة/ ١١).

* * *

(٣٤٠) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿ **طغى** ﴾ كثر[1].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[2].

بيان المعنى:

قوله ﴿ **حملناكم بالجارية** ﴾ يعني بالسفينة الجارية كما أخرج الإمام ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: الجارية السفينة[3].

وذلك في زمن نوح عليه السلام حينما اهلك الله قومه الكفار بالغرق ونجى نوحاً ومن آمن معه، والمحمولون هم أجداد المخاطبين فكأن حمل أجدادهم حمل لهم، لأنهم من اصلابهم.

وفي هذه الآية يذكر الله جل وعلا مِنَّته ونعمته على عباده المؤمنين

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الحاقة.
(٢) تفسير الطبري ٢٩/ ٥٤.
(٣) تفسير الطبري ٢٩/ ٥٤.

حيث حمل أجدادهم في السفينة فأنجاهم من الغرق في الماء الذي كثر حتى طغى على كل شيء فلم يعصم منه جبل ولا بناء، فأبقى أولئك المؤمنين ليعمروا الأرض بطاعة الله تعالى وليخرج من أصلابهم من يستمر في عمارة الأرض بطاعته جل وعلا.

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ (الحاقة/ ٤٤ ـ ٤٦).

* * *

(٣٤١) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿ **الوتين** ﴾ نياط القلب[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: عرق القلب. ومن طريق العوفي عن ابن عباس قال: يعني عرقاً في القلب ويقال هو حبل القلب[٢].

وأخرجه الحاكم من طريق سعيد بن جبير ومن طريق مجاهد عن ابن عباس قال: نياط القلب. وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الحاقة.

(٢) تفسير الطبري ٢٩/ ٦٧.

(٣) المستدرك ٢/ ٥٠١، كتاب التفسير.

بيان المعنى :

بعد ان ذكر الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿ **تنزيل من رب العالمين** ﴾ أن القرآن منزل من عنده جل وعلا أبطل ادعاء الكفار بأن هذا القرآن قد تقوله محمد صلى الله عليه وسلم من عند نفسه ونسبه إلى الله ، وذلك ببيان أن رسوله صلى الله عليه وسلم تحت قدرته تعالى وهيمنته لانه مخلوق من مخلوقاته فلو حصل منه ما يدعونه لأخذه بقوته ولأهلكه بالموت المفاجىء، فما يستطيع أحد أن يمنعه من قدرته جل وعلا ﴿ **فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾ .

« ســورة المعــارج »[٧٠]

ما جاء في قوله تعالى

﴿ يوم تكون السماء كالمهل ﴾ (المعارج/٨).

* * *

(٣٤٢) قال الإمام أحمد حدثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال: آخر شدة يلقاها المؤمن الموت وفي قوله ﴿ **يوم تكون السماء كالمهل** ﴾ قال: كَدُرِدِى الزيت، وفي قوله ﴿ **آناء الليل** ﴾ قال: جوف الليل، وقال: هل تدرون ما ذهاب العلم قال: هو ذهاب العلماء من الأرض[١].

بيان الإسناد:

تقدم هذا الحديث في سورة آل عمران وتبين لنا ان إسناده حسن[٢].

بيان المعنى:

قوله «كدردى الزيت» يعني آخره الذي يبقى في أسفل الاناء[٣].

---

(١) مسند أحمد ١/٢٢٣.

(٢) انظر تفسير آل عمران باب رقم ٨.

(٣) لسان العرب (مادة درد).

يعني ان السماء يوم القيامة تذوب حتى تكون كالزيت الغليظ .

وقوله ﴿ **آناء الليل** ﴾ : جوف الليل تقدم بيانه في سورة آل عمران .

« ســورة نــوح »(٧١)

١ ـ ما جاء قوله تعالى

﴿ يرسل السماء عليكم مدراراً ﴾ (نوح/١١).

* * *

(٣٤٣) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿ مدراراً ﴾ يتبع بعضها بعضاً[١].

وقال الحافظ ابن حجر: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به[٢].

بيان المعنى:

قوله تعالى ﴿ يرسل السماء ﴾ المراد بالسماء هنا المطر، ومن إطلاق السماء على المطر قول معوذ الحكماء معاوية بن مالك:

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وان كانوا غضابا[٣]

و ﴿ مدراراً ﴾ يعني متتابعاً يتبع بعضه بعضاً كما قال ابن عباس.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة نوح.

(٢) فتح الباري ٨/٦٦٦.

(٣) لسان العرب (مادة سما) وقال ابن منظور: وسمى معوذ الحكماء لقوله في هذه القصيدة:

أعوذ مثلها الحكماء بعدي إذا ما الحق في الحدثان نابا

وهذه الآية مما ذكره الله جل وعلا من محاورة نوح عليه السلام لقومه حيث أمرهم بالاستغفار في قوله ﴿ **فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً** ﴾ الآيات .

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ما لكم لا ترجون لله وقاراً ﴾ (نوح/١٣).

* * *

(٣٤٤) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿ وقاراً ﴾ عظمة[١].

وأخرجه الإمام ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وذكر مثله[٢].

وأخرجه أيضاً من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: مالكم لا تعظمون الله حق عظمته؟![٣].

ثم أخرجه من طريق العوفي عن ابن عباس قال: مالكم لا تعلمون لله عظمة؟![٤].

وفي هذه الرواية الأخيرة فسر ابن عباس الرجاء في الآية بالعلم، المعنى ما بالكم لاترون رؤية علم واعتقاد عظمة الله جل وعلا حيث عبدتم الأصنام من دونه سبحانه وتعالى.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة نوح.
(٢) تفسير الطبري ٢٩/٩٤.
(٣) تفسير الطبرى ٢٩/٩٥.
(٤) تفسير الطبري ٢٩/٩٥.

٣ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾ (نوح/٢٣).

* * *

(٣٤٥) قال الإمام البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام عن ابن جريج، وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، اما ود فكانت لكلب في دومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكان لمراد، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير، لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخ العلم عبدت[1].

---

(١) صحيح البخاري رقم ٤٩٢٠، كتاب التفسير، سورة نوح.

بيان المعنى:

في هذه الآية يبين الله سبحانه أن كبراء قوم نوح حذروا قومهم من ترك عبادة أصنامهم، وذكروا بالخصوص أصنامهم الخمسة وداً وسواعا ويغوث ويعوق ونسراً.

وقد ذكر ابن عباس في هذا الحديث أن هذه الاسماء كانت لرجال صالحين من قوم نوح، وأنهم لما ماتوا سوَّل الشيطان لقومهم وزين لهم أن ينصبوا لهم صوراً ويسموها بأسمائهم حتى ينشطوا في العبادة إذا رأوهم ولم يعبدوهم آنذاك حتى إذا هلك أولئك القوم الذين نصبوا تلك الأنصاب وعم الجهل فيمن خلفهم عبدوهم من دون الله تعالى.

وذكر ابن عباس في هذا الحديث أن هذه الأوثان صارت في العرب بعد ذلك، وأن «ودا» كان لقبيلة كلب في دومة الجندل، و «سواعا» لقبيلة هذيل و «يغوث» لقبيلة مراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ و «يعوق» لقبيلة همدان و «نسراً» لقبيلة حمير.

« ســورة الجــن »[(٧٢)]

١ ـ ما جاء قوله تعالى

﴿ قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قـرآناً عجبـاً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً. وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً. وأنـه كان يقـول سفيهنا عـلى الله شططاً. وأنـا ظننـا أن لن تقول الإنس والجن عـلى الله كذبـاً. وأنه كـان رجـال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً. وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله احداً. وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا. وأنا كنـا نقعد منهـا مقاعـد للسمع فمن يستمـع الآن يجد لـه شهابا رصدا. وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً. وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طـرائق قددا. وأنـا ظننا أن لن نعجـز الله في الأرض ولن نعجزه هـرباً. وأنـا لما سمعنـا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً. وأنـا منا المسلمـون ومنـا القاسـطون فمن أسلم فأولئـك تحروا رشـداً. وأما القـاسـطون فكانوا لجهنم حطبا. وألَّو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً. لنفتنهم فيـه ومن يعـرض عن ذكـر ربـه يسلكــه عـذابـاً صعـداً ﴾ (الجن/١/١٧).

* * *

(٣٤٦) قال الإمام البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانه عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث؟ فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء؟ فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن تسمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: ياقومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً، وأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ **قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن** ﴾ وإنما أوحي إليه قول الجن[(١)].

وأخرجه الإمام مسلم والترمذي والحاكم والبيهقي والطبري كلهم من حديث أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن وما رآهم، انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه. . . ثم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الجن، حديث رقم ٤٩٢١. وكتاب الأذان باب الجهر بقراءة صلاة الفجر حديث رقم ٧٧٣.

ذكروا مثل حديث الإمام البخاري[1].

بيان المعنى:

في هذه الآيات يذكر الله سبحانه قول الجن الذين استمعوا لقراءة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله تعالى ﴿ **وأنه تعالى جد ربنا** ﴾ يعني فعله وأمره وقدرته كما أخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه ابن جرير أيضاً من طريق العوفي عن ابن عباس يقول: تعالى أمر ربنا[2] وإسناد الأثر الأول حسن والثاني ضعيف[3].

﴿ **ما اتخذ صاحبة** ﴾ يعنى زوجة ﴿ **ولا ولدا** ﴾ المعنى: تعالى أمر الله جل وعلا وعظم سلطانه وعلت قدرته أن يكون بحاجة إلى اتخاذ الصاحبة والولد.

﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً** ﴾ أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال في هذه الآية: كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية فيقول: أعوذ بعزيز هذا الوادي، فزادهم ذلك اثما[4]. يعنى فزاد الجن الإنس إثماً بتخويفهم إياهم وإلجائهم إلى الاستعاذة بهم.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب رقم ٣٣، حديث رقم ٤٤٩.
سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الجن، حديث رقم ٣٣٢٣.
المستدرك، كتاب التفسير، سورة الجن ٢/٥٠٣.
سنن البيهقي، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في صلاة الصبح ٢/١٩٤. تفسير الطبري ٢٩/١٠٢.

(٢) تفسير الطبري ٢٩/١٠٣.

(٣) انظر الحديث رقم ٢ ورقم ٣٥.

(٤) تفسير الطبري ٢٩/١٠٨.

قال ابن جرير: والرهق في كلام العرب الإثم وغشيان المحارم ومنه قول الأعشى:

لا شيء ينفعني من دون رؤيتها　　هل يشتفي وامق مالم يصب رهقا

يعني هل يشتفى محب مالم يغش محرماً(١).

﴿ **وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً** ﴾ أي تعدياً من القول حيث لم يكونوا يقدرون الله عز وجل حق قدره، والمراد بالسفيه هنا إبليس لعنه الله على رأي الجمهور وقيل مردة الجن والإضافة للجنس والمراد سفهاؤنا(٢).

﴿ **وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً** ﴾ أي أننا نسبنا لله صفات النقص فيما مضى كالصاحبة والولد بما أوحى إلينا سفيهنا إبليس لأننا كنا نظن أن لن يتجرأ أحد من الإنس أو الجن على الكذب على الله جل وعلا.

قوله ﴿ **وأنا لمسنا السماء** ﴾ يعنى طلبنا الوصول إليها لا ستراق السمع ﴿ **فوجدناها ملئت حرساً شديداً** ﴾ يعني حفظة من الملائكة أقوياء ﴿ **وشهباً** ﴾ جمع شهاب وهي النجوم التي ترجم بها الشياطين(٣).

﴿ **وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا** ﴾ يعني قد أرصد له ليحرقه.

والذي يفهم من هاتين الآيتين ومن حديث ابن عباس السابق أن

---

(١) تفسير الطبري ٢٩/١٠٩.
(٢) تفسير الألوسي ٢٩/٨٥.
(٣) تفسير الطبري ٢٩/١١٠.

الشهب لم تكن ترسل على الشياطين قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وقال القاضي عياض في شرح هذا الحديث: ظاهر الحديث أن الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لإنكار الشياطين له وطلبهم سببه، ولهذا كانت الكهانه فاشية في العرب ومرجوعاً إليها في حكمهم حتى قطع سببها بأن حيل بين الشياطين وبين استراق السمع ـ ثم استشهد بالآيتين السابقتين وبقوله تعالى ﴿ **انهم عن السمع لمعزولون** ﴾ قال: وقد جاءت أشعار العرب باستغراب رميها وإنكاره إذ لم يعهدوه قبل المبعث وكان ذلك أحد دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم، ويؤيده ما ذكر في الحديث من إنكار الشياطين قال: وقال بعضهم: لم تزل الشهب يرمى بها مذ كانت الدنيا واحتجوا بما جاء في أشعار العرب من ذلك: قال: وهذا مروي عن ابن عباس والزهري، ورفع فيه ابن عباس حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الزهرى لمن اعترض عليه بقوله ﴿ **فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً** ﴾ قال: غلظ أمرها وشدد. انتهى.

ذكره الحافظ ابن حجر ثم قال: وهذا الحديث الذي أشار إليه أخرجه مسلم من طريق الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن رجال من الأنصار قالوا: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ رمى بنجم فاستنار فقال: ما كنتم تقولون لهذا إذا رمى في الجاهلية؟ الحديث. وأخرجه عبدالرزاق عن معمر قال: سئل الزهري عن النجوم أكان يرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم ولكنه إذ جاء الإسلام غُلِّظ وشدد. قال الحافظ: وهذا جمع حسن(١).

---

(١) فتح الباري ٨/٦٧٢.

وقوله ﴿ **وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا** ﴾ قال ابن جرير: والطرائق جمع طريقة وهي طريقة الرجل ومذهبه، والقدد جمع قدّة وهي الضروب والأجناس المختلفة، وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: أهواء شتى، منا المسلم، ومنا المشرك[1].

وإسناده ضعيف كما تقدم[2].

قوله ﴿ **وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً** ﴾ أخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: لا يخاف نقصاً في حسناته ولا زيادة في سيئاته[3].

وإسناده حسن كما تقدم[4].

قوله ﴿ **وألّو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه** ﴾ أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: يعني بالاستقامة الطاعة، فأما الغدق فالماء الطاهر الكثير ﴿ **لنفتنهم فيه** ﴾ يقول: لنبتليهم به[5].

يعني لنختبرهم بهذه النعمة فنعلم من يستمر على الاستقامة ممن ينقلب على عقبيه.

---

(١) تفسير الطبري ٢٩/١١٢، وأنظر معاني القرآن للفراء ٣/١٩٣.
(٢) انظر الحديث رقم (٣٥).
(٣) تفسير الطبري ٢٩/١١٢.
(٤) انظر الحديث رقم (٢).
(٥) تفسير الطبري ٢٩/١١٤

وإسناد هذا الأثر ضعيف كما تقدم[1].

﴿ **ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً** ﴾ أخرج ابن جرير عن طريق العوفي عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: مشقة من العذاب يصعد فيها[2].

وإسناده ضعيف كما تقدم[3].

وقوله في الحديث الأول «انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة من أصحابه» هكذا جاء في رواية الإمام البخاري وجاء في سائر الروايات قبل هذه الجملة «ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن وما رآهم».

وقال الحافظ ابن كثير: «كذا اختصره البخاري هنا وفي صفة الصلاة وأخرجه أبو نعيم في المستخرج عن الطبراني عن معاذ بن المثنى عن مسدد شيخ البخاري فيه فزاد في أوله» ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم، انطلق «الخ، وهكذا أخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ عن أبي عوانة بالسند الذي أخرجه به البخاري، فكأن البخاري حذف هذه اللفظة عمداً لأن ابن مسعود أثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الجن فكان ذلك مقدماً على نفي ابن عباس. ثم أشار إلى الجمع بينهما بتعدد القصة»[4].

فقول ابن عباس هذا يحتمل أنه محمول على ما وقع في تلك الليلة

---

(١) انظر الحديث رقم (٣٥).
(٢) تفسير الطبري ٢٩/ ١١٦.
(٣) انظر الحديث رقم (٣٥).
(٤) فتح الباري ٨/ ٦٧٠.

التي سمع فيها الجن القرآن لأول مرة حيث إنهم لم يقصدوا استماع القرآن وإنما خرجوا يبحثون عن هذا الأمر العجيب الذي من أجله منعوا من استراق السمع فعثروا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ بأصحابه في صلاة الفجر، فمراد ابن عباس على هذا هو ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد إسماع الجن وقراءته لأنه لم يعلم بهم في تلك الواقعة، وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم استجاب دعوة الجن لما دعوه وقرأ عليهم القرآن، وذلك فيما أخرجه الإمام مسلم من طريق عامر الشعبي قال: سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قال: فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن؟ قال: لا ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا استطير أو اغتيل قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاءٍ من قبل حراء قال فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن» قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد فقال «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة علف لدوابكم»(١).

فسياق هذا الحديث ظاهر في أنه يحكي قصةَ واقعة غير الواقعة الأولى، ويفهم من سياق هذه القصة أنها جرت من طائفة من الجن كانوا مسلمين قبل ذلك، وجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب رقم ٣٣، حديث رقم ٤٥٠.

يطلبون منه مزيداً من العلم بخلاف القصة الأولى فظاهر فيها أنهم عثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ في صلاة الصبح حينما كانوا يبحثون عن الأمر الذي بسببه منعوا من استراق السمع .

هذا وقد ذكر الإمام القسطلاني في «المواهب اللدنية» أن الجن بعد ذلك وفدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالاً قوماً بعد قوم وفوجاً بعد فوج .

وذكر شارحه العلامة الزرقاني : أن الجن وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه المرة بنخلة وهو عائد من الطائف . وأخرى بالحجون وفي لفظ بأعلى مكة بالجبال لما آتاه داعي الجن فذهب معه وقرأ عليهم القرآن ورجع إلى أصحابه من جهة حراء وأخرى ببقيع الغرقد وفي هاتين حضر ابن مسعود وخط عليه بأمر المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأخرج خارج المدنية وحضرها الزبير وأخرى في بعض أسفاره وحضرها بلال بن الحارث .

قال : وبهذا لا يبقى تعارض بين الأخبار ويحصل الجمع بين نفي ابن عباس رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لهم ، قال المصنف : وهو ظاهر القرآن وبين ما اثبته غيره من رؤيته لهم والله أعلم[1] .

---

(١) شرح المواهب اللدنية ١/٣٠٣.

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ وأنه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً ﴾ (الجن/١٩).

* * *

(٣٤٧) ١ ـ قال الإمام البخاري: قال ابن عباس **﴿ لبداً ﴾** أعوانا[١].

وأخرجه الإمام ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وذكر مثله[٢].

(٣٤٨) ٢ ـ قال الإمام الترمذي: حدثنا عبد بن حميد حدثني أبو الوليد حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما. . . وذكر حديث الباب السابق الذي فيه استماع الجن لقراءة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: وبهذا الإسناد عن ابن عباس قال: قول الجن لقومهم **﴿ لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً ﴾** قال: لما رأوه يصلي وأصحابه يصلون بصلاته فيسجدون بسجوده، قال: تعجبوا من طواعية أصحابه له قالوا لقومهم **﴿ لما قام**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الجن.

(٢) تفسير الطبري ٢٩/١١٩.

عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً ﴾، قال: هذا حديث حسن صحيح[1].

بيان الإسناد:

١ ـ عبد بن حميد هو الكشي وهو ثقة حافظ تقدمت ترجمته[2].

٢ ـ أبو الوليد هو هشام بن عبد الملك الباهلي بالولاء، أبو الوليد الطيالسي أحد الحفاظ، وهو ثقة ثبت من الطبقة التاسعة، مات سنة سبع وعشرين ومائتين، أخرج له الجماعة[3].

٣ ـ أبو عوانة هو وضاح بن عبدالملك اليشكري وهو ثقة ثبت تقدمت ترجمته[4].

٤ ـ أبو بشر هو جعفر بن إياس وهو ثقة تقدمت ترجمته[5].

٥ ـ سعيد بن جبير ثقة ثبت تقدمت ترجمته[6].

فهؤلاء الرواة كلهم ثقات وقد سمع بعضهم من بعض[7] فيكون الإسناد صحيحاً.

وأخرجه الإمام ابن جرير الطبري من طريق أبي عوانة بهذا الإسناد وذكر مثله إلا أن فيه «قال: لما رأوه يصلي وأصحابه يركعون

---

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الجن، حديث رقم ٣٣٢٣.
(٢) انظر الحديث رقم (١٠١).
(٣) التقريب ٢/٣١٩ رقم ٩١، تذكرة الحفاظ ١/٣٨٢ رقم ٣٨٠.
(٤) انظر الحديث رقم (١٣٧).
(٥) انظر الحديث رقم (١٥٧).
(٦) انظر الحديث رقم (١٢).
(٧) تهذيب التهذيب ٦/٤٥٥ رقم ٩٤٠، ١١/٤٥ رقم ٨٧، ١١/١١٦ رقم ٢٠٤، ٢/٨٣ رقم ١٢٩. تذكرة الحفاظ ١/٣٨٢ رقم ٣٨٠.

بركوعه ويسجدون بسجوده»[1] وهذا السياق أكمل من سياق رواية الإمام الترمذي.

بيان المعنى:

قوله ﴿ **كادوا يكونون عليه لبدا** ﴾ يعني جماعات بعضها فوق بعض، من تلبد الشيء على الشيء أي تجمع، ومنه اللبد الذي يفرش لتراكم صوفه، وكل شيء الصقته إلصاقاً شديداً فقد لبدته[2].

أما الضمير في قوله ﴿ **كادوا يكونون** ﴾ فقد روى عن ابن عباس في مرجعه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه يعود على العرب الذين بعث النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم حيث أوشكوا أن يتكالبوا جميعاً على عداوته والكيد له.

فيكون المعنى على هذا القول: وأنه لما قام عبدالله محمد صلى الله عليه وسلم بأمر الرسالة يعبد الله وحده لا شريك له كاد العرب جميعاً أن يتعاونوا في حربه والوقوف في وجه دعوته، وذلك لقلة أنصاره في وقت نزول هذه الآيات.

وهذا المعنى يفهم من الرواية الأولى التي أخرجها الإمام البخاري حيث فسر قوله تعالى ﴿ **لبدا** ﴾ بقوله: «أعواناً» وذلك لأن المسلمين سواء من الإنس أو من الجن لا يكونون أعواناً على رسول الله صلى الله

---

(١) تفسير الطبري ٢٩/١١٨.

(٢) تفسير الطبري ٢٩/١١٧.
تفسير القرطبي ١٩/٢٣.
تفسير الالوسى ٢٩/٩٢.

عليه وسلم وإنما يكـونون أعـواناً لـه فتعين أن يكـون مراد ابن عبـاس بقوله «أعواناً» أن يكونوا على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم، وهـذا لا يكون إلا من الكفار.

القول الثاني: أن الضمير يعود على أصحاب النبي صـلى الله عليه وسلم الذين كانوا معه ليلة سماع الجن قراءته، وهذا ظـاهر من روايـة الإمام الترمذي السابقة.

والمعنى على هذا: وأنه لما قـام عبدالله محمـد صلى الله عليـه وسلم يصلي كاد أصحابه من حسن انتـظامهم حيث كانـوا يركعـون بركـوعه ويسجدون بسجوده يكونون عليه لبدا.

القول الثالث: أن الضمير يعود عـلى الجن الذين استمعـوا قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أخرج أبو عبدالله الحاكم في هذا المعنى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قـال في هذه الآية كانوا يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده، يعني الجن.

قال أبو عبـدالله: «هذا حـديث صحيح الإسنـاد» ووافقه الإمـام الذهبي[1].

وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس أنه قال في هذه الآيـة: لما سمعـوا النبي صلى الله عليـه وسلم يتلو القرآن ودنـوا منه لم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقـرئه ﴿ **قـل أوحي إلي أنه استمـع نفر من الجن** ﴾[2].

---

(١) المستدرك ٢/٥٠٤، كتاب التفسير، سورة الجن.

(٢) تفسير الطبري ٢٩/١١٨.

وإسناده ضعيف كما تقدم[1].

فيكون المعنى على هذا القول: وأنه لما قام عبدالله محمد صلى الله عليه وسلم يصلي ويقرأ القرآن كاد الجن يركب بعضهم بعضاً لسماع قراءاته صلى الله عليه وسلم.

واختار الإمام ابن جرير القول الأول ووجهه بمناسبته لسياق الآيات حيث جاء قوله تعالى ﴿ **وأنه لما قام عبدالله يدعوه** ﴾ عقيب قوله ﴿ **وأن المساجد لله** ﴾ وذلك من خبر الله فكذلك قوله ﴿ **وأنه لما قام عبدالله يدعوه** ﴾ وأخرى أنه تعالى ذكره أتبع ذلك قوله ﴿ **فلا تدعو مع الله أحداً** ﴾ فمعلوم أن الذي يتبع ذلك الخبر عما لقى المأمور بأن لا يدعو مع الله أحداً في ذلك لا الخبر عن كثرة إجابة المدعوين وسرعتهم إلى الإجابة[2].

وهذا هو الظاهر لمناسبته أيضاً لقوله تعالى بعد هذه الآية ﴿ **قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً** ﴾ حيث أمر الله جل وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يرد على أولئك الذين تكالبوا على حربه والكيد له أن قام يدعو إلى عبادة الله وحده وينهى عن عبادة غيره بأن يقول لهم: إنني ثابت على عقيدتي هذه وإن اجتمعتم جميعاً على حربي لإني إنما أعبد ربي الذي خلقني وأوجدني من العدم ولا أشرك معه مخلوقين لا يملكون لي ضراً ولا نفعاً.

ولأن هذا القول أقرب إلى معنى كلمة ﴿ **لبداً** ﴾ حيث إن الذين كانوا يصلون خلف النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه حينما

---

(١) انظر الحديث رقم (٣٥).
(٢) تفسير الطبري ٢٩/١١٩.

استمع الجن لقراءته لا يوصفون بأنهم قد أوشك بعضهم أن يركب بعضاً لأن عددهم قليل وكذلك كان عدد الجن الذين حضروا قليلاً، لقوله تعالى في أول هذه السورة ﴿ **قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن** ﴾ والنفر ما بين الثلاثة إلى العشرة على المشهور(١).

وقد قيل إنهم سبعة نفر من جن «نصيبين»(٢).

---

(١) لسان العرب (مادة نفر).

(٢) شرح المواهب اللدنية ١/٣٠٣.

« ســـورة المزمـــل »(٧٣)

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ ياأيها المزمل قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً إنا سنلقي عليك قـولاً ثقيلاً إن نـاشئة الليـل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً ﴾ (المزمل/١ ـ ٦).

* * *

وقـولـه تعـالى ﴿ إن ربـك يعلم أنـك تقـوم أدنى من ثلثي الليـل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقـدر الليل والنهـار علم أن لن تحصـوه فتاب عليكم فـاقرؤا مـا تيسر من القرآن علم أن سيكـون منكم مـرضى وآخـرون يضربـون في الأرض يبتغـون من فضـل الله وآخـرون يقاتلون في سبيـل الله فاقـرؤا ما تيسر منـه وأقيمـوا الصـلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضـاً حسناً ومـا تقدمـوا لأنفسكم من خير تجـدوه عند الله هـو خيراً وأعـظم أجـراً واستغفـروا الله إن الله غفـور رحيم ﴾ (المزمل/٢٠).

* * *

(٣٤٩) ١ ـ قـال الإمام أبـو داود السجستـاني: حـدثنـا أحمـد بن محمـد المروزي ابن شبويه حدثني علي بن حسين عن أبيـه عن يزيـد النحوي

عن عكرمة عن ابن عباس قال في المزمل ﴿ **قم الليل إلا قليلاً نصفه** ﴾ فنسختها الآية التي فيها ﴿ **علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن** ﴾ و ﴿ **ناشئة الليل** ﴾ أوله وكانت صلاتهم لأول الليل، يقول: هو أجدر أن تحصوا ما فرض الله عليكم من قيام الليل وذلك أن الإنسان إذا نام لم يدر متى يستيقظ، وقوله ﴿ **أقوم قيلاً** ﴾ هو أجدر أن يفقه في القرآن، وقوله ﴿ **إن لك في النهار سبحاً طويلاً** ﴾ يقول: فراغاً طويلاً.

بيان الإسناد:

هذا الإسناد سبق الكلام على رجاله وتبين لنا أن فيه علي بن الحسين بن واقد المروزي وهو صدوق يهم[1] ولكنه يتقوى بالحديث الآتي وإسناده حسن كما سيأتي كما يتقوى باحاديث أخرى أخرجها ابن جرير عن عائشة رضي الله عنها وذكرت نحو حديث ابن عباس رضي الله عنهما فيصبح الحديث على هذا صحيحاً لغيره.

وأخرجه البيهقي من طريق أبي داود بهذا الإسناد وذكر مثله[2].

* * *

(٣٥٠) ٢ ـ قال الإمام أبو داود السجستاني: حدثنا أحمد بن محمد ـ يعني المروزي ـ حدثنا وكيع عن مسعر عن سماك الحنفي عن ابن عباس قال: لما نزلت أول المزمل كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها، وكان بين أولها وآخرها سنة[3].

---

(١) انظر الحديث رقم ١٣.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٢ / ٥٠٠، كتاب الصلاة باب قيام الليل.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب نسخ قيام الليل والتيسير منه، حديث رقم ١٣٠٥.

وأخرجه ابن جرير من طريق مسعر قال حدثنا سماك الحنفي قال: سمعت ابن عباس... وذكر مثله(١).

بيان الإسناد:

١ - أحمد بن محمد بن ثابت المروزي، ثقة تقدمت ترجمته(٢).

٢ - وكيع هو ابن الجراح الرؤاسي، وهو ثقة حافظ عابد، تقدمت ترجمته(٣).

٣ - مسعر هو ابن كدام بن ظهر الهلالي، أبو سلمة الكوفي الحافظ وهو ثقة ثبت فاضل، من الطبقة السابعة، مات سنة ثلاث أو خمس وخمسين ومائة، أخرج له الجماعة(٤).

٤ - سماك بن الوليد الحنفي أبو زميل اليمامي الكوفي، ليس به بأس من الطبقة الثالثة، أخرج له الإمام البخاري في الأدب المفرد ومسلم والأربعة(٥).

فهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض(٦).

وبهذا تبين لنا أن رجال هذا الإسناد ثقات ماعدا سماك بن الوليد فلا بأس به فيكون الإسناد على هذا حسناً، وباعتضاده بالحديث الأول يكون إسناده صحيحاً لغيره.

* * *

(١) تفسير الطبري ٢٩/١٢٤.
(٢) انظر الحديث رقم (١٣).
(٣) انظر الحديث رقم (٧٦).
(٤) التقريب ٢/٢٤٣ رقم ١٠٥٩، تذكرة الحفاظ ١/١٨٨، رقم ٨٣.
(٥) التقريب ١/٣٣٢ رقم ٥٢٣، الجرح والتعديل ٤/٢٨٠.
(٦) تهذيب التهذيب ١/٧١ رقم ١٢٤. ١٠/١١٣ رقم ٢٠٩، ٤/٢٣٥ رقم ٣٩٩، تهذيب الكمال (ترجمة أحمد بن محمد بن ثابت).

(٣٥١) ٣ ـ قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: نشأ قام بالحبشية، (وطاء) قال مواطأة للقرآن، أشد موافقة لسمعه وبصره وقلبه ﴿ ليواطئوا ﴾ ليوافقوا[١].

وأخرج الإمام ابن جرير تفسير قوله ﴿ ناشئة الليل ﴾ قال: حدثنا ابن حميد قال حدثنا حكام قال حدثنا عنبسة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ إن ناشئة الليل ﴾ قال: بلسان الحبشة إذا قام الرجل من الليل قالوا: نشأ[٢].

وهذا إسناد فيه ضعف لضعف محمد بن حميد الرازي[٣] ولكن الإمام البخاري أخرجه معلقاً بصيغة الجزم فهذا دليل على أنه صحيح عنده فلعل له طريقاً آخر.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب رقم ١١.

(٢) تفسير الطبري ٢٩/١٢٨.

(٣) بيان إسناد هذا الحديث

١ ـ ابن حميد هو محمد بن حميد الرازي وهو حافظ ضعيف تقدم في الحديث رقم (٣٧).

٢ ـ وحكام هو ابن سلم الرازي وهو ثقة له غرائب من الطبقة الثامنة، مات سنة تسعين ومائة (التقريب ١/١٨٩ رقم ٤٧٣، الكاشف ١/٢٤٤ رقم ١١٨٠).

٣ ـ وعنبسة هو ابن سعيد بن الضريس قاضي الري، وهو ثقة من الطبقة الثامنة (التقريب ٢/٨٨ رقم ٧٧٧، الكاشف ٢/٣٥٤ رقم ٤٣٦٣)

٤ ـ وأبو إسحاق هو عمر بن عبدالله السبيعي وهو ثقة عابد تقدمت ترجمته انظر الحديث رقم (٢١).

٥ ـ وسعيد بن جبير ثقة ثبت تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض (انظر تهذيب التهذيب ٩/١٢٧ رقم ١٨٠، ٢/٤٢٢ رقم ٧٣٥، ٨/١٥٥ رقم ٢٧٨، ٨/٦٣ رقم ١٠٠).

ورجاله ثقات ما عدا محمد بن حميد الرازي فهو ضعيف ولكنه يتقوى برواية الإمام البخاري فيكون حسن الإسناد.

بيان المعنى :

قوله ﴿ يا أيها المزمل ﴾ أي المتحمل أعباء الرسالة، كما أخرج أبو عبدالله الحاكم من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : زُمِّلتَ هذا الأمر فقم به .

قال أبو عبدالله : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الإمام الذهبي(١) .

وقال ابن منظور: والزِّمل الحمل، وفي حديث أبي الدرداء «لئن فقدتموني لتفقِدُنَّ زِمْلاً عظيماً، يريد حملاً عظيماً من العلم(٢) .

﴿ قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً ﴾ يعنى ياأيها المتحمل أعباء الرسالة قم من الليل مصلياً فإن اتصالك الكثير بالله تعالى ليلاً يعطيك زاداً قوياً تستطيع به مواجهة أعدائك وتحمل أذاهم والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

وقد خير الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بين أن يقوم نصف الليل أو أن ينقص منه قليلاً أو يزيد عليه قليلاً، وذكر ابن عباس في هذا الحديث أن هذه الآية نسخت بقوله تعالى في آخر هذه السورة **﴿ علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن ﴾** والمقصود من هذا النسخ الوجوب حيث بقي قيام الليل من باب التطوع .

وقد ذكر سبحانه وتعالى مبرر هذا النسخ بقوله **﴿ علم أن سيكون**

---

(١) المستدرك، كتاب التفسير، سورة المزمل ٢ / ٥٠٥ .

(٢) لسان العرب (مادة زمل) .

منكم مـرضى وآخـرون يضربـون في الأرض يبتغـون من فضـل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه ﴾ .

وقـوله ﴿ **ورتـل القرآن تـرتيلاً** ﴾ يعنى بينـه وأنت تقرأ بـه بيانـاً واضحاً، لا تسرع بقراءته كهـذِّ الشِّعر بـل اقرأه بتمهـل حتى يحضر له قلبك وتقف عند عجائبه وتتأمل في مواعظه .

وأخرج ابن جرير من طريق مقسم عن ابن عباس انه قال في هذه الآية : بينه بيانا(١) .

قوله ﴿ **إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً** ﴾ يعني ثقيلاً تحمله وأداؤه إلى الناس وهو القرآن وذلك لأن النفوس لا تُقبل غـالباً إلا عـلى ما يـوافق هواها، والقرآن يشتمل على تكاليف تخالف هوى النفس ورغباتها فمن الأمـور المسلم بها أن يتعـرض من يتصدى لتبليـغ هذا القـرآن للأذى والمشقة، فكان لابد لمن يتحمل هذه المسئولية أن يتزود بزاد قوي يمنعـه من الضعف أو الانهيـار أمـام ضربـات الأعـداء القـويـة المتـلاحقـة، ولا يكون هذا الزاد إلا بالاتصال الدائم بالله عز وجل ولذلـك أمر الله جل وعلا نبيه صلى الله عليـه وسلم بقيام الليـل، ثم عقب على ذلـك بقـولـه ﴿ **إنـا سنلقي عليـك قـولاً ثقيـلاً** ﴾ فكـانت هـذه المسئـوليـة الكبـيرة. . مسئوليـة تبليغ هـذا القول للنـاس مـبرراً واضحـاً لـذلـك التكليف بقيام الليل .

قـوله ﴿ **إن نـاشئة الليـل هي أشد وطئـاً وأقوم قيـلاً** ﴾ ﴿ **ناشئـة الليل** ﴾ قيام الليل من نشأ بمعنى قام كما في تفسير ابن عباس السـابق، وعلى هذا تكون ﴿ **ناشئة** ﴾ مصدر نشأ كالعاقبة، وإسنـادها إلى الليـل

---

(١) تفسير الطبري ٢٩/ ١٢٧ .

مجاز كما يقال: قام ليله وصام نهاره[1].

وقوله ﴿ **هي أشد وطئاً** ﴾ قال ابن عباس في الحديث السابق «مواطأة للقرآن، أشد موافقة لسمعه وبصره وقلبه» يعني أشد موافقة من قيام النهار حيث الهدوء والسكينة في الليل فيكون حضور القلب والخشوع أكمل من النهار.

فالمفاضلة في قوله تعالى ﴿ **هي أشد وطئاً** ﴾ هي بين قراءة الليل وقراءة النهار كما يدل على ذلك قوله تعالى بعد هذه الآية ﴿ **إن لك في النهار سبحاً طويلاً** ﴾، وجاء في الرواية الأولى التي أخرجها الإمام أبو داود ما يدل على أن المفاضلة بين أول الليل وآخره حيث قال ابن عباس فيها «يقول هو أجدر ان تحصوا ما فرضه الله عليكم من قيام الليل، وذلك أن الإنسان إذا نام لم يدر متى يستيقظ»، ولكن الرواية الثالثة التي أخرجها الإمام البخاري أصح من حيث الإسناد، كما أنها هي المناسبة لمعنى كلمة ﴿ **وطئاً** ﴾ لأنها من المواطأة وهي الموافقة، فيناسب ذلك قول ابن عباس في الرواية الثالثة «مواطأة للقرآن، أشد موافقة لسمعه وبصره وقلبه».

وقوله ﴿ **وأقوم قيلاً** ﴾ يعني أثبت قراءة لعدم وجود ما يشغل القارىء في الليل من الأصوات المزعجة ونحوها مما يشغل المصلي عن تذكر القرآن وتدبره، كما أخرج الإمام ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: «أدنى أن تفقهوا القرآن»[2].

وقوله في هذا الحديث «﴿ **ليواطئوا** ﴾ ليوافقوا». هذه الجملة

---

(١) تفسير الالوسى ٢٩/١٠٥.

(٢) تفسير الطبري ٢٩/١٣١.

ليست من هذه السورة وإنما هي من قوله تعالى في سـورة التوبـة ﴿ **إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الـذين كفروا يحلونـه عامـاً ويحرمـونه عاماً ليواطئوا عدة ما حـرم الله** ﴾ (/٣٧). وإنما ذكـره ابن عباس في الحديث من باب الاستشهاد به على أن المواطأة هي الموافقة.

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً ﴾ (المزمل/١٤).

* * *

(٣٥٢) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس ﴿ كثيباً مهيلاً ﴾ الرمل السائل[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

ومن طريق العوفي عن ابن عباس قال: الكثيب المهيل اللين الذي إذا مَسَسْتَه تتابع[٢].

وكذلك أخرجه الحاكم من طريق عكرمة عن ابن عباس وذكر مثله[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المزمل.

(٢) تفسير الطبري ٢٩/١٣٦.

(٣) المستدرك، كتاب التفسير ٢/٥٠٦. وكتاب الأهوال ٤/٥٩٥.

وقال الفراء: ﴿ **الكثيب** ﴾ الرمل، والمهيل الذي تحرك أسفله فينهال عليك أعلاه[1].

بيان المعنى:

قال تعالى قبل هذه الآية ﴿ **وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً. إن لدينا أنكالاً وجحيماً. وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً** ﴾.

بين الله سبحانه انه قد أعد للمشركين الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الأنواع من العقوبات الشديدة ﴿ **يوم ترجف الأرض والجبال** ﴾ يعني تضطرب بمن عليها من الأحياء وذلك يوم القيامة ﴿ **وكانت الجبال كثيباً مهيلاً** ﴾ يعني تندك وتتناثر حتى تكون كالرمل اللين الذي إذا مسست أسفله تتابع عليك أعلاه، كما جاء في تفسير ابن عباس.

والأنكال: هي القيود كما أخرج ابن جرير عن عكرمة ومجاهد[2].

وقوله ﴿ **ذا غصة** ﴾ هو الشوك الذين يأخذ بالحلق فلا يدخل ولا يخرج كما أخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس[3].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/١٩٨.

(٢) تفسير الطبري ٢٩/٣٤ ـ ١٣٥.

(٣) تفسير الطبري ٢٩/٣٥.

٣ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً ﴾ (المزمل/١٦).

* * *

(٣٥٣) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿ وبيلاً ﴾ شديداً[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

وهذه الكلمة من قولهم كَلأٌ وبِيْلٌ ومُسْتَوبِل إذا كان وَخِمالاً يستمرأ لثقله، وكذلك الطعام[٣].

وصف الأخذ الشديد بذلك لرداءة عاقبته كالطعام والكلأ الوبيل[٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المزمل.

(٢) تفسير الطبري ٢٩/١٣٧.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢٧٣، تفسير الطبري ٢٩/١٣٦.

(٤) تفسير الالوسى ٢٩/١٠٨.

«ســورة المدثــر» (٧٤)

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير ﴾ (المدثر/٨، ٩).

* * *

(٣٥٤) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ فإذا نقر في الناقور ﴾ الصور وقال في قوله ﴿ عسير ﴾: شديد[1].

وأخـرجـه ابن جـريـر من طـريق عـلي بن أبي طلحـة عن ابن عباس[2].

وأخرج ابن جرير من طريقين عن عطية العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير ﴾ قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: كيف أنعم وصاحب القرن قـد التقم القرن وحنى جبهته يستمع متى يؤمر ينفخ فيـه فقال أصحـاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نقول؟ قـال: تقولـون: حسبنا الله ونعم الـوكيل

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب نفخ الصور. وكتاب التفسير، سورة المدثر.

(٢) تفسير الطبري ٢٩/١٥١ ـ ١٥٢.

على الله توكلنا[1].

وإسناده ضعيف كما تقدم[2].

---

(١) تفسير الطبري ٢٩/١٥٠ ـ ١٥١.

(٢) انظر الحديث رقم ٣٥.

٢ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة﴾ (المدثر/٥٠ ـ ٥١).

* * *

(٣٥٥) قال الإمام البخاري: قال ابن عباس؛ قسورة ركز الناس وأصواتهم، وكل شديد قسورة[١].

(٣٥٦) وأخرجه ابن جرير قال حدثنا أبو كريب قال حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **فرت من قسورة** ﴾ قال: ركز الناس.. أصواتهم[٢].

وهذا إسناد صحيح[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المدثر.

(٢) تفسير الطبري ٢٩/١٧٠.

(٣) بيان هذا الإسناد:

١ ـ وأبو كريب هو محمد بن العلاء وهو ثقة حافظ تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

٢ ـ وابن عيينة هو سفيان وهو ثقة تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧).

٣ ـ وعمرو هو ابن دينار وهو ثقة ثبت تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠).

٤ ـ وعطاء هو ابن يسار الهلالي أبو محمد المدني مولى أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها وهو ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة، من صغار الطبقة الثالثة، مات سنة أربع =

وأخرجه ابن جرير أيضاً قال حدثنا ابن بشار قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية ﴿ **فرت من قسورة** ﴾ قال: هم القناص[1].

وكذلك أخرجه عن شيخه أبي كريب عن وكيع عن شعبة بهذا الإسناد وذكر مثله .

ورجال هذا الإسناد بطريقيه كلهم ثقات تقدمت تراجمهم فالحديث صحيح الإسناد.

بيان المعنى:

قوله تعالى ﴿ **كأنهم حمر مستنفرة** ﴾ الضمير في الآية يعود على المشركين المذكورين في قوله تعالى قبل هذه الآية ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلين - إلى قوله تعالى - فما لهم عن التذكرة معرضين** ﴾.

والمراد بالحمر حمر الوحش.

وقوله ﴿ **مستنفرة** ﴾ بكسر الفاءعلى القراءة المشهورة وهي قراءة

= وتسعين وقيل بعد ذلك، أخرج له الجماعة (التقريب ٢/٢٣ رقم ٢٠٤، الكاشف ٢/٢٦٧ رقم ٣٨٦٢)

فرجال هذا الإسناد كلهم ثقات وقد روى بعضهم عن بعض (انظر تهذيب التهذيب ٧/٢١٧ رقم ٣٩٩ و ٨/٢٩/ رقم ٤٥.

(١) تفسير الطبري ٢٩/١٦٩.

القراء العشرة ما عدا نافعا وأبا جعفر وابن عامر فقرءوا بفتحها[1].

فعلى قراءة الكسر تكون بمعنى نافرة وعلى قراءة الفتح تكون بمعنى منفَّرة.

وقوله ﴿ فرت من قسورة ﴾ فسره ابن عباس في الروايات السابقة بقوله: ركز الناس وأصواتهم وكل شديد قسورة.

والركز هو الصوت الخفي[2] فالعطف في هذه الرواية من باب التفسير ولذلك جاء في رواية الطبري «ركز الناس أصواتهم» بغير عطف.

وفسره ابن عباس في الرواية الثانية بقوله: «هم القناص» ولا فرق بين الروايتين لأن الناس الذين تفر حمر الوحش من أصواتهم هم القناص الذين يلاحقونها.

لكن روى عن ابن عباس في الآية قول آخر وهو ما أخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ فرت من قسورة ﴾ يقول: الأسد[3].

وهذا إسناد حسن كما تقدم[4].

وأخرجه ابن جرير من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى ﴿ فرت من

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢/٣٩٣.
(٢) مفردات الراغب /٢٠٢.
(٣) تفسير الطبري ٢٩/١٧٠.
(٤) انظر الحديث رقم ٢.

قسورة ﴾ قال: هو بالعربية: الأسد، وبالفارسية: شار، وبالنبطية: أريا، وبالحبشية: قسورة[1].

وهذا إسناد ضعيف لأن فيه علي بن زيد بن جدعان ويوسف بن مهران البصري وهما ضعيفان كما تقدم[2].

والقول الأول أرجح لأنه مروي عن ابن عباس من طريق صحيح الأسانيد ولذلك اختاره الإمام البخاري وقدمه على تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الذي يخرج منه كثيراً في صحيحه.

---

(١) تفسير الطبري ٢٩/ ١٧٠.

(٢) انظر الحديث رقم (٤٢).

« ســـورة القيامـــة »[75]

١ ـ ما جاء في قوله تعالى

﴿ بل يريد الإنسان ليفجر أمامه يسأل أيان يوم القيامة فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئـذ أين المفر. كـلا لا وزر. إلى ربك يـومئذ المستقـر. ينبأ الإنسـان يومئـذ بما قـدم وأخر ﴾ (القيامة/ ٥ ـ ١٣).

* * *

(٣٥٧) ١ ـ قال الإمام البخـاري: قال ابن عبـاس: ﴿ ليفجر أمـامه ﴾ سوف أتوب سوف أعمل[1].

وأخـرجه الـطبري من طريق العـوفي عن ابن عبـاس قـال: يعني الأمل، يقول الإنسان: أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة[2].

وإسناده ضعيف كما تقدم[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة القيامة.
(٢) تفسير الطبري ٢٩/ ١٧٧.
(٣) انظر الحديث رقم ٣٥.

(٣٥٨) ٢ ـ قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿ **لا وزر** ﴾ لا حصن[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لا حرز يعني لاحصن ولا ملجأ.

ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: لا حرز[٢].

بيان المعنى:

يفهم من تفسير ابن عباس الذي أخرجه الإمام البخاري والذي أخرجه ابن جرير من طريق العوفي أن المراد بالإنسان في الآية المؤمن العاصي المبتلى بطول الأمل والتسويف بالتوبة حيث يرتكب المعاصي وهو يعلمها ولكنه يقول سوف أتوب منها في المستقبل.

وأخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: «الكافر يكذب بالحساب»[٣].

وإسناده حسن كما تقدم[٤].

وعلى هذه الرواية يكون المراد بالإنسان في الآية الكافر وهذا هو الظاهر المناسب لسياق الآيات لقوله تعالى بعد ذلك ﴿ **يسأل أيان يوم القيامة** ﴾ يعني يسأل عن يوم القيامة منكراً ومستبعداً وقوعه وهذا لا يكون إلا من الكافر، ولقوله تعالى قبل هذه الآية ﴿ **أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه** ﴾ وهذه الصفة أيضاً لا تكون إلا للكافر المنكر إعادة الحياة إلى الأجسام بعد موتها.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة القيامة.

(٢) تفسير الطبري ٢٩/١٨١.

(٣) تفسير الطبري ٢٩/١٧٨.

(٤) انظر الحديث رقم ٢.

وقوله ﴿ فإذا برق البصر ﴾ يعني إذا شق وفتح من الفزع من هول القيامة[1].

﴿ وخسف القمر ﴾ يعنى ذهب ضوؤه[1].

﴿ وجمع الشمس والقمر ﴾ لعل المراد بجمع الشمس والقمر طلوعهما مقترنين من جهة المغرب، وقد روى خبر طلوعها معاً كذلك عن (٣٥٩)
عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال الإمام ابن جرير: حدثنا ابن بشار قال حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن أبي الضحى عن مسروق قال قال عبدالله: ﴿ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها ﴾ قال: طلوع الشمس من مغربها مع القمر كأنهما بعيران مقرونان[2].

وإسناد هذا الأثر صحيح[3].

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢٧٧، معاني القرآن للفراء ٣/٢٠٩، تفسير الطبري ١٧٨/٢٩.

(٢) تفسير الطبري ١٠١/٨ سورة الأنعام.

(٣) بيان هذا الإسناد:
رجال هذا الإسناد كلهم ثقات تقدمت تراجمهم ماعدا مسروق بن الأجدع الهمداني فلم يتقدم له ترجمة وهو أحد الحفاظ الأعلام ثقة فقيه عابد، من الطبقة الثانية مات سنة اثنتين ويقال سنة ثلاث وستين وقد أخرج له الجماعة.
(أنظر تذكرة الحفاظ ١/٤٩ رقم ٢٦ والتقريب ٢/٢٤٢ رقم ١٠٥٥) وقد سمع هؤلاء الرواة بعضهم من بعض.
(انظر تهذيب التهذيب ٩/٧٠ رقم ٨٧، ٩/١٢ رقم ١٧، ٦/٣٣٨ رقم ٥٨٠، ٦/٢٢٢ رقم ٣٧٦، ١٠/١٣٢ رقم ٢٣٥، ١٠/١٠٩ رقم ٢٠٥، تذكرة الحفاظ ١/٤٩ رقم ٢٦).

﴿ **يقول الإنسان يومئذ أين المفر** ﴾ يعني من تلك الأهوال التي تجري في ذلك اليوم.

﴿ **كلا لا وزر** ﴾ يعني لا حصن ولا ملجأ ولا حرز كما قال ابن عباس في الأثر الثاني، فليس هناك شيء يمنع الناس من التعرض لأهوال ذلك اليوم.

﴿ **إلى ربك يومئذ المستقر** ﴾ أي أن مصير البشر ومنتهاهم في ذلك اليوم إلى الله وحده جل وعلا فيجازيهم على قدر أعمالهم فيثيب المحسنين على إحسانهم ويعاقب المسيئين على إساءتهم، وليس هناك قوة تحول دون قوة الله جل وعلا وإرادته.

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ﴾ (القيامة/١٦ ـ ١٩).

* * *

(٣٦٠) ١ ـ قال الإمام البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا أبو عوانة قال حدثنا موسى بن أبي عائشة قال حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى **﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾** قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه فقال ابن عباس : فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما، وقال سعيد : أنا احركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه ـ فأنزل الله تعالى **﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ﴾** قال : جمعه لك في صدرك وتقرأه **﴿ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾** قال : فاستمع له وانصت **﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾** ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه. وفي رواية قال **﴿ أولى**

لك فأولى ﴾ توعد[1].

وأخرجه الإمام أحمد ومسلم والنسائي والترمذي[2].

وأخرجه أيضاً الحميدي وأبو داود الطيالسي[3].

(٣٦١) ٢ ـ قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ قرأناه ﴾ بيناه ﴿ فاتبع ﴾ اعمل به[4].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : اعمل به.

ومن طريق العوفي عن ابن عباس قال : إذا تلي عليك فاتبع ما فيه[5].

بيان المعنى :

تبين لنا من هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرك شفتيه ولسانه بتلاوة القرآن وجبريل عليه السلام لم يكمل قراءته عليه مخافة نسيانه فأنزل الله سبحانه هذه الآيات مطمئناً نبيه صلى الله

---

(١) صحيح البخاري رقم ٥ كتاب بدء الخلق رقم ٤٩٢٧ و ٤٩٢٨ و ٤٩٢٩، كتاب التفسير، سورة القيامة رقم ٥٠٤٤ ـ كتاب فضائل القرآن، باب الترتيل في القراءة، رقم ٧٥٢٤ ـ كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿ **لا تحرك به لسانك** ﴾

(٢) صحيح مسلم رقم ٤٤٨، كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة.
سنن الترمذي ٩/٢٤٨، كتاب التفسير، سورة القيامة.
سنن النسائي ٢/١٤٩، كتاب الافتتاح، باب جامع ماجاء في القرآن.
مسند أحمد ١/٢٢٠، ٣٤٣.

(٣) مسند الحميدي ١/٢٤٢ رقم ٥٢٧ و ٥٢٨ ـ منحة المعبود بترتيب مسند الطيالسي أبي داود ـ كتاب التفسير سورة القيامة ٢/٢٥ رقم ١٩٨٣.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة القيامة، باب رقم ٢.

(٥) تفسير الطبري ٢٩/١٩٠.

عليه وسلم بأنه قد تكفل بجمعه في صدره وتيسير قراءته وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه** ﴾ جمعه لك في صدرك وتيسير قراءته لك كما أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : « أن نجمعه لك و﴿ قرآنه ﴾ أن نقرئك فلا تنسى »[1] كما قال تعالى في آية أخرى ﴿ **سنقرئك فلا تنسى** ﴾ (الأعلى/٦).

﴿ **فإذا قرأناه** ﴾ يعني أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام المبلغ عنا، فالإسناد مجازى، وفي إسناد القراءة إلى الله عز وجل مبالغة في إيجاب التأني بالقراءة[2].

﴿ **فاتبع قرآنه** ﴾ قال ابن عباس في هذا الحديث : فاستمع له وأنصت، يعني إذا قرأه عليك فاستمع لقراءته وأنصت حتى يكمل قراءته، وذلك كقوله تعالى ﴿ **ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه** ﴾ (طه/١١٤).

وجاء في الرواية التي علقها الإمام البخاري عن ابن عباس قال : ﴿ **قرأناه** ﴾ بيناه ﴿ **فاتبع** ﴾ اعمل به، وهذه هي رواية علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس كما سبق.

وعلى هذه الرواية يكون المراد بالقراءة بيان المعنى، ويكون المراد بالاتباع العمل بما اشتمل عليه القرآن من أحكام.

وماجاء في رواية الإمام البخاري الموصولة أرجح لأنها أقوى من حيث الإسناد ولأنها هي المناسبة لسياق الآيات حيث نهى الله سبحانه

---

(١) تفسير الطبري ٢٩/ ١٨٩.

(٢) تفسير الالوسى ٢٩/ ١٤٢.

نبيه صلى الله عليه وسلم عن التعجل بقراءة القرآن قبل أن يكمل جبريل عليه السلام قراءته، ثم اتبع ذلك بإرشاده إلى طريقة تلقي القرآن بعدما تكفل بجمعه له وتيسير قراءته.

أما بيان ما يشتمل عليه القرآن من الأحكام فقد جاء قوله تعالى بعد ذلك ﴿ **ثم إن علينا بيانه** ﴾ يعني بيان ما يشتمل عليه القرآن من أحكام ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك كما جاء في أحدى روايات الإمام البخاري عن ابن عباس حيث قال: علينا أن نبينه بلسانك[1].

وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: يقول حلاله وحرامه فذلك بيانه[2].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، حديث رقم ٤٩٢٩.
(٢) تفسير الطبري ٢٩/١٩٠.

٣ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ (القيامة/٣٦)

* * *

قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : **﴿ سدى ﴾** هملاً[١]. **(٣٦٢)**

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٢].

يعني : أيحسب هذا الإنسان الكافر أن يترك هملاً لا يؤمر ولا ينهى ولا يتعبد بعبادة؟! .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة القيامة.

(٢) تفسير الطبري ١٩٠/٣٩ .

« سـورة الإنسـان »[(٧٦)]

ماجاء في قوله تعالى

﴿ متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ﴾ (الإنسان/١٣).

* * *

(٣٦٣) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ الأرائك ﴾ السرر.[(١)].

وقال الحافظ ابن حجر : رواه عبد بن حميد بإسناد صحيح من طريق حصين عن مجاهد عن ابن عباس قال : « الأرائك السرر في الحجال »[(٢)] اهـ.

وأخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال : يعني الحجال[(٣)].

والحجال جمع حجلة وهي بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار، ولا يسمى السرير أريكة إلا إذا كان داخل الحجلة ولذلك

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الإنسان وكتاب بدء الخلق، باب رقم ٨.
(٢) فتح الباري ٣٢١/٦.
(٣) تفسير الطبري ٢١٣/٢٩.

فسر ابن عباس الأرائك مرة بالسرر ومرة بالحجال.

وقيل هو كل ماatكى عليه من سرير أو فراش أو منصة.

وتسمية الأرائك بهـذا الاسم إما لأنها متخـذة من شجر الأراك أو لكـونها مكانـاً للإقـامة من قـولهم أرك بالمكـان أروكاً، وأصـل الأروك الإقامة على رعي الأراك ثم تجوز به في غيره من الإقامات[1].

(١) أنـظر تفسير الالـوسي ١٥٨/٢٩، ومفردات الـراغب (مادة أرك) ولسـان العرب (مـادة حجل).

« سورة المرسلات »(٧٧)

١ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ إنها ترمي بشرر كالقصر، كأنه جمالات صفر ﴾ (المرسلات/٣٢ ـ ٣٣).

* * *

(٣٦٤) قال الإمام البخاري : حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى أخبرنا سفيان حدثني عبدالرحمن بن عابس قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول في قوله تعالى ﴿ **ترمي بشرر كالقصر** ﴾ : كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك فنرفعه للشتاء فنسميه القصر، ﴿ **كأنه جمالات صفر** ﴾ حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال[١].

وأخرجه أبو عبد الله الحاكم من طريق عبد الرحمن بن عابس عن ابن عباس وذكر مثله. وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الإمام الذهبي[٢].

وأخرجه الإمام ابن جرير من هذا الطريق وذكر مثله[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المرسلات حديث رقم ٤٩٣٣ و٤٩٤٢.
(٢) المستدرك، كتاب التفسير، سورة المرسلات ٢/٥١١.
(٣) تفسير الطبري ٢٩/٢٤٠.

بيان المعنى :

تبين لنا من تفسير ابن عباس هذا أن المراد بـالقصر في الآية كبـار الخشب التي يدخرها الناس للشتاء، وأن المراد بالجمالات الصفـر حبال السفن يجمع بعضها فوق بعض حتى تكون كأوساط الرجال.

وعلى هذا يكون حجم الشرر الذي تـرمى به النـار ككبار الخشب التي يبلغ طولها ثـلاثة أذرع أو تـزيد ويبلغ عـرضها كـأوساط الـرجال وكحبال السفن التي تكون بهذا الحجم.

وقد روى عن ابن عباس في الآية قول آخر وهو مـاأخرجـه الإمام ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحـة عن ابن عباس في قـوله ﴿ **إنها تـرمي بشرر كالقصر** ﴾ يقـول : كالقصر العـظيم. وفي قولـه ﴿ **كأنـه جمالات صفر** ﴾ يقول : قطع النحاس[1].

وهذا إسناد حسن كما تقدم[2].

ولعل ابن عباس كان يرى احتمال الآية لهذين المعنيين ففسرها مرة بهذا ومرة بذلك، وإلا فما في الصحيح أصح فهو المعتمد.

---

(١) تفسير الطبري ٢٩/ ٢٣٩، ٢٤٢.

(٢) انظر الحديث رقم ٢.

٢ ـ ماجاء في قوله تعالى

﴿ هذا يوم لا ينطقون ﴾ (المرسلات/٣٥).

* * *

(٣٦٥) قال الإمام البخاري : وسئل ابن عباس **﴿ لا ينطقون ﴾ ﴿ والله ربنا ماكنا مشركين ﴾ ﴿ اليوم نختم على أفواههم ﴾** فقال : إنه ذو ألوان مرة ينطقون ومرة يختم عليهم[١].

بيان المعنى :ـ

قوله تعالى « فقال إنه ذو ألوان مرة ينطقون ومرة يختم عليهم » يعني أن يوم القيامة يتجزأ إلى أجزاء فالكفار يتكلمون في بعضه ثم يختم على أفواههم، ومما يبين ذلك ماأخرجه عبد بن حميد من طريق علي بن زيد عن أبي الضحى أن نافع بن الأزرق وعطية أتيا ابن عباس فقالا : ياابن عباس أخبرنا عن قول الله تعالى **﴿ هذا يوم لا ينطقون ﴾** وقوله **﴿ ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾** وقوله **﴿ والله ربنا ماكنا مشركين ﴾** وقوله **﴿ ولا يكتمون الله حديثاً ﴾** قال :

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المرسلات.

ويحك ياابن الأرزق إنه يوم طويل وفيه مواقف، تأتي عليهم ساعة لا ينطقون ثم يؤذن لهم فيختصمون، ثم يكون ماشاء الله يحلفون ويجحدون، فإذا فعلوا ذلك ختم الله على أفواههم وتؤمر جوارحهم فتشهد على أعمالهم بما صنعوا، ثم تنطق ألسنتهم فيشهدون على أنفسهم بما صنعوا وذلك قولك ﴿ **ولا يكتمون الله حديثاً** ﴾(١).

وأخرجه أبو عبد الله الحاكم من طريق يحيى بن راشد المازني عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سأله نافع بن الأزرق عن قوله عز وجل ﴿ **هذا يوم لا ينطقون** ﴾ ﴿ **ولا تسمع إلا همساً** ﴾ ﴿ **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون** ﴾ و ﴿ **هاؤم اقرؤا كتابيه** ﴾ فما هذا ؟ قال : ويحك هل سألت عن هذا أحداً قبلى ؟ قال : لا ، قال : أما إنك لو كنت سألت هلكت أليس قال الله تبارك وتعالى ﴿ **وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون** ﴾ قال بلى وان لكل مقدارٍ يوم من هذه الأيام لوناً من هذه الألوان .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد، وقال الذهبي : قلت : يحيى ضعفه النسائي(٢).

---

(١) فتح الباري ٨/٦٨٦.

(٢) المستدرك ٤/٥٧٣، كتاب الاهوال.

ويحيى هو ابن راشد المازني أبو سعيد البراء، ضعفه أيضاً الحافظ ابن حجر - التقريب ٢/٣٤٧ رقم ٦٠.

« سـورة النبـأ »(٧٦)

ماجاء في قوله تعالى

﴿ إن للمتقين مفازاً. حدائق وأعناباً، وكواعب أتراباً وكأساً دهاقاً ﴾ (النبأ/٣١ ـ ٣٤).

* * *

(٣٦٦) ١ ـ قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ كواعب ﴾ نواهد(١).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ وكواعب ﴾ يقول : ونواهد وفي قوله ﴿ أترابا ﴾ يقول : مستويات(٢).

(٣٦٧) ٢ ـ قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ دهاقاً ﴾ ممتلئاً(٣).

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(٤).

وأخرجه أبو عبد الله الحاكم من طريق عكرمة عن ابن عباس

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب رقم ٨.

(٢) تفسير الطبري ١٨/٣٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب رقم ٨.

(٤) تفسير الطبري ١٩/٣٠.

رضي الله عنهما في قوله عز وجل ﴿ **كأساً دهاقاً** ﴾ قال : هي المتتابعة الممتلئة، قال : وربما سمعت العباس يقول : اسقنا وادهق لنا.

وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

قال أبو عبد الله : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال الإمام الذهبي : قلت : على شرط البخاري[1].

بيان المعنى :

قوله ﴿ **إن للمتقين مفازاً** ﴾ يعني فوزاً بالنعيم المقيم المذكور في هذه الآيات ﴿ **حدائق وأعناباً وكواعب أتراباً** ﴾ فسر ابن عباس الكواعب بالنواهد والكواعب جمع كاعب وهي المرأة التي نهد ثديها[2] ويكون ذلك في سن البلوغ.

وقوله ﴿ **أتراباً** ﴾ قال ابن عباس : مستويات، يعني على سِنٍّ واحدة، تشبيهاً في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوع الصدر أو لوقوعهن معاً على التراب عند الولادة[3].

﴿ **وكأساً دهاقاً** ﴾ قال ابن عباس في الأثر الثاني : ممتلئاً، وقال في الأثر الذي أخرجه الحاكم : هي المتتابعة الممتلئة، قال : وربما سمعت العباس يقول : اسقنا وادهق لنا.

قال ابن منظور : وأَدْهَقَ الكأس شَدَّ مَلْأَهَا، وكأس دهاق مترعة ممتلئة قال : وقال خداش بن زهير :

أتانا عامر يرجو قرانا   فأترعنا له كأساً دهاقاً[4].

---

(١) المستدرك ٢/٥١٢، كتاب التفسير، سورة النبأ.

(٢) لسان العرب (مادة كعب)

(٣) تفسير الالوسي ٣٠/١٨.

(٤) لسان العرب (مادة دهق).

« سـورة النـازعـات »[79]

ماجاء في قوله تعالى

﴿ يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ﴾ (النازعات/٦، ٧)

* * *

(٣٦٨) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضى الله عنهما : الـراجفة النفخة الاولى والرادفة الثانية[1].

وأخرجه ابن جرير من طريق على بن ابى طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ يوم ترجف الراجفة ﴾ يقول : النفخة الاولى.

ومن طـريق العوفي عن ابن عبـاس قال : تتبـع الآخـرة الاولى، والراجفة النفخة الاولى، والرادفة النفخة الثانية[2].

وأخرج ابن جرير عن الحسن البصرى أنه قـال : هما النفختـان، أما الأولى فتميت الاحياء، وأما الثانية فتحى الموتى، ثم تلا قولـه تعالى ﴿ ونفـخ في الصـور فصعق من في السمـوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ (الزمر/٦٨).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب نفخ الصور.

(٢) تفسير الطبري ٣١/٣٠.

« ســورة عبــس »[(٨٠)]

ماجاء في قوله تعالى

﴿ وفاكهة وأبا ﴾ (عبس/٣١)

* * *

(٣٦٩) قـال الامـام البخـاري : قـال ابن عبـاس : والأب مـا يـأكـل الانعام(١).

وأخـرجه الإمـام ابن جريـر من طريق عـاصم بن كليب عن ابن عباس قال : الأب ما انبتت الأرض مما لا يأكل الناس(٢).

وذكره الحافظ ابن حجر وقال : اسناده صحيح(٣).

بيان المعنى :

هـذه الآيـة جـاءت ضمن آيـات تـذكـر الإنسـان بنعم الله ربـه جـل وعلا عليـه حيث قال تعـالى **﴿ فلينظر الإنسـان إلى طعامـه . أنا صببنـا الماء صبـاً . ثم شققنا الأرض شقـاً . فأنبتنـا فيهـا حبـاً . وعنبـاً**

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، الباب الثالث.
(٢) تفسير الطبري ٣٠/٦٠.
(٣) فتح الباري ٢٧١/١٣.

وقضباً. وزيتوناً ونخلاً. وحدائق غلباً. وفاكهة وأباً. متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾.

والقضب نوع من العلف يسمى الرطبة ويسمى القت، وقد أخرج ابن جرير في ذلك من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ **وقضبا** ﴾ يقول : الفصفصة.

قال أبو جعفر ابن جرير رحمه الله : الفصفصة الرطبة[1].

وقوله ﴿ **وحدائق غلباً** ﴾ يعني ذات أشجار طويلة مجتمعة ملتف بعضها إلى بعض كما أخرج ابن جرير من طريق عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس قال : الحدائق ماالتف واجتمع، ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ **وحدائق غلبا** ﴾ يقول : طوالاً[1].

وقوله ﴿ **وأباً** ﴾ تبين من تفسير ابن عباس في هذا الباب أن الأب ماأنبتته الأرض مما تأكله الانعام ولا يأكله الناس.

---

(١) تفسير الطبري ٣٠/٥٧ ـ ٥٨

« سـورة المطففيـن »[٨٣]

ماجاء في قوله تعالى

﴿ يسقـون من رحيق مختـوم ختـامـه مسـك وفي ذلـك فليتنـافس المتنافسون ﴾ (المطففين/ ٢٥ ـ ٢٦)

* * *

قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : الرحيق الخمر[١]. (٣٧٠)

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله **﴿ من رحيق ﴾** قـال : الخمر. وفي قـوله **﴿ مختـوم ﴾** قال : ختم بالمسك.

ومن طـريق العـوفي عن ابن عبـاس قـال : طيب الله لهم الخمـر فكان آخر شيء جعل فيها حتى تختم المسك[٢].

والـرحيق من أسماء الخمـر معروف، وقـال ابن سيدة : وهـو من أعتقها وأفضلها وقيل الرحيق صفـوة الخمر، وقـال الزجـاح : الرحيق الشراب الذي لا غش فيه[٣].

والضمير في قولـه **﴿ يسقون ﴾** يعـود على المؤمنـين المذكـورين في قوله تعالى **﴿ إن الابرار لفي نعيم ﴾** يعني في الجنة.

---

(١) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق، الباب الثامن.

(٢) تفسير الطبري ٣٠/١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٣) لسان العرب (مادة رحق).

« سورة الانشقاق »[٨٤]

ماجاء في قوله تعالى

﴿ لتركبن طبقاً عن طبق ﴾ (الانشقاق/١٩).

* * *

(٣٧١) قال الإمام البخاري : حدثنا سعيد بن النضر أخبرنا هشيم أخبرنا أبو بشر جعفر بن إياس عن مجاهد قال قال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ لتركبن طبقاً عن طبق ﴾ حالاً بعد حال قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم[١].

وأخرجه أبو عبد الله الحاكم من طريق هشيم بهذا الإسناد عن ابن عباس قال : يعني نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: حالاً بعد حال.

قال أبو عبد الله : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه[٢].

وأخرجه ابن جرير بهذا الإسناد وذكر مثل لفظ الحاكم[٣].

---

(١) صحيح البخاري، رقم ٤٩٤٠، كتاب التفسير، سورة الانشقاق.

(٢) المستدرك، كتاب التفسير، سورة الانشقاق ٢/٥١٩.

(٣) تفسير الطبرى ٣٠/١٢٢.

بيان المعنى :

قوله تعالى﴿ **لتركبن** ﴾ فيه قراءتان : الأولى بفتح الباء وهي قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف وقرأ بقية العشرة بضمها(١).

وقد فسر ابن عباس الآية على قراءة الفتح حيث قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم يعنى أن الخطاب في الآية له.

أما على قراءة الضم فالخطاب لأمته صلى الله عليه وسلم.

قوله ﴿ **طبقاً عن طبق** ﴾ قال ابن عباس : حالاً بعد حال.

وذكر ابن جرير أن المراد شدائد يوم القيامة وأهواله(٢)

هذا هو الظاهر لمناسبته لسياق السورة حيث ذكر سبحانه الحساب قبل ذلك.

وعلى قراءة الفتح المراد جميع الناس وإن كان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢/٣٩٩.
(٢) تفسير الطبري ٣٠/١٢٥.

سـورة البـروج »(٨٥)

ماجاء في قوله تعالى

﴿ وهو الغفور الودود، ذو العرش المجيد ﴾ (البروج/١٤، ١٥)

* * *

(٣٧٢) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ المجيد ﴾ الكريم، و﴿ الودود ﴾ الحبيب[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وذكر مثله[٢].

وقوله « الحبيب » يعنى المحب لأوليائه المطيعين له.

---

(١) صحيح البخارى، كتاب التوحيد، باب رقم ٢٢ (الفتح ١٣/٤٠٣).

(٢) تفسير الطبري ٣/١٣٨ ـ ١٣٩.

« ســورة الطــارق »[٨٦]

ماجاء في قوله تعالى

﴿ إن كل نفس لما عليها حافظ ﴾ (الطارق/٤).

* * *

(٣٧٣) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : ﴿ لما عليهـا حافظ ﴾ إلا عليها حافظ[١].

وقـال الحافظ ابن حجـر : وصله ابن ابي حاتم وزاد : إلا عليهـا حافظ من الملائكة[٢].

بيان المعنى :

قوله ﴿ لما عليها ﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة ﴿ لمّا ﴾ بالتشديد وقرأ الباقون بتخفيفها[٣].

فعلى قراءة التشديد تكون ﴿ لمّا ﴾ بمعنى إلا وهي لغـة مشهورة في قبيلة هذيل وغيرهم تقول العـرب أقسمت عليك لمـا فعلت كذا أي لا

---

(١) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، الباب الأول.

(٢) فتح الباري ٦/٣٦٥.

(٣) النشر في القراءات العشر ٢/٢٩١.

فعلت قاله الأخفش[1].

وعلى هذه القراءة : فسر ابن عباس الآيـة حيث قال : إلا عليهـا حافظ :

وعـلى قراءة التخفيف يكـون المعنى : أن كل نفس لعليهـا حافظ على أن اللام جواب أن وما التي بعدها زائدة للتأكيد[2].

(١) تفسير ابن حبان ٨/٤٥٤ .

(٢) تفسير الطبري ٣٠/١٤٢ ـ تفسير الالوسي ٣٠/٩٦ ـ تفسير القرطبي ٢٠/٣

« ســورة البلــد »[٩٠]

ما جاء في قوله تعالى

﴿ لقد خلقنا الإنسان في كبد ﴾ (البلد/٤).

* * *

قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿ في كبد ﴾ في شدة (٣٧٤)
خلق[١].

وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: في نصب[٢].

وأخرجه أبو عبدالله الحاكم من طريق عطاء عن ابن عباس وذكر من شدة خلقه ولادته ونبت أسنانه ومعيشته وختانه[٣].

بيان المعنى:

يبين الله سبحانه في هذه الآية أن خلق الإنسان قد ارتبط بما يعانيه هذا الإنسان من المشقة والتعب منذ أن كان نطفة إلى أن أصبح قوياً

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، الباب الأول.

(٢) تفسير الطبري ١٩٦/٣٠

(٣) المستدرك، كتاب التفسير، سورة البلد ٢/٥٢٣.

يعتز بقوته فقد كـابد المشقـة في ولادته وختـانه ويـزوغ أسنانـه وفطامـه ومحـاولته الحبـو والمشي كما كـابد الأمـراض والأخطار في كـل مـراحـل حياته .

ويبين المراد من الكبد في الآية قوله تعالى بعد هذه الآية ﴿ **أيحسب أن لن يقدر عليه أحد** ﴾ يعني والله أعلم : أيحسب هذا الإنسان الذي بلغ من القـوةّ ما يعـتز به أن لن يقـدر عليه أحـد؟ ألا يذكـر أنه كـابد المشـاق والمتاعب منـذ أن نشأ حتى وصـل إلى هذه المـرحلة التي أصبح يتكـبر فيها عـلى خالقـه فينكر أن تكـون قوة الله جـل وعلا هي القـوة الـوحيدة التي تهيمن عـلى هذا الكـون بما فيـه هـذا الإنسـان المخلوق البسيط . ؟!!

« ســورة العــلق »(٩٦)

ما جاء في قوله تعالى

﴿ أرأيت الـذي ينهى عبداً إذا صـلى . أرأيت إن كان عـلى الهدى . أو أمر بالتقوى . أرأيت إن كذب وتولى . ألم يعلم بأن الله يرى . كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية . ناصية كاذبة خـاطئة . فليـدع ناديـه . سندع الزبانية . كلا لا تطعه واسجد واقترب ﴾ (العلق/ ٩ ـ ١٩) .

* * *

(٣٧٥) ١ ـ قال الإمام الترمذي : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن داود بن أبي هند عن عكرمـة عن ابن عباس رضي الله عنهـما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فجـاء أبو جهـل فقال : ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبي صـلى الله عليه وسلم فزبره فقال أبو جهل : إنك لتعلم ما بهـا ناد أكـثر مني ، فأنزل الله تبـارك وتعالى ﴿ فليـدع ناديـه . سندع الـزبانيـة ﴾ قال ابن عباس : والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب صحيح[١] .

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب التفسير، سورة العلق ، رقم ٣٣٤٩ ، ٣٣٤٨ .

وأخرجه الإمام أحمد من طريق أبي خالد الأحمر بهذا الإسناد وذكر مثله(١).

بيان الإسناد:

١ ـ أبو سعيد الأشج هو عبدالله بن سعيد بن حصين الكندي، ثقة من صغار الطبقة العاشرة، مات سنة وخمسين ومائتين، روى له الجماعة(٢).

٢ ـ أبو خالد هو سليمان بن حبان الأزدي، أبو خالد الأحمر الكوفي، وهو صدوق يخطىء، من الطبقة الثامنة، مات سنة تسعين ومائة أو قبلها، وله بضع وسبعون، روى له الجماعة(٣).

٣ ـ داود بن أبي هند تقدمت ترجمته وهو ثقة متقن كان يهم بأخرة(٤).

٤ ـ عكرمة مولى ابن عباس ثقة تقدمت ترجمته(٥).

وهذا إسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض(٦).

ومن تراجم هؤلاء الرجال تبين لنا أنهم ثقات ما عدا أبا خالد الأحمر فقد اتهم بالخطأ ولكن يقوى هذا الإسناد الحديث التالي.

* * *

---

(١) مسند أحمد ١/٢٥٦.
(٢) التقريب ١/٤١٩ رقم ٣٤٢، الكاشف ٢/٩١ رقم ٢٧٧٧.
(٣) التقريب ١/٣٢٣ رقم ٤٢٥، الكاشف ١/٣٩٢ رقم ٢١٠١.
(٤) انظر الحديث رقم ٤٩.
(٥) انظر الحديث رقم ٥.
(٦) تهذيب التهذيب ٥/٢٣٦ رقم ٤١٠، ٤/١٨١ رقم ٣١٣، ٣/٢٠٤ رقم ٣٨٨.

(٣٧٦) ٢ ـ قال الإمام الترمذي: حدثنا عبد بن حميد أخبرنا عبدالرزاق عن معمر عن عبدالكريم الجزري عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ سندع الزبانية ﴾ قال قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن عنقه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو فعل لأخذته الملائكة عياناً.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب[1].

بيان الإسناد:

هذا الإسناد صحيح ورجاله ثقات قد تقدمت تراجمهم.

وأخرجه الإمام البخاري من طريق عبدالرزاق بهذا الإسناد وذكر مثله إلا أنه لم يذكر نزول الآية[2].

وقد أخرج هذا الحديث الإمام الطبري من عدة طرق عن ابن عباس وعن أبي هريرة رضي الله عنهما[3].

كما أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه[4] بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ـ أو لأعفرن وجهه في التراب ـ قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو

(١) سنن الترمذي كتاب التفسير سورة العلق حديث رقم ٣٣٤٨.
(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة العلق، حديث رقم ٤٩٥٨.
(٣) تفسير الطبري ٣٠/٢٥٥ ـ ٢٥٦.
(٤) يعني هل يسجد وذلك من العفر وهو التراب حيث يلصق الساجد وجهه في التراب.

ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: مالك؟! فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة(١).

بيان المعنى:

تبين لنا من الروايات السابقة أن أبا جهل نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة، ثم لما رآه يصلي هَمَّ بأن يذهب إليه ليطأ على عنقه ولكن الله جل وعلا حال بينه وبينه فرجع إلى قومه فزعاً من هول ما رأى.

وقد أنزل الله جل وعلا هذه الآيات موبخاً هذا الكافر الأحمق ومبيناً جهله وضلاله فقال تعالى ﴿ **أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى** ﴾

وقوله ﴿ **أرأيت** ﴾ أخبرني وهي للتعجب من أمره.

وقوله ﴿ **إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى** ﴾ يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخرج ابن جرير من طريق سعيد بن أبي عَرُوبة عن قتادة(٢).

وقال الفراء في معنى الآيات: المعنى أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى وهو على الهدى وأمر بالتقوى، والناهي مكذب مُتَوَلٍّ عن الذكر؟ أي فما أعجب هذا؟! ثم يقول ويله! ألم يعلم أبو جهل بأن الله يراه

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة، باب قوله تعالى ﴿ **إن الإنسان ليطغى** ﴾ حديث رقم ٢٧٩٧.

(٢) تفسير الطبري ٣٠/٢٥٤.

ويعلم فعله؟ فهذا تقرير وتوبيخ[1].

ولما كان هذا الكافر قد اغتر بقوته وجاهه بين قومه فقال مهدداً رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني»[2] قال جل وعلا رادعاً هذا الجاحد إن استمر في ضلاله ﴿ **لئن لم ينته لنسفعن بالناصية** ﴾ يعني لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار يوم القيامة كما في قوله تعالى ـ ﴿ **فيؤخذ بالنواصي والأقدام** ﴾ (الرحمن/٤١)، والسفع الجذب بشدة يقال: سفع بناصية فرسه جذبه. قال عمرو بن معديكرب:

قوم إذا كثر الصياح رأيتهم ما بين ملجم مهره أو سافع

والناصية شعر الجبة وتطلق على مكان الشعر[3].

﴿ **ناصية كاذبة خاطئة** ﴾ الخاطىء من تعمد ارتكاب الإثم، أما المخطىء فهو من أراد المباح فأخطأه إلى المحرم، فالخاطىء مؤاخذ بخلاف المخطىء، ووصف الناصية بذلك من باب المبالغة فكأن صاحبها من شدة ارتكابه للكذب والإثم كل جزء من أجزائه يكذب ويأثم كقوله تعالى ﴿ **وتصف ألسنتهم الكذب** ﴾ (النحل/٦٢). فالإسناد مجازي من إسناد ما للكل إلى الجزء[4].

ثم قال تعالى مهدداً هذا الكافر المعاند ﴿ **فليدع ناديه** ﴾ يعني

---

(١) تفسير أبي حبان ٨/٤٩٤، تفسير القرطبي ٢٠/١٢٤، وقد جاء هذا التفسير ناقصاً ومحرفاً في معاني القرآن للفراء ٣/٢٧٨.

(٢) النادى هو المجلس الذي ينتدي فيه القوم أي يجتمعون ويطلق على القوم المجتمعين (النهاية في غريب الحديث والمفردات في غريب القرآن ـ مادة ندا ـ).

(٣) تفسير القرطبي ٢٠/١٢٥ ـ تفسير الالوسي ٣٠/١٨٦.

(٤) تفسير القرطبي ٢٠/١٢٦ ـ تفسير الالوسي ٣٠/١٨٧ ـ مفردات الراغب ـ مادة خطأ/١٥١.

قومه وعشيرته الذين يعتزبهم ﴿ **سندع الزبانية** ﴾ يعني ملائكة العذاب ليأخذوه هو وجمعه، والزبانية في اللغة الذين يَزْبُنُون الناس أي يدفعونهم قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

زبانية حول أبياتهم وخور لدى الحرب في المعمعة[1]

وسمى ملائكة العذاب بذلك لأنهم يدفعون أهل النار إليها.

ثم كرر سبحانه ردع ذلك الكافر وزجره حتى لا تطمع نفسه بنيل شيء من مراده فقال ﴿ **كلا** ﴾ يعني: ليس الأمر كما تظن أيها الجاحد ﴿ **لا تطعه** ﴾ يامحمد فإنه يدعو إلى الغواية والضلال ﴿ **واسجد واقترب** ﴾ داوم على سجودك لله وتقرب إليه بعبادته ولا تكترث بكيد أعدائك فإن الله معك.

---

(١) لسان العرب ـ مادة زبن.

« ســورة القــدر »(٩٧)

ما جاء في قوله تعالى

﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ (القدر/١).

* * *

(٣٧٧) قـال عبدالـرزاق: أخبرنـا معمـر عن قتـادة وعـاصم أنهما سمعـا عكرمة يقـول قال ابن عبـاس: دعا عمـر بن الخطاب أصحـاب محمد صـلى الله عليـه وسلم فسـألهم عن ليلة القـدر فـأجمعـوا أنها في العشر الأواخـر، قال ابن عبـاس فقلت لعمر: إني لأعلم - أو إني لأظن - أي ليلة هي قال عمر: وأي ليلة هي؟ فقلت: سابعة تمضي أو سابعة تبقى من العشر الأواخر فقال عمر: ومن أين علمت ذلك؟ فقال: خلق الله سبع سموات وسبع أرضين وسبعة أيام وإن الدهر يدور في سبع وخلق الله الإنسـان من سبع ويـأكل من سبـع ويسجد عـلى سبـع والـطواف بالبيت سبع - لأشياء ذكرها - فقال عمر: لقد فطنت لأمر ما فطنا له.

وكان قتادة يزيد على ابن عباس في قوله «يأكل من سبع» قال: هو قول الله تعالى ﴿ أنبتنا فيها حباً وعنباً ﴾ الآية[1] (عبس/٢٧ - ٢٨).

---

(١) مصنف عبدالرزاق، كتاب الصيام، باب ليلة القدر، رقم ٧٦٧٩.

وأخرجه الإمام الطبراني من طريق عبدالرزاق بهذا الإسناد وذكر مثله[1].

بيان الإسناد:

رجال هذا الإسناد كلهم ثقات تقدمت تراجمهم.

وقد سمع بعضهم من بعض[2] فإسناده بناء على هذا صحيح.

وقال الحافظ ابن كثير في هذا الحديث: وهذا إسناد جيد قوي ومتن غريب جداً فالله أعلم[3].

ووجه الغرابة فيه أنه لا تلازم بين مجيء هذه الأمور على هذا العدد المذكور وبين كون ليلة سبع وعشرين أو ثلاث وعشرين هي ليلة القدر.

بيان المعنى:

قوله تعالى ﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾ يعني أنزلنا القرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك مفرقاً بعضه على آثر بعض كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما فمن ذلك ما أخرجه أبو عبدالله الحاكم من طريقين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ **إنا انزلناه في ليلة القدر** ﴾ قال: أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا وكان بموقع النجوم فكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه على أثر

---

(١) المعجم الكبير ١٠/٣٢٢ رقم ١٠٦١٨.

(٢) تهذيب التهذيب ١٠/٢٤٣ رقم ٤٣٩، ٨/٣٥١ رقم ٦٣٥، ٥/٤٢ رقم ٧٣.

(٣) تفسير ابن كثير ٤/٥٦٥.

بعض، قال عز وجل ﴿ **وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً** ﴾.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الإمام الذهبي[1].

هذا وقد روى في تعيين ليلة القدر أحاديث كثيرة منها ما أخرجه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها فابتغوها في العشر الأواخر وابتغوها في كل وتر».

وما أخرجه الإمام البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»[2].

وقال الحافظ ابن حجر بعدما نقل أقوال العلماء في ذلك: وأرجحها كلها أنها في وتر من العشر الأواخر وأنها تنتقل كما يفهم من أحاديث الباب[3].

---

(١) المستدرك ٢/ ٥٣٠، كتاب التفسير، سورة القدر.
(٢) صحيح البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، الباب الثالث، حديث رقم ٢٠١٧ و ٢٠١٨ صحيح مسلم، كتاب الصيام، حديث رقم ١١٦٧.
(٣) فتح الباري ٤/٢٦٦.

« ســورة الكوثــر »[١٠٨]

ما جاء في قوله تعالى

﴿ إنا أعطيناك الكوثر فصل لـربك وانحـر . إن شانئـك هو الأبـتر ﴾ (الكوثر/١ ـ ٣)

* * *

(٣٧٨) ١ ـ قـال الإمام البخـاري : حدثنـا يعقوب بن إبـراهيم حـدثنـا هشيم حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر : هو الخير الكثير الذي أعـطاه الله إياه . قـال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة فقـال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه[١] .

وأخرجه الحاكم من طريق هشيم بهذا الإسناد وذكر مثله[٢] .

وأخـرجه ابن جـرير من عـدة طـريق عن سعيـد بن جبـير وذكـر نحوه[٣] .

---

(١) صحيـح البخـاري رقم ٤٩٦٦ ، كتـاب التفسـير سـورة الكـوثـر ورقم ٦٥٧٨ ، كتـاب الرقاق، باب في الحوض.

(٢) المستدرك ٢ /٥٣٧ ، كتاب التفسير.

(٣) تفسير الطبري ٣٠/٣٢١ ـ ٣٢٢ .

(٣٧٩) ٢ ـ قال الإمام البخاري: قال ابن عباس: ﴿ شانئك ﴾ عدوك[١].

وأخرجه الإمام ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وذكر مثله[٢].

بيان المعنى:

قوله «الكوثر هو الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه» الكوثر صيغة مبالغة على وزن فوعل من الكثرة، ويعبر بها عن الشيء الكثير كثرة مفرطة، قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر: بم آب ابنك؟ قالت: بكوثر، وقال الكميت:

وأنت كثير يا ابن مروان طيب وكان أبوك ابن العقائل كوثرا[٣]

وروى عن ابن عباس أن المراد بالكوثر النهر الذي أعطاه الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم في الجنة، قال ابن جرير في ذلك: حدثنا أبو كريب قال حدثنا عمر بن عبيد عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب وفضة يجري على الياقوت والدر، ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل[٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الكوثر.

(٢) تفسير الطبري ٣٠/٣٢٩.

(٣) تفسير الالوسي ٣٠/٢٤٥.

(٤) تفسير الطبري ٣٠/٣٢٠.

وأبو كريب هو محمد بن العلاء وهو ثقة تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤) وعمر بن عبيد هو ابن أبي أمية الطنافسي الكوفي وهو صدوق، من الطبقة الثامنة، مات سنة خمس وثمانين ومائة وقيل بعدها روى له الجماعة. (التقريب ٢/٦٠ رقم ٤٨١ ـ التهذيب ٧/٤٨٠ رقم ٨٩٦).

وعطاء هو ابن السائب وهو صدوق اختلط، وقد تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٢ وسعيد بن جبير ثقة ثبت تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

فهذا الإسناد فيه عطاء بن السائب قد اختلط في آخر عمره وقد سمع منه عمر بن عبيد بعد اختلاطه كما ذكر الحافظ ابن حجر[1]. فعلى هذا يكون الحديث محتملاً للضعف، ولكن أخرجه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس وذكر نحوه[2].

وهذا الإسناد ضعيف كما تقدم[3] ولكنه صالح للاعتبار فيتقوى به حديث عطاء وينتفي عنه احتمال الخطأ فيكون إسناده حسناً ومع اعتضاده برواية العوفي يكون الحديث صحيحاً لغيره. وقد صححه الحافظ ابن كثير[4].

ويؤيد هذا التفسير ما أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي والطبري والحاكم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مُتَبَسِّماً فقلنا: ما أضحك يا رسول الله؟ قال: أنزلت علي آنفاً سورة، فقرأ: ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم. إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وانحر. ان شانئك هو الأبتر** ﴾، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدرى ما أحدثت بعدك.

هذا لفظ الإمام مسلم وأخرجه الباقون بنحوه[5].

---

(١) التهذيب ٧/٢٠٥.
(٢) تفسير الطبري ٣٠/٣٢١.
(٣) انظر الحديث رقم ٣٥.
(٤) تفسير ابن كثير ٤/٥٩٢.
(٥) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب رقم ١٤، حديث رقم ٤٠٠. =

وبهذا تبين لنا أن ابن عباس فسر الكوثر في الآية مرة بالخير الكثير ومرة بالنهر الذي في الجنة وهذا التفسير الأخير يؤيده الحديث السابق الذي اتفق الأئمة على إخراجه وهو أصح ما روى في تفسير الآية، فيحمل اختلاف الرواية عن ابن عباس في تفسير الكوثر بأنه يرى دخول النهر الذي في الجنة في مدلول الآية دخولاً أولياً ولذلك فسرها به ويرى أن كلمة ﴿ الكوثر ﴾ تشمل غير هذا النهر من الخير الذي أعطاه الله نبيه صلى الله عليه وسلم. ففسر الآية بالخير الكثير ولذلك لما قيل لسعيد بن جبير تلميذ ابن عباس في ذلك قال: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه(١).

قوله ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ أخرج الإمام ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: الصلاة المكتوبة، والنحر: النسك والذبح يوم الأضحى(٢).

وإسناده ضعيف كما تقدم(٣).

وأخرج أيضاً من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: اذبح يوم النحر(٤).

وإسناده حسن كما تقدم(٥).

= صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الكوثر، حديث رقم ١٩٦٤.
سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الحوض، رقم ٢٦، حديث رقم ٤٧٤٧.
سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الكوثر، حديث رقم ٣٣٥٩.
تفسير الطبري ٣٠/٣٢٣.
المستدرك، كتاب التفسير، سورة الكوثر ٢/٥٣٧.

(١) تفسير الطبري ٣٠/٣٢١.
(٢) تفسير الطبري ٣٠/٣٢٦.
(٣) انظر الحديث رقم ٣٥.
(٤) تفسير الطبري ٣٠/٣٢٧.
(٥) انظر الحديث رقم ٢.

قوله ﴿ إن شانئك هو الأبتر ﴾ قال ابن عباس: في حديث الإمام البخاري السابق «شانئك عدوك».

والشناءة في اللغة البغض[1].

وعبر ابن عباس بالعداوة لأن بغض كفار مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم صادر عن عداوة في الدين فهو أشد أنواع البغض.

وقال ابن جرير في بيان سبب نزول هذه الآية: حدثنا ابن بشار قال حدثنا ابن أبي عدي قال أنبأنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة أتوه فقالوا له: نحن أهل السقاية والسدانة وانت سيد أهل المدينة، فنحن خير أم هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا، فقال: بل أنتم خير منه، فنزلت عليه ﴿ إن شانئك هو الأبتر ﴾ قال: وأنزلت عليه ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ﴾ إلى قوله ﴿ نصيراً ﴾[2].

ورجال هذا الإسناد ثقات قد روى بعضهم عن بعض وقد تقدمت تراجمهم فالحديث على هذا صحيح.

وذكره الحافظ ابن كثير من رواية البزار بهذا الإسناد وقال: إسناده صحيح[3].

---

(١) لسان العرب (مادة شنأ).
(٢) تفسير الطبري ٣٠/٣٣٠.
(٣) تفسير ابن كثير ٤/٥٩٣.

« ســورة النصــر »(١١٠)

ما جاء في قوله تعالى

﴿ إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ (النصر/١ ـ ٣).

* * *

(٣٨٠) قال الإمام البخاري : حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان عمر يدخلني مع اشياخ بدر فقال بعضهم : لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال : إنه ممن قد علمتم . فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال : وما أريته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني فقال : ما تقولون في ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً** ﴾؟ حتى ختم السورة، فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وقال بعضهم لا ندري ولم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي : يا ابن عباس أكذلك تقول؟ قلت : لا قال فما تقول؟ قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله إذا جاء نصر الله ، والفتح فتح مكة فذاك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره، إنه

كان تواباً، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم(١).

وأخرجه الإمام الطبراني من طريق أبي النعمان محمد بن الفضل السدوسي بهذا الإسناد وذكر مثله(٢).

وأخرجه الإمام الترمذي من طريق أبي بشر جعفر بن إياس بهذا الإسناد وذكر نحوه(٣).

وأخرجه الإمام أحمد من طريق هشيم عن أبي بشر به وذكر مثله وزاد في آخره «فقال لهم: كيف تلوموني على ما ترون»؟(٤).

بيان المعنى:

قوله «فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ قال: إنه ممن قد علمتم» جاء في بعض روايات الإمام البخاري «إنه من حيث علمتم» والمقصود من ذلك الإشارة إلى فطنته وذكائه وحرصه على تعلم العلم، كما جاء في رواية عبدالرزاق عن معمر عن الزهري قال قال المهاجرون لعمر: ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس؟ قال: ذلكم فتى الكهول فإن له لساناً سئولاً وقلباً عقولاً(٥).

قوله «فما أريته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني «أريته من أرى بمعنى

---

(١) صحيح البخاري رقم ٤٢٩٤، كتاب المغازى، باب إذا جاء نصر الله والفتح ورقم ٤٤٣٠، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، ورقم ٤٩٦٩ و ٤٩٧٠ كتاب التفسير، سورة النصر.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٣٢١/١٠ رقم ١٠٦١٧.

(٣) سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة النصر، حديث رقم ٦٣٦٢.

(٤) مسند أحمد ٣٣٧/١.

(٥) مصنف عبدالرزاق كتاب الجامع باب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ٢٤١/١١ حديث رقم ٢٠٨٢٨.

أظن[١]، يعني فما ظننته دعـاني إلا ليعلمهم مني عن الأمر الـذي جعله يـدعـوني معهم دون أبنـائهم، وفي روايـة الـطبراني «فـما رأيتـه» بمعنى علمته.

قوله «فـما تقول؟ قلت هـو أجل رسـول الله صلى الله عليـه وسلم أعلمه الله» يعني أن نزول هـذه السورة كـان إشعاراً بـدنو أجـل النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد أخرج الإمام البخاري من طريق حبيب بن أبي ثابت عن ابن عباس أن عمر رضي الله عنه سألهم عن قوله تعـالى ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ قالوا: فتح المدائن والقصور، قال: ما تقول يا ابن عبـاس: قـال: أجـل أو مثـل ضرب لمحمـد صـلى الله عليـه وسلم نعيت لـه نفسه[٢].

وأخرجه الإمام أحمد من طريق أبي رزين عن ابن عباس قـال: لما نزلت ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ علم النبي صلى الله عليه وسلم أن قد نعيت إليه نفسه[٣].

وأخرجه الطبراني من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: لمـا نزلت ﴿ **إذا جـاء نصر الله والفتح** ﴾ حتى ختم السـورة قال: نعيت لـرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حين نزلت، قال: فـأخذ بـأشد مـا كان قط اجتهاداً في أمر الآخرة[٤].

---

(١) لسان العرب (مادة رأى).
(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النصر، حديث رقم ٤٩٦٩.
(٣) مسند أحمد ١/٣٤٤.
(٤) المعجم الكبير للطبراني ١١/٣٢٨ رقم ١١٩٠٣.

وأخرجه الإمام أحمد من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نعيت إلي نفسي بأني مقبوض في تلك السنة»[1].

وهذه الرواية تخالف جميع الروايات السابقة حيث جاء فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بدنو أجله لما نزلت هذه السورة بينما الروايات السابقة في بعضها أن ابن عباس فهم ذلك من هذه السورة وفي بعضها الإخبار بأن النبي صلى الله عليه وسلم علم بدنو أجله وذلك من اجتهاده في أمر العبادة.

فلذلك ذكر الحافظ ابن حجر أن عطاء بن السائب وهم في هذه الرواية حيث نسب القول بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

فروايته هذه تعتبر منكرة من حيث الإسناد لمخالفتها رواية الثقات كما ان فيها نكارة من حيث المعنى إذ أنه لو صرح النبي صلى الله عليه وسلم بدنو أجله بعد نزول هذه السورة لم يكن ذلك خافياً على كبار الصحابة، كما أنه لو صرح بذلك لم يكن لابن عباس مزية في الفهم والمعرفة، ولكنه معنى فهمه عمر وفهمه ابن عباس وخفي على الصحابة الذين كان يدنيهم عمر رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) مسند أحمد ١/٢١٧.

(٢) فتح الباري ٨/٧٣٦.

« ســورة المســد »(١١١)

ما جاء في قوله تعالى

﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ (المسد/١)

* * *

(٣٨١) قال الإمام البخاري: حدثنا محمد بن سلام أخبرنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى البطحاء فصعد إلى الجبل فنادى: ياصباحاه فاجتمعت إليه قريش فقال: أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟ قالوا: نعم قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا تباً لك فأنزل الله عز وجل ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ إلى آخرها[١].

وقد تقدم هذا الحديث بسياق أطول من هذا في تفسير قوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (من سورة الشعراء/٢١٤).

وتقدم تخريجه هناك.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة تبت، حديث رقم ٤٩٧٢.

بيان المعنى :

قوله تعالى ﴿ **تبت يدا أبي لهب وتب** ﴾ التباب هو الهلاك والخسران، وإسناد التباب هنا إلى اليدين من إطلاق الجزء على الكل، فالمعنى : هلك أبو لهب وخسر، و﴿ **تبت** ﴾ الأولى دعاء والثانية إخبار بهلاكه وخسرانه ويؤيد ذلك قراءة عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب (وقد تب)[1] وقد ذكر الإمام البخاري هذه القراءة في إحدى رواياته[2].

وهذه القراءة ليست من القراءات العشر[3] بل هي شاذة وإن صح سندها لمخالفتها رسم المصحف العثماني.

---

(١) تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٣٥ - تفسير الالوسى ٣٠/ ٢٦٠.
(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، حديث رقم ٤٩٧١.
(٣) النشر في القراءات العشر ٢/ ٤٠٤.

« ســورة النــاس »(١١٤)

ما جاء في قوله تعالى

﴿ قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إلٰه الناس . من شر الوسواس الخناس . الذي يوسوس في صدور الناس . من الجنة والناس ﴾ .

* * *

قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : الوسـواس إذا ولد خنسه (٣٨٢)
الشيـطان فإذا ذكـر الله عـز وجـل ذهب، وإذا لم يـذكـر الله ثبت عـلى قلبه[١] .

وأخـرجـه أبـو عبـدالله الحـاكم من طـريق سفيـان الثـوري عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مـا من مولـود إلا على قلبـه الوسـواس فـإن ذكـر الله خنس وإن غفـل وسوس له وهو قوله تعالى ﴿ الوسواس الخناس ﴾ .

قـال الحـاكم : «هـذا حـديث صحيـح عـلى شرط الشيخـين ولم يخرجاه» ووافقه الإمام الذهبي[٢] .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الناس .

(٢) المستدرك ٥٤١/٢، كتاب التفسير، سورة الناس . صحيح البخـاري، كتاب التفسـير، سورة الناس .

وأخرجه ابن جرير من طـريق سفيان الثـوري عن حكيم بن جبير بهذا الإسناد وذكر مثله[١].

وحكيم بن جبـير الأسدي ضعفـه الحـافظ ابن حجـر[٢]. ونقـل الحافظ الذهبي تضعيفه عن علماء الجرح والتعديل[٣].

وقد رواه الإمام البخاري في هذه الرواية عنـه بصيغة الجـزم «قال ابن عباس» وقال الحـافظ ابن حجر: كـذا لأبي ذر ولغيره «ويـذكر عن ابن عبـاس» وكأنـه أولى لأن إسنـاده إلى ابن عبـاس ضعيف أخـرجـه الـطبري والحاكم وفي إسنـاده حكيم بن جبير وهـو ضعيف . . ثم ذكر الرواية السابقة[٤].

بيان المعنى:

قوله «خنسه الشيطان» يعني قبضه.

وقوله في رواية الحاكم والطبري «فإذا ذكـر الله خنس» يعني تأخـر وانقبض.

فخنس في رواية البخاري مُتَعَـدّ، وفي الروايـة الثانيـة لازم، قال الأزهـرى خنس في كلام العـرب يكون لازمـاً ويكون متعـديـاً يقـال: خنست فلاناً فخنس يعني أخرته فتأخر وقبضته فانقبض[٥].

فالمعنى على الروايتين واحد وهو أن الشيطان يجثم على قلب المولود

---

(١) تفسير الطبري ٣٠/٣٥٥.
(٢) التقريب ١/١٩٣ رقم ٥١٠.
(٣) الميزان رقم ٢٢١٤، المغنى في الضعفاء رقم ١٦٨٥. الـديوان في الضعفـاء والمتروكـين، رقم ١٠٩٨.
(٤) فتح الباري ٨/٧٤١.
(٥) لسان العرب (مادة خنس).

فإذا ذكرالله ذهب وإذا لم يذكر الله بقي جاثماً على قلبه. كما جاء في رواية سعيد بن منصور عن ابن عباس بلفظ «يولد الإنسان والشيطان جاثم على قلبه فإذا عقل وذكر اسم الله خنس وإذا غفل وسوس»[1].

والآيات ليست خاصة في المولود بل هي عامة في كل الناس، ففي هذه الآيات يأمرنا الله جل وعلا بأن نعوذ برب الناس سبحانه باعتباره خالقهم ومالكهم وإلههم من شر كل ما يوسوس للإنسان فيصرفه عن طاعة ربه وعبادته ﴿ **الخناس** ﴾ الذي يتأخر ويتباعد كلما ذكر العبد ربه جلا وعلا.

وقوله ﴿ **من الجنة والناس** ﴾ بيان للوسواس الخناس، يعنى أن الشيطان الذي يوسوس للإنسان فيصرفه عن طاعة الله جل وعلا ويوقعه في معصيته يكون من الجن ويكون من الإنس كما في قوله تعالى ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن** ﴾ (الأنعام/١١٢).

---

(١) فتح الباري ٨/٧٤٢.

الفهـــارس

فهرس أعلام الحديث المترجمين في الرسالة

ـ أ ـ

- خ -

- غ -

- ف -

- ق -

- ي -

ـ الكنى ـ

فهرس المراجع

(أ)

الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

الناشر : مطبعة ومكتبة المشهد الحسيني بالقاهرة، الطبعة الأولى عام ١٣٨٧ هـ.

أحكام القرآن للجصاص

الناشر : دار الكتاب العربي، بيروت، مصور عن الطبعة الأولى المطبوعة في تركيا عام ١٣٢٥ هـ.

الاستيعاب في أسماء الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري.

الناشر : المكتبة التجارية الكبرى عام ١٣٥٨ هـ.

أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير أبي الحسن علي بن محمد الشيباني.

الناشر : دار « انتشارات إسماعيليان » في طهران.

الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني.

الناشر : المكتبة التجارية الكبرى عام ١٣٥٨ هـ.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.
الناشر : مطبعة المدني عام ١٣٨٦ هـ.

« الأعلام » لخير الدين الزركلي.
الطبعة الثالثة.

« الأموال » لأبي عبيد القاسم بن سلام بتحقيق الشيخ محمد خليل الهراس.
الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية عام ١٣٨٨ هـ.

(ب)

الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير بتحقيق وشرح الشيخ أحمد شاكر.
الناشر : مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، الطبعة الثالثة.

بدائع المنن في ترتيب مسند الشافعي والسنن للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا.
نشر دار الأنوار للطباعة والنشر بمصر عام ١٣٦٩ هـ.

« البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع » للعلامة محمد بن علي الشوكاني.
نشر مطبعة السعادة سنة ١٣٤٨ هـ.

« بذل المجهود في حل أبي داود » للعلامة خليل أحمد السهار نفوري.
نشر مطبعة ندوة العلماء في لكهنو (الهند).

البرهان في علوم القرآن لمحمد بن عبد الله الزركشي.
الناشر: دار إحياء الكتب العربية للحلبى، الطبعة الأولى عام ١٣٧٦ هـ.

(ت)

تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر أحمد الخطيب.
لناشر: دار الكتاب العربي في بيروت (مصور عن الطبعة الأولى).
التاريخ الكبير للإمام البخاري.
الناشر: دار الكتب العلمية في بيروت (مصور عن الطبعة الأولى).
تحفة الاحوذي بشرح سنن الترمذي لأبي العلى محمد بن عبد الرحمن المباركفوري.
الناشر: دار إحياء التراث العربي في بيروت (مصور عن الطبعة الأولى).
تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للحافظ جلال الدين السيوطي
الناشر: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة الطبعة الأولى عام ١٣٧٩ هـ.
تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن) للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري.
نشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي عام ١٣٧٣ هـ - الطبعة الثانية.
تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.

الناشر : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، عام ١٣٨٧ هـ.
تفسير ابن كثير للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي.

نشر مكتبة النهضة الحديثة لصاحبها عبد الشكور فدا، الطبعة الأولى عام ١٣٨٨ هـ.

تفسير أبي حبان (البحر المحيط) لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الشهير بأبي حيان.

الناشر : مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض.
تفسير الالوسي (روح المعاني) للسيد محمود الالوسي.

نشر إدارة الطباعة المنيرية ودار إحياء التراث العربي.

تفسير الزمخشري : (الكشاف عن حقائق التنزيل) لأبي القاسم جارالله الزمخشري.
الناشر : مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي عام ١٣٨٥ هـ.
تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم) لقاضي القضاة أبي السعود العمادي.

الناشر : مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.
تفسير القاسمي (محاسن التأويل) لمحمد جمال الدين القاسمي. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

الناشر : دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي.
تفسير رشيد رضا (تفسير القرآن الحكيم ـ المنار ـ) للسيد محمد رشيد رضا.

نشر دار المنار بمصر عام ١٣٧٣ هـ، الطبعة الرابعة.

تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي. تحقيق المجلس العلمي بفاس.

نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب عام ١٣٩٩ هـ.

تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني. تحقيق عبد الوهاب بن عبد اللطيف.

نشر محمد بن سلطان التمنكاني صاحب المكتبة العلمية بالمدينة المنورة

التقييد والايضاح شرح مقدمة ابن الصلاح

الناشر: محمد بن عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى عام ١٣٨٩ هـ

تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني.

تصوير دار صادر ببيروت على الطبعة الأولى بمطبعة دائرة المعارف الهندية.

تهذيب الكمال للحافظ أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (مخطوط).

(ج)

جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري. تحقيق وتخريج الشيخ عبد القادر الأرناؤوط.

الناشر : مكتبة الحلواني ودار البيان ومطبعة الملاح .

الجرح والتعديل للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم .

مصور عن الطبعة الأولى المطبوعة بمجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند، عام ١٣٧١ هـ.

«الجوهر التقي » للعلامة علاء الدين بن علي المارديني - ابن التركماني -.

نشر مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في حيدر اباد، الطبعة الأولى عام ١٣٤٤ هـ مع سنن البيهقي .

(خ)

خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ للحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي .

نشر مكتب المطبوعات الإسلامية في حلب وبيروت، الطبعة الثالثة عام ١٣٩٩ هـ.

(د)

الدر المنثور في التفسير بالمأثور للحافظ جلال الدين السيوطي .

نشر محمد أمين دمج ـ بيروت .

الدراسة في تخريج أحاديث الهداية للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .

تحقيق ونشر السيد عبد الله هاشم اليماني وطباعة مطبعة الفجالة الجديدة بمصر عام ١٣٨٤ هـ.

« ديـوان الضعفاء والمـتروكين وخلق من المجهـولين وثقـات فيهم لين » للإمام شمس الدين بن عثمان بن قايماز الذهبي .

نشر مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة عام ١٣٨٧ هـ .

(س)

« سنن أبي داود » للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني

بتعليق عزت عبيد الدعاس ونشر محمد علي السيد، الطبعة الأولى عام ١٣٨٨ هـ .

«سنن النسائي» للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي .

نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد .

« سنن الترمذي » للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي .

بتحقيق أحمد محمد شـاكر نشر المكتبـة الإسلاميـة للحاج ريـاض الشيخ .

« سنن الدارمي » للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي

نشر دار إحياء السنة النبوية

« سنن ابن ماجه » للحافظ أبي عبد الله محمـد بن يزيـد القزويني - ابن ماجه -

تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

نشر دار إحياء الكتب العربية للحلبي .

« سنن الدار قطني » للإمام علي بن عمر الدار قطني .

نشر السيد عبد الله هاشم اليماني بالمدينة المنورة عام ١٣٨٦ هـ .

« سنن البيهقي » السنن الكبرى ـ للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي.

نشر مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في حيدر اباد، الطبعة الأولى، عام ١٣٤٤ هـ.

سيرة ابن هشام ـ السيرة النبوية ـ لأبي محمد عبد الملك بن هشام الحميري رواها عن محمد بن إسحاق.

بتحقيق الشيخ محمد خليل الهراس.

نشر مكتبة الجمهورية لعبد الفتاح مراد.

سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين بن عثمان الذهبي.

نشر معهد المخطوطات العربية ودار المعارف بمصر.

(ش)

« شذرات الذهب » لابن العماد الحنبلي.

نشر مكتبة القدسي بالقاهرة عام ١٣٥٠ هـ.

« شرح المواهب اللدنية » للعلامة محمد بن عبد الباقي الزرقاني.

نشر دار المعرفة للطباعة والنشر في بيروت عام ١٣٩٣ هـ.

(ص)

« صحيح البخاري » للإمام الكبير أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.

نشر المطبعة السلفية مع شرحه فتح الباري بتحقيق الشيخ عبد

العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي عام ١٣٨٠ هـ.
« صحيح مسلم » للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري.
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
نشر دار إحياء التراث العربي.

(ض)

« الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع » للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي.
نشر دار مكتبة الحياة في بيروت.

(ط)

طبقات المدلسين للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني.
ـ مخطوط ـ

(ف)

« فتح الباري شرح صحيح البخاري » للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني
نشر المطبعة السلفية بتحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي.
« فتح المغيث شرح الفية الحديث » للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي.
نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

(ق)

القاموس المحيط للعلامة محمد بن يعقوب الفيروز ابادي

(ك)

« الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة » للإمام شمس الدين الذهبي.
نشر دار الكتب الحديثة بمصر.

« الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها » لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي.
نشر مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٣٩٤ هـ.

(ل)

« اللباب في تهذيب الأنساب » للإمام عز الدين ابن الأثير الجزري.
نشر مكتبة المثنى ببغداد.

« لسان العرب » للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور المصري.

« لسان الميزان » للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات في بيروت عام ١٣٩٠ هـ

(م)

« مجاز القرآن » لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي.

تحقيق محمد فؤاد سزكين.

نشر مكتبة الخانجي بمصر.

كتاب «المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين» للحافظ محمد بن حبان البستي.

نشر دار الوعي بحلب، الطبعة الأولى عام ١٣٩٦ هـ.

«مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للحافظ نور الدين الهيثمي.

نشر دار الكتاب في بيروت.

«المجموع شرح مهذب الشيرازي» للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي.

تحقيق محمد نجيب المطيعي.

نشر المكتبة العالمية بالفجالة.

«المستدرك على الصحيحين» للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري.

الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية في حلب.

«مسند أبي عوانة» للإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الاسفرائني.

نشر دار المعرفة في بيروت ـ مصور عن الطبعة الأولى.

«مسند الإمام أحمد بن حنبل»

نشر المكتب الإسلامي ودار صادر بيروت عام ١٣٨٩ هـ ـ مصور عن الطبعة الأولى

«مسند الحميدى» للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي.

تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.

نشر مكتبة المثنى بالقاهرة وعالم الكتب ببيروت.

« مصنف عبد الرزاق » للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني.

تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.

نشر المجلس العلمي ـ الطبعة الأولى عام ١٣٩٠ هـ.

« المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية » للحافظ ابن حجر العسقلاني

تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.

نشر دار الباز للنشر والتوزيع.

« معالم السنن » لأبي سليمان الخطابي.

تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي.

نشر دار المعرفة في بيروت سنة ١٤٠٠ هـ

« معاني القرآن » لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء

نشر « عالم الكتب » في بيروت مصور عن الطبعة الأولى.

« معاني القرآن » لأبي الحسن سعيد بن مسعدة البلخي ـ الأخفش الأوسط.

تحقيق فايز فارس.

نشر المطبعة العصرية في الكويت، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٠ هـ.

« معاني القرآن وإعرابه » لأبي إسحاق إبراهيم بن السرى ـ الزجاج ـ

تحقيق عبد الجليل عبده سلبى.

نشر المكتبة العصرية في بيروت ـ صيدا.

« المعجم الكبير » للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني .
تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي .
نشر وزارة الأوقاف بالعراق عام ١٤٠٠ هـ .

« المعجم الصغير » للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني .
نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة عام ١٣٨٨ هـ .

« معجم البلدان » لأبي عبد الله ياقوت الحموى .
نشر دار صادر ودار بيروت .

« المغني » لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة .
نشر مكتبة الجمهورية العربية لعبد الفتاح مراد .

« المغني في الضعفاء » للإمام شمس الدين الذهبي .
تحقيق نور الدين عتر .

مفردات الراغب (المفردات في غريب القرآن) لأبي القاسم الراغب الأصفهاني .
نشر مكتبة ومطبعة الحلبي عام ١٣٨١ هـ .

« المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «للحافظ أبي محمد عبد الله بن علي بن الجارود » .

نشر وتحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني بالمدينة المنورة عام ١٣٨٢ هـ .

« منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود » .
ترتيب أحمد عبد الرحمن البنا .

طباعة المطبعة المنيرية بالأزهر عام ١٣٧٢ هـ.

« موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان » للحافظ نور الدين الهيثمي.
نشر وتحقيق محمد عبد الرزاق حمزة.
طباعة المطبعة السلفية.

« الموطأ » للإمام مالك بن أنس.
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
نشر دار إحياء التراث العربي

« ميزان الاعتدال في نقد الرجال » لشمس الدين الذهبي.
نشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت عام ١٣٨٢ هـ.

(ن)

« نزهة النظر شرح نخبة الفكر » للحافظ ابن حجر العسقلاني.
نشر دار الترجمة والتأليف بالجامعة السلفية في بنارس (الهند).

« النشر في القراءات العشر » لأبي الخير محمد بن محمد بن الجزري.
نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر لمصطفى محمد.

« نصب الراية لأحاديث الهداية » للعلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعى.
نشر المكتبة الإسلامية للحاج رياض الشيخ عام ١٣٩٣ هـ.

« النهاية في غريب الحديث » للإمام مجد الدين أبي السعادات ابن الأثير.
نشر دار إحياء الكتب العربية للحلبي.

« نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار » للعلامة محمد بن علي الشوكاني.
نشر مكتبة ومطبعة الحلبي

(هـ)

« هدى الساري » مقدمة صحيح البخاري ـ للحافظ ابن حجر العسقلاني
نشر المطبعة السلفية

(و)

« وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان » لأبي العباس أحمد بن أبي بكر بن خلكان.
تحقيق إحسان عباس.
نشر دار صادر ـ بيروت عام ١٣٩٨ هـ.

فهرس محتويات الرسالة

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

ســورة الأنفـال

ســورة التوبــة

سورة يونس

سورة هود

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الاسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

ســورة النــور

ســورة الفرقــان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة الروم

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سورة الصافات

سورة ص

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

ســورة الدخـان

ســورة الأحقـاف

ســورة محمـد

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن

سورة الواقعة

سورة الحديد

سورة الحشر

سورة الممتحنة

سورة المعارج

سورة نوح

سورة الجن

سورة المزمل

سورة المدثر

سورة القيامة

سورة الإنسان

سورة المرسلات